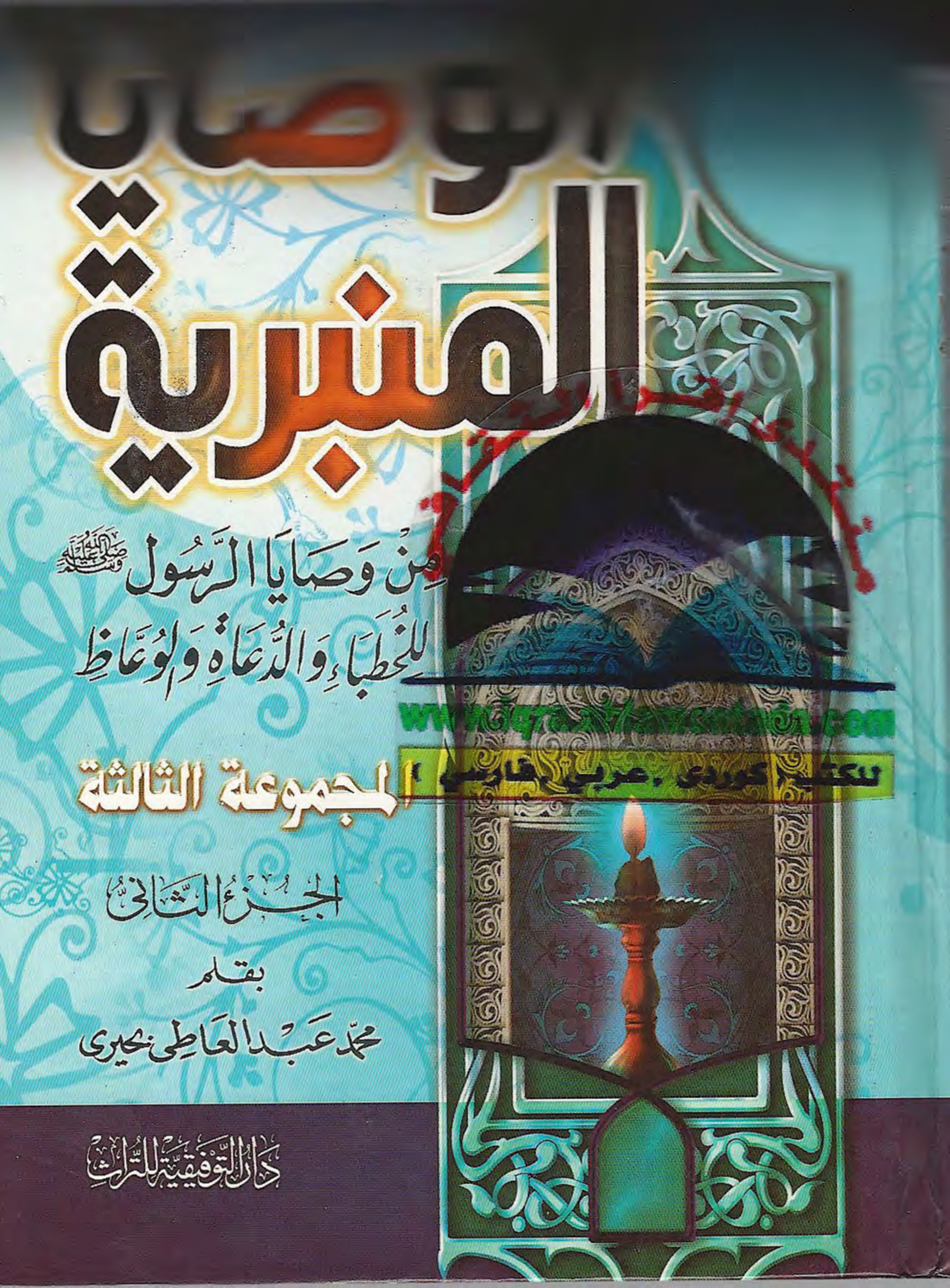

التوصيات
المنبرية
من وصايا الرسول ﷺ
للخطباء والدعاة والوعاظ
المجموعة الثالثة
الجزء الثاني
بقلم
محمد عبد العاطي بحيري
دار التوفيقية للتراث


منتدى إقراء الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

الوصايا المنبرية

من وصايا الرسول ﷺ

للخطباء والدعاة والوعاظ

كتبه

محمد عبد العاطي بحيري

المجموعة الثالثة

الجزء الثاني

دار التوفيقية للتراث

الشرك أن تجعل لله ﷻ ندًا وهو خلقك.. فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر عند الله ﷻ؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»..

وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿**يَبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣] وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨] ومن هنا يتضح الأمر بأن الإشراك بالله ﷻ في غاية الخطورة، فهو محبط للأعمال، كما قال بذلك رب العزة والجلال: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨]..

وقال الله ﷻ لرسوله وحبيبه محمَّد ﷺ: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] والشرك شركان: شرك أكبر، يخرج من الملة، وشرك أصغر لا يخرج من الملة..

والنوع الأول صاحبه مخلد في النار، قال الواحد القهار: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء: ٤٨]..

وقال: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢]..

وأما النوع الآخر - وهو الشرك الأصغر - لا يخلد صاحبه في النار، فهو كيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله في العبادة، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة أخرى.. فلله من عمله نصيب ولغيره منه نصيب.. وهذا النوع من الشرك وإن كان لا يخرج من الملة فإن صاحبه على خطر عظيم.. قال ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جل وعلا: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»[1]..

وفي المسند أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**» وزاد البيهقي في شعبه: «**يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا، هل**

(١) صحيح: رواه ابن ماجة وابن خزيمة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٣).

الوصية رقم (٥١)

لا نشرك بالله ولك الجنة

عن أنس بن مالك ﷺ قال: ذكر لي أنَّ النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: « **من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئًا، دخل الجنة** »، قال معاذ: ألا أُبَشِّر الناس؟

قال: « **لا، إني أخاف أن يتَّكِلوا** »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

هذه الوصية الكريمة من أعظم الوصايا التي أوصانا بها الحبيب المصطفى والرسول المجتبى ﷺ إنها توصي العبد أن يظل لله موحدًا إلى أن يلقى الله ﷻ، فإذا مات على التوحيد، لقي الله ﷻ وهو عنه راضي فأدخله الجنة.. وإذا مات على الشرك - والعياذ بالله - مات وربه عليه غضبان، فأدخله النار..

فقد جاء في رواية أخرى لهذه الوصية في سند الإمام أحمد من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئًا، دخل الجنة، ومن مات يشرك به، دخل النار** »[2]..

وعن سلمة بن نعيم - وكان من أصحاب الرسول ﷺ - قال: قال النبي ﷺ: « **من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئًا، دخل الجنة، وإن زنى، وإن سرق** »[3]..

وعن عبد الله بن عمرو يقول: قال النبي ﷺ: « **من لقي الله لا يشرك به شيئًا، لم تضره معه خطيئة، ومن مات وهو يشرك به لم ينفعه معه حسنة** »[4]..

فالشرك هو من أعظم الكبائر، ومعناه: أن يجعل لله ﷻ شريكًا في عبادته أو في ملكه..

(١) رواه البخاري وأحمد رقم (١٤٤٢٥)، وهو في « صحيح الجامع » برقم (٦٥٣١).

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده (١٢٥٤٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٢١٩٢٧).

(٤) صحيح: رواه أحمد في مسنده.

تجدون عندهم جزاء وخيرًا»[1]. وفي النهي عن الشرك نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]..

والعبد المؤمن مغفور له من قبل مولاه، مهما عمل من الخطايا والأوزار فالعلي الغفار يغفرها له شريطة الابتعاد عن الشرك.. قال الله ﷻ في الحديث القدسي الجليل: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»[2]..

وفي رواية عند ابن ماجة من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا، تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا، تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[3]..

والشاهد هنا.. من لقيني بقراب الأرض خطيئة ثم لا يشرك بي شيئًا، لقيته بمثلها مغفرة..

وليعلم العبد أن المقصود الذي من أجله خلقت السموات والأرض، والجنة والنار.. وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه قامت الحدود وبه شرعت الشرائع، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عبد الرحمن وحمد، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور.. وبه الخصام، وإليه المحاكمة.. إنه التوحيد.. الذي هو حق الله ﷻ على العبيد..

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: بينما أنا رديف النبي ﷺ فقال: «**يا معاذ بن جبل**» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: «**يا معاذ**» قلت: لبيك رسول الله وسعديك..

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢٣٥٢١)، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

(٢) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٨٢)، و«صحيح الجامع» (٤٣٣٨).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجة (٣٨٢١) ألباني، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٨).

قال: « **هل تدري ما حق الله على عباده؟** »..

قلت: الله ورسوله أعلم..

قال: « **حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا** »[1]..

والله ﷻ أخبرنا أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته، فهذا هو مقصود خلقهم، والحكمة منه، ولم يرد منهم ما تريده السادة من عبيدها من الإعانة لهم بالرزق والإطعام، بل هو الرزاق ذو القوة المتين.. قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾**﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]..

وإذا علم العبد أن ربه ومولاه هو مالك الملك، ومدبر الأمر، وأنه خالق السموات والأرض، وأنه هو الذي ينزل من السماء ماء، فينبت به حدائق ذات بهجة. ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، وأنه هو الذي جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا، وجعل بين البحرين حاجزًا، وأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، وأنه هو الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر، وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته، وأنه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، وأنه يرزقكم من السماء والأرض..

إذا علمتم عباد الله ذلك كله، وأقررتم به، فاعلموا أن ذلك لا يكفي، فإن هذا الإقرار قد أقر به الكفار والمشركون من قبل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [الزمر: ٣٨]..

إن مشركي العرب، كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، ويقرون بأن الله هو الخالق وأنه الرزاق، وأنه النافع والضار، ولكنهم جعلوا مع الله آلهة أخرى عبدوها من دون الله، قربوا لها القرابين، واعتقدوا فيها النفع والضر، وعبدوا الجن من دون الله ﴿**وَأَنَّهُۥ كَانَ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] وجعلوا تقليد آبائهم دينًا يدينون به، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]..

لكن التوحيد المقصود، الذي من أجله أرسل الرسل، هو توحيد العبادة، والذي حقيقته: هو انجذاب الروح إلى الله تعالى محبة وخوفًا، وإنابة وتوكلاً ودعاء وإخلاصًا، وإجلالاً وهيبة وتعظيمًا وعبادة..

لا عبادة إلا لله.. ولا توبة ولا إنابة ولا رجوع إلا إلى الله ﷻ، ولا توكل إلا على الله.. فمن توكل عليه كفاه، ومن اعتصم به، نجاه، ومن فوض الأمر إليه هداه، ومن اعتصم بغيره، أتعبه وأشقاه..

وفي الأثر الإلهي أن الله ﷻ أوحى إلى داود عليه السلام:

« أما وعزتي وجلالي، ما توكل علي عبد إلا كفيته، وبيدي مفاتيح الملك والملكوت وما اعتصم بي عبد إلا أدخلته الجنة، وكفيته كل مهمة.. ومن اعتصم بغيري، أسخت الأرض من تحته، وقطعت الأسباب من فوقه، ولا أبالي كيف أهلكته؟ » ..

ما في الوجود سواك ربٌّ يعبد ... كلا ولا مولى سواك فيقصد

يا من له عنت الوجوه بأسرها ... ذلاًّ وكل الكائنات توحد

أنت الإله الواحد الفرد الذي ... كل القلوب له تقر وتشهد

يا من تفرد بالبهاء وبالسنا ... في عزه وله البقاء السرمد

يا من له وجب الكمال بذاته ... فلذلك تشقى من تشاء وتسعد

ابتعدوا عن الشرك حتى لو قتلتم أو حرقتم، قال الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ موصيًا أمته في شخص الصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه: **« ولا تشرك بالله شيئًا، وإن قطعت وحرقت ... »**(١)..

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة والبيهقي، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٥٦٧)، وصححه في « صحيح الجامع » (٧٣٣٩).

أحبتي في الله..

اعبدوا ربكم ولا تشركوا به شيئًا.. فإن الغاية العظمى من دعوة الرسل جميعًا لأقوامهم هي عبادة الله ﷻ، والعبودية له..

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] وكان أول ما أوحى الله ﷻ به إلى كليمه موسى ﷺ: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤] وأول ما نطق به نبي الله عيسى ﷺ: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ... ﴾ [مريم: ٣٠]..

ونبينا محمَّد ﷺ قال له ربه: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] فكان ﷺ قمة المثال الذي يقتدي به في تحقيق العبودية، فوصل إلى أعلى مراتبها، وأسمى منازلها، فكان أحق من يوصف بهذا الوصف..

وجميع ما في هذا الوجود له عبودية تخصه، فالحيوانات لها عبوديات تخصها تشترك في بعضها مع الإنسان في الاسم، وتختلف في الكيفية، وكثير من هذه الكائنات تقدم عبوديتها لخالقها أحسن من كثير من البشر.. قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤]..

وهي تسجد لربها أعظم ما يكون السجود، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩]..

ومن عبوديتها أن هذه الدواب تخاف من يوم الجمعة، لأنها تعلم بأن الساعة، تقوم يوم الجمعة، وكثير من الإنس في غفلة.. روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما من دابة إلا وهي مصيخة** - أي منصتة ومستمعة - **يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة**»[1] ومن عجب عبودية هذه الدواب لربها أن تستريح إذا مات رجل فاجر على هذه الأرض، ففي البخاري أنَّ النبي ﷺ مر عليه جنازة، فقال: «**مستريح ومستراح منه**»..

(١) حسن: رواه ابن خزيمة وابن حبان، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٩٧)، و«صحيح الجامع» (٣٣٣٤).

فقالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المستراح منه؟

قال: « **إنَّ العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب** »[١]..

فالدواب تنزعج من وجود الفاجر في الأرض، لأنه مبارز لله ﷻ، لذا فإن الفاجر إذا مات.. استراحت منه البهائم..

يا سبحان الله! حتى البهائم تميز بين أولياء الله وأعداء الله؟!..

وتأملوا هذا الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه.. قال ﷺ: « **بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها، فضربها، فقالت: إنَّا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث، فقال الناس: سبحان الله! بقرة تتكلم؟ فقال** ﷺ **: فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر** »[٢]..

فالبقرة تكلمت بإذن ربها إلى هذا الرجل، لتفهمه سوء استخدامه لها، وأن هذا يتنافى مع العبودية لله، وأنها لا تضرب بدون مبرر، وأنها إنما خلقت للحرث ونحوه، وأنها تؤدي العبودية التي أمرها الله ﷻ بها ومن صور عبودية الدواب العجيبة، عبودية الذئب، روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: عدا الذئب على شاة، فأخذها فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقًا، ساقه الله إليَّ، فقال: يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمَّد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق؟

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه، حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتي رسول الله ﷺ فأخبره فأمر رسول الله ﷺ فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: « أخبرهم » فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: « **صدق، والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة، حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده** »[٣]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي.

(٣) صحيح: رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٢٢).

ومن عبودية الدواب (عبودية الديك) فقد أخبرنا ﷺ أنه يوقظ للصلاة، قال: «**لا تسبوا الديك، فإنه يدعو إلى الصلاة**» وفي رواية عند أبي داود: «**فإنه يوقظ للصلاة**»[١]..

فإذا كان سب الديك غير جائز، لأنه يأمر بالمعروف، فيدعو إلى الصلاة فكيف بالذي يسب من يدعو إلى الصلاة من بني البشر، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا شك بأن التعرض له أقبح وأشنع عند الله ﷻ..

أما عن عبودية النبات لربه، فأمره هو الآخر أشد عجبًا، فقد بين الله ﷻ أنه يسجد ويخضع لمولاه، فقال: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رأيتني الليلة، وأنا نائم، كأني أصلي خلف شجرة فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهمَّ اكتب لي بها عندك أجرًا، وضع عني بها وزرًا، واجعلها لي عندك ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود[٢]..

هذا الشجر يسمع الأذان، ويشهد للمؤمن، كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كنت في البوادي فارفع صوتك بالأذان، فإنه لا يسمعه جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر، إلا شهد له**»[٣]..

إنَّ هذا الشجر يلبي مع تلبية الحاج والمعتمر.. فما من حاج أو معتمر يقول: لبيك اللهمَّ لبيك إلا لبى معه الشجر وكل النباتات، قال سيد الكائنات فعن سهل بن سعد ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من مُلبٍّ يُلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا عن يمينه وشماله**»[٤]..

إن هذا الشجر أو النبات له في تحقيق عبودية الولاء والبراء، للكفرة واليهود تحقيق تام، عبودية أحسن بمراحل ممن يتزلفون لليهود، ويطلبون ودهم ويتقربون منهم، قال

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن حبان وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٩٧).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٥٧٩)، و«صحيح سنن ابن ماجة» (١٠٥٣)، و«الصحيحة» (٢٧١٠)، و«صحيح الترغيب» (١٤٤١).

(٣) صحيح: «صحيح سنن ابن ماجة» للألباني (٧٢٣).

(٤) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي وابن خزيمة والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٧٠)، و«صحيح الترغيب» (١١٣٤).

ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم.. يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله**»[١]..

وعند ابن ماجة: «**إلا الغرقد فإنها من شجرهم لا تنطق**» إنَّ هذا الشجر سينطقه الله ﷻ.. سيتكلم الشجر عبودية لله، وولاء له وللمسلمين، وبراء من اليهود، حتى الشجر لا يرضى بوجود اليهود، فيريد أن يعجل المسلم بقتله فما لنا لا نكون بمستوى بعض الأشجار تجاه اليهود؟

إنَّ أولئك الغرقديين أمرهم مفضوح، لأن العنصر اليهودي منبوذ حتى من الشجر والحجر..

أيها العابدون الموحدون..

اعبدوا ربكم ولا تشركوا به شيئًا، وكونوا أعبد لربكم من تلكم الكائنات واحذروا من الشرك بجميع صوره حتى تدخلوا جنة ربكم، وتفوزوا برحمته ورضوانه..

واعلموا أن معظم الشرور والنكبات التي أصابت الأمة الإسلامية، فبسبب ضعف التوحيد في نفوسهم وقلوبهم، فهذا مفتون بالتمائم والحروز، يعلقها عليه وعلى عياله، بدعوى أنها تدفع الشر، وتذهب العين، وتجلب الخير، والله تعالى يقول: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الأنعام: ١٧]. وقد قال النبي ﷺ: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له**». وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**»[٢]. ومن الناس من افتتن بالمشعوذين والدجاجلة الأفاكين، ومنهم من افتتن بالأبراج..

فاستمسكوا بدينكم، ووحدوا ربكم، ولا تشركوا به شيئًا، فهذا والله مصدر عزكم.. فهذا ربعي بن عامر ﷺ يدخل على رستم وهو في أعظم حلة له، ويأتي هذا الأعرابي الذي ما عرف رستم، ولكنه عرف الله ووحده، يأتي بثياب صفيقة وسيف

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده والحاكم عن عقبة بن عامر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٩٤).

وفرس قصيرة، فلا ينزل من فوقها، حتى يدوس بساط رستم، ثم يتقدم ويشق بعض الوسائد، ليربط دابته، ثم يتقدم يتوكأ على رمحه فوق النمارق، ويقول كلمته المشهورة من مصدر العزة والرفعة إنهم عظموا الله، فعظم الله شأنهم، وحدوه، فوحد قلوبهم..

قال له رستم: ما الذي جاء بكم؟ فقال ربعي في عزة وشموخ: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لتدعوهم إليه، فمن قبل ذلك، قبلنا منه، ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبدًا، حتى نفضي إلى موعود الله..

اللهمَّ اجعلنا من عبادك الموحدين، الذين لا يدعون إلا إياك، ولا يرجون إلا إياك، ولا يستعينون بأحد سواك..

اللهمَّ وفقنا لفعل الطاعات، والإكثار من الأعمال الصالحات، وارزقنا الإخلاص في النيات..

اللهمَّ أعطنا من خير ما أعطيت نبينا وحبيبنا محمَّدًا ﷺ عطاء تحبه وترضاه وأنت راض عنا.. عطاء عظيمًا.. عطاء غير ممنون.. عطاء أنت له أهل.. إنك أهل التقوى وأهل المغفرة..

أنت حرزنا في ليلنا ونهارنا.. ذكرك شعارنا.. أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.. وادخلنا في حفظ عنايتك..

اللهمَّ إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه، وأوله وآخره..

سبحانك ما أعظم شأنك.. وما أعز سلطانك.. وما أجل برهانك

اغفر ذنوبنا، وتول أمرنا، وأحسن عاقبتنا، واختم لنا بالحسنى يا رب العالمين..

الوصية رقم (٥٢)

لا تهنوا فتداعى عليكم الأمم

عن ثوبان ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**»..

فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟

قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة، وليقذفن في قلوبكم الوهن**»..

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الأحبة الكرام..

قد يصاب الفرد أو المجتمع أو الأمة بأسرها بظروف طارئة، وتطورات متعددة، وأمراض مختلفة، وقد تزول بسرعة دون أن تترك أثرًا وقد يستمر هذا المرض، ويصبح مرضًا فتاكًا قاتلاً مدمرًا للأمة بأسرها ومن هذه الأمراض الفتاكة، التي يشترك فيها الفرد والمجتمع، وتنذر الأمة بالويل والدمار، مرض (الوهن)..

والوهن هو الضعف، سواء كان هذا الضعف ماديًا أم معنويًا.. إنه يدل على الذلة والهوان.. يدل على الخور وعلى الانكسار.. يدل على الانحطاط.. قل ما تشاء.. فإن كلمة (الوهن) تحمل كل معاني الضعف والذل.. قال تعالى حكاية عن نبي الله زكريا عليه السلام: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤] أي الضعف.. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤] أي ضعفًا على ضعف..

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١] لذلك حذرنا الإسلام من الوقوع في الوهن، حتى لا نقع فيه، لأنه

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٨١٨٣).

ليس أضر على الأمة المحمَّدية من أن يتسرب اليأس والضعف إلى قلوب أفرادها، بسبب محنة أو ابتلاء ابتلاهم الله ﷻ به، أو مصيبة امتحنوا فيها، لأن ذلك مرض قاتل.. حذر الله ﷻ المسلمين منه بعد أن انتهت غزوة أحد، وقتل من قتل فيها، وجرح من جرح، فخاطبهم قائلاً: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] إن كنتم مؤمنين فلا وهن.. ولا حزن.. ولا ضعف..

حتى وجد الإيمان.. وجدت القوة والعزة والكرامة.. متى وجد الإيمان، وجد العلو والرفعة والشموخ.. فإن كانت هناك مصادمات فلابد من الأضرار والخسائر الحسية والمعنوية.. ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]..

فلا تضعفوا ولا تذلوا.. ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ...﴾ [النساء: ١٠٤] لكن أنتم تتميزون عنهم بميزة.. وهي أنكم.. ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ...﴾ [النساء: ١٠٤]..

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] فالعزة والرفعة للإسلام والمسلمين شريطة أن يتمسكوا بمنهج الله ﷻ.. شريطة أن يصبروا على دين الله.. وأن يخلصوا لله ولرسوله.. ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]..

إذن الوهن داء عضال، ووباء خطير بين لنا ربنا ﷻ وحذرنا منه، ومن أسبابه، وأعراضه، وعلاجه.. والأمة الآن عندما خالفت أمر ربها، وعصت رسولها، حل بها ما حل، ونزل بها ما نزل، وعوقبت بهذه العقوبات المتتابعة المتلاحقة والمتوالية.. حتى إن المسلم ليقف حائرًا أمام ما يجري من أحداث..

أحبتي في الله..

والله إنَّ العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لما حل بأمة التوحيد لمحزونون.. وإنا لله، وإنا إليه راجعون..

أهذه هي الأمة التي زكاها مولاها في قرآنه بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠] أهذه هي الأمة المرحومة، التي زكاها مولاها ﷻ بالوسطية في كتابه فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]..

أهذه هي الأمة التي زكاها الله ﷻ في القرآن الكريم بالألفة والوحدة فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]؟ إنك إذا نظرت إلى هذه الأمة في القرآن الكريم، ونظرت إليها على أرض الواقع، لانفلق كبدك من الحزن والبكاء..

فقد تداعت عليهم الأمم الاستعمارية، والشعوب المعادية، وتكالبت على أرضهم وبلادهم، وجزأت أوطانهم وديارهم، وسلبت نصيبًا كبيرًا من مقدساتهم، وتآمرت، ولا تزال تتآمر عليهم في كل أقطارهم، وتحيك لهم المؤامرة تلو الأخرى، للإطاحة بهم، وفرض الاستسلام عليهم، وتنوع لهم أساليب الاستغلال والابتزاز لثرواتهم واقتصادهم، وتفرض عليهم الأفكار الخبيثة، والمبادئ البراقة، والقيم الدخيلة، والقوانين الوضيعة. وتغزوهم فكريًّا وثقافيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا في عقر دارهم.. وتحفر لهم الحفر، ليسقطوا فيها..

المسلمون الآن في ضياع وتمزق، وتردد واضطراب، لا يعرفون ذاتًا لأنفسهم ولا يعلمون هوية لشخصيتهم، بل ويجهلون السفينة التي تحملهم.. وهم نائمون بل هم في بحر لجي، في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرجوا أصابعهم لم يكادوا يرونها من الحجب..

كل هذا لماذا؟ لأن الأمة غيرت شرع الله ﷻ، وانحرفت عن طريق رسولها ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] لقد أذل الله الأمة لأحقر وأذل أمم الأرض ممن كتب الله عليهم الذلة والمسكنة، من إخوان القردة والخنازير من أبناء اليهود، ساموا الأمة سوء العذاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

أيها الأحبة الكرام..

ما أهون الخلق على الله ﷻ إذا أضاعوا أمره، كلمة قالها الصحابي الجليل أبي الدرداء ﷺ يوم فتحت قبرص، وفرق بين أهلها.. رُئي وهو يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا الدرداء في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ما أهون الخلق على الله، إذا هم أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى[١]..

وصدق ﷺ لأننا لو تأملنا القرآن الكريم وسنة النبي العظيم، لعلمنا يقينًا صدق مقالته، فإن الداء المفسد لدنيا العبد وآخرته، معصية الله ﷻ، وترك أوامره.. فما من مصيبة تصيب العبد في ماله أو جسده أو أهله، إلا والسبب الرئيسي لها هو معصية الله ﷻ.. قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]..

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « .. **أما بعد: يا معشر قريش، فإنكم أهل هذا الأمر، ما لم تعصوا الله، فإذا عصيتموه بعث إليكم من يلحاكم، كما يلحى هذا القضيب**»[٢] لقضيب في يده، ثم لحاه، فإذا هو أبيض يصلد.. ويلحى يعني يقشر..

يقول الألباني في « السلسلة الصحيحة » (جـ٤/ ١٢٦):

وهذا الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ فقد استمرت الخلافة في قريش عدة قرون، ثم دالت دولتهم، بعصيانهم لربهم، واتباعهم لأهوائهم، فسلط الله عليهم من الأعاجم من أخذ الحكم من أيديهم، وذل المسلمون من بعدهم إلا ما شاء الله.. ولذلك فعلى المسلمين إذا كانوا صادقين في سعيهم لإعادة الدولة الإسلامية، أن يتوبوا إلى ربهم، ويرجعوا إلى دينهم، ويتبعوا أحكام شريعتهم..

وقد كتبت السيدة عائشة – رضي الله عنها – إلى معاوية بن أبى سفيان ﷺ أما بعد:

---

(١) « الزهد » للإمام أحمد (ص١٧٩).

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى وغيره، وصححه الهيثمي في « المجمع » (٥/ ١٩٢)، والألباني في « الصحيحة » رقم (١٥٥٢)، و« صحيح الجامع » (١٣٥٩).

فإن العبد إذا عمل بمعصية الله تعالى، عاد حامده من الناس ذامًّا.. وقال الحسن البصري - رحمه الله - هانوا عليه، فعصوه، ولو عزوا عليه، لعصمهم..

وصدق فإن العبد لا يزال يعصي الله ﷻ، فيمقته الله ويهينه بذل معصيته، وإن عظمه الناس ظاهرًا، لحاجتهم إليه، أو لخوفهم منه، فهو في قلوبهم أحقر شيء وأهونه..

وقال - رحمه الله - أيضًا: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين إن ذل المعصية في رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه»[1]..

فالأمة كلما عصت ربها، وجحدت معروف باريها، وتنكرت لجميله، سلط عليها أعداءها، فاستباحوا ديارها، وحطموا كيانها، وهدموا مساجدها، وأذلوا شيوخها وأطفالها..

وفي بعض الآثار الإلهية يقول الله ﷻ: «**إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني**»..

وقد سلط الله ﷻ على الأمة تلك الشرذمة الفاجرة، سلط عليهم هؤلاء الصهاينة من اليهود، الذين يعيثون في الأرض فسادًا، ولا تزال مناظر الدماء والأشلاء تصبحنا وتمسينا.. ما ذنب الأطفال الرضع والشيوخ الركع، والنساء الضعفاء.. كل ذلك لأن الأمة الإسلامية تخلت عن أمر الله ﷻ.. أقاموا البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل، فصارت الغلبة لهذه الأمور.. فأصبحت الأمة مهينة، مستكينة ذليلة.. يطؤها الخف والحافر، وينالها الكافر الماكر..

الأمة وثقت بمن لا يفي بالعهود، وأسلمت ذمامها للعدو اللدود، وتلت جبينها لذابحها، ومنحت رباطها لخانقها على حساب دينها وإيمانها وأمانها.. حتى باءت بالسخطتين، وذاقت الأمرين، ولا ينفع اليوم بكاء ولا عويل.. أصبحت الأمة الآن غثاءً مع أنَّ الثروة البشرية تزيد عن مليار وثلث من البشر.. إلا أنهم غثاءٌ كغثاء السيل.. لا قيمة لهم نعم أعدادهم كبيرة..

---

(١) «الحلية» (٢/ ١٤٩) لأبي نعيم.

لماذا فقدنا هيبتنا، وأصبحنا ضعفاء، تقوى علينا عصابات السفاح وتنكل بأمتنا ليل نهار، على مسمع الأمة وبصرها، دون أن تحرك ساكنًا؟ هل أصبح السواد الأعظم من الأمة غثاء كغثاء السيل كما أخبر من لا ينطق عن الهوى، بأبي هو وأمي ﷺ..

إلى متى سيبقى أكل الحرام مشرعًا، ومنتشرًا بين الناس دون هوادة، أو رادع، ودون خوف من الواحد الأحد - جل في علاه -؟

إلى متى ستبقى الأمة تعاني من الظلم والطغيان والاستبداد؟

متى ستتطهر أمتنا من آفات المحسوبية والغش والخداع..؟

إلى متى ستبقى الأمة تساق كأنها قطعان الماشية؟

أحبتي الكرام..

إنَّ حال هذه الأمة لن يتبدل، ولن يتغير إلا إذا رجعت إلى كتاب ربها ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ...**﴾ [الرعد: ١١] لا خروج من الوهن والضعف الذي ابتليت به الأمة، إلا بالعودة إلى سنة نبيها محمَّد ﷺ لا خروج من الوهن والضعف إلا بالصلح مع خالق السموات والأرض، ومدبر الأكوان.. وقد أتى بالصلح وشروطه أمين الوحي جبريل عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿**ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ**﴾ [الحج: ٤١] ففي الآية شروط أربعة.. بنود الصلح أربعة:

١ - إقامة الصلاة. ٢ - إيتاء الزكاة.

٣- أمر بالمعروف. ٤ - نهي عن المنكر.

وفي موضع آخر أعم وأشمل: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ...**﴾ [النور: ٥٥] ماذا يفعلون؟ ﴿**يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ...**﴾ [النور: ٥٥] عبادته حق العبودية.. ثم يكمل باقي البنود وهي بعض العبادة بل عنوانها.. ﴿**وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [النور: ٥٦]..

إذا فعلت الأمة ذلك.. أقامت الصلاة.. وآتت الزكاة.. وأطاعت ربها، وسارت على شرعه، وعلى منهاج رسولها، وصلت إلى مبتغاها ونالت مناها.. والله ينصرها ويسددها ويرعاها..

لكن إذا لم تسلك الأمة هذا الطريق.. إذا خالفت أمر ربها، وعصت أمر رسولها، وتنكبت طريق الصراط السوي، سلك بها طريق العناء والشقاء.. فكل مسلم يسأل نفسه، ويفتش في نفسه، هل حب الدنيا هو الذي سيطر على قلبه؟ هل حبه للدنيا هو الذي جعله يقع فيما حرم الله تعالى من التعامل مع البنوك الربوية.. قال ﷺ مخبرًا بما يحدث الآن في مجتمعاتنا، وبما يقع في عصرنا من معاملات.. «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه عنكم، حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1]..

إنَّ هذا الحديث يدل على شيئين: يدل على أن انغماس الناس في حب الدنيا ووقوعهم في حبها، أوقعهم في الربا، والبيع بالعينة نوع من أنواع الربويات.. ويدل على أهمية الجهاد في الإسلام.. كيف لا وهو ذروة سنام الإسلام.. وبه قام الدين.. يقول الشاعر الحكيم (محمَّد إقبال):

مـــن ذا الـــذي رفـــع الــسيوف	**ليرفع اسمك فوق هامات النجوم فخارًا**
كـــنّا جـــبالاً في الجـــبال وربـــما	**سرنـــا عـــلى مـــوج الـــبحار بحـــارا**
لم نخـــش طاغـــوتًا يحاربـــنا	**ولـــو نـــصب المـــنايا حولـــنا أســـوارا**
ورءوســـنا يـــا رب فـــوق أكفـــنا	**نـــرجوا ثـــوابك مغـــنما وجـــوارا**
ندعـــوا جهـــارًا لا إلـــه ســـوى الـــذي	**خلـــق الوجـــود وقـــدر الأقـــدارا**
كـــنا نـــرى الأصـــنام مـــن ذهـــب	**فـــنهدمها ونهـــدم فـــوقها الكفـــارا**
لـــو كـــان غـــير المـــسلمين لحازهـــا	**ذهـــبًا وصـــاغ الحـــلي والديـــنارا**
وكـــأن ظـــل الـــسيف ظـــل حديقـــة	**خـــضراء تنـــبت حـــولها الأزهـــارا**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في سننه (٣٤٦٢) ألباني، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١١)، وفي «صحيح الجامع» (٤٢٣).

فهذا الشاعر يعتز بأمته، ويفرح بها، وهذا واجب كل مسلم، فالجهاد في سبيل الله هيأ رجالاً في العصور الماضية لخدمة الأمة.. هيأ الله رجالاً لم يكونوا من جنس العرب، ولكن الإسلام عربهم.. منهم التركي مثل عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود، وهيأ له الكردي كصلاح الدين الأيوبي، وغيرهم مثل سيف الدين قطز، والظاهر بيبرس من قادة المماليك..

قال تعالى: ﴿ **إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٧] لكن إذا تركت الأمة الجهاد، سلط الله عليها ذلاً لا ينزعه عنها، حتى ترجع إلى دينها، كما بينه خير معلم، وخير مرشد ﷺ: « **.. وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم** »[١]..

الذل والصغار يلاحقان من خالف أمر الواحد القهار.. القوى الجبار وقال ﷺ: « **بعثت بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم** »[٢]..

أستاذنا وحبيبنا ومعلمنا ﷺ لا يريد منا أن نكون ضعفاء لهذه الدرجة، لا يريد أن نكون بهذه الصورة من السلبية - كما يرى في ذلك العصر - ولذلك قال: « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير** »[٣]..

والذي أوصلنا إلى حد الذلة والوهن والصغار، وترك الجهاد في سبيل الله هو حب الدنيا، كما وصف البشير النذير، والسراج المنير ﷺ هو حب الدنيا، والتعلق بها، والافتتان بزينتها، والسعي وراءها والطمع فيها، وقصور الأعمال عليها، واعتبارها المبدأ والمنتهى، والظن بالخلود فيها.. وهذا هو القرآن الكريم يحرص على أن يكشف للمسلم حقيقة هذه الدنيا، ويميط له اللثام عن مفاتنها، ويحذره من الاغترار فيها، قال تعالى: ﴿ **ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى**

---

(١) هو نفس الحديث السابق وتكملة له.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٨٣١).

(٣) رواه مسلم.

ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال تعالى محذرًا منها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]..

وليعلم المسلم أن الذم الوارد في كتاب الله ﷻ، وفي سنة رسوله ﷺ للدنيا، ليس راجعًا إلى زمانها، الذي هو الليل والنهار، المتعاقبان إلى يوم القيامة، فإن الله ﷻ جعلها خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا.. ويروى عن نبي الله عيسى ؊ أنه قال: إنَّ هذا الليل والنهار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيهما..

وقد أنشد بعض السلف:

إنــــما الدنــــيا إلى الجــــنة والــــــنار طــــــريق
والـــــيالي متجـــر الإنــــسان والأيــــام ســــوق

وليس راجعًا إلى مكان الدنيا، وهو الأرض، التي جعلها الله لبنى آدم مهادًا وسكنًا، ولا إلى ما أودعه الله ﷻ فيها من البحار والجبال والأنهار ولا إلى ما أنبته فيها من الشجر والزرع، ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإن ذلك كله من نعم الله ﷻ على عباده بما لهم فيه من المنافع، وما لهم به من الاعتبار والاستدلال على قدرة الصانع الحكيم، وعظمته سبحانه وتعالى ووجوده.. وإنما الذم راجع إلى الأفعال الواقعة من بني آدم لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته، بل يقع على ما تضر عاقبته وتسوء..

وقد ورد لفظ الدنيا في كتاب الله ﷻ في مائة وأربعة عشر موضعًا، وكذلك لفظ (الآخرة) في كتاب الله ﷻ في مائة وأربعة عشر موضعًا..

قال ابن مسعود ﵁: « من أراد الآخرة أضر بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة، فيا قوم أضروا بالفاني للباقي »..

وقال بعض السلف: الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما، أسخطت الأخرى..

ورحم الله الشافعي حين قال:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها وسيق إلينا بها وعذابها
فلم أرها إلا غرورًا وباطلاً كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجنبتها كنت سلمًا لأهلها وإن تجتذبها تنازعك كلابها

ولأجل حبنا للدنيا وتنافسنا فيها، كرهنا الموت ونسيناه.. يقول رسول الله ﷺ: « **يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت، فأمضيت** »[1]..

فالعاقل هو الذي يستعد للموت، ولا يضعف أمام مغرياتها.. فإن جاءه الموت كان على خير حال، فعلى المسلم أن يستعد للقاء الله.. فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.. ومن جد وجد، ومن زرع حصد، ومن اجتهد نجح، ومن عمل أفلح.. واعلموا أن دوام الحال من المحال.. فاليوم في الدور، وغدًا في القبور.. واتق ليلة فجرها يوم القيامة، واعمل لدار السلامة، ولا تعجز فتكون في دار الندامة، فليس هناك إلا داران:

قال القحطاني - رحمه الله - في نونيته:

يوم القيامة لو علمت بهوله لفررت من أهل ومن أوطان
يوم تشققت السماء لهوله تشيب فيه مفارق الولدان
يوم عبوس قمطرير شره في الخلق فتنتشر عظيم الشان
والجنة العليا ونار جهنم داران للخصمين دائمتان
يوم يجيء فيه المجرمون إلى لظى يتلمظون تلمظ العطشان

اللهمَّ يسر لنا اليسرى، وانفعنا بالذكرى، واجعلنا ممن يخشاك في السر والنجوى، وممن يتقيك حق التقوى، وممن ختمت له بالحسنى، وجعلت عاقبته الفردوس الأعلى، وألحقت بهم أزواجهم وذرياتهم، وذويهم وأحبابهم في الجنات العلى..

---

(١) رواه مسلم وأحمد والبيهقي.

اللهمَّ اجعلنا من عبادك المتقين الخائفين الوجلين..

اللهمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا..

اللهمَّ حبب إلينا المؤمنين، واجعلنا إخوة متحابين فيك يا ذا الجلال والإكرام..

اللهمَّ طهر قلوبنا، وألسنتنا من كل فاحشة ورذيلة يا حي يا قيوم.. تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا ولجميع المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..



الوصية رقم (٥٣)
لا تستسلم للأحزان

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كثيرًا ما كنت أسمع النبي ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال**»[١]..

صدق رسول الله ﷺ

عباد الله..

كان النبي ﷺ يدعو بهذه الدعوات الطيبات، وبتلك الكلمات المباركات، وفيهن جماع الخير كله..

وما أعظم أن يعتصم العبد بربه ومولاه! وما أعظم أن يلتجئ إليه العبد، فهو سبحانه لا يخيب رجاء من رجاه، ولا يضيع من أحسن الظن به، فمن تقرب إليه شبرًا، تقرب إليه ذراعًا.. ومن تقرب إليه ذراعًا، تقرب منه باعًا، ومن أتاه يمشي، أتاه هرولة.. فلطفه قريب.. وجوده كبير.. وعفوه عظيم ورسولنا وحبيبنا ومعلمنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور ﷺ يتضرع إلى مولاه، ويستعيذ به من الهموم والأحزان، ويستعيذ به من العجز والكسل، ويستعيذ به من البخل والجبن، وغلبة الدين، وقهر الرجال.. رسول الله ﷺ يتوجه إلى ربه ومولاه أن يعيذه من هذه الأمور ويلتجئ إليه.. وإذا لم يلتجئ إلى الله، فإلى من يلتجئ؟!

إذا ضاقت عليك الدنيا، فتوجه إلى الله.. وإذا سدت الأبواب في وجهك فقل: يا الله.. إذا قطعت الأسباب أمامك، فتوجه إلى رب الأسباب والمسببات، وقل: يا الله..

إذا غدر بك الحبيب، وخانك الصديق.. فقل: يا الله..

إذا تكاثرت الديون والهموم، وزادت عليك الأحزان، فقل: يا الله.. فإنه لن يضيعك.. ولن يخيب رجاءك.. فأنت تلجأ إلى الرب الرحيم اللطيف الخبير.. الذي

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٢٨٩).

رحمته وسعت كل شيء..

إنه وحده هو الذي يكشف الهم والحزن.. وهو الذي يكشف السوء والضر كيف تخاف الفقر، والغني الكريم موجود؟!

وكيف تهاب الغير، والقوي الناصر لا تأخذه سنة ولا نوم؟!

أحبتي في الله..

إن الله ﷻ خلقنا في هذا الوجود، وله الحكمة البالغة في إيجاده كل الأشياء.. وله من وراء كل المخلوقات حكمة وعظة وعبرة..

في الألم حكمة.. وفي المرض حكمة.. وفي الهم والحزن حكمة.. وفي العذاب حكمة.. وفي الفشل حكمة.. وفي العجز حكمة، وفي كل شيء حكمة..

إن ربكم ومولاكم لا يريد منكم أن لا تعرفوا اليأس، ولا تذوقوا القنوط قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ** ﴾ [يوسف:٨٧]..

ولا تشكوا بثكم وحزنكم لأحد إلا إلى ربكم ومولاكم، فمن يفرج الهموم وينفس الكروب، ويرزق من يشاء بغير حساب إلا من خلق الخلق فأبدعه ألم يقل الله في قرآنه: ﴿ **إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ [الشرح: ٦]..

ألم يقل: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]..

وإن الضيق يأتي وفي طياته الفرج..

توجه إليه.. وتضرع إليه.. والجأ إليه، وقل: يا الله.. يا الله.. يا الله.. استودعتك نفسي.. واستودعتك همي وكربي وحزني استودعتك ضيق عيشي.. فحفني بعنايتك وعفوك وكرمك وثبتني على الحق وعلى الصراط المستقيم..

أحبتي الكرام..

وليعلم المسلم أن الحياة لا تدوم على حال واحدة، ولكنها تتقلب بأهلها. بين عز وذل، وفقر وغنى، ورخاء وشدة، وصحة ومرض، وأحزان ومسرات.. وهكذا يكون المرء المسلم متقلب بين الابتلاء بالخير، والابتلاء بالشر، كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَنَبْلُوكُم**

بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وهذه الدنيا إن حلت، أوحلت، وإذا كست أوكست.. وإذا دنت أودنت..

هذه الدنيا إن أضحكت قليلاً، أبكت كثيرًا، وإن سرت يومًا، ساءت دهرًا، وإن أعطت قليلاً، منعت كثيرًا، وقد صدق فيها قول القائل:

طبعت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الأقذاء والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

وبما أن هذا هو طبع الحياة، فلابد أن يعتري الإنسان فيها شيء من الحزن في بعض الأوقات، وهذه هي الفطرة التي فطر الله الحياة كلها عليها، فلا يمكن إنكارها، ولا الهروب منها، وهو ما ينتاب كل إنسان من حين لآخر حسب ما طبع عليه من الأخلاق.. وما يعتريه من نكد الحياة، لا يدوم في الغالب بل يضمحل من تلقاء نفسه، أو بمقاومة الشخص إياه بالأسلوب المناسب.. فالحزن والفرح أمران فطريان متضادان خلقهما الله في وجدان الإنسان يخمد أحدهما بطغيان الآخر عليه، وظهوره، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم: ٤٣] قال عكرمة - رحمه الله -: ليس أحد، إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا، والحزن صبرًا..

ولهذا لا ينكر على المسلم أن يحزن إذا توافرت أسباب الحزن، لكن المذموم هو الاستسلام لحالة الحزن بحيث يغلب على صاحبه، فينقطع أو ينعزل أو يسخط أو يصاب بالأمراض النفسية أو العضوية.. بل قد يتمكن الحزن من صاحبه حتى يقتله.. لذا كان النبي ﷺ كثيرًا ما يقول: « **اللهمَّ إني أعوذ بك من الهم والحزن ...** »..

وما يصيب المسلم في هذه الدنيا من أحزان، فإنه يكون سببًا في تكفير سيئاته وخطاياه.. قال ﷺ: « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياه** »..

وهناك كثير من الأدعية النبوية التي وصفها الحبيب المصطفى ﷺ لتفريج الهموم والكروب، منها:

حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **ما أصاب عبدًا قط، هم ولا حزن، فقال: اللهمَّ إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض في حكمك،**

عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي.. إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا» فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟

فقال: «**بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها**»[1]..

وعلم السيدة أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - كلمات تقولهن عند الكرب، تقول - رضي الله عنها -: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب - أو في الكرب - الله، الله ربي لا أشرك به شيئًا**»[2]..

وفي رواية: «**من أصابه هم أو غم، أو سقم، أو شدة، فقال: الله ربي لا شريك له، كشف ذلك عنه**»[3]..

فيا من تريد أن يفرج الله همك، ويزيح كربك، قل كما كان حبيبك محمَّد ﷺ يقول: «**يا حي، يا قيوم، برحمتك أستغيث**»[4]..

وعن أبي بكرة ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**دعوات المكروب: اللهمَّ رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**»[5]..

وجاء في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كلمات الفرج: لا إله إلا الله، الحليم الكريم، لا إله إلا الله، العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب العرش الكريم**»[6]..

تضرع إلى ربك بهذه الدعوات المباركات، فهو الذي خلق الضر والهم والحزن وهو الذي يزيل ذلك ويمحوه عنك.. ﴿**أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ**

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٩٩).

(٢) صحيح: «صحيح سنن أبي داود»، وفي تخريج «الكلم الطيب» (١٢٢).

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٤٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٣١٨٢).

(٥) حسن: رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٨).

(٦) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤٥).

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ... ﴾ [النمل: ٦٢]..

لا تستسلم للأحزان، فلن يفيدك الحزن شيئًا، ولن يخفف عنك مصابًا لا تستسلم للحزن، لأن الحزن لن يحقق لك نجاحًا، ولن يعيد لك مجدًا، لا تستسلم للحزن، لأن الحزن لن يرد لك مفقودًا، ولن يزيدك إلا نكدًا، لا تستسلم للحزن، لأن الحزن لن يعيد إليك مالك المسلوب، ولن يحيي لك ميتك الذي مات، ولن يصرف عنك حقد الحاقدين..

لا تستسلم للأحزان، لأن القضاء قد فرغ منه، والمقدور واقع، والأقلام جفت، والصحف قد طويت.. وكل أمر مستقر، وحزنك لن يقدم في الواقع شيئًا ولا يؤخر، ولا يزيد، ولا ينقص..

لا تستسلم للحزن.. لأن الحزن يريك الماء الزلال علقمًا، والورد الجميل حنظلاً، والحديقة صحراء قاحلة، والحياة سجنًا لا يطاق..

لا تستسلم للأحزان: ولك عينان، وأذنان وشفتان، ويدان ورجلان ولسان، وجنان، وأمن وأمان، وعافية في الأبدان.. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣]..

لا تستسلم للحزن، ما دام لك دين تعتقده، وبيت تسكنه، وخبز تأكله وماء تشربه، وثوب تلبسه، وزوجة تأوي إليها..

أحبتي في الله..

إن المسلم مطالب في كل أحواله، ألا يستسلم للحزن أيًا كان سببه وأيًا كانت دواعيه، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]..

فقد كان رسول الله ﷺ يحزن بسبب إعراض الكافرين عن دعوته.. كان يحزن من استهزائهم، وأقوالهم الفاجرة، دل عليه قوله تعالى مخاطبًا إياه ﷺ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس: ٧٦] فالحزن ليس مطلوبًا شرعًا، ولا مقصودًا أصلاً، وإنما هو منهيٌّ عنه.. قال ﷻ لرسوله وحبيبه ﷺ: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ... ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقال له في موضع آخر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ

ﵟٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ...ﵞ [المائدة: ٤١]..

والرسول الأعظم ﷺ كان أشد الخلق حرصًا على هداية قومه وهو أعلم الخلق بمولاه، وما نزل من عنده، لذا كان يحزن عندما يرى إعراضهم عن سبيل الهداية، ويحزن حين يقابلون هذه الدعوة المباركة بالاستهزاء فكان ربه يواسيه بهذه الآيات، وينهاه عن الحزن، وأخبره أنه سبحانه قادر على هدايتهم جميعًا، ولكن حكمته واسعة في تأخير هدايتهم.. قال تعالى: ﵟوَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَﵞ [يونس: ٩٩] ونهى ربنا ﷻ الأمة المحمَّدية عن الحزن، فقال لهم: ﵟوَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْﵞ..

الحزن أحب شيء إلى الشيطان.. أحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه.. إنه يحب أن لا يفرحوا.. قال سبحانه: ﵟإِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَﵞ [المجادلة: ١٠]..

الحزن تكدير للحياة، وتنغيص للعيش، وهو مصل سام للروح، يورثها الفتور والنكد والحيرة..

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

« اعلم أن الحزن من عوارض الطريق، ليس من مقامات الإيمان، ولا من منازل السائرين، ولهذا لم يأمر الله به في موضع قط، ولا أثنى عليه، ولا رتب عليه جزاء، ولا ثوابًا، بل نهى عنه في غير موضع.. ﵟوَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَﵞ [النحل: ١٢٧] وقال: ﵟإِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاﵞ [التوبة: ٤٠] فالحزن هو بلية من البلايا التي نسأل الله دفعها وكشفها.. ولهذا يقول أهل الجنة: ﵟٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَﵞ [فاطر: ٣٤] فحمده على أن أذهب عنهم تلك البلية، ونجاهم منها »[1]..

---

(١) « طريق الهجرتين » (ص٣٠١) لابن القيم.

أحبتي في الله..

ينبغي على كل مسلم أن يترك الأحزان ويعمر قلبه بالسعادة والإيمان ينبغي أن يكون المؤمن راضيًا بما قسم الله له من خير أو شر..

لا ينبغي أن يحزن ما دام الله قد أنعم عليه بنعمة الإيمان.. فغيره ما زال يرتع في أوحال الكفر والعصيان..

لا يحزن ما دام ربه قد فتح له باب التوبة والغفران.. إن أذنب تاب واستغفر.. ورجع وأناب.. فرحمته وسعت كل شيء..

لا يحزن إن كان فقيرًا فغيره محبوس منذ سنوات بسبب الدين..

لا يحزن إن لم يكن لديه سيارة فاخرة، فغيره مبتور القدمين..

لا يحزن إن فقده ولده، فغيره قد فقد كل أهله في حادث واحد..

لا يحزن إن كان به ألم أو مرض، فغيره راقد على سرير المرض منذ سنوات لا يستطيع أن يحرك رجلاً ولا يدًا..

لا يحزن على فوات الدنيا كلها.. فهي دار الغرور.. لا تساوي عند الله جناح بعوضة.. ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقي الكافر منها شربة ماء..

وليعلم العبد المسلم أن السعادة ليست في كثرة الأولاد.. ولا في كثرة الأموال.. ولا في سكنى القصور.. ولا في ركوب السيارات.. ولا في الحصول على المناصب..

ولكن السعادة الحقَّة.. هبة ربانية.. ومنحة إلهية، يهبها الله من شاء من عباده..

السعادة في ترك الغل والحسد، والحقد والبغضاء..

السعادة في الرضا بما قسم الله لك..

السعادة في ذكر الله وشكره، وحسن عبادته..

السعادة تكون يوم القيامة بالفوز بالجنان، والنجاة من النيران، والتمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم..

قيل للسعاده: أين تسكنين؟ قالت: في قلوب الراضين..

قيل: فبمَ تتغذين؟ قالت: من قوة إيمانهم..

قيل: فبمَ تدومين؟ قالت: بحسن تدبيرهم..

قيل: فبمَ تستجلبين؟ قالت: أن تعلم النفس أنه لن يصيبها إلا ما كتب الله لها..

قيل: فبمَ ترحلين؟

قالت: بالطمع بعد القناعة، وبالحرص بعد السماحة، وبالهم بعد السرور وبالشك بعد اليقين..

ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - أن عنوان سعادة العبد، ثلاثة أمور هي:

١- إذا أنعم عليه، شكر..

٢- إذا ابتلي، صبر..

٣- وإذا أذنب، استغفر..

أخي الحبيب..

فوض الأمر إلى ربك ومولاك، وليكن شعارك دائمًا، التضرع إليه، فتقول: اللهمَّ إني أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك.. ومن الرضا إلا عنك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين..



الوصية رقم (٥٤)

لا تنازع الله في كبريائه

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ: « **الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما، ألقيته في النار** »[1]..

صدق رسول الله فيما بلغ عن ربه ومولاه

أيها الموحدون الكرام..

هذا القبس النوراني المبارك.. هذا الحديث القدسي الجليل من رب العزة والجلال فيه التحذير من الكبر والوعيد عليه.. وقد ورد بروايات مختلفة كلها قريبة في المعنى « **قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، فمن نازعني في ردائي قصمته** »[2]..

« **قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعزة إزاري، فمن نازعني في شيء منهما عذبته** »[3]..

وفي رواية: « **قذفته في النار** » وفي رواية: « **أدخلته النار** » وكلها بمعنى واحد الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري - أي أنه خاص بصفتي، فلا يليق إلا بي فالمنازع فيه، منازع في صفة من صفاتي..

قال الغزالي - رحمه الله -:

معناه: أن العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي - أي بمولانا ﷻ - ولا تنبغي لأحد غيري، كما أن رداء الإنسان وإزاره يختص به، ولا يشارك فيه، وفيه تحذير من الكبر، ومن آفاته: حرمان الحق وعمي القلب عن معرفة آيات الله، وفهم أحكامه، والمقت والبغض من الله وأن خصلة تثمر لك المقت من الله، والخزي في الدنيا، والنار في الآخرة وتقدح في الدين لحري أن تتباعد عنها..

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن حبان ورواه مسلم بنحوه ورواه ابن ماجة، وهو في « صحيح الترغيب » برقم (٢٨٩٩)، و« صحيح الجامع » (٤٣١١).

(٢) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٣٠٩).

(٣) صحيح: « صحيح الجامع » للألباني (٤٣١٠).

قال الله ﷻ: «فمن نازعني واحدًا منهما، قذفته في النار» لتشوفه إلى ما لا يليق إلا بالقادر القهار، القوي الجبار، الغني العلي سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...﴾ [الشورى: ١١] قال في الحكم: كن بأوصاف ربوبيته متعلقًا، وبأوصاف عبوديتك متحققًا.. منعك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين؟

الكبر طريق موصل إلى غضب الله وسخطه، وهو دليل على سفول النفس، وبعدها عن الله ﷻ، وهو طريق يحرم صاحبه من دخول الجنة، ويوصله إلى النار - أعاذنا الله وإياكم من عذاب النار..

والكبر داء وبيل، وآفة خطيرة، ومرض عضال، وكبيرة من الكبائر، قال فرقد السنجي: قرأت في التوراة: أمهات الخطايا ثلاث: أول ذنب عصي الله به: الكبر، والحسد، والحرص[1]..

فهو أول ذنب عصي الله ﷻ به في السماء، لما أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، وكان إبليس من بينهم، تكبر وأبى، وقال لربه ومولاه: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣﴾ [الحجر: ٣٠-٣٣] تكبر وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فكانت نتيجة كبره واستكباره، أن طرده الله ﷻ، وصار شيطانًا رجيمًا.. ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥]..

والكبر مذموم في القرآن والسنة المطهرة.. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]..

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان**»[2]..

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٤٠٩) لأبي نعيم.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجة.

وقال - صلوات ربي وسلامه عليه -: « **من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، كبَّه الله لوجهه في النار** »[١]..

وعن عبد الله بن مسعود، أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** » فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنة، ونعله حسنة، أفهذا من الكبر؟ قال: « **إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس** »[٢]..

وعن أبي هريرة ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس.. قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحد منهما ملؤها** »[٣]..

وعن أبي هريرة أيضًا أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصر بهما، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهًا آخر، وبكل جبار عنيد وبالمصورين** »[٤]..

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إن نوحًا لما حضرته الوفاة، دعا ابنيه، وقال: إني آمركما باثنتين، وأنهاكما عن اثنتين، أنهاكما عن الشرك والكبر ...** »[٥]..

وبيان الرسول الأعظم ﷺ ما هم عليه من سوء العاقبة، ومن شدة العذاب، فيقول الرسول الأواب ﷺ: « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى (بولس)**

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده ورواته رواة الصحيح، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٩٠٩).

(٢) رواه مسلم والترمذي والحاكم وصححه.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذي (٢٥٧٤) ألباني، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٠٦١)، و« صحيح الجامع » (٨٠٥١).

(٥) صحيح: رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٤٨)، وأحمد في مسنده، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٣٤).

تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال»[١].. اللهمَّ أجرنا من النار، ومن عذاب النار. إنهم يحبسون في مكان مظلم مضيق، منقطع فيه عن غيره في مكان يسمى بولس تحيط بهم النار من كل مكان مثل الغريق الذي يعلوه الماء..

قال القاري: التحقيق أن الله ﷻ يعيدهم عند إخراجهم من قبورهم على أكمل صورهم، وجمع أجزائهم المعدومة، تحقيقًا لوصف الإعادة على وجه الكمال، ثم يجعلهم في موقف الجزاء على الصورة المذكورة، إهانة وتذليلاً لهم، جزاء وفاقًا.. أو أنهم يتصاغرون من الهيبة الإلهية عند مجيئهم إلى موضع الحساب، وظهور أثر العقوبة السلطانية، التي لو وضعت على الجبال، لصارت هباء منثورًا[٢]..

وكفاهم أنه أبغض الخلق إلى الله ﷻ، وأبعد الناس يوم القيامة من مكانة الحبيب المصطفى ﷺ كما أخبرنا هو بذلك فقال: « **وإن أبغضكم إليّ، وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون، والمتفيهقون** » قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال: « **المتكبرون** »[٣]..

وقد جاءت الآثار والأخبار تبين أن الكبر من أرذل الأخلاق، وأنه محبط للأعمال، مهلك لصاحبه في النار..

فقد أوحى الله إلى كليمه موسى عليه السلام: يا موسى، لن تعمل عملاً أحبط لحسناتك من الكبر[٤]..

وقال وهب بن منبه - رحمه الله -: لما خلق الله جنة عدن، نظر إليها، فقال: **أنت** حرام على كل متكبر[٥]..

فعجبًا للمتكبر كيف يتكبر، وهو يعلم عجزه وذلته، وفقره لجميع الموجودات وإن قرصته النملة أو البرغوث تؤلمه، والمرحاض يطلبه، لدفع ألم البول، ويفتقر إلى كسرة

---

(١) حسن: حسنه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » (٢٤٩٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) « تحفة الأحوذي » (٦/ ٢٨٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد وابن حبان والترمذي، وصححه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » (٢٠١٨).

(٤) « حلية الأولياء » (٣/ ٢٠٩) لأبي نعيم.

(٥) « إحياء علوم الدين » (٣/ ٢٥) للغزالي.

خبز، يدفع بها ألم الجوع عن نفسه.. فمن كانت هذه صفته كل يوم وليلة، كيف يصح أن يدخل قلبه كبرياء.. ما ذاك إلا للطبع الإلهي على قلبه..

يقول أبو عثمان - رحمه الله -: الخوف من الله، يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك، يقطعك عن الله، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوي(١).

وقال الحسن - رحمه الله -: عجبًا لابن آدم يتكبر، وهو يغسل الخراء بيده كل يوم مرة أو مرتين، ثم يعارض جبار السموات..

وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره، فجاء يومًا ومصعب ماد رجليه، فلم يقبضهما، وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه، فقال: عجبًا لابن آدم يتكبر، وقد خرج من مجرى البول مرتين..

وقد قرأت أن سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ أرسل إلى كسرى رسالة، قال له فيها: يا كسرى، كيف تتكبر على الله، وقد خرجت من مجرى البول مرتين مرة ماء مهينًا، ومرة طفلاً صغيرًا..

أخي الحبيب..

علام يكون الكبر إذن، ما دام الإنسان بهذه الصورة؟

أيكون بالمال؟ فقد تكبر قبلك من هو أغنى منك.. تكبر صاحب الجنتين ﴿ **فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ...** ﴾ [الكهف: ٣٤] حتى أجابه، فقال: ﴿ **إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾** ﴾ [الكهف: ٣٩-٤١]..

وكان ذلك تكبرًا منه بالمال والولد.. فماذا كانت عاقبته؟ كانت عاقبة وخيمة، ندم أشد الندم، حتى قال: ﴿ **يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٤٢] إن تكبرت بالمال، فانظر إلى عاقبة من هو أغنى أهل الأرض مالاً.. انظر إلى قارون، الذي قال الله عنه: ﴿ **وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ...** ﴾ [القصص: ٧٦]

(١) « طبقات الصوفية » (ص٦٠).

خرج على قومه متكبرًا.. ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: ٧٩] ماذا كانت نهايته؟ ماذا كانت عاقبته؟ كان عاقبته الخسف.. خسف الله به الأرض.. ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ... ﴾ [القصص: ٨١] وإن كان تكبرك وفخرك بالنسب، فقد روى أن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر: أنا فلان بن فلان، فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبي ﷺ: « **افتخر رجلان عند موسى** عليه السلام، **فقال أحدهما أنا فلان بن فلان، حتى عد تسعة، فأوحى الله إلى موسى، قل للذي افتخر التسعة في النار وهو عاشرهم** »(1)..

وقد حذر النبي ﷺ من التكبر بالأهل والحسب، فقال: « **لينتهين أقوام يفتخرون برجال، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان، التي تدفع النتن بأنفها** »(2)..

والذي يتكبر بجماله عليه أن يتذكر ما يصير إليه من البلى في قبره.. بل وينبغي أن يتذكر ضعفه.. فقد تنتنه عرقة، وتميته شرقة، وتؤلمه بقة وهو بين ذلك وذلك يحمل العذرة..

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبا ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك ... والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا ... فإنك مأكول ومشروب(3)

وهذا الذي يتكبر بقوته وصحته، فهو غافل، لأن القوة ليست هي مقياس الشرف بين الناس، وهل قوة هذا الرجل تكافئ قوة حمار أو بغل؟ ولو كانت القوة هي

---

(1) صحيح: رواه النسائي والبيهقي والضياء في « المختارة »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (١٤٩٢).

(2) صحيح: رواه أبو داود والترمذي، وحسنه وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٥٦٨)، و« صحيح الترغيب » برقم (٢٩٦).

(3) « أدب الدنيا والدين » للماوردي.

المقياس، لاستحق الحمار أن يكون مديرًا، والبغل أن يكون وزيرًا، والفيل أن يكون رئيسًا، ولكن المدار على العقل، لأن به يصل الإنسان إلى معرفة ربه وخالقه..

قال لقمان لابنه: يا بني، تواضع للحق، تكن أعقل الناس..

الكبر ذلٌّ والتواضع رفعة   والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة عزة   واليأس من صنع الإله قنوط

أخي الحبيب..

اعلم أن الكبر آفة خطيرة، فاحذر من الوقوع في تلك الآفة، فإن عاقبة الكبر غير محمودة في دنياك، ولا أخراك..

إن كنت ممن رزقهم الله الجمال، فلا يحملك هذا الجمال على أن تتكبر على من حولك، لأن الجمال عرض زائل.. لا يدوم لصاحبه.. وانظر في الكون ففيه من خلق الله من هو أجمل صورة منك كالطاوس..

وإن كنت ممن رزقه الله المال، فاحذر أن تتكبر به، لأنه ظل زائل، وعارية مسترجعة.. وجميع ما في هذه الدنيا بكل ما فيها لا تساوي عند الله جناح بعوضة قال ﷺ: « **الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا** »..

وحسبك أن فقراء المؤمنين سيدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، قال ﷺ: « **يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام** »..

وإن كنت من أسرة عريقة في النسب والجاه، فلا تتكبر بذلك على من حولك لأن النسب الحقيقي هو التقوى.. وكل الأنساب تنقطع يوم القيامة.. قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وقال ﷺ: « **ومن أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه ...** »[(١)]..

عجبت من معجب بصورته   وكان بالأمس نطفة مذرة

وفي غدٍ بعد حسن صورته   يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخوته   ما بين ثوبيه يحمل العذرة

---

(١) رواه مسلم وغيره.

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير ﷺ: أنه رأى المهلب، وهو يتبختر في جبة خز، فقال: يا عبد الله، هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال له المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بى، أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فمضى المهلب، وترك مشيته تلك[1].

وفي «الصحيحين» أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**»[2]..

احذروا الكبر، فإن المتكبرين يلقون الله ﷻ وهو عليهم غضبان، قال ﷺ: «**من تعظم في نفسه، واختال في مشيته، لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان**»[3]..

المتكبرون ينادي الله ﷻ عليهم في أرض المحشر تبكيتًا لهم.. قال ﷺ: «**يطوي الله ﷻ السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[4]..

الله ﷻ لا يكلمهم يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم.. كما قال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[5]..

اللهمَّ اجعلنا لك متواضعين، ولجلالك مخبتين، ولكتابك تالين، وبه وبسنة نبيك عاملين..

اللهمَّ ارزقنا التواضع مع عبادك المؤمنين، وأعزنا بعزتك يا عزيز يا كريم.. واغفر ذنوبنا يا تواب يا رحيم، بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين..

---

(١) «الإحياء» (٣/ ٢٦) للغزالي، و«أدب الدنيا والدين» (ص٢٩١).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» والحاكم بنحوه وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩١٨)، و«صحيح الجامع» برقم (٦١٥٧).

(٤) رواه مسلم وأبو داود.

(٥) رواه مسلم والنسائي والطبراني في «الأوسط».

اللهمَّ إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعك تقلبها كيف تشاء فثبت قلوبنا على دينك وطاعتك.. واجعل قلوبنا تطمئن بذكرك، وأنزل السكينة في قلوبنا.. وأوردنا حوض نبينا، وأسكنا معه الفردوس الأعلى..

اللهمَّ أنت عضدنا.. وأنت نصيرنا.. وأنت غايتنا..

اللهمَّ إنا نعوذ بك مما استعاذ به نبيك موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفي، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده..

وصلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمَّد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..



الوصية رقم (٥٥)

لا تتبعوا الهوى فيصدكم عن الحق

عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **ثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

فهذا حديث عظيم يحذر فيه النبي ﷺ أمته من أمور تكون سبب في هلاكها.. وتكون موقعة لفاعلها في المهالك.. وأول هذه المهلكات:

١ - هوى متبع: والهوى هو ميل النفس إلى الشيء، وسمي الهوى بذلك لأنه يهوى بصاحبه..

قال ابن القيم - رحمه الله -: الهوى ميل النفس إلى الشهوة..

وعن الشعبي - رحمه الله - قال: إنما سميت الأهواء أهواء، لأنها تهوى بصاحبها في النار[2]..

وقد أوجد الله ﷻ الميل في الإنسان لضرورة بقائه في هذه الحياة، فإنه لولا ميله إلى الطعام والشراب والمنكح، ما أكل وما شرب ولا نكح.. فالهوى مستحث لها لما يريد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه، فلا ينبغي ذم الهوى مطلقًا، كما أن الغضب لا يذم مطلقًا، ولا يمدح مطلقًا، وإنما يذم المفرط من النوعين، وهو ما زاد على جلب المنافع، ودفع المضار ولما كان الغالب ممن يطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به، أطلق ذم الهوى والشهوة والغضب.. لذلك لم يذكره الله ﷻ في كتابه إلا ذامًا إياه، وكذلك السنة المطهرة، لم يذكره النبي ﷺ إلا ذامًا له.. والسعيد من خالف هواه،

---

(١) حسن: رواه أبو الشيخ في « التوبيخ » والبزار والبيهقي والطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٥٣)، و« صحيح الجامع » (٣٠٣٩).

(٢) « حلية الأولياء » لأبي نعيم.

واتبع مرضاة ربه ومولاه..

فقد حذرت آيات القرآن الكريم من اتباع الهوى، ووبخت أهل الأهواء، قال الله ﷻ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]..

وقد حذر الله ﷻ منه أنبياءه عليهم السلام، قال تعالى لداود عليه السلام: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ ...﴾ [ص: ٢٦] وقال محذرًا نبيه محمَّدًا ﷺ وأمته من اتباع الهوى، الحاصل من الكفار والمنحرفين بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ...﴾ [المائدة: ٤٩]..

وقال له: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] وقال له أيضًا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ...﴾ [القصص: ٥٠]..

ولأجل ذلك كان النبي ﷺ يتعوذ بالله ﷻ من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء، وكان مما يخشى على أمته شهوات الغي في البطون والفروج ومضلات الهوى.. وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن معاوية رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء - أي تتسابق - كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**»[1]. وعن أبي برزة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الهوى**»[2]..

فإياكم واتباع الهوى، فإن جميع المعاصي، إنما تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله، كما أن البدع، إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها (أهل الأهواء)..

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبزار والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥١)، و«صحيح أبي داود» (٤٥٩٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في «الترغيب» (٥٢).

وكما حذر القرآن والسنة من اتباع الهوى، حذر السلف الصالح - رضوان الله عليهم - من اتباعه كذلك.. قال علي بن أبي طالب ﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل، أما اتباع الهوى، فيصد عن الحق، وأما طول الأمل، فينسي الآخرة..

وقال رجل للحسن البصري - رحمه الله -: يا أبا سعيد، أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك[1]..

وقال بشر الحافي - رحمه الله -: « **اعلم أن البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه** »[2]..

وقد صدق في ذلك، ويؤيده قول ابن السماك لأحدهم: إن شئت أخبرتك بدائك، وإن شئت أخبرتك بدوائك؟

قال: داؤك، هواك، ودواؤك، ترك هواك[3]..

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: بئس العبد عبد همه هواه وبطنه..

وقال عبد الله بن سهل التستري - رحمه الله -: سمعت يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى - يقول: من أرضى الجوارح في اللذات، فقد غرس لنفسه شجرة الندامات..

وعن أبي الجوزاء قال: والذي نفسي بيده، لأن تمتلئ داري قردة وخنازير، أحب إليّ من أن يجاورني أحد من أهل الأهواء..

وقيل ليحيى بن معاذ - رحمه الله -: من أصح الناس عزمًا؟ قال: الغالب لهواه وقيل للمرتعش - رحمه الله -: إن فلانًا يمشي على الماء..

فقال: إن مكنه الله تعالى من مخالفة هواه، لهو أعظم من المشي على الماء..

---

(١) وغيرها من الأقوال في « ذم الهوى » لابن الجوزي (ص٢٦).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) نفس المرجع السابق.

وعن حذيفة بن قتادة المرعشي - رحمه الله - قال: كنت في المركب، فكسر بنا، فوقعت أنا وامرأة على لوح من ألواح المركب، فمكثنا سبعة أيام..

فقالت المرأة: أنا عطشى.. فسألت الله ﷻ أن يسقيها، فنزلت علينا من السماء سلسلة، فيها كوز معلق فيه ماء، فشربت، فرفعت رأسي أنظر السلسلة، فرأيت رجلاً جالسًا في الهواء متربعًا، فقلت: من أنت؟ قال: من الإنس..

قلت: فما الذي بلغ بك هذه المنزلة؟

قال: آثرت مراد الله على هواي، فأجلسني كما ترى[١]..

وعن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى - قال: أشد الجهاد جهاد الهوى من منع نفسه هواها، فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظًا ومعافى من أذاها..

وقال - رحمه الله -: الهوى يردي، وخوف الله يشفي[٢]..

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم، حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً، حتى يخرج إليهم.. وقال ابن المبارك - رحمه الله -:

ومن البلاء وللبلاء علامة ... أن لا يُرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها ... والحر يشبع تارة ويجوع

أحبتي الكرام..

وقال الإمام الماوردي - رحمه الله - في كلام نفيس له: فلما كان الهوى غالبًا وإلى سبيل المهالك موردًا، جعل العقل عليه رقيبًا مجاذبًا، يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع ذاكرة خطورته، وخداع حيلته، لأن سلطان الهوى قوى ومدخل مكره خفي، ومن هذين الوجهين يؤتي العاقل، حتى تنفذ أحكام الهوى عليه قوة السلطان وخفاؤه..

أما الوجه الأول: فهو أن يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه، حتى يستولى عليه، أي على العقل مغالبة الشهوات، فيكل العقل عن دفعها، أي أن أي إنسان واحد يمكن

---

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٢٥).

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/ ١٨).

أن يكون عنده عقل، يدفع به الشهوة، لكن إذا كثرت الشهوات سيتعب العقل من الدفع والدرء، فيخف سلطانه، ويقوى الهجوم، فيضعف عن المنع، فيقع..

قال: وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلى الشباب أغلب، لقوة شهواتهم وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم، وإنهم ربما جعلوا الشباب عذرًا لهم.. وبالفعل تجد بعض الناس يقول: يا أخي، نحن شباب..

وبعض الآباء يعذرون أبناءهم الشباب بهذا.. فإذا عوتب بتصرف ولده الخطأ، قال: هذا شاب مراهق.. هذه الفترة لابد منها.. وماذا يعني بلابد منها؟ كأنه يريد أن يقول: لا تؤاخذه في شبابه..

يقول الماوردي: إنهم ربما جعلوا الشباب عذرًا لهم.. وحسم ذلك أن يستعين بالعقل على النفس النفورة.. قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] أي طريق الخير، وطريق الشر، فيعرف الحق والباطل.. الطاعة والمعصية، يعرف ما يضره وما ينفعه.. ماذا يفعل؟

قال الماوردي: « فيشعرها ما في عواقب الهوى من شدة الضرر، وقبح الأثر، وكثرة الإجرام، وتراكم الآثام ... »..

معناه: أن نقول له: فكر الآن عندما تذهب لتتابع الفتيات بالحرام، ثم تقع في الزنا والفاحشة، أليس ذلك ضررًا عليك؟

هتكت عرضًا، والله يغار أن تهتك حرماته، لأنك تسببت في إنجاب ولد حرام.. وهو فضيحة عليك.. وفضيحة عليها.. وسمعتك سوف تتلوث وتجلب لنفسك المرض.. وكذا وكذا..

أي استعمل تفكيرك وعقلك.. فكر.. ماذا يكون موقفك يوم القيامة، وأنت تسأل عن شبابك فيم أبليته؟ فكر في حالك يوم القيامة، وأنت تعذب في تنور من نار في نار جهنم.. ماذا تختار؟ لقد قال النبي المختار ﷺ : « **حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات** »[1]..

---

(١) رواه مسلم.

فالطريق إلى الجنة يكون بتحمل المكاره.. والطريق إلى النار باتباع الأهواء والشهوات فنقول للشباب والشابات: فكروا بالعواقب والنتائج والمآلات.. فإن اتبعت الهدى، كان لك الجنة.. وان اتبعت هواك وشهواتك كانت لك النار..

ثم قال الماوردي - رحمه الله -:

وأما الوجه الثاني: فهو أن يخفي الهوى مكره، حتى تتموه أفعاله على العقل.. ما معناه يعني: ليس كل حرام يأتي إلى الإنسان واضحًا وصريحًا.. الهوى يستعمل أسلوب اللف والدوران، والإخفاء والتدبير، والتمويه، والتغريب في قالب يحبه الناس والهوى يموه.. أي يصور لك القبيح حسنًا.. والضار نافعًا..

وهذا يدعو إليه أحد شيئين: إما أن يكون للنفس ميل إلى ذلك الشيء، فيخفي عنها القبيح، لحسن ظنها، وتتصوره حسنًا لشدة ميلها، ولذلك قال النبي ﷺ: « **حبك الشيء، يعمي ويصم** » أي يعمي عن الرشد، ويصم عن الموعظة..

والسبب الثاني: فهو اشتغال الفكر في تمييز ما اشتهى، فيطلب الراحة في اتباع ما تسهل، حتى يظن أن ذلك أوثق الأمرين، وأحمد الحالين، اغترارًا بأن الأسهل محمود، والأعسر مذموم.. فلا يعدم أن يتورط بخدع الهوى، وريبة المكر في كل حسن ومكروه، ولذلك قال عامر بن الطلق: الهوى يقظان، والعقل غلب.. فهذا سبب نجاح عملية التمويه..

فالهوى يقظان.. والعقل راقد.. والنفس تطلب الأسهل..

قال سليمان بن وهب: الهوى أمنع، والرأي أنفع.. وقيل في المثل: العقل الوزير الناصح، والهوى؛ وكيل فاضح..

فكيف تعالج ذلك؟

معالجة الهوى أن تنظر أين تميل نفسك، إذا رأيتها تميل في اتجاه معين، اتهم نفسك، وشك فيها، أنها تريد هذا وهو حرام.. أو فيه أمر لا يحبه الله ولا يرضاه.. ولذلك مالت إليه، فخالفها..

ولذلك قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إذا اشتبه عليك أمران، فدع أحبهما إليك وخذ أثقلهما عليك..

وقال عليٌّ ﷺ: من تفكر، أبصر، والمحبوب أسهل شيء تسرع النفس إليه وتعجل بالإقدام عليه.. فيكون استدراك، ولا ينفع التفكير بعد العمل..

أحبتي في الله..

احذروا كل الحذر من اتباع الهوى، فإن اتباع الهوى حجاب بين العبد وربه.. فيه حطت النار، واستحق به غضب الجبار.. وحُرم أتباعه منازل الأبرار، ولهذا عظمت منزلة مخالفته، فلم يجعل الله ﷻ للجنة طريقًا غير مخالفته، ولم يجعل للنار طريقًا غير اتباعه.. قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]..

اتباع الهوى يحمل المرء على الشهادة بغير الحق، وعلى الجور في الحكم.. قال الشعبي - رحمه الله -: « **أخذ الله ﷻ على الحكام ثلاثة أشياء: ألا يتبعوا الهوى، وألا يخشوا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته ثمنًا قليلاً** »[1]..

ولقد شبه الله ﷻ من اتبع هواه، وركن إلى الدنيا، بأخس مخلوقاته، وهو الكلب، قال تعالى: **﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ... ﴾** [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]..

فشبه سبحانه من أتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق، بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات، وأوضعها قدرًا، وأخسها نفسًا وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدها شرهًا وحرصًا، ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض، يتشمشم ويستروح حرصًا وشرهًا، ولا يزال يشم دبره، دون سائر أجزائه، وإذا رميت إليه بحجر، رجع إليه ليعضه من فرط نهمته، وهو من أمهن الحيوانات، وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا والجيف القذرة، المروحة، أحب إليه من اللحم الطريّ، والعذرة

(١) القرطبي (٥/ ٣٩٠).

أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب، لم يدع كلبًا واحدًا يتناول منها شيئًا إلا هر عليه وقهره، لحرصه وبخله وشرهه، ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية، وحال رزية، نبحه وحمل عليه، كأنه يتصور مشاركته له، ومنازعته في قوته، وإذا رأى ذا هيئة حسنة، وثياب جميلة ورياسة، وضع له خطمه بالأرض، وخضع له، ولم يرفع إليه رأسه..

وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله، والدار الآخرة مع وفور علمه، بالكلب في حال لهثه سر بديع، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من اتباعه هواه، إنما كان لشدة لهفه على الدنيا، لانقطاع قلبه عن الله، والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه[1]..

وتأملوا قول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية: ٢٣]..

اتخذ دينه هواه، لا يهوى شيئًا إلا ركبه.. فهؤلاء الكفار لا يؤمنون بالله، ولا يحرمون ما حرمه، ولا يحللون ما أحله، إنما دينهم اتباع الهوى.. حتى كان الواحد منهم يعبد حجرًا، فإذا رأى حجرًا أحسن منه، طرح الأول، وعبد الثاني، لماذا؟ لأن الهوى أعماه وأصمه.. لأن الهوى صنم - كما قال الإمام ابن القيم:

الهوى صنم، ولكل عبد صنم في قلبه، حتى في هواه، وإنما بعث رسول الله ﷺ لكسر الأصنام، وعبادة الله، وليس مراد الله ﷻ كسر الأصنام المجسدة، وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب، أولاً..

وقالوا: صنم كل إنسان هواه..

اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق، ويفتح عليه أبواب الخذلان..

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «من استحوذ عليه الهوى، واتباع الشهوات، انقطعت عنه موارد التوفيق»..

كان أحد السلف يطوف بالبيت، فنظر إلى امرأة جميلة، فمشى إلى جانبها ثم قال:

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٢٢٠) لابن القيم الجوزية، ط. التوفيقية.

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت له: دع أحدهما، تنل الآخر..

اتباع الهوى، يفسد القلب، ويحول بينه وبين السلامة..

قال ابن القيم – رحمه الله –: إن سلامة القلب لا تتم إلا بخمسة أشياء: حتى يسلم من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وتخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض الاتباع.. وهذه الخمسة تحجب العبد عن الله ﷻ، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة لا تحصى أفرادها..

والهوى ما قارب شيئًا إلا أفسده، فإن وقع في العلم، أخرجه إلى البدعة، أي إذا وقع في العلم، صار طالب العلم مبتدعًا، وصار صاحبه من أهل الأهواء.. وإن وقع الهوى في الزهد، أخرج صاحبه إلى الرياء، ومخالفة السنة.. وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم، والصد عن الحق.. وإذا وقع الهوى في الحكمة خرج ذلك إلى الجور..

اتباع الهوى يجعل القلب قاسيًا، وإذا قسا القلب، استهان صاحبه بالذنوب والآثام، واستهتر بها، ولذلك قيل: إن المؤمن يرى ذنوبه، كأنه قاعد تحت جبل، يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه..

اتباع الهوى يصرع العبد عن النهوض يوم القيامة إلى السعي مع الناجين، كما صرعته الدنيا بمرافقته لأهل الأهواء.. قال محمَّد بن أبي الورد: إن لله ﷻ يومًا لا ينجو من شره منقاد لهواه..

ما هو هذا اليوم؟

إنه يوم القيامة، والدليل على أن يوم القيامة له شر قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ...﴾ [الإنسان: ١١] وقال عنه: ﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]..

اتباع الهوى يحل العزائم ويوهنها ويضعفها، ومخالفته تشد العزائم وتقويها والعزيمة هي مركب العزم إلى الله ﷻ، والدار الآخرة، فمتى تعطل المركوب تعطل المسافر..

دخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بن مهلب، وعنده جارية، يقال لها: البدر، وكانت من أحسن النساء وجهًا..

فقال له سليمان: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأت عيناي أحسن منها قط.. فقال له: خذ بيدها..

فقال: ما كنت لأفجع الأمير بها، وقد رأيت شدة إعجابه بها..

فقال: ويحك خذها على شدة عجبي بها، ليعلم هواي أني له غالب.. هذا الأمير كان عاقلاً.. فخرج وهو يقول:

لقد حباني وأعطاني وفضلني ... عن غير مسألة منه سليمان

أعطاني البدر قودًا في محاسنها ... والبدر لم يعطه إنس ولا جان

ولست يومًا بناس فضله أبدًا ... حتى يغيبني لحد وأكفان

أحبتي في الله..

واعلموا أن لكل عقل بداية ونهاية، فمن كانت بدايته اتباع الهوى، كانت نهايته الذل والصغار، والحرمان والبلاء، بحسب ما اتبع من هواه، بل يصير له ذلك في نهايته عذابًا يعذب به في قلبه، كما قال الشاعر:

مآرب كانت في الشباب لأهلها ... عِذابًا وصارت في المشيب عَذابًا

عِذابًا: جمع عذب، وهو الماء الطيب المستساغ في الشراب.. مآرب أي أغراض نفسية وشهوات.. كانت في الشباب مستساغة ولذيذة، لكنها صارت عذابًا في المشيب وآلامًا.. فلو تأملت كل صاحب حال سيئة، لرأيت بدايته الذهاب مع هواه، وإيثاره هواه وشهواته على عقله.. ومن كانت بدايته مخالفة هواه، كانت نهايته العز والشرف، والغنى والجاه، عند الله ﷻ، وعند الناس..

قال أبو علي الدقاق: من ملك شهوته في حال شبيبته، أعزه الله في حال كهولته ومن ملكته شهوته في حال الشباب، أذله الله في حال كهولته..

الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - صاحب التفسير العظيم، كان من أصحاب السمت الحسن والعبادة والطاعة، والتدين، وكان يغلب هواه ويقهره، ولما بلغ الثمانين من عمره أو أكثر، كان مرة من المرات في مجلس علم مع طلابه والناس حوله، وفجأة قام قومة شديدة، كأنشط ما يكون، فاستغرب الجالسون، واندهشوا.. فلما رأى

تعجبهم واستغرابهم قال: جوارحنا حفظناها في الصغر، فحفظها الله لنا في الكبر..

وقيل للمهلب: بم نلت ما نلت؟ قال: بطاعة الله، وعصيان الهوى..

وقال الأوزاعي - رحمه الله -: قال إبليس لأوليائه: من أي شيء تأتون بني آدم: فقالوا: من كل شيء.. قال: فهل تأتون من قبل الاستغفار؟ قالوا: هيهات ذاك شيء قرن بالتوحيد.. قال: لأبثن فيهم شيئًا، لا يستغفرون الله منه قال: خبث فيهم الأهواء..

أحبتي في الله..

ما هو علاج هذا الداء؟ ما هو علاج اتباع الهوى؟

اعلموا - رحمكم الله - أن العلاج لهذا الداء يكون بمخالفة الهوى، فإن مخالفة الهوى « مطردة للداء عن القلب والبدن، ومتابعته مجلبة لداء القلب والبدن، فأمراض القلب كلها من متابعة الهوى، ولو فتشت على أمراض البدن لرأيت غالبها من آثار الهوى على ما ينبغي تركه » . كما أن مخالفة الهوى: « تقيم العبد في مقام من لو أقسم على الله لأبره، فيقضي له من الحوائج أضعاف أضعاف ما فاته من هواه، فهو كمن رغب عن بعرة فأعطي عوضها درة، ومتبع الهوى يفوته من مصالحه العاجلة والآجلة والعيش الهنيء ما لا نسبة لما ظفر به من هواه البتة، فتأمل انبساط يد يوسف الصديق - عليه الصلاة والسلام - ولسانه وقدمه ونفسه بعد خروجه من السجن لما قبض نفسه عن الحرام »..

ومخالفة الهوى: « توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة، وعز الظاهر وعز الباطن، ومتابعته تضع العبد في الدنيا والآخرة، وتذله في الظاهر وفي الباطن، وإذا جمع الله الناس في صعيد واحد نادى مناد. ليعلمن أهل الجمع من أهل الكرم اليوم ألا ليقم المتقون، فيقومون إلى محل الكرامة، وأتباع الهوى ناكسو رءوسهم في الموقف في حر الهوى وعرقه وألمه، وأولئك في ظل العرش »..

أيها المسلم..

إنك إذا خالفت هواك فإنك - بإذن الله - من السبعة الذين يظلهم الله ﷻ في ظله يوم لا ظل إلا ظله: « فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل

الذي قلبه معلق بالمساجد إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات، والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله لولا قهره هواه لم يقدر على ذلك، والذي دعته المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله ﷻ وخالف هواه - والذي ذكر الله ﷻ خاليًا ففاضت عيناه من خشيته إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه. فلم يكن لحر الموقف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحر والعرق كل مبلغ، وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى »..

فلا نجاة من اتباع الهوى إلا بمخالفته، وسؤال الله الإعانة على ذلك، قال بعض العارفين: « إن شئت أخبرتك بدائك وإن شئت أخبرتك بدوائك؟! داؤك هواك، ودواؤك ترك هواك ومخالفته »، وقال بشر الحافي - رحمه الله تعالى -: « البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه »، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ولذلك فإن الواجب على الإنسان أن يخالف هواه؛ فإن « مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه، قال بعض السلف: الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده »، وفي الحديث الصحيح المرفوع: « **ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** » وكلما تمرن على مخالفة هواه اكتسب قوة إلى قوته..

كما أن أغزر الناس مروءة أشدهم مخالفة لهواه، قال معاوية: « المروءة ترك الشهوات، وعصيان الهوى، فاتباع الهوى يزمن المروءة، ومخالفته تنعشها »..

ولو فكر المسلم لماذا خلق؟ ويعلم أنه لم يخلق للهوى، واتباع شهواته، وإنما خلق لأمر عظيم، لا ينال إلا بمعصيته الهوى، كما قيل:

قد هيئوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

انظر بقلبك في عواقب الهوى وتأمل كم أوقعك اتباع الهوى في الرذائل..

وكم فوّت عليك من خيرات وحسنات.. وكم من لذة فوتت عليك لذات!!!

وليتفكر المسلم ويتصور العاقل بعد أن ينقضي غرضه ممن يهواه، ثم يتصور حاله بعد انقضاء الوطر، وما استفاده، وما حصل له.. فلو دعاه داعي الهوى للزنا بامرأة، أو لذة محرمة مع أمرد، فليتخيل هذا المدعو إلى الحرام نفسه بعد المعصية.. سيكون نادمًا

حزينًا، ضيق الصدر حزينًا، كئيبًا فما دام أن النهاية سيئة، فمن الممكن أن تتدارك نفسك..

ومن العلاجات ما أرشدنا إليه عبد الله بن مسعود ﷺ حين قال: إذا أعجب أحدكم بامرأة، فليذكر مناتنها.. أي من البول والغائط.. وما في أنفها مما تعافه النفس..

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن تعيذنا من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء..

اللهمَّ اعصمنا بكتابك وسنة نبيك محمَّد ﷺ ومن اختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى بغير هدى، ومن سبيل الضلال، ومن شبهات الأمور..

اللهمَّ قنا شر عذابك..

اللهمَّ لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا..

اللهمَّ رضنا وارض عنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا..



الوصية رقم (٥٦)

لا تقتنوا الكلاب إلا كلب صيد أو زرع

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من اقتنى كلبًا إلا كلب ماشية أو صيد، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

وهذا القبس النبوي الشريف فيه إيماء إلى تحريم اقتناء الكلاب، وفيه تهديد عليه، إذ لا يحبط الأجر إلا إذا كان الشيء محرمًا..

وقد جاءت روايات متعددة في هذا الشأن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من أمسك كلبًا، فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط، إلا كلب حرث أو ماشية** »[٢]..

وعن رجل من أزد شنوءة وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من اقتنى كلبًا، لا يغني عنه زرعًا ولا ضرعًا، نقص كل يوم من عمله قيراط** »[٣]..

ولا تعارض بين رواية القيراط، والقيراطين، لأن نقص القيراطين باعتبار كثرة الأضرار باتخاذها، ونقص القيراط باعتبار قلته..

وقيل: يختص نقص القيراطين بمن اتخذها بالمدينة الشريفة خاصة، والقيراط بمن عداها..

وفي « الآداب الكبرى » للبيهقي: يجوز اقتناء كلب كبير، لصيد يعيش به، أو لحفظ واختلف في القيراطين المذكورين هنا، هل هما كالقيراطين المذكورين في الصلاة على الجنازة واتباعها؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، وذكره الألباني في « صحيح الجامع » (٦٠٧٧).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

فقيل: بالتسوية، وقيل اللذان في الجنازة من باب الفضل، واللذان هنا من باب العقوبة، وباب الفضل أوسع من غيره..

وسبب النقصان قيل: هو امتناع الملائكة من الدخول في البيت الذي فيه كلب.. قال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب، ولا صورة**»[١]. وفي رواية عند مسلم: «**ولا تماثيل**»..

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: واعد رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فتأخر عليه، حتى اشتد ذلك على رسول الله ﷺ فخرج إلى المسجد فلقيه جبريل، فشكا إليه، فقال: «**إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة**»[٢]. وقيل: إن سبب النقص هو ما يلحق المارين من الأذى..

أو لأن بعضها شياطين، قال ﷺ: «**الكلب الأسود شيطان**»[٣]، أو أن ذلك عقوبة لمخالفة النهي، أو لولوغها في الأواني عند غفلة صاحبها فربما يتنجس الطاهر منها..

قال ابن حجر في «الفتح»:

في هذا الحديث إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية، وكذلك الزرع، لأنها زيادة حافظ.. وكراهة اتخاذها لغير ذلك، إلا أنه يدخل في معنى الصيد وغيره مما ذكر اتخاذها لجلب المنافع، ودفع المضار قياسًا، فتمحض كراهة اتخاذها لغير حاجة، لما فيه من ترويع الناس، وامتناع دخول الملائكة للبيت الذي هم فيه..

وجاء في «غذاء الألباب» للسفاريني:

قال في «الآداب الكبرى»: يجوز اقتناء كلب كبير لصيد يعيش به، أو لحفظ ماشية، يروح معها إلى المرعى ويتبعها، أو لحفظ زرع، ولا يجوز اتخاذه لغير ذلك..

وقيل: يجوز اقتناؤه لحفظ البيوت، وهو قول بعض الشافعية..

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

لكن ما هو القيراط الذي ينقص؟ أو القيراطين؟

قال أهل العلم: هو قدر معلوم عند الله ﷻ - أي لا نعلمه نحن - إما أن يدخل عليه من السيئات ما ينقص أجره في يومه، وإما بذهاب أجره في إطعامه، لأن في كل كبد رطبة أجر..

أو هو قيراط من عمل الليل، وقيراط من عمل النهار، أو قيراط فيما مضى من عمله وقيراط من مستقبله، أو قيراط من عمل الفرض، وقيراط من عمل النفل[1]..

ويقول ابن حجر في «الفتح»:

وفي الحديث [نص الوصية] الحث على تكثير الأعمال الصالحة، والتحذير من العمل بما ينقصها، والتنبيه على أسباب الزيادة فيها، والنقص منها، لتجتنب أو ترتكب..

وفيه بيان لطف الله تعالى بخلقه في إباحة ما لهم به نفع، وتبليغ نبيهم ﷺ لهم أمور معاشهم ومعادهم..

وفيه: ترجيح المصلحة الراجحة على المفسدة، لوقوع استثناء ما ينتفع به مما حرم اتخاذه[2].. ا.هـ.

من أول من اتخذ الكلاب؟

قيل: أول من اتخذ الكلب سيدنا نوح عليه السلام، قال: يا رب، أمرتني أن أصنع الفلك، وأنا في صناعته أصنع أيامًا، فيجيئونني بالليل فيفسدون كل ما عملت، فمتى يتم لي ما أمرتني به، قد طال أمري..

فأوحى الله تعالى إليه: يا نوح، اتخذ كلبًا يحرسك.. فاتخذ نوح كلبًا، وكان يعمل بالنهار، وينام بالليل، فإذا جاء قومه ليفسدوا بالليل، نبحهم الكلب، فينتبه نوح عليه السلام، فيأخذ الهراوة، فيثب لهم، فيهربون منه، فالتأم له ما أراد[3]..

---

(١) «غذاء الألباب» (٢/ ٤٠٤) للسفاريني.

(٢) «فتح الباري» (٦/ ١٠٥) لابن حجر، و«فيض القدير».

(٣) «غذاء الألباب» (٢/ ٤٠٤).

وقد بين العلماء أن الملائكة التي لا تدخل بيتًا فيه كلبٌ، إنما هي ملائكة الرحمة، أو البركة، أو الطائفون على العباد للزيارة، واستماع الذكر أما الكتبة، فإنهم لا يفارقون المكلف، لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم. وسبب امتناعهم من البيت الذي فيه كلب، فكثرة أكله للنجاسات، وكون بعض الكلاب يسمى شيطانًا، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة الخبيثة..

وأما الصورة فلكونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله..

والكلب له أحكام تتعلق به منها:

١- إنه إذا ولغ في إناء لابد أن يغسل سبع مرات، إحداهن بالتراب كما قال ﷺ: «**إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب**»..

وقد استدل بهذا الحديث على نجاسة الكلب، لأنه إذا كان لعابه نجسًا، وهو عرق فمه، وفمه أشرف ما فيه، فبقية بدنه أولى، وقد ذهب إلى هذا جمهور الفقهاء..

فالكلاب كلها نجسة، المعلمة، وغير المعلمة، الصغير منها والكبير، لا فرق بين الكلب المأذون في اقتنائه وغيره، ولا بين الكلب البدوي، والحضري لعموم الأحاديث..

٢- يحرم أكل لحم الكلاب بجميع أنواعها، لأن لها أنياب تعدو بها على غيرها فكل حيوان له ناب يفترس به، سواء كان أهليًا كالكلب، أو وحشيًا كالأسد والذئب فلا يحل أكله، قال ﷺ: «**كل ذي ناب من السباع، فأكله حرام**»[1]..

٣- ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**يقطع الصلاة الكلب الأسود، والمرأة الحائض**»[2]..

وفي رواية: «**المرأة والكلب والحمار**»[3]..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجة (٩٤٩) ألباني، و«صحيح سنن أبي داود» (٧٠٠) للألباني.

(٣) «صحيح سنن ابن ماجة» (٩٥٠).

جمهور العلماء من السلف والخلف: أن الصلاة لا تبطل بمرور شيء من هؤلاء ولا من غيرهم، وتأول هؤلاء - مالك وأبو حنيفة والشافعي - هذا الحديث على أن المراد بالقطع نقض الصلاة، لشغل القلب بهذه الأشياء، وليس المراد إبطالها.. قاله النووي..

وقال أحمد: يقطعها الكلب الأسود، وفي قلبي من الحمار والمرأة شيء..

٤- يجوز استخدام الكلب في الصيد ونحوه، بشرط أن يكون معلمًا، لقوله تعالى: **﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾** [المائدة: ٤]..

ويعتبر في تعليمه ثلاثة شروط:

١- إذا أرسله الصائد، استرسل.

٢- إذا زجره، انزجر.

٣- إذا صاد لم يأكل منه، ويتكرر هذا منه، حتى يصير معلمًا.. فإذا أكل، لم يحل، لقول النبي ﷺ لعدي بن حاتم: « **إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم الله، فكل مما أمسكن عليك، وإن قتلت، إلا أن يأكل الكلب، فلا تأكل ...** »[1]..

٢ - الشرط الثاني: التسمية عند إرسال الكلب.. لقوله تعالى: **﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ... ﴾** ولقوله ﷺ : « **وما صدت بكلبك المعلم، فذكرت اسم الله، فكل ...** »..

٣- الشرط الثالث: أن لا يشاركه كلب آخر: فعن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، أرسل كلبي وأسمي، فأجد معه على الصيد كلبًا آخر لم أسم عليه، ولا أدري أيهما أخذ، قال: « **لا تأكل، إنما سميت على كلبك، ولم تسم على الآخر** »..

٤- الشرط الرابع: أن يجرح الكلب الصيد - فإن خنقه أو قتله بصدمته، لم يحل لقول النبي ﷺ : « **ما أنهر الدم، وذكر اسم الله، فكل** »[2]..

٥- إذا أدخل الكلب ظفره أو نابه في الصيد، نجس، وهل يجب غسله؟ فيه وجهان: أحدهما: يجب غسله سبعًا إحداهن بالتراب، قياسًا على غير الصيد..

---

(١) **صحيح**: « صحيح سنن أبي داود » للألباني برقم (٢٨٤٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

والثاني: لا يجب للمشقة، بل يعفى عنه..

ورأى بعضهم تكوير ذلك الموضع وطرحه، لأنه تشرب لعابه..

٦- ينبغي على مقتني الكلب المباح، أن يطعمه أو يرسله، أو يدفعه لمن يريد لانتفاع به، ولا يحل حبسه، ليهلك جوعًا..

فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر، فوجد بئرًا، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه، حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له** »[1]..

قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: « **في كل كبد رطبة أجر** ». وفي رواية عنه أيضًا: « **غفر لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس ركي يلهث كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك ...** »[2]..

٧- ينبغي قتل الكلب العقور، واتفق العلماء على جواز قتل الكلب العقور للمحرم والحال، في الحل والحرم، قوله ﷺ: « **خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحدأة** »[3]. وسميت فواسق، لخروجها بالإيذاء والإفساد عن طريق معظم الدواب..

وقيل: لخبثهن.. والعقور: هو ما يفرط شره وإيذاؤه..

أحبتي الكرام..

والكلب حيوان شديد الرياضة، كثير الوفاء، وهو لا سبع ولا بهيمة، حتى كأنه من الخلق المركب، لأنه لو تم له طباع السبعية، ما ألف الناس، ولو تم له طباع البهيمة ما أكل لحم الحيوان[4]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن حبان.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجة والنسائي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٣٢٤٤).

(٤) « حياة الحيوان الكبرى » (٤/ ٤٠٨) للدميري.

وفيه منافع عديدة للحراسة والصيد، وفيه من اقتفاء الأثر، وشم الرائحة والحراسة، وخفة النوم، والتودد، وقبول التعليم ما ليس لغيره[١]..

يقول الدميري - رحمه الله -: والجيفة أحب إليه من اللحم الغريض - أي الطري - ويأكل العذرة، ويرجع في قيئه.. ومن طبعه أنه يحرس ربه - أي صاحبه - ويحمي حرمه شاهدًا وغائبًا، ذاكرًا وغافلاً، نائمًا ويقظانًا..

وهو أيقظ الحيوانات عينًا في وقت حاجته إلى النوم، وإنما غالب نومه نهارًا عند الاستغناء عن الحراسة..

يقول: ومن عجيب طباعه: أنه يكرم الجُلة من الناس - أي عظماءهم - وأهل الوجاهة، ولا ينبح أحدًا منهم، وربما حاد عن طريقه[٢]..

وينبح الأسود من الناس، والدنس الثياب، والضعيف الحال.. حتى قال الشاعر:

يمشي الفقير وكل شيء ضده ... والناس تغلق دونه أبوابها

وتراه مبغوضًا وليس بمذنب ... ويرى العداوة لا يرى أسبابها

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة ... خضعت لديه وحركت أذنابها

وإذا رأت يومًا فقيرًا عابرًا ... نبحت عليه وكشرت أنيابها

وله مع الأنبياء والصالحين شأن.. فهذا كلب أصحاب الكهف، الذي كرمه الله بذكره في كتابه، قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] أي بفناء الكهف أو بابه، وقد شملت بركتهم كلبهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال..

قال ابن كثير - رحمه الله -[٣]: وهذه فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر، وخبر وشأن..

اعترض كلب في طريق نبي الله عيسى عليه السلام، فقال له: اذهب، عافاك الله، فقيل له:

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٧) لابن حجر.

(٢) «حياة الحيوان» (٤/ ٤٠٩) للدميري.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٦).

تخاطب به كلبًا؟ أي بهذا اللطف..

قال: لسان عودته الخير، فتعود[1]..

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب..

فقال عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه.. كأنه لم يرض الغيبة[2].. وخرج عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - إلى ضيعة له، فنزل على نخيل قوم، وفيه غلام أسود، يعمل فيه، إذ أتي الغلام بقوته، فدخل الحائط كلب، ودنا من الغلام، فرمي إليه الغلام بقرص، فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث، فأكله، وعبد الله ينظر إليه، فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت! قال: فلمَ آثرت به هذا الكلب؟ قال: ما هي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت أن أشبع وهو جائع.

قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا..

فقال عبد الله بن جعفر: ألام على السخاء، إن هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام، وما فيه من الآلات، فأعتق الغلام، ووهبه له..

وحكى عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - سمع عن شخص من وراء النهر يروي أحاديثًا، فسار إليه، ودخل عليه، فوجده يطعم كلبًا، وهو مشتغل به..

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: فأخذت في نفسي، وأضمرت أن أرجع، إذا لم يلتفت الرجل إليّ، ثم قال: حدثني أبو الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من قطع رجاء من ارتجاه، قطع الله رجاءه يوم القيامة**» وإن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدني هذا الكلب، فخشيت أن أقطع رجاءه..

فقال الإمام: هذا الحديث يكفيني، ثم رجع قافلاً إلى أهله[3]..

---

(١) «فيض القدير» (٣/ ٦٨٠) للمناوي.

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٦).

(٣) «الرسالة القشيرية» (ص١١٣)، و«الإحياء» للغزالي.

وهذا داود الطائي - رحمه الله تعالى - وجد معه بعض أتباعه ومريديه كلبًا فقيل له: ما هذا الذي تصحبه؟ قال: هذا خير من جليس السوء..

ولعله قد صحبه لاحتياجه إليه في صيد ونحوه[١]..

وقد ذكر المناوي - رحمه الله - في « فيض القدير »: أنه قد ورد في بعض الآثار، أن الخليل إبراهيم عليه السلام كان له أربعة آلاف كلب، يحرسون غنمه أو مراعيه، وكان في عنق كل كلب منها طوق من الذهب الأحمر، فقيل له في ذلك فقال: إنما فعلت ذلك، لأن الدنيا جيفة، وطلابها كلاب، فدفعتها لطلابها[٢]..

والكلب كما ذكرت قبل ذلك وفيٌّ لصاحبه ولحريمه، فقد حكي أن رجلاً عزم جماعة، فتخلف شخص منهم في منزله، ودخل على زوجة صاحب المنزل، فضاجعها، فوثب الكلب عليهما، فقتلهما، فرجع صاحب المنزل، فوجدهما قتيلين، فأنشد يقول:

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ... ويحفظ عهدي والخليل يخون

فوا عجبًا للخل يهتك حرمتي ... وواعجبًا للكلب كيف يصون

وحكي أبو عبيدة قال: خرج رجل إلى الجبانة، ومعه أخوه وجاره، لينظروا إلى الناس، فتبعه كلب له، فضربه ورماه بحجر، فلم ينته، ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه، فجاء عدو له في طلبه، فلما رآه، خاف على نفسه، فإذا بئر هناك قريبة القعر، فنزل فيها، وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب، ثم ذهب أخوه وجاره إلى سبيلهما، وصار الكلب ينبح حوله، فلما انصرف العدو، أتاه الكلب، فما زال يبحث في التراب إلى أن كشف عن رأسه، فتنفس الرجل، ومر به أناس، فأخذوه وذهبوا به إلى أهله، فلما مات ذلك الكلب، عمل له قبرًا، ودفنه فيه، وفي ذلك قيل:

تفرق عنه جاره وشقيقه ... وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

ويذكر صاحب كتاب « من الثوابت العلمية في القرآن » بعض التصرفات الذكية الألمعية عند الحيوان، ما يلقي الضوء على معنى قوله تعالى: ﴿ **رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ**

---

(١) « فيض القدير » (٦/ ٨٣) للمناوي.

(٢) « فيض القدير » (١/ ١٤٧).

خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]..

يذكر أن طبيبًا، وجد في طريقه كلبًا، كسرت إحدى قوائمه، فأخذه إلى عيادته واهتم به، وقوّمها وجَبرها، واعتنى به حتى شفي تمامًا، ثم أطلق سراحه وبعد ذلك بزمن، سمع الطبيب قرعًا لطيفًا على باب عيادته، فوجد الكلب هو نفسه مصطحبًا معه كلبًا آخر مكسور الرجل، جاء به للمعاينة والعلاج.. سبحان الله..

اللهمَّ اقذف في قلوبنا رجاءك، واقطع رجاءنا عمن سواك، حتى لا نرجوا أحدًا غيرك.. فأنت مولانا وولينا في الدنيا والآخرة يا ذا الجلال والإكرام..

اللهمَّ إنا نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة..

اللهمَّ أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.. واغفر لنا يا أرحم الراحمين..



الوصية رقم (٥٧)
لا تقتلوا أربعة من الدواب

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أربعة من الدواب لا يقتلن: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد**»[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الأحبة في الله..

هذه الوصية الكريمة المباركة تتضمن النهي عن قتل أربعة من الدواب، وهن: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد..

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجة وغيرهم من حديث ابن عباس أيضًا أنه رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربعة من الدواب.. وذكرها..

أمَّا عن النمل فقد قال أهل العلم: المراد بالنمل المنهي عن قتله - النمل الكبير السليماني - كما قاله الخطابي والبغوي في شرح السنة، ولا يقتل لانتفاء الأذى منه..

وأمَّا النمل الصغير، المسمى بالذر، فقتله جائز، وكره مالك - رحمه الله - قتل النمل، إلا أن يضر، ولم يقدر على دفعه إلا بالقتل..

وسميت النملة نملة، لتنملها، وهو كثرة حركتها، وقلة قوائمها..

فهيا بنا لنتأمل عظمة الخالق العظيم - جل في علاه - في عظمة هذا المخلوق العجيب..

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه المبارك مفتاح دار السعادة، وشفاء العليل: وهذا النمل من أهدى الحيوانات، وهدايتها من أعجب شيء، فإن النملة الصغيرة تخرج من بيتها، وتطلب قوتها، وإن بعدت عليها الطرق، فإذا ظفرت به حملته وساقته في طرق معوجة بعيدة ذات صعود وهبوط في غاية من التوعر، حتى تصل إلى

---

(١) صحيح: رواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٧٩).

بيوتها، فتخزن فيه أقواتها في وقت الإمكان.. فإذا خزنتها، عمدت إلى ما ينبت منها، ففلقته فلقتين، لئلا ينبت، فإن كان ينبت مع فلقه باثنتين، فلقته بأربعة، فإذا أصابه بلل، وخافت عليه العفن والفساد، انتظرت به يومًا ذا شمس فخرجت به، فنشرته على أبواب بيوتها، ثم أعادته إليها..

يقول صاحب كتاب « حياة الحيوان الكبرى » للدميري:

يقال: إن حياته - أي النمل - ليست من قبل ما يأكله، ولا قوامه، وذلك لأنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام، ولكنه مقطوع نصفين، وإنما قوته، إذا قطع الحب في استنشاق ريحه فقط، وذلك يكفيه.. وهو شديد الشم..

ويكفي في هداية النمل ما حكاه الله ﷻ في كتابه الكريم عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لأصحابها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]..

قال بعض أهل العلم: أنها تكلمت بأنواع من البديع: ﴿يَا﴾ نادت ﴿أَيُّهَا﴾ نبهت ﴿ٱلنَّمۡلُ﴾ سمت ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ أمرت ﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ نعتت ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ حذرت ﴿سُلَيۡمَٰنُ﴾ خصت ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾ عمت ﴿وَهُمۡ﴾ أشارت ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾ اعتذرت..

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج، وأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح! فهلاّ نملة واحدة؟!** »[1]..

قال الترمذي - رحمه الله - في « نوادر الأصول »: لم يعاتبه الله ﷻ على تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البريء بغير البريء..

قال القرطبي: هذا النبي هو موسى عليه السلام، وأنه قال: يا رب، تعذب أهل القرية بمعاصيهم وفيهم الطائع؟! فكأنه جل وعلا أحب أن يريه ذلك من عنده، فسلط عليه الحر، حتى التجأ إلى شجرة مستروحًا إلى ظلها، وعندها قرية النمل، فغلبه النوم، فلما وجد لذة النوم، لدغته نملة، فدلكهن بقدمه فأهلكهن، وأحرق مساكنهن، فأراه الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

تعالى الآية في ذلك عبرة، لما لدغته نملة كيف أصيب الباقون بعقوبتها، يريد الله تعالى أن ينبهه على أن العقوبة من الله تعالى تعم الطائع والعاصي، فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع، وسوءًا ونقمة وعذابًا على العاصي..

ومن عجيب هدايتها أنها تعرف ربها بأنه فوق سمواته على عرشه، كما رواه الإمام أحمد في كتابه الزهد من حديث أبي هريرة ﷺ يرفعه، قال:

« **خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون، فإذا هم بنملة رافعة قوائمها إلى السماء، تدعو مستلقية على ظهرها، فقال: ارجعوا فقد كفيتم أو سقيتم بغيركم** »[1]..

وفي المسند للإمام أحمد - رحمه الله -: « **أن سليمان بن داود** عليه السلام **خرج يستسقى، فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء، وهي تقول: اللهمَّ إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن سقياك، فإما أن تسقينا وإما أن تهلكنا، فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم** »[2]..

ومن عجيب أمرها الصبر والجلد، فصبرها عجيب، وهذا أمر لاحظته بنفسي إنها عندما تريد أن تصعد إلى جدار ماذا تفعل وخاصة إذا كان الجدار أملس.. إنها تصعد وتسقط.. فهل إذا صعدت وسقطت تنصرف؟ أبدًا.. إنها تصعد وتسقط.. وتحاول من هنا.. ومن هنا، تحاول ذلك مرارًا وتكرارًا..

إن الإنسان منا قد يبدأ في مشروع، أو في عمل، أو في طلب، مرة أو مرتين، أو ثلاثًا، ثم ينسحب.. لكن النملة صبرها أعجب من ذلك..

دخل (تيمورلنك) القائد المعروف، في معركة من المعارك، وعندما دخل المعركة هو وجنوده، فبدأت المعركة، فهزموا، وعندما هزموا تفرقوا، فما كان من قائدهم (تيمورلنك) إلا أن هام على وجهه، حزينًا كئيبًا لهذه الهزيمة النكراء.. فماذا فعل؟

هل ذهب إلى بلده؟ هل ذهب إلى مملكته؟ لا هذه، ولا تلك، ولكنه ذهب إلى مغارة في جبل، وجلس يتأمل في الحالة التي وصل إليها جيشه، فبينما هو مستغرق في

---

(١) صحيح: رواه أحمد في « الزهد » والدارقطني، وصححه الألباني في « المشكاة » (١٥١٠).

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده.

تفكيره، إذا بنملة تريد أن تصعد على صفاة في الجبل - حجرة ملساء.. حجر أملس ناعم، فسقطت، فحاولت المرة الثانية، فسقطت والثالثة تسقط.. فشدته، وانقطع تفكيره، وأخذ يراقب هذا المخلوق الصغير ويتابعها تيمورلنك حتى المرة السابعة عشرة، صعدت فقال: والله إن أمرها لعجيب.. نملة تكرر المحاولة قرابة العشرين مرة، وأنا لأول مرة أنهزم، ما أضعفنا، وما أحقرنا، إننا لا نساوي نملة، فنزل من المغارة، وقد صمم على أن يجمع فلول جيشه، وأن يدخل المعركة، وأن لا ينهزم ما دام فيهم حي، وبهذا التصميم انتصروا..

إذا ضعفت وتكاسلت، فتذكر النملة.. تذكر محاولاتها.. تذكر إصرارها..

أحبتي في الله..

النملة تعلم بني الإنسان التعاون.. تعلمه الصدق.. فقد ذكر العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه مفتاح دار السعادة، يحدث أستاذه ابن تيمية: أن نملة خرجت من بيتها، فصادفت شق جرادة، فحاولت أن تحمله، فلم تستطع، فذهبت وجاءت معها بأعوان يحملنه معها..

قال: فرفعتُ ذلك من الأرض، فطافت في مكانه فلم تجده، فانصرفوا وتركوها.. قال ابن القيم: فوضعته، فعادت إليه لتحمله، فلم تطق، فذهبت إلى أعوانها من النمل، فجاءت بهم.. فرفعتها، فلم يجدوا شيئًا فانصرفوا، فطافت في المكان، فوضعتها.. وفي المرة الثالثة أتت بهم فلم يجدوا شيئًا، فاستدار النمل حلقة، ووضعوها في وسطها، وقطعوها عضوًا عضوًا.. قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: هذا النمل فطره الله على قبح الكذب، وعقوبة الكذابين..

والنمل من أحرص الدواب، ويضرب بحرصه المثل، فيذكر أن نبي الله سليمان ﷺ لما رأى حرص النملة، وشدة ادخارها للغذاء، فهي تكد طوال الصيف، وتجمع قوتها للشتاء.. لذلك قال لقمان لولده: يا بني، لا تكن النملة أعقل منك تدخر قوتها من الصيف للشتاء..

ماذا فعل نبي الله سليمان وقد علمه الله لغة الحشرات والطيور؟ أحضر نملة وسألها: كم تأكلين في العام من القوت؟ فأعلمته بأنها تأكل حبتين من الحنطة.. فأتى

بزجاجة ووضعها فيها، ووضع معها حبتين، فأكلت واحدة، وأبقت على الأخرى.. فلما مر عام سألها: لقد أخبرتيني أنك تأكلين حبتين، فلماذا أكلت حبة واحدة؟

قالت النملة: كنت متيقنة أن الذي يرزقني هو الله الرزاق، ولما علمت أنك الذي توليت رزقي، خفت أن تنساني وربي لا ينسى أحدًا أبدًا..

أحبتي الكرام..

وأما عن [النحلة] فقد خاطبها الله ﷻ بما خاطب به الأنبياء، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾** ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩]. وفي السنة المطهرة أن النبي ﷺ قال: « **الذباب كله في النار إلا النحل** » قال الزجاج: سميت النحلة نحلاً، لأن الله تعالى نحل الناس العسل، الذي يخرج منها.. إذ النحلة أي العطية..

وقد شبه النبي ﷺ المؤمن بالنحلة، فقال: « **إن مثل المؤمن كمثل النحلة، إن أكلت أكلت طيبًا، وإن وضعت وضعت طيبًا، وإن وقعت على عود نخر، لم تكسره** »[١]..

وفي رواية: « **مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيبًا، ولا تضع إلا طيبًا** »[٢]..

قال ابن الأثير - رحمه الله -: وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة: حذق النحل وفطنته، وقلة أذاه، وخفارته ومنفعته وقنوعه، وسعيه في النهار وتنزهه عن الأقذار، وطيب أكله، فإنه لا يأكل من كسب غيره، ونحوله وطاعته لأميره.. وإن للنحل آفات تقطعه عن العمل منها: الظلمة والغيم والريح، والدخان والماء والنار، وكذلك المؤمن له آفات تفتر به عن علمه منها: ظلمة الغفلة، وغيم الشك، وريح الفتنة، ودخان الحرام، وماء السعة، ونار الهوى..

وفي المعجم الأوسط للطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **مثل بلال كمثل النحلة، غدت تأكل من الحلو والمر، ثم هو حلوٌ كله** »[٣]..

---

(١) حسن: « صحيح الجامع » برقم (٥٨٤٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني وابن حبان، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٣٥٥)، و« صحيح الجامع » (٥٨٤٧).

(٣) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الهيثمي في « المجمع » (٤/ ٢٤٧).

يقول الغزالي - رحمه الله - في «الإحياء»: انظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها، حتى اتخذت من الجبال بيوتًا؟ وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل، وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء؟

ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار، واحترازها من النجاسات والأقذار، وطاعتها لواحد من جملتها، وهو أكبرها شخصًا وهو أميرها، ثم ما سخر الله ﷻ لأميرها من العدل والإنصاف بينها، حتى أنه ليقتل منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة، لقضيت من ذلك العجب إن كنت بصيرًا في نفسك، وفارغًا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك، وموالاة إخوانك..

ثم دع عنك جميع ذلك، وانظر إلى بنيانها: بيتًا من الشمع، واختيارها من جميع الأشكال، الشكل المسدس، فلا تبني بيتًا مستديرًا ولا مربعًا، ولا مخمسًا، بل مسدسًا، لخاصية في الشكل المسدس، يقصر فهم المهندس عن إدراك ذلك.. فانظر كيف ألهم الله ﷻ النحل على صغر حجمه ذلك لطفًا به، وعناية بوجوده فيما هو محتاج إليه، ليهنأ عيشه.. فسبحانه ما أعظم شأنه! وأوسع لطفه وامتنانه!

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وأمر النحلة في هدايتها من أعجب العجب، وذلك أن لها أميرًا مدبرًا، وهو اليعسوب، وهو أكبر جسمًا من جميع النحل، وأحسن لونًا وشكلاً..

وإناث النحل تلد في إقبال الربيع، وأكثر أولادها يكون إناثًا، وإذا وقع فيها ذكر لم تدعه بينها، بل إما أن تطرده، وإما أن تقتله، إلا طائفة يسيرة منها، وذلك أن الذكور منها لا تعمل شيئًا ولا تكسب..

والنحل تقسم فرقًا، فمنها فرقة تلزم الملك، ولا تفارقه، ومنها فرقة تهيئ الشمع وتصنعه، والشمع هو ثفل العسل، وفيه حلاوة كحلاوة التين، وللنحل فيه عناية شديدة فوق عنايتها بالعسل، فينظفه النحل ويصفيه ويخلصه مما يخالطه من أبوالها وغيرها.. وفرقة تبني البيوت.. وفرقة تسقى الماء، وتحمله على متونها، وفرقة تكنس الخلايا وتنظفها من الأوساخ والجيف والزبل، وإذا رأت بينها نحلة مهينة بطالة، قطعتها، وقتلتها، حتى لا تفسد عليهن بقية العمال، وتعديهن ببطالتها ومهانتها..

فسبحان من هداها وألهمها، وجعلها كذلك..

ومن عجيب أمر النحلة أن الله ﷻ زودها بقرني استشعار، وجعل فيها شعيرات عصبية دقيقة، يصل عددها إلى ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألفًا تشكل حواس الشم والسمع واللمس، وتعمل كالكشاف في ظلام الخلية..

فسبحان من وهبها ذلك، وبه زودها..

وللنحلة عيون كبيرة، في حافتي الرأس عينان، وعينان أخريان في أعلى الرأس وتحتها عين ثالثة، مما جعل لها سعة أفق في النظر.. فالنحلة ترى أقصى اليمين، وأقصى الشمال، والبعيد والقريب، في وقت واحد، مع العلم بأن عيونها لا تتحرك، ولذا فإن النحل يعيش في مناطق يكسوها السحاب معظم شهور السنة، مع أن الشمس - كما هو معلوم - ضرورية لمعرفة مكان الحقول التي فيها غذاء للنحل، فبإمكانها رؤية الشمس من خلال السحب، كل ذلك لئلا تموت جوعًا في حالة اختفاء الشمس خلف الغمام.. كما هو في بعض البلدان في العالم..

إنها لحقيقة مذهلة، تدل على حكمة الله وقدرته، ووحدانيته، وكمال تدبيره ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]..

أما فم النحلة فمن أعاجيب خلق الله في خلقه، إذ هو مزود بما يمكنه من أداء جميع الوظائف الحيوية، فهو يقضم، ويلحس ويمضغ، ويمتص، وهو مع هذا شديد الحساسية..

أما سمع النحل، فدقيق جدًّا، يتأثر بأصوات وذبذبات لا تستطيع أن تنقلها أذن الإنسان.. فسبحان من زودها به..

والنحلة مع صغرها وضعفها تحمل ضعفي وزنها، وبسرعة أربعمائة خفقة جناح في الثانية الواحدة..

فسبحان من خلق فسوى، وقدر فهدى..

هناك من النحل مرشدات عندما تجد مصدرًا للغذاء تفرز عليه مادة ترشد إليه بقية النحلات الجانيات للرحيق، وعندما ينضب وينتهي الرحيق تفرز عليه المرشدات مواد منفرة منه، حتى لا يضيع الآخرون وقتًا في البحث فيه، ثم تنتقل إلى مصدر آخر..

فمن علمها؟ ومن أرشدها؟ إنه الله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ... ﴾ [هود: ٥٦] فلا إله إلا هو..

إن النحلة خارج الخلية تستطيع الرجوع إلى خليتها والتعرف عليها من بين عشرات الخلايا بلا عناء، ولا تعب، حتى ولو ابتعدت عنها آلاف الأميال ولذا يقول أحد علماء الأحياء الكفار - وقد رصد النحل بمناظيره فترة طويلة..

يقول: واعجبًا لها تنطلق آلاف الأميال من شجرة إلى ثمرة، إلى زهرة، ثم تعود ولا تخطئ طريقها.. ربما أن لها ذبذبات مع الخلية.. أو أنها تحمل لاسلكيًا يربطها بالخلية.. ربما.. ربما.. ثم يقف حائرًا تائهًا.. أما نحن فلا.. لماذا؟ لأننا نوقن أن الله ألهمها ذلك.. ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]..

وتأملوا قدرة العلي القادر في خلقه يوم جعل من النحل حراسًا للخلية يستطيعون أن يميزوا كل غريب ودخيل عليهم من النحل، فيطرحوه خارجًا أو يقتلوه، علمًا بأن تعداد الخلية يصل إلى ثمانين ألف نحلة أو أكثر..

فمن الذي علمها؟ ومن الذي دبرها؟ ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]..

والنحل من ألطف الحيوان وأنقاه وأنظفه، ولذلك لا تلقى مخلفاتها في خليتها، بل تطير، ثم تلقيها بعيدًا عنها، وتأبى النتن والروائح الكريهة ولذلك إذا رجعت إلى الخلية، وقف على باب الخلية بواب منها، ومعه أعوان له، فما من نحلة إلا ويشمها البواب ويتفقدها، فإن وجد فيها رائحة منكرة، أو رأى بها قذرًا، منعها من الدخول وعزلها، إلى أن يدخل النحل كله، ثم يرجع إلى الممنوعات المعزولات، فيتفقدها مرة أخرى فمن وجدها وقعت على نجاسة أو شيء قذر، قطعها نصفين.. وهذا دأب وطريقة البواب كل يوم في كل عشية.. فتبارك الذي هداها..

وقد جعل الله ﷻ لكل مخلوق قدرة وقوة، يدافع بها عن نفسه، ومن تلك المخلوقات النحل.. كيف يدافع عن نفسه؟

يذكر أن ألد أعداء النحل هو الفأر.. إنه يهاجم الخلية، ليأكل منها العسل ويلوث أجزاء الخلية.. فماذا تفعل تلك النحلة الصغيرة أمام هذا الفأر الذي هو بالنسبة لها

كالجبل العظيم؟! إنها تطلق مجموعة من العاملات.. فتلدغه، حتى يموت.. فإذا مات، كيف تتخلص منه؟

إنه إن بقي، أفسد العسل، ولوث أجزاء الخلية، ولو اجتمع نحل الدنيا كله على أن يخرجه ما استطاع.. فماذا يفعل؟

إنها تفرز عليه ما أعطاها الله ﷻ.. تفرز عليه مادة شمعية، تغلف ذلك الفأر، فلا ينتن ولا يتغير، حتى ولو طال مكثه، حتى يأتي صاحب الخلية، فيقوم بإخراجه..

لطيفة:

اعلم أن الله تعالى جمع في النحلة السم والعسل، وجعله دليلاً على كمال قدرته، وأخرج منها العسل ممزوجًا بالشمع، وكذلك عمل المؤمن يكون ممزوجًا بالخوف والرجاء..

وفي العسل ثلاثة أشياء: الشفاء، والحلاوة، واللين، وكذلك المؤمن، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]..

قال أحد السلف: عرفت الله ﷻ بالنحلة، أحد طرفيها عسل، والآخر إبر، فالعسل الذي يخرج من النحل فيه شفاء للناس، كما أخبرنا بذلك رب العزة والجلال.. واختلاف الألوان في العسل بحسب اختلاف نوع النحل والمرعى وقد يختلف طعمه، لاختلاف المرعى..

وقد روى عن عليٍّ ﷺ أنه قال في تحقير الدنيا: إنما الدنيا أشياء: مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومركوب، ومنكوح، ومشموم، فأشرف المطعوم: العسل، وهو مذقة ذبابة - أي النحلة -..

وأشرف المشروب: الماء، ويستوي فيه البر والفاجر..

وأشرف الملبوس: الحرير، وهو لعاب دودة..

وأشرف المشموم: المسك، وهو دم حيوان..

وأشرف المنكوح: المرأة، وهو مبال في مبال..

وأشرف المركوب: الخيل، وعليه يصرع الرجال..

وجاء في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أخي استطلق بطنه، فقال ﷺ: «**اسقه عسلاً**» فسقاه، ثم جاء إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله إني سقيته عسلاً، فلم يزدها إلا استطلاقًا، فقال: «**اسقه عسلاً**» قال: سقيته، فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال ﷺ: «**صدق الله، وكذبت بطن أخيك، اسقه عسلاً**» فسقاه فبرئ[1]..

والنحل يكره قتلها، ويحرم أكلها على الأصح، وإن كان عسلها حلالاً، كالآدمية لبنها حلال، ولحمها حرام، وأباح البعض أكلها وهو مذهب ضعيف وقيل: يحرم قتلها، ودليل الحرمة الوصية التي نحن بصدد الحديث في ظلالها.. وأبيح قتله إذا حصل منه ضرر، فإنه يصول، ويلدغ الآدمي..

وأما عن الطائر الموحد [الهدهد]:

وقد ذكر الله ﷻ هذا الطائر في القرآن الكريم.. قال تعالى حكاية عن نبي الله سليمان ﷺ: ﴿**وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ۝**﴾ [النمل: ٢٠-٢٦]..

فهذه الآيات تحكي لنا قصة هدهد سليمان ﷺ، وتروي لنا العجيب من خبره مع هذا النبي العظيم..

وهذا الهدهد السليماني لم يكن من عامة الهداهد، وإنما يبدو من السياق أنه هدهد خاص، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ**﴾ [النمل: ٢٠] ولم يقل: مالي لا أرى هدهدًا، فعرفه للتخصيص، فدل على أنه يقصد هدهدًا بعينه، وكذلك غراب نوح، وحمار العزير، وذئب أهبان بن أوس، فقد كان لله ﷻ فيه، وفيها

(١) رواه البخاري ومسلم.

تدبير، وليجعل ذلك آية لأنبيائه، وبرهانًا لرسله والهدهد في العادة نوع من الطير.. يقتات الحبوب والدود، ويرى الماء من بعد ويحس به في باطن الأرض، فإذا رفرف على موضع، علم أن فيه ماء..

قال الجاحظ: زعموا أنه هو الذي كان يدل سليمان على مواضع الماء في باطن الأرض وقد أخبر حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن الهدهد يرى الماء في تخوم الأرض.. فسئل: إذا كان يرى الماء في تخوم الأرض، فلماذا يقع في شبكة الصياد؟ قال: إذا وقع القضاء، عمي البصر..

ويبني الهدهد عشه في أماكن مختلفة بعيدة عن الأعين، في شقوق الصخور وجذوع الأشجار، وله بصر حاد، وهو سريع الطيران، وكثير الطلعات الاستكشافية، ومشهور بشدة الخوف وبالسكون، فإذا أحس بالخطر، استلقى على الأرض، وتظاهر بالموت، حتى يزول الخطر..

وبعد هذه المعلومات السريعة عن جنس الهدهد بشكل عام، هيا بنا نقف مع الهدهد السليماني عدة وقفات:

الوقفة الأولى: الهدهد الإيجابي:

لقد شاهد الهدهد حين طيرانه أناسًا يعبدون الشمس من دون الله، وهذا من أعظم الكبائر، ومنكر عظيم، فماذا فعل يا ترى؟ إنه لم يقف موقفًا سلبيًا، إنما ذهب وتحرك وتقصى، وأتي بالخبر لنبي الله سليمان عليه السلام حاكم البلاد أيامها.. ثم بذل وسعه في تغيير هذا المنكر، وضرب بذلك أروع الأمثلة الإيجابية العملية.. لقد فعل الهدهد ذلك دون أمر أو تكليف لأمر صادر، وجلب للقيادة المؤمنة خبرًا أدى إلى دخول أمة بأكملها في دين الإسلام..

الوقفة الثانية: الهدهد ومهارات الخطاب:

لقد تميز الهدهد في خطابه بمهارات متعددة، وإبداعات كثيرة، يحسن بكل شاب مسلم أن يتعلمها ويتأملها، لينفذها في خطابه للآخرين:

١ - إيجازه في الخطاب مع نبي الله سليمان عليه السلام، فقد جمع في سطور قليلة، قصته الطويلة مع تلك الملكة (ملكة بلقيس) التي كانت تعبد وقومها الشمس من دون الله..

ماذا؟ لأنه يدرك أنه يخاطب ملكًا.. والملوك أوقاتهم مشغولة.. وليس لديهم وقت لسماع التفاصيل والجزئيات، ولذلك ركز هذا الهدهد على أصول المسائل، فأوجز وأبلغ..

وعلى المسلم أن يدرك هذا، فإذا تخاطب مع مسئول من المسئولين الكبار، أو أحد العلماء الكبار، لا يكن ثرثارًا مهذارًا.. لا يحيل السؤال الصغير إلى قصة طويلة عريضة.. فلا ينبغي أن نضيع الأوقات، حتى لا يشعر هؤلاء بأنك ثقيل..

٢- تأمل استفتاح الهدهد، إنه شيء عجيب، حيث قال لسليمان عليه السلام ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ**﴾ لأنه يعلم شدة الملك وحزمه، لذلك بدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته، ليضمن إصغاء الملك له..

وهكذا ينبغي على المسلم الحاذق أن يكون ذكيًا في خطابه، ليفلح في جذب استماع المخاطب، حتى يتمكن من إيصال رسالته..

ولأن كان الهدهد بأسلوبه الحكيم يحاول النجاة من عقوبة نبي الله سليمان، فإنا نستخدمه، ونطوره لنشر الخير والدعوة..

٣- الهدهد لما أخبر نبي الله سليمان بخبر المرأة التي تعبد الشمس من دون الله هي وقومها، لم يقل الهدهد: اذهب إليهم فأمرهم بتوحيد الله، وعدم الشرك به، وإنما لمح بالحل، فقال: ﴿**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...**﴾ إنه اقترح ولم يفرض، عرض، ولم يصرح، وبمثل هذا الأسلوب يمكن أن نكسب قلوب الآخرين.. لأن طبيعة النفس البشرية تنفر من الأوامر الصارمة الجازمة.. فهناك فرق بين أن تقول لشخص ما تريد أن ترغبه في قيام الليل: يا أخي، قد وفق الله المصطفين الأخيار من عباده، فصفوا أقدامهم بالأسحار مصلين، فأصبحت وجههم مشرقة مضيئة.. يا ليتنا نكون منهم.. وبين أن تقول له: يا هذا قم الليل إلى متى النوم والغفلة؟

الوقفة الثالثة: إنكاره للمنكر:

فقد ساءه ما رأى من عبادة بلقيس وقومها للشمس، فأنكر عليهم ذلك، وتمعر وجهه لذلك المنكر، ومازال بهم حتى دخلوا جميعًا في دين الله.. وقد أصبح إنكار المنكر في عصرنا الحاضر، وفي حياتنا نحن البشر، لا يشكل جزءًا من همنا، مع أننا ندرك خطر

المنكر، ونعلم حديث السفينة وحسبنا زاجرًا لذلك الأثر الذي ورد فيه، أن الله ﷻ أمر جبريل عليه السلام أن يهلك أهل قرية، لفسقهم، فقال: يا رب، إن فيهم عبدك فلان ما عصاك قط! قال: فبه، فابدأ، فإنه لم يتمعر وجهه من أجلي!

الوقفة الرابعة: الهدهد وسلطان العلم:

تجرأ الهدهد في مجلس الملك - وهو نبي الله سليمان - فقال له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ...﴾ والإحاطة هي العلم بالشيء من جميع جوانبه، فالهدهد كان محيطًا بأخبارهم، عالمًا بها تمام العمل قبل أن يخبر عنهم..

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله -: إن سليمان عندما توعد الهدهد بأنه سيعذبه عذابًا شديدًا، أو يذبحه، إنما نجا منه بالعلم، وأقدم عليه بهذا الخطاب.. ولولا سلطان العلم ما خاطبه كذلك..

وهكذا ارتفع الهدهد بعلمه، والعلم دائمًا يرفع صاحبه، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ولهذا قال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء، والشافعي ينظر إليّ هيبة له..

وقال وهب بن منبه: يتشعب من العلم الشرف، وإن كان صاحبه دنيئًا، والعز، وإن كان مهينًا، والقرب وإن كان قاصيًا، والغنى وإن كان فقيرًا، والمهابة وإن كان وضيعًا.. ومع الهدهد وقفات أخرى لا يتسع لذكرها المقام..

أحبتي في الله..

وأما عن [الصرد] فهو طائر فوق العصفور، يصيد العصافير، وهو أبقع ضخم الرأس، يكون في الشجرة، نصفه أبيض، ونصفه أسود، ضخم المنقار، له برثن عظيم - يعني أصابعه عظيمة - لا يُرى إلا في سعفة أو شجرة، وهو شرس النفس، شديد النفرة، غذاؤه من اللحم، وله صفير مختلف، يصفر لكل طائر يريد أن يصيده بلغته.. كما وصفه الدميري في كتابه « حياة الحيوان الكبرى » ..

والأصح تحريم أكله.. والنهي عن قتله دليل حرمته..

قال أبو بكر بن العربي: إنما نهى النبي ﷺ عن قتله، لأن العرب كانت تتشاءم بصوته وشخصه، فنهى عن قتله ليخلع عن قلوبهم ما ثبت من اعتقادهم الشؤم فيه..

اللهمَّ وفقنا إلى صالح الأعمال.. وانظمنا في سلك حزبك المفلحين، واجعلنا من عبادك المخلصين، وأمنا يوم الفزع الأكبر يوم الدين.. واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. واغفر لنا ذنوبنا.. بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين..



الوصية رقم (٥٨)

احذروا صفات المنافقين

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « آية المنافق ثلاث، **وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

في هذا القبس النبوي الشريف يحذرنا إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين وحبيب رب العالمين ﷺ من الاتصاف بصفة من صفات المنافقين، وهو تحذير شديد، ولا أدل على شدته، من أن الإنسان يصوم ويصلي، ويزعم أنه مسلم، لكن إذا اتصف بصفة من صفات المنافقين كان منافقًا حتى يدعها، وهذه الصفات ثلاث كما هنا، وفي رواية أخرى أربعة.. قال ﷺ كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: « **أربع من كن فيه، كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلة منهن، كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر** »[٢]..

فما هو النفاق؟ وما هي أنواعه؟ وما صفات المنافقين؟

النفاق هو مخالفة الباطن للظاهر، بأن يظهر صاحبه الإيمان بالله وملائكته ورسله، وباليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ ونزل القرآن الكريم بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار..

ويسمون هذا النوع بالنفاق الأكبر، كما ذكر ابن رجب الحنبلي وأما النفاق الأصغر فهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك..

وقال ابن كثير - رحمه الله -: النفاق هو إظهار الخير، وإسرار الشر..

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له، ورواه الترمذي والنسائي.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

ولذا قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لحديث «**آية المنافق ثلاث** ...»: وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقًا بقلبه ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله وقال: إن معناه: أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه، ووعده، وائتمنه، وخاصمه، وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام، فيظهره، وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار[1]..

أحبتي في الله..

والمنافقون موجودون في كل عصر وحين.. وهؤلاء يأخذون من الدين ما سهل عليهم، ويتقاعسون عن تنفيذ ما يشق عليهم كشهود صلاة العشاء والفجر في جماعة.. يؤدون العبادة في كسل وتثاقل.. يقولون ما لا يفعلون يقولون الكلام المعسول، وفي قلوبهم الكيد والمكر والخداع.. قلوبهم قاسية وعقولهم قاصرة.. لا يتأثرون بالقيم الإنسانية النبيلة، والمثل العليا ولا يقدرون مكارم الأخلاق، أُفُقهم ضيق، ونظرتهم محدودة.. يستغلون الفرص لإثارة الشبهات حول الإسلام، ليزعزعوا إيمان المؤمنين..

يستغلون الفرص المناسبة للطعن في دعاة الإسلام المخلصين، وتشويه سمعتهم عن طريق الكذب، وتغيير الحقائق.. يبذلون أموالهم سرفًا في ما يخالف تعاليم الإسلام.. وإذا طلب منهم إنفاق في غرض أخروي أبوا وامتنعوا وتعللوا.. يجرون وراء الدعايات الجوفاء عن النظر إلى ما فيه الخير والفلاح..

وقد بينت سنة النبي ﷺ خوف الصحابة الكرام من النفاق.. فعن حنظلة ﷺ قال: لقيني أبو بكر الصديق ﷺ فقال: كيف أنت يا حنظلة.. قلت: نافق حنظلة.. قال أبو بكر: سبحان الله! ما تقول؟ قال: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا نراهما رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا..

(١) «صحيح مسلم» بشرح النووي (١/ ١٥٠) رقم (٨٨).

فقال أبو بكر: فوالله إنا لنلقي مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، نافق حنظلة..

فقال رسول الله ﷺ: « **وما ذاك؟** » قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأى العين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده، لو تداومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم - ولكن يا حنظلة ساعة وساعة** »[1]..

قال النووي - رحمه الله - في شرحه لقوله (نافق حنظلة) معناه: أنه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر، والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا.. فخاف أن يكون ذلك نفاقًا، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك..

وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل..

وعن الحسن قال: ما خافه - أي النفاق - إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق وكان يقول: من لم يخف النفاق، فهو منافق..

قال ابن القيم - رحمه الله -: تالله، لقد ملئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفهم من النفاق شديد، وهمهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل..

أيها الموحدون..

هيا بنا نتوقف مع صفات المنافقين، كما ذكرت الوصية، لكي نحذر هذه الأوصاف التي هي:

أولها: إذا حدث كذب: والكذب هو إخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه.. وهو رأس الخطايا وبدايتها..

---

(١) رواه مسلم (٤٩٣٧) في « فضل دوام الذكر ».

الكذب خلة رديئة، وصفة ذميمة، وهو أساس الرذائل، وأصل الشرور، وكثيرًا ما ضاعت به حقوق، وانتهكت به حرمات، وارتكبت به جرائم، فكم من خبر كاذب، كان سببًا في تقطع الصلات، وإثارة العداوات بين الناس، وكم من كذبة اختلقها شخص مهين، كان لها أثر على الأفراد والجماعات!

وقد نفر الإسلام من الكذب، ونهى عنه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾ [غافر: ٢٨] وقال: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** ﴾ [الجاثية: ٧]..

وقال ﷺ محذرًا من الكذب: « **وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا** »[١] فما أقبحه من عادة، وما أحط رتبة من ارتكبه، لأنه يفضي به إلى الفجور، وهو الميل والانحراف عن الصراط السوي، ثم إلى النار، وبئس القرار والكذاب مهان، لأنه مكتوب عند الله ﷻ في عداد الكذابين، وفي عداد المنافقين وبئس الوصف لمن اتصف به، إن الإنسان ينفر أن يوصف عند الناس بهذا الوصف، فكيف يرضى أن يكون مكتوبًا عند خالقه كذابًا..

إن المنافق كاذب، لأن ظاهره يخالف باطنه، والكذب أساس التغرير والتضليل، ومنبع الزور والبهتان، وسلم المكر والاحتيال، وهو رذيلة شائنة، ففي الحديث: « **كان أبغض الخلق إليه** - أي رسول الله ﷺ - **الكذب** »[٢]..

وكان هذا الخلق الذميم مبغوضًا عند أهل الجاهلية، فهذا أبو سفيان قبل أن يسلم كان في تجارة بالشام، فدعي مع بعض قريش إلى هرقل، ليسأله عن رسول الله محمَّد ﷺ ثم دعا هرقل بترجمانه، وقال لهم: إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذبوه..

قال أبو سفيان: وايم الله، لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب لكذبته[٣]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه.

(٢) صحيح: صححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٤٦١٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

هكذا كان أهل الجاهلية في جاهليتهم، يتنزهون عن الكذب، ويستحيون من أن يؤثر عنهم، وينسب إليهم، فكيف بالمؤمنين وقد كرمهم الله تعالى بهذا الدين الكامل، الذي يأمر بالصدق، ويرغب فيه..

وقد يدفع بعض الناس إلى الكذب، اعتقاده أن الكذب يجر إليه نفعًا، أو يدفع عنه ضرًا، وهو في الحقيقة أبعد عن نفعه، وأقرب إلى ضره، فإن الشر لا يكون خيرًا، والقبيح لا يكون حسنًا.. وإنك لا تجني من وراء الشوك عنبًا..

وقيل في منثور الحكم: الكذاب لص، لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك..

وقال أحد الشعراء:

وما شيء إذا فكرت فيه ... بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه ... وأبعد بالبهاء من الرجال[١]

وقال آخر:

إذا ما المرء أخطأه ثلاث ... فبعه ولو بكف من رماد
سلامة صدره والصدق منه ... وكتمان السرائر في الفؤاد[٢]

وقال الحسن: الكذب جماع النفاق[٣]..

وللكذب صور وأنواع كثيرة متعددة منها:

١ - **الكذب على الله ورسوله**: كحال من يفتي بغير علم، ويقول بغير علم على الله ورسوله الكذب، فيضل ويضل، ويهلك ويُهلك.. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل: ١١٦] وقال ﷺ: « **من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار** »[٤].

---

(١) « روضة العقلاء » (ص٥٣) لابن حبان.
(٢) نفس المرجع السابق.
(٣) « مساوئ الأخلاق » للخرائطي (ص٦٥).
(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي.

وقال ﷺ: «إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على غيري»[١]..

٢- **الكذب في البيع والشراء**: كحال من ينفق سلعته بالأيمان الكاذبة، ومن يغش المشتري بجودة بضاعته، فما أكثر ما يقع هذا بين الناس، مع عظم خطورته وشدة الوعيد فيه.. قال ﷺ: «**اليمين الكاذبة منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**»[٢]..

٣- **الكذب للتخلص من المواقف المحرجة**: كحال من يكذب على والديه، أو مدرسيه، أو مسئوليه، خوفًا من العقاب أو العتاب..

٤- **الكذب لإفساد ذات البين**: فبعض الناس لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، حتى يفسد ذات البين، ويفرق شمل المتحابين، فتجده يختلق الأقاويل وينسج الأباطيل، ليفسد ذات البين..

وهناك كذب في الأفعال، وكذب في الأقوال، وكذب في النار.. هذه هي الخصلة الأولى من خصال النفاق، فما هي الثانية؟

٢- **وإذا وعد أخلف**: وخلف الوعد من أخلاق الفاسقين والمنافقين.. وهو مذموم.. لكن صدق الوعد من خلق النبيين والمرسلين، قال تعالى عن نبي من أنبيائه وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام: ﴿**وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا**﴾ [مريم: ٥٤] وقال عن أبيه ﴿**وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ**﴾ [النجم: ٣٧] الوفاء بالوعد أدب رباني حميد، وخلق نبوي كريم، وسلوك إسلامي نبيل، أمر الله ﷻ به، فقال: ﴿**وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا**﴾ [الإسراء: ٣٤] وجعله صفة لأوليائه، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾**﴾ [الرعد: ١٩، ٢٠]..

قال الحافظ السخاوي في قوله: «**وإذا وعد أخلف**» أنه محمول على من وعد، وهو عازم على الخلف، أو ترك الوفاء من غير عذر، فأما من عزم على الوفاء ومن له عذر منعه من الوفاء، لم يكن منافقًا، وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق، ولكن يحترز من صورة النفاق، كما يحترز من حقيقته، ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورًا من غير ضرورة..

---

(١) صحيح: رواه البيهقي وأبو يعلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢١٤٢).

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما بلفظ اليمين الفاجرة..

ومما ورد في الوفاء بالوعد ما جاء في حديث هرقل المشهور، عندما قال لأبي سفيان: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.. قال: وهذه صفة نبي..

وقد كان السلف يحرصون كل الحرص على إنجاز ما يوعدون به.. فهذا سيدنا عبد الله ابن مسعود ﷺ كان يقول أصحابه عنه: أنه إذا وعد، فقال: إن شاء الله، لم يخلف..

وهذا محمَّد بن سيرين - رحمه الله - يواعد ابن عبد ربه القصاب، فيقول: واعدت محمَّد بن سيرين أن أشتري له أضاحي، فنسيت موعده لشغل، ثم ذكرت بعد فأتيته قريبًا من نصف النهار، وإذا محمَّد ينتظرني، فسلمت عليه، فرفع رأسه فقال: أما أنه قد يقبل أهون ذنب منك.. فقلت: شغلت، وعنفني أصحابي في المجيء إليك، وقالوا: قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة، فقال: لو لم تجئ إلى أن تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو الحاجة، التي لابد منها..

قال عبد الرحمن بن آبزي: كان داود ﷺ يقول: « لا تعدن أخاك شيئًا لا تنجزه له، فإن ذلك يورث بينك وبينه عداوة »[1]..

أولئك قوم أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف، الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فقالت ألسنتهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالإنجاز، فأحسنوا المقال، وشفعوا بالفعال..

يقول أبو تمام:

إذا قلت في شيء نعم فأتمه ... فإن نعم دين على الحر واجب

وإلا فقل: لا تسترح وترح بها ... لئلا يقول الناس إنك كاذب

وقال أعرابي: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل..

ومن أجمل ما ورد في الوفاء بالوعد، ما روي أن النعمان بن المنذر، كان قد جعل له يومين: يوم بؤس، من صادفه فيه قتله وأرداه.. ويوم نعيم، من لقيه فيه، أحسن إليه وأغناه.. وفي يوم بؤسه خرج هذا الرجل الطائي يبحث عن صيد لأولاده الجياع، إذ صادفه النعمان، فلما رآه الطائي، علم أنه مقتول، وأن دمه محلول.. فقال له: حيا الله

---

(١) « المنتقى من مكارم الأخلاق » (ص٥٥).

منك، إن لي صبية صغارًا وأهلاً جياعًا، فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة، حتى لا يهلكوا ضياعًا، ثم أعود إلى الملك، وأسلم نفسي، لنفاذ أمره.. فرق له الملك، ورثى لحاله، غير أنه قال له: لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا، فإن لم ترجع قتلناه، وكان شريك بن علي بن شرحبيل نديم النعمان معه، فتوسل إليه الطائي في ضمانه، فقال شريك: أصلح الله الملك، عليَّ ضمانه، فمرَّ الطائي مسرعًا إلى أهله وعشيرته.. وصار النعمان يقول لشريك: إن صدر النهار قد ولى ولم يرجع الطائي، وشريك يقول للملك: ليس للملك عليّ سبيل حتى يأتي المساء، فلما قرب المساء، قال النعمان لشريك: قد جاء وقتك، قم فتأهب للقتل.. فقال شريك: هذا شخص قد لاح مقبلاً، وأرجو أن يكون الطائي فإن لم يكن، فأمر الملك ممتثل.. فبينما هم كذلك، وإذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعًا، حتى وصل، فقال: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي.. ثم وقف قائمًا، وقال: أيها الملك: مر بأمرك فأطرق النعمان، ثم رفع رأسه، وقال: ما رأيت اليوم بأعجب منكما.. أما أنت يا طائي، فما تركت لأحد في الوفاء مقامًا يقوم فيه، ولا ذكرًا يفتخر به، وأما أنت يا شريك، فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء، فلا أكون أنا ألأم الثلاثة، ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس، ونقضت عادتي، كرامة لوفاء الطائي، وكرم شريك..

فقال له النعمان: ما الذي حملك على الوفاء، وفيه إتلاف نفسك..

فقال: ديني.. فمن لا وفاء له، لا دين له.. فأحسن إليه النعمان، ووصله بما أغناه، وأعاده مكرمًا إلى أهله..

أحبتي الكرام..

إن قضية الخلف في الوعد، ليست قضية سهلة أو هينة، لكنها مشكلة إيمانية تربوية اجتماعية ينبغي الاهتمام بها..

أما الخصلة الثالثة من خصال النفاق:

٣- وإذا أؤتمن خان: والخيانة هي الغدر.. وهي سمة من سمات النفاق وأشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون، ففي الحديث « **لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان** »[1]..

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الخيانة.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: « **اللهمَّ إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة** »(١). وقد حذر ﷺ من الخيانة، فقال: « **أد الأمان لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك** »(٢)..

وقد جعل النبي ﷺ شهادة الخائن مردودة، لأنه منافق. قال ﷺ: « **لا تجوز شهادة خائن، ولا خائنة** ... »(٣) ولا تجوز أي لا تقبل والله ﷻ يبغض الخيانة، ويبغض الخائنين.. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨] وأعلمنا أنه لا يهديهم طريقًا، ولا يوصلهم إلى خير قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٥٢]..

والخيانة أنواع: خيانة العقيدة.. وعقيدتنا « لا إله إلا الله محمَّد رسول الله » وللعقيدة نواقضها، كما أن للوضوء والطهارة نواقضها.. ونواقض العقيدة أن تشتمل ما حرم الله، وأن تنكر أمرٍ من أوامره.. قال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا** ... ﴾ [التحريم: ١٠] فالخيانة هنا خيانة الدين، لا خيانة الفاحشة..

قال ابن كثير - رحمه الله -: إن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة، لحرمة الأنبياء.. قال ابن عباس: كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد، أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا، أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء..

وخيانة الأعراض، وهي ارتكاب جريمة الزنا.. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٣٢]..

ومن الخيانة في الأعراض: النظرة المحرمة، قال الله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ** ﴾ [غافر: ١٩]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - هذا الرجل يدخل على أهل بيت، وفيهم امرأة حسناء، فإذا غفلوا، نظر إليها، وإذا فطنوا غض بصره..

---

(١) حسن: « صحيح سنن أبي داود » للألباني (١٣٦٨)، و« جامع الأصول » (٤/ ٣٥٧).

(٢) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » رقم (٣٠١٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٦٦٩٨)، وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند.

وخيانة الشخصية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]..

يقول عروة بن الزبير: أي لا تظهروا لرسول الله من الحق ما يرضى به منكم، ثم تخالفوه في السر إلى غيره، فإن في ذلك هلاككم، وللحديث: «**لأعلمن أقوامًا يأتون يوم القيامة بأعمال كجبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثورًا، أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»[1]..

وخيانة الشخصية تظهر في صور متعددة منها:

١- **أن يكيف دين الله لنفسه، ولا يكيف نفسه لدين الله**، لحديث: «**أتدرون من المفلس؟**»، قالوا: من ليس عنده درهم، ولا دينار، قال: «**المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وحج، ويأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسانه، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، أخذت من سيئاتهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»[2]..

٢- **خيانة الإخوة**، قال تعالى عن صفة الصحابة رضوان الله عليهم، وينبغي أن نكون مثلهم قال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾ [الفتح: ٢٩] فإذا انعكست الآية فصرنا أشداء فيما بيننا، رحماء معهم، فهذه خيانة.. وإذا أحببنا أعداءنا.. إذا ولیناهم، وعادينا إخواننا، فهذه خيانة مشاعر لحديث: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»[3]. فتراه يتألم ويحزن لفقد درهم أو دينار، ولكنه لا يحزن أبدًا، ولا يتأثر بمصائب المسلمين في العالم..

٣- **خيانة الكسب**: والمسلم الحق يحرص على الحلال في مطعمه ومشربه، فلا غش ولا خداع، ولا كذب، فقد مر النبي ﷺ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**»، قال: أصابته السماء يا رسول الله..

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٤٦)، و«الصحيحة» (٥٠٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) ضعيف: رواه الحاكم (٨٠١٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٤٢٩).

قال: « **أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا** »[١]..

٤- خيانة الوطن: وذلك بأن يكون مطية لأعداء الله في تنفيذ مخططاتهم، وما فيها من دمار للبلاد والعباد، أو يكون دليلاً على عوراتها، والعرب قبل الإسلام كانت ترى في خيانة الوطن جرمًا يستحق صاحبه فيه الرجم، وقد جاء في سيرة ابن هشام - رحمه الله - أن أبرهة، لما بني كنيسة، أراد أن يصرف العرب إليها، فذهب إليها رجل من العرب وأحدث - أي تغوط - وبال على جدارها، فعزم أبرهة على هدم الكعبة، وسير لذلك جيشًا، وخرج معه بالفيل حتى وصل الطائف، فخرج إليه مسعود بن متعب، فقال له: أيها الملك إنما نحن عبيدك، سامعون لك، مطيعون، ونحن نبعث معك من يدلك، فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة، وفي الطريق مات أبو رغال، فرجمت العرب قبره، فهو قبره، الذي يرجم الناس بالمغمس..

وكذا ابن العلقمي - لعنه الله - فقد كان دليلاً لـ « هولاكو » على عورات بغداد، وتدمير دولة الإسلام - فلعنة الله على الخائنين في كل زمان ومكان..

اللهمَّ طهر قلوبنا من النفاق، وألسنتنا من الكذب، وأعمالنا من الرياء. وأعيننا من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. اللهمَّ إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، والعدل في الغضب والرضا.. والقصد في الفقر والغنى..

أيها الموحدون..

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا.. اللهمَّ صل على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.. وبارك على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.. وارض اللهمَّ عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وإحسانك ورحمتك يا أرحم الراحمين..



(١) رواه مسلم وابن ماجة والترمذي وأبو داود.

الوصية رقم (٥٩)

التحذير من قتل المسلم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **والذي نفسي بيده، لقتل مؤمن أعظم عند الله عز وجل من زوال الدنيا** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

لقد حرم الله ﷻ قتل النفس بغير حق في جميع الملل والشرائع.. لأن الإنسان يكون في فسحة وسعة من دينه، يستحق رحمة الله الرحمن، وعفوه بأعماله الصالحات، طالما أنه لم يرتكب هذه الجريمة الشنيعة.. قال ﷺ : « **لن يزال المسلم في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا** »[٢] لأن الله ﷻ كرم هذا الإنسان، وجعله خليفته في أرضه منذ بداية الخليقة.. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ [البقرة: ٣٠] فقد خلقه بيده، وصوره على عينه، وأسجد له ملائكته، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، ومنحه العقل والمنطق، ورزقه العلم والمعرفة، وأظهر فضله على الملائكة، ورزقه الحكمة والمعرفة، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]..

لقد أنزل الله من أجله الكتب، وأرسل من أجله الرسل، بل وضع له شريعة محكمة تضمن له السعادة في دنياه، وفي أخراه.. وتضمن له حقه، ومن أعظم هذه الحقوق: حق الحياة..

ذلك الحق الذي ليس من حق أي أحد أن ينتهك حرمته، أو أن يستبيح حماه، لأن الله ﷻ وحده، هو واهب الحياة، ولا ينبغي البتة لأحد من الخلق أن يسلب هذه الحياة بأي صورة من الصور..

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٢) رواه البخاري والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

لا يجوز أن تنتهك في حدود شريعة الإسلام حرمة حيوان أعجم كالقطة فكيف بحق الآدمي؟ كيف بقتل المسلم؟ كيف بقتل التقي الصالح؟!

قال ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت**»[١]..

أحبتي في الله..

لقد حرمت هذه الشريعة دمه، ونهت عن قتله، وجعلت إراقة دمه كبيرة من الكبائر، وموبقة من الموبقات، بل جعلها بعد أعظم ذنب وأكبره في الدنيا وهو الإشراك بالله.. وتأمل قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ...**﴾ [الفرقان: ٦٨]..

وقوله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسحر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[٢]..

بل ويسمع أولئك الذين قتلوا الأبرياء، وسفكوا دم الأطفال والنساء، ماذا قال رب الأرض والسماء؟ يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣]..

فهل هناك في القرآن الكريم كله وعيد من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس كهذا الوعيد الشديد؟!

إنها عقوبات أربع، كل واحدة منها توجل القلب، وتفزع النفس: جهنم خالدًا فيها.. فيا ويله، ما أصبره على نار جهنم، وقد فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها..

وغضب الله عليه.. وبئسما حصل لنفسه من غضب الرب جل في علاه.. ولعنه وطرده وأبعده عن رحمته.. وأعد له عذابًا عظيمًا.. فويل له من عقوبة الجبار.. ويل له من لعنة الواحد القهار.. إنه وعيد مركب..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

وكان سيدنا عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يقول: « إن من ورطات الأمور، التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله »[١]..

وفي الحديث الذي رواه أحمد والنسائي وغيرهم أن النبي ﷺ قال: « **كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا من مات مشركًا، أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا** »[٢]. وقد قال الله ﷻ في كتابه: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ...** ﴾ [النساء: ٤٨]..

وقال بعد أن بين أن عباد الرحمن لا يفعلون شركًا، ولا قتلاً، ولا زنًا ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ...** ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]..

انظروا أيها الموحدون إلى مكانة هذا الإنسان عند الله ﷻ، الذي خلقه بيده..

يقول النبي الأمين ﷺ كما يروي عنه ابن عمر: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: « **ما أطيبك، وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمَّد بيده، لحرمة المؤمن عند الله عز وجل، أعظم من حرمتك، ماله ودمه** »[٣]..

فمكانة المسلم عند الله، وحرمة ماله ودمه، أعظم من حرمة الكعبة، فمن اعتدى على مال مسلم بأن أخذه منه ظلمًا، أو اعتدى عليه بأن قتله، فقد ارتكب جرمًا يفوق أي اعتداء على الكعبة المشرفة..

ولنسأل القاتل: ماذا يكون جوابك عندما تسأل يوم الحساب، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشجب دمًا، ويقول: يا رب، سل هذا، فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش** »[٤]..

---

(١) رواه البخاري والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

(٢) صحيح: رواه أبو داود وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٢٤٤٦)، و« صحيح الجامع » (٤٥٢٤).

(٣) حسن: رواه ابن ماجة وغيره، وقال الألباني: صحيح لغيره في « صحيح الترغيب » (٢٤٤١).

(٤) صحيح: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٨٠٣١).

ماذا سيكون جوابك أيها القاتل؟ ماذا سيكون جوابك يا من تسترخص الدماء؟ حين تسأل: فيم قتلته؟ ويقول الله لك: تعست.. ثم يذهب به إلى النار إنها أبشع جريمة على وجه الأرض بعد الشرك بالله: قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.. وما هو هذا الحق؟

ففي «الصحيحين» من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ...**»[١]..

والله تعالى يقول: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]..

«**والثيب الزاني.. والتارك لدينه، المفارق للجماعة**» والإسلام لا يكره أحدًا على الدخول فيه.. ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ...﴾ [البقرة: ٢٥٦]..

أحبتي في الله..

وأول شيء يقضي الله ﷻ فيه يوم الحشر الدماء.. فقد قال ﷺ كما في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[٢]. فهذا دليل على عظم حرمة الدماء.. لكن قد ورد حديث آخر يقول النبي ﷺ فيه: «**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة: الصلاة، فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح وإن فسدت، فقد خاب وخسر**»[٣]..

وفي رواية عند الطبراني بسند صحيح من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه ﷺ قال: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة: الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت، فسد سائر عمله**» فهل هناك تعارض بين هذا وذاك؟

الجواب: أنه لا تعارض بينهما فالحقوق يوم القيامة نوعان: حقوق الله ﷻ وحقوق العباد.. فأول ما يسأل العبد عنه ويقضي فيه من حقوق الله ﷻ: الصلاة، وأول ما يسأل العبد عنه، ويقضي فيه من حقوق العباد: القتل.. وقد ورد في النسائي الجمع بين

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) تخرج في موضع آخر.

لأمرين، فقال: « **أول ما يحاسب عليه العبد: الصلاة.. وأول ما يقضي بين الناس: في الدماء** »، وهذا دليل على حرمة الدماء ومكانتها عند الله الذي خلقها.. لقد وقف النبي ﷺ يومًا في موقف مهيب عظيم جليل.. إنه يوم عرفة في حجة الوداع، ليخطب خضبته العصماء، ليبين فيها للصحابة وللبشرية جمعاء حرمة الدماء، فسأل الناس، وهو يخطب: « **أي يوم هذا؟** » قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: « **أليس يوم النحر؟** » قلنا: بلى..

قال: « **أي شهر هذا؟** » قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: « **أليس ذا الحجة** »؟

قلنا: بلى.. قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: « **أليست بالبلدة الحرام؟** » قلنا: بلى فقال الصادق بعد هذا التشويق، بعد هذا الأسلوب البديع، قال: « **فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا** »[١]..

أحبتي في الله..

ورسولنا الأعظم، ونبينا الأكرم ﷺ وضح أن هناك في نار جهنم عذابًا خاصًا للقتلة.. للذين يقتلون الأبرياء.. للذين ينتهكون دماء الضعفاء.. قال ﷺ: « **يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلها آخر، ومن قتل نفسًا بغير حق، فينطوي عليهم، فيقذفهم في حمراء جهنم** »[٢]..

وبين لأمته أن هذا الصنف من الناس هم أبغض الخلق إلى الله ﷻ في الدنيا والآخرة.. فقال: « **أبغض الخلق إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق، ليهريق دمه** »[٣]، فماذا بعد النار؟ وماذا بعد بغض الواحد القهار؟!..

أظن أنه ليس بعد هذا غضب من العزيز الغفار.. بل هناك كما أخبرنا النبي المختار ﷺ حين قال: « **من قتل مؤمنًا، فاعتبط** - أي فرح ولم يتب - **بقتله، لم يقبل الله منه**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأحمد والبزار، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٥١٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري.

صرفًا، ولا عدلاً»[١] أي لم يقبل الله منه نافلة ولا فريضة، حتى يخرج من ذنبه، إما بأن يقتص منه، أو العفو عنه، ودفع الدية، وإما بالتوبة الخالصة إلى الله ﷻ، والندم له والرجوع إليه.. عساه أن يقبله..

وقد أخبرنا رسولنا محمَّد ﷺ أن كثرة القتل من علامات القيامة..

قال: « **لا تقوم الساعة، حتى يكثر الهرج** »..

قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟

قال: « **القتل القتل** »[٢]..

وفي رواية أخرى لمسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل** »[٣]..

وقد صدقت مقولته.. فهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى..

فها نحن نسمع ونرى على شاشات التلفاز أولئك الذين جاءوا من أقصى الأرض جاءوا من هنا ومن هناك من أمريكا، أو من بريطانيا، وإيطاليا إلى بلاد العراق يسألون أحد هؤلاء الجنود لماذا جئتم إلى هنا؟ فالإجابة.. لا يعرفون ولا يدرون لماذا أتوا إلى هنا.. أتوا بطائراتهم ودباباتهم، وأسلحتهم الهائلة المحرمة والمجرمة دوليًا.. يرمون بآلاف الأطنان من الأسلحة المبيدة المهلكة الفتاكة، التي تبيد المدن والمدارس والمصانع والمزارع والتي تحول الأجسام البشرية إلى أشلاء، وإلى أكوام من اللحم المتمزق، وإلى بحور من الدماء، ولا يدري هذا القاتل الذي قتل الناس، قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وأفزع الأحياء، لا يدري لماذا قتلهم؟ يقتلون الأطفال الرضع.. ما ذنب هذا الطفل؟ هل يحمل سلاحًا؟ هل يحمل في قلبه غلاً أو حقدًا أو حسدًا؟!.. إنه طفل بريء..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والطبراني والنسائي وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٤٢٨).

(٣) رواه مسلم.

وهذه المرأة المسكينة، التي لا تحمل سلاحًا، ولا تركب دبابة ما ذنبها حين يقتل ولدها أمام عينيها، ويمزق جسده الرصاص.. لا تدرى لماذا قتل ولدها؟ ولا لماذا قتل زوجها؟ ولا لماذا قتل أخوها؟ ولا تدرى لماذا تقتل هي الأخرى؟ «**لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قُتل**»[1]..

نسأل الله الأمن والأمان، والسلامة والسلام..

اللهمَّ أرنا الحق حقًّا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه..

اللهمَّ عليك باليهود ومن والاهم.. اللهمَّ اجعل كيدهم في نحرهم، واجعل دائرة السوء عليهم.. اللهمَّ من أراد بالإسلام سوءًا فاجعل كيده في نحره.. اللهمَّ فرق جمعهم، وشتت شملهم.. ورمل نساءهم.. وأهلك أمواهم ويتم أطفالهم.. واهدم عليهم بيوتهم..

اللهمَّ وفق ولاة أمور المسلمين إلى ما تحبه وترضاه.. اللهمَّ وفقهم إلى ما فيه الخير للعباد والبلاد.. اللهمَّ انصر الإسلام في كل مكان.. اللهمَّ انصر إخواننا في العراق وفي فلسطين وفي الشيشان.. اللهمَّ قوِّ ضعفهم.. اللهمَّ إنهم ضعفاء فقوهم.. حفاة فاحملهم.. عراة فاكسهم..

اللهمَّ اهد شبابنا وشباب المسلمين.. اللهمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم.. واغفر لنا.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٦٠)

احذروا الرشوة فإنها محرمة

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

اللعن هو الطرد من رحمة الله الرحمن الرحيم، وهنا صنف يحذرنا الله ﷻ ورسوله منه، وهذا الصنف ملعون، ومطرود من رحمة الله.. أتدرون ما هو؟ إنه صنف خطير.. إنهم أصحاب الرشاوى.. المرتشون.. وما داموا ملعونين مطرودين من رحمة الله، فقد أراد أن يحذرنا من الرشوة، وقد جاء التحذير بأسلوب الإخبار عنهم بأنهم مذمومين خائبين خاسرين.. وجاء ذلك بروايات متعددة.. ففي المسند وعند أبي داود والترمذي والبيهقي عن ابن عمرو أنَّ رسول الله قال: « **لعنة الله على الراشي والمرتشي** »[٢]..

وفي المسند عن ثوبان مرفوعا: « **لعن الله الراشي والرائش الذي يمشي بينهما** »[٣]، ومن أجل ذلك عد بعض العلماء الرشوة من الكبائر خاصة إذا كانت على الحكم، ومما يدل على أن الرشوة من الكبائر، أنَّ رسول الله ﷺ لعن صاحبها، ولا يكون اللعن إلا على ذنب كبير، ومنكر عظيم..

والرشوة إذا فشت في مجتمع من المجتمعات فلا شك أنه مجتمع فاسد، محكوم عليه بالعواقب الوخيمة، وبالهلاك المحقق.. لماذا؟

لأن الإنسان قد تحمل الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها.. والواجب على هذا الإنسان أن يؤدي الأمانة التي تحملها على الوجه الأكمل، المطلوب منه، لينال رضا مولاه ﷻ.. أما إذا ضيع الأمانة

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٠٩٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وغيرهم، وهو في « صحيح الجامع » (٥١١٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد في مسنده وغيره.

ففي ذلك الفساد والهلاك، للمجتمع، واختلال نظامه، وتفكك عراه وأواصره..

وإن من حماية الله ﷻ هذه الأمانة أن حرم على عباده كل ما يكون سببًا في ضياعها أو نقصها، فحرم الله الرشوة.. لكن ما هي الرشوة؟

قال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -: الرشوة بضم الراء وكسرها ويجوز الفتح، وهي ما يؤخذ بغير عوض، ويعاب أخذه[1]..

وقال ابن العربي: الرشوة كل مال دفع يبتاع به من ذي جاه عونًا على ما لا يحل والمرتشي قابضه، والراشي معطيه، والرائش الواسطة[2]..

وقال الصنعاني في «سبل السلام»: والراشي هو الذي يبذل المال ليتوصل به إلى الباطل مأخوذ من الرشا، وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء في البئر[3]..

وقال أيضًا في موضع آخر: وفي النهاية لابن الأثير قال: الراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي: الآخذ، والرائش: هو الذي يمشي بينهما، وهو السفير بين الدافع والآخذ على سفارته أجرًا، فإن أخذ فهو أبلغ - أي بالإثم والحرمة[4]..

وقال الشيخ الدكتور القرضاوي في كتابه الحلال والحرام: ومن أكل أموال الناس بالباطل أخذ الرشوة، وهي ما يدفع من مال إلى ذي سلطان، أو وظيفة عامة، ليحكم له أو على خصمه بما يريد هو، أو ينجز له عملاً، أو يؤخر لغريمه عملاً، وهلم جرًّا[5]..

فالرشوة أكل مال المسلم بالباطل، وقد نهانا الله ﷻ عن ذلك في كتابه، فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨] وقال تعالى في ذم اليهود: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] ولا شك أن الرشوة من السحت، كما فسر ابن مسعود رضي الله عنه الآية بذلك..

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ٢٢١).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) «سبل السلام» (٢/ ٤٣) للصنعاني.

(٤) المرجع السابق (٤/ ١٢٤).

(٥) «الحلال والحرام» د/ القرضاوي (ص٢٤).

والأصل في المسلم أنه معصوم الدم، والمال، والعرض، قال ﷺ: « **كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه** »[1] فلا يجوز الاعتداء عليه بحال من الأحوال وقال ﷺ يوم النحر، في خطبة الوداع: « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟** »، قالوا: نعم.. قال: « **اللهمَّ فاشهد** »[2]..

فينبغي على المسلم أن يعرض كل ما يكسبه من مال على شرع الله ﷻ، فما أحله الله فليأكله هنيئًا مريئًا، وما حرمه الله ﷻ، فلا يقدم عليه، وليبتعد عنه، لأن الجسد الذي ينبت على السحت، فالنار أولى به.. فأيكم يحب أن تكون النار مصيره وجهنم مأواه، والله طيب لا يقبل إلا الطيب.. والرشوة مال خبيث، وكسب بأكل أموال الناس بالباطل، وإعانة على الظلم والعدوان، وقد توعد رسول الله ﷺ أكلة الرشوة، والمتعاملين بها، بالطرد والإبعاد من رحمة الرحمن الرحيم جل في علاه.. قال ﷺ: « **لعن الله الراشي والمرتشي، والرائش، يعنى الذي يمشي بينهما** »[3]. مثل ما فعل بالذين يتعاملون بالربا، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهده وقال: « **هم سواء** »[4] فالحديث الشريف شمل الجميع بالإثم، لماذا لأن عملية الربا قامت على أربعة أركان، لا تتم إلا بها، فكل ركن ساعد على الظلم، وعلى الباطل، فدخل في غضب الله ﷻ ووعيده، وهذا يتعارض مع قول الرب جل في علاه: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** ﴾ [المائدة: ٢] وكذا الحال في الرشوة، فكل من أعان على ترويجها بين الأفراد، فهو على خطر عظيم، وداخل في الوعيد الشديد، فليحذر المؤمن من المروجين للباطل، والمزينين للحرام، وقد قال سيد الأنام عليه الصلاة والسلام: « **الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ...** »[5]..

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة وغيرهم.

(٣) صحيح: رواه أحمد والبيهقي في « الشعب »، وصححه الألباني في « مشكاة المصابيح » (٣٧٥٥).

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

أحبتي الكرام..

ولا شك أن الرشوة قتل لروح التعاون بين المسلمين، وهدر لكرامة المؤمنين، ومن عود نفسه على أخذ الرشوة وأكلها، فقد سن في الإسلام سنة سيئة عليه إثمها، وإثم من استن به، وقلده بهذا الجرم، قال ﷺ: « **من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء** »[1]..

جاء في « كتاب الحلال والحرام » للقرضاوي: ولا غرابة في تحريم الإسلام للرشوة، وتشديده على كل من اشترك فيها، فإن شيوعها في مجتمع، شيوع الفساد والظلم، فمن حكم بغير الحق، أو امتنع عنا لحكم بالحق، وتقديم من يستحق التأخير، وتأخير من يستحق التقديم، وشيوع روح النفعية في المجتمع لا روح الواجب[2]..

ولقد اقتحمت الرشوة الكثير من الجوانب في المجتمعات المختلفة، حتى لم يكد يسلم منها مجال من المجالات، ولا سيما فيما يسمى بدول العالم الثالث، فهناك رشوة في الحكم.. فيرتشي القاضي، فيقضي لمن لا يستحق، أو يمنع من يستحق، أو يقدم من ليس من حقه أن يتقدم، ويؤخر الجديرين بالتقدير والتقديم، أو يحابي في حكمه لقرابة أو جاه، أو رشوة أكلها سحتًا.. وتكون في تنفيذ الحكم أيضًا..

وتكون في الوظائف، حيث يقوم الشخص بدفع الرشوة للمسئول عن الوظيفة، فيقوم بتعيينه، رغم أن غيره أحق بهذا العمل، أو بهذه الوظيفة.. هذا بالإضافة إلى أنه آكل للسحت والحرام.. فإنه كذلك خائن للأمانة كما ذكرنا آنفًا حيث ينبغي أن يوظف الأصلح والأكفأ، قال تعالى حكاية عن ابنة شعيب: ﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ** ﴾ [القصص: ٢٦]..

ومن أعظم أضرار الرشوة، إسناد الأمر إلى غير أهله، وهو من علامات الساعة الصغرى وقد استشرى هذا الداء الوبيل على مستوى البشرية، على مستوى العالم بصفة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) « الحلال والحرام » (ص٣٢).

عامة، وعلى مستوى الأمة بصفة خاصة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

فقد جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ والرسول يحدث القوم، فسأله: متى الساعة؟ متى تقوم الساعة؟ متى تقوم القيامة يا رسول الله؟

فمضى رسول الله ﷺ يحدث القوم، فقال بعض الصحابة: سمع ما قال، فكرهه، وقال البعض: إنه لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: « **أين السائل عن الساعة؟** »، قال: أنا يا رسول الله، قال: « **إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة** » فقال الأعرابي الفقيه: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ فذكر النبي ﷺ له صورة من ضياع الأمانة، فقال: « **إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » وفي لفظ: « **إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** »[1]..

ألم يوسد الأمر لغير أهله؟ بلى - ورب الكعبة - لقد أسند الأمر لغير أهله في جميع مجالات الحياة بلا استثناء تقريبًا - إلا من رحم رب الأرض والسماء..

وهذا بسبب الخيانة.. بسبب ضياع الأمانة.. بسبب الرشوة.. بسبب أخذ أموال الناس بالباطل..

إن الأمة الخائنة التي تقبل الرشاوى، هي التي تقدم من ليس أهلاً لأن يتقدم وتؤخر الأكفاء.. هي التي تؤخر من يصلح للزمان والمكان..

إن سر عظمة المصطفى ﷺ في أن يخرج للدنيا جيلاً لم ولن تعرف البشرية له مثيلاً، لأنه ﷺ وضع كل صحابي في المكان الذي يتناسب مع قدرته وإمكاناته.. لم يرتشِ.. ولم يخن.. وعاش طوال عمره زاهدًا في الدنيا.. يشبع يومًا، فيشكر، ويجوع يومًا، فيصبر..

وَضع مصعبَ بن عمير وجعله سفيرًا إلى المدينة المنورة..

وأرسل معاذ بن جبل إلى اليمن..

وأبا عبيدة بن الجراح إلى أهل نجران..

وأبا موسى الأشعري إلى اليمن..

---

(١) رواه البخاري في كتاب « الرقاق » باب رفع الأمانة (٦٤٩٦).

وخالد بن الوليد في فنون الحرب والقتال.. وجعله سيف الله المسلول..

كل رجل في تخصصه.. في مجاله.. الرجل المناسب في المكان المناسب..

وفي «الصحيحين» عن حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، والإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده، ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته**»[1]..

فإذا دفعت الرشوة إلى المسئولين عن وظيفة معينة، للحصول عليها، وهذا الشخص لا تتوافر فيه مقوماتها، فهو ليس أهلا هذه الوظيفة، مما يترتب عليه قصور في العمل، والإنتاج، وإهدار للموارد..

وفي الرشوة إهدار الأموال، وتعريض الأنفس للخطر، فلو تخيلت أن الرشوة قد سادت في المجتمع، حتى وصلت إلى قطاع الصحة، وإنتاج الدواء، فكيف ستكون أحوال الناس الصحية، حين يستعملون أدوية رديئة، أجيز استعمالها عن طريق الرشوة؟

ماذا ستكون الحالة الصحية لمريض يتناول علاجًا قد انتهت مدة صلاحيته، لكن وصل إلى يده واستعمله كأنه صالح عن طريق الرشوة؟

تخيل أنك تسير على أحد الكباري بسيارتك التي بها عيب من العيوب الجسيمة التي تجعل هذا المواطن بسيارته وغيره وغيره.. تجعل منها خطرًا على أرواح الناس وممتلكاتهم، وقد حصل المقاول على شهادات إتمام العمل والبناء عن طريق الرشوة، كم سيترتب على انهيار هذا الكوبري من خسائر في الأرواح والأموال؟

وقس على ذلك في جميع المجالات، لهذا كانت الرشوة إهدارًا للأموال، وتعريض الأنفس للخطر..

لكن ما حكم هدايا العمال والحكام وعامة الناس؟

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن أخذ الحاكم للهدية، هو نوع من الرشوة، ويقصد بالحاكم - رئيس إدارة العمل - أو المسئول عنه - وذلك لما رواه الشيخان عن أبي حميد

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الساعدي، قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد، يقال ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم - أي رجع إلى رسول الله - قال: هذا لكم، وهذا أهدى إليّ، قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: « **ما بال عامل أبعثه، فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي إليّ، أفلا قعد في بيت أبيه - أو في بيت أمه - حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟! والذي نفس محمَّد بيده، لا ينال أحد منكم شيئًا، إلا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر** » ثم رفع يداه، حتى رأينا عفرتى إبطيه، ثم قال: « **اللهمَّ هل بلغت؟** »[1] مرتين..

قال النووي - رحمه الله -: في الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول، لأنه كان في ولايته وأمانته، وقد بين ﷺ في نفس الحديث السبب في تحريم الهدية، وأنها بسبب الولاية، بخلاف الهدية لغير العامل، فإنها مستحبة، وأما ما يقبضه العامل ونحوه باسم الهدية، فإنه يرده إلى مهديه، فإن تعذر، فإلى بيت المال[2]..

وجاء في « فتح الباري » عند شرحه لحديث ابن اللتبية، قال: وفي الحديث من الفوائد[3]:

١- إن الإمام يخطب في الأمور المهمة، واستعمال أما بعد في الخطبة..

٢- منع العمال من قبول الهدية، ممن له عليهم حكم، لحديث معاذ بن جبل، لما بعثه رسول الله ﷺ إلى بلاد اليمن، قال له: « **لا تصيبن شيئًا بغير إذني فإنه غلول** » ويقصد بالعمال: كل من ولاه السلطان عملاً من الأعمال كالقضاة وموظفي الدولة على مختلف أعمالهم، فالنهي يشملهم..

٣- مشروعية محاسبة المؤتمن... ثم قال:

٤- قال ابن بطال: يلحق بهدية العامل (من له دين ممن عليه الدين) فلا تجوز هدية المدين للدائن، لأنه من باب: « **كل قرض جر نفعًا، فهو ربًا** »..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) « صحيح مسلم بشرح النووي » (٦/ ٣٠٤) رقم (٣٤١٣).

(٣) « فتح الباري » (٢٠/ ٢٦٦) لابن حجر.

وقال ابن حجر: وله أن يحسب ذلك من دينه - أي يسقط قيمة الهدية التي أهداها له المدين من الدين، الذي في ذمته..

٥- وفيه إبطال كل طريق يتوصل بها من يأخذ المال إلى محاباة المأخوذ منه، والانفراد بالمأخوذ..

٦- وفيه: أن من رأى متأوِّلاً أخطأ في تأويل يضر من أخذ به، أن يشهر القول للناس، ويبين خطأه، ليحذر من الاغترار به..

٧- وفيه جواز توبيخ المخطئ، واستعمال المفضول في الإمارة والإمامة والأمانة مع وجود من هو أفضل منه[1]..

وعن حذيفة بن اليمان مرفوعًا: « **هدايا العمال حرام** » ضعيف وعن أبي حميد عن النبي ﷺ قال: « **هدايا العمال غلول** »[2]..

ولهذا كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - يتورعون عن قبول الهدايا - خوفًا من الشبهة خصوصًا إذا تقلد أحدهم عملاً من أعمال المسلمين، ولهذا بوب البخاري في صحيحه بابًا، وقال: [باب من لم يقبل الهدية لعلة] ثم ساق أثر عمر بن عبد العزيز قوله: كانت الهدية في زمن رسول الله ﷺ هدية، واليوم رشوة..

وقال ابن حجر في هذا الباب: قال فرات بن مسلم: اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح، فلم يجد في بيته شيئًا يشتري به، فركبنا معه، فتلقاه غلمان بأطباق تفاح، فتناول واحدة، فشمها، ثم رد الأطباق، فقلت له في ذلك..

فقال: لا حاجة لي فيه. فقلت: ألم يكن رسول الله وأبو بكر وعمر يقبلون الهدية: فقال: أي: عمر بن عبد العزيز: إنها لأولئك هدية، وهي للعمال بعدهم رشوة[3]..

أحبتي في الله..

لكن.. ما حكم المضطر إلى دفع الرشوة؟ وماذا يفعل صاحب الحق فشت فيه

---

(١) « فتح الباري » (٢٠/ ٢٠٦) لابن حجر رقم (٦٦٣٩)، وابن بطال (٦/ ١٠٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد والبيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٠٢١).

(٣) « فتح الباري » (٨/ ٨٢) لابن حجر.

الرشوة، وفسد فيه جهاز الحكم، بحيث لا يستطيع صاحب الحق أن يصل إلى حقه إلا برشوة يدفعها لذي السلطان؟

لقد قرر بعض العلماء في مثل هذه الحالة أن الإثم يقع على الآخذ، ويبرأ المعطي من الإثم، إن كان عطاؤه بغرض التوصل إلى حقه، أو دفع مظلمة عنه قد تقع على نفسه أو على دينه، أو ماله..

قال ابن تيمية - رحمه الله -: ولهذا قال العلماء بجواز رشوة العامل لدفع الظلم، لا لمنع حق، وإرشاؤه حرام فيهما، وكذلك الأسير والعبد المعتق، إذا أنكر سيده عتقه له أن يفدي نفسه بمال يبذله، يجوز له بذله، وإن لم يجز للمستولي عليه بغير حق أخذه..

وكذلك المرأة المطلقة ثلاثًا إذا جحد الزوج طلاقها، فافتدت بطريق الخلع في الظاهر، كان حرامًا عليه ما بذلته، ويخلصها من رق استيلائه، مستدلاً بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال رسول الله ﷺ: « **إني لأعطي أحدهم العطية، فيخرج بها يتلظاها نارًا** » قالوا: يا رسول الله، فلم تعطهم؟ قال: « **يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل** »[1] ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن ذلك ما وقي به المرء عرضه، فهو صدقة..

وقال: الرشوة تسمى البرطيل، والبرطيل في اللغة هو الحجر المستطيل فاه، فأما إذا أهدى إليه هدية، ليكف ظلمه عنه، أو ليعطيه حقه الواجب: كانت هذه الهدية حرامًا على الآخذ، وجاز للدافع أن يدفعها إليه، للحديث المتقدم.. فإعطاء هؤلاء جائز للمعطي، حرام عليهم أخذه[2]..

أخي الحبيب..

وإذا كان العلماء قد أفتوا بجواز الدفع عند الاضطرار مع إثم الآخذ، أفلا يدل هذا على أن الرشوة نوع من السرقة؟ بل قد تكون أقبح، لأنها تفسد الضمائر وتهضم الحقوق من أجل مصلحة الراشي، ويكون أصحاب الرشوة خونة.. فلماذا الخيانة؟ ألأجل أن

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده رقم (١٢٩٦) (جـ٣/ ٣٤٠).

(٢) « مجموع الفتاوى » لابن تيمية (٨/ ٨٧)، و« الفتاوى الكبرى » (٦/ ٥١).

يكون عبدًا للدينار والدرهم والمناصب، والنبي ﷺ يقول: « **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة** »[1] أي هلك من كانت عبوديته لغير الله سبحانه وتعالى..

فهذا المرتكب لكبيرة الرشوة قليل الحياء مع الله ﷻ، مطرود من رحمته وعفوه والنبي ﷺ يقول: « **إذا لم تستح من الله، فاصنع ما شئت** »[2]..

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يصلح أحوالنا وأحوال أمة الإسلام..

اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا.. واجعل الموت راحة لنا من كل شر.. ورضنا وارض عنا..

اللهمَّ تول أمرنا، وأحسن عاقبتنا، ووفقنا إلى ما تحبه وترضاه..

اللهمَّ يا مالك الملك، ويا من بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله.. اغفر ذنوبنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين..

اللهمَّ انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداءك أعداء الدين يا رب العالمين..



---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح: رواه البخاري وأحمد وأبو داود والبيهقي.

الوصية رقم (٦١)

التحذير من أكل الحرام

عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني ما يحل لي، ويحرم عليَّ.. قال: « **البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم، ما لم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون** »(١)..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

الطيب من الرزق هو الحلال الذي أحله الله ﷻ، وهو ما كان مستطابًا في نفسه غير ضار للأبدان أو العقول، وغير مكتسب بمعاملة محرمة، أو على وجه محرم.. والحرام ضده، وعلى خلاف ذلك..

والأكل من الحلال من أسباب صلاح القلب، وزيادة الإيمان والنشاط في الأعمال الصالحة، والرغبة في الإحسان، وهو مما تحفظ به النعم الموجودة وتزاد، وتستجلب به النعم المفقودة..

ومن لطف الكريم الوهاب أن يسر الحلال وأرشد إليه، ورغب فيه، وجعل طلبه من صالح الأعمال، ويسر الأمر له في الحال والمآل..

أما الحرام فنهاهم عنه، وزجرهم عن الأخذ بما يأتي به من الوسائل والأسباب وتوعدهم على أكله وطلبه شديد العقاب، وأليم العذاب، وكفى بذلك موعظة لأولي الألباب، ولهذا قال الله ﷻ في كتابه: ﴿ **كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ** ﴾ [طه: ٨١]..

وفي وصيتنا هذه أن أبا ثعلبة الخشني ﷺ جاء إلى الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ ليستفتيه في مسألة جامعة مانعة مسألة الحلال والحرام.. فسأله قائلاً: يا رسول الله، أخبرني وأعلمني ما الذي يحل لي، وما الذي يحرم عليَّ..

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٧٣٥).

فأجابه الرسول ﷺ إجابة موجزة، لكنها في الإجابة الشافية الكافية.. قائلاً له: « **البر** - أي الحلال - **ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب.. والإثم** - أي الحرام - **وهو ضد ذلك** »..

أيها الموحدون..

إن الله ﷻ لما خلق الإنسان، جعل فيه ميلاً إلى حب المال وتملكه، والاستكثار منه، فقال عنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨]..

وقال: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ٢٠] وقد جعل الله المال والبنين زينة الحياة الدنيا.. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤]..

ولما كان الإنسان بطبيعته يميل إلى المنافسة، والاستكثار من المال، فيدفع بكل طريق، ليحقق رغبته، فربما يميل وينزلق في مهاوي المادية، التي قد تطغى الإنسان، ولذلك فهو يحتاج إلى مجموعة من الضوابط، التي تحدد جموحه المادي، وتمنعه من التردي في كل ما يبعده عن الفضيلة، والخير..

ولذلك سلك الإسلام طريقًا مزدوجًا لتحقيق هذه الغاية، بتربية نفس الإنسان على الخضوع لأوامر الله، ومراقبته في أعماله كلها، فأمره بتناول الحلال الطيب في مطعمه ومشربه وملبسه.. قال ﷺ : « **إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا** »، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ... ﴾ [المؤمنون: ٥١] ثم ذكر: « **الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له** »[1]..

وطلب الحلال واجب على كل مسلم، وإن صار عصيًّا على العقول فهمًا، وثقيلًا على الجوارح فعلاً، وذلك بسبب قلة الفقه في الدين، والتعلق بالمادة، واختلال

(١) رواه مسلم وغيره.

الموازين.. لأن المجتمعات الآن تقدر الرجل من خلال ما يملك ما يملك من المال، أو ما يلبس من الثياب، أو ما يركب.. والأمر ليس كذلك، وإنما كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: « **المرء بأصغريه: قلبه ولسانه** » ورب أشعث أغبر، لو أقسم على الله لأبره..

ومن تركنا على المحجة البيضاء يقول ﷺ : « **الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه** »(١)..

فمن يحرص على دينه، إذا التبس عليه أمر بين حل وحرمة أن يسأل إذا لم يعلم.. كما كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - يسألون.. فهذا وابصة بن معبد ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئًا من البر والإثم - أي الحلال والحرام - إلا سألت عنه، فقال لي: « **ادن يا وابصة** »..

يقول: فدنوت منه، حتى مست ركبتي ركبته، فقال لي: يا وابصة، أخبرك عما جئت تسأل عنه..

قلت: يا رسول الله، أخبرني.. قال: جئت تسأل عن البر والإثم؟

قلت: نعم.. فجمع أصابعه الثلاث، فجعل ينكت بها في صدري، ويقول: « **يا وابصة، استفت قلبك.. البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب.. والإثم ما حاك في القلب، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك** »(٢) ومن قبله سأل أبو ثعلبة الخشني هذا السؤال، والجواب قريب منه، وهذا أبو أمامة ﷺ يذكر أن رجلاً من الصحابة سأل رسول الله ﷺ عن نفس السؤال: ما الإثم يا رسول الله؟

قال: « **إذا حاك في نفسك شيء، فدعه** »..

قال: فما الإيمان؟ قال: « **إذا ساءتك سيئتك، وسرتك حسنتك، فأنت مؤمن** »(٣)..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (١٧٣٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٠٠).

وبكسب الحلال شرف لصاحبه وعز، حتى قال الخليفة المحدث عمر بن الخطاب ﷺ: ما من موضع يأتيني الموت فيه، أحب إليّ من موطن أتسوق فيه لأهلي، أبيع وأشتري..

ومن مأثور حكم لقمان الحكيم: يا بنى، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته..

إن طلب الحلال وتحريه، أمر لازم، وحتم لازم، فلن تزولا قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟

فحق على كل مسلم أن يتحرى الطيب من الكسب، والنزيه من العمل، ليأكل حلالاً، وينفق في حلال..

انظروا رحمكم الله سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين ﷺ يروى عنه خادمه أنس بن مالك ﷺ فيقول: وجد رسول الله تمرة في الطريق، فقال: « **لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة، لأكلتها** »[1] وكان رسول الله ﷺ لا يأكل الصدقة، وكانت محرمة عليه..وهذا صاحبه وخليفته أبو بكر الصديق ﷺ كما تروي عنه ابنته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تقول: كان لأبي بكر الصديق ﷺ غلامٌ يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر ﷺ..

فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ قال أبو بكر: وما هو؟

فقال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني، فأعطاني هذا الذي أكلت منه..

فماذا فعل؟ لقد أدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه[2]..

وفي إحدى الروايات: « **لو لم تخرج إلا مع نفسي، لأخرجتها، اللهمَّ إني أعتذر إليك مما حملت العروق، وخالط الأمعاء** »..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) **صحيح موقوف**: رواه البخاري.

وهذا هو الخليفة الراشد، فاروق الإسلام عمر بن الخطاب ﷺ شرب لبنًا، فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ قال: مررت بإبل الصدقة، وهي على ماء، فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده في فيه، فاستقاء..

وكانت المرأة قبل أن يخرج زوجها إلى العمل في الصباح، تقول له: اتق الله، ولا تكسب حراما، فإنا نصبر على جوع الدنيا، ولا نصبر على نار جهنم. وهذا إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - كان أجيرًا في بستان، يقول صاحب البستان: فكنت ابتذله فيما يبتذل الأجير، فزارني إخوان لي في بستاني، فقلت لإبراهيم: ائتنا برمان حلو، فجاء برمان لم نحمده، فقلت له: أنت في هذا البستان منذ سنة، ولا تعرف موضع الجيد الحلو، من الحامض؟ قال: فأي موضع هو في البستان؟ فوصفته له، فتعجبت من أمره، وإذا برجل قد أقبل يسأل عن إبراهيم بن أدهم، فأخبر أن مكانه عندي، فلما نزل إليه، رأيته يقبل يديه، ويعظمه، فقال له إبراهيم: ما جاء بك؟ فقال: مات بعض مواليك، فجئتك بميراثه، ثلاثين ألف درهم..

فقال إبراهيم: ما لكم واتباعي..

فقال الرجل: قد تعنيت - أي تعبت في حضوري إليك - من بلخ، فاقبلها مني، فقال للرجل: ابسط إزارك، وصب عليه ما معك.. ففعل..

فقال إبراهيم: اقسمه ثلاثة أقسام، فقال: ثلث لك لعنائك من بلخ إلى هنا، وثلث اقسمه على المساكين ببلخ، وثلث اقسمه في مساكين عسقلان[١]..

رحم الله إبراهيم بن أدهم.. على زهده وورعه، وكسبه الحلال بنظارة البساتين..

ورحم الله ميمون بن مهران، حين قال: لا يكون الرجل من المتقين، حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، حتى يعلم من أين مطعمه؟ ومن أين ملبسه؟ ومن أين مشربه؟ أمن حلال ذلك، أم من حرام[٢]؟

وقال: لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا[٣]..

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ١٠٤) لابن الجوزي.

(٢) «الحلية» لأبي نعيم (٤/ ٨٧).

(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٨٤) لأبي نعيم.

وقال أبو عبد الله الساجي - رحمه الله -: خمس خصام ينبغي للمؤمن أن يعرفها: إحداهن معرفة الله تعالى، والثاني: معرفة الحق، والثالث: إخلاص العمل لله، والرابع: العمل بالسنة، والخامسة: أكل الحلال.. فإنه إن عرف الله، ولم يعرف الحق، لم ينتفع بالمعرفة.. وإن عرف ولم يخلص العمل لله، لم ينتفع بمعرفة الله، وإن عرف ولم يكن على السنة لم ينفعه، وإن عرف، ولم يكن المأكل من حلال، لم ينتفع بالخمس.. فإذا كان مأكله من حلال، صفا قلبه، فأبصر به أمر الدنيا والآخرة، وإن كان من شبهة، اشتبهت عليه الأمور بقدر المأكل، وإن كان من حرام، أظلم عليه أمر الدنيا والآخرة[1]..

أيها الموحدون الكرام..

إن أردتم السعادة الأبدية، فعليكم أن تتركوا ما حرم الله ﷻ..

إن أردتم النجاة من النيران.. فعليكم بالحلال المباح.. لأنكم ستحاسبون عن النقير والقطمير.. وعن الصغير والكبير.. وعن القليل والكثير..

ورحم الله من قال:

المال ينفذ حله وحرامه	**يومًا وتبقى في غد آثامه**
ليس التقي بمتق لإلهه	**حتى يطيب شرابه وطعامه**
ويطيب ما يحوي وتكسب كفه	**ويكون في حسن الحديث كلامه**
نطق النبي لنا به عن ربه	**فعلى النبي صلاته وسلامه**

إن أردت أن تكون مجاب الدعوة، فأطب مطعمك، وليكن من حلال طيب..

يقول يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله -: الطاعة خزانة من خزائن الله، إلا أن مفتاحها الدعاء، وأسنانه: لقم الحلال..

واسمعوا قول سهل التستري - رحمه الله - قال: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان، حتى يكون فيه أربع خصال: إذا جمل الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتنب النهي من الظاهر والباطن، وبقي على ذلك حتى الموت..

وخذوا ممن نور الله قلوبهم.. قال سهل: من أكل الحرام، عصت جوارحه، شاء أم أبى، علم أم لم يعلم..

وقال ابن شبرمة - رحمه الله -: العجب ممن يحتمي من الحلال مخافة المرض، ولا يحتمي من الحرام، مخافة النار..

وفي الخبر المكتوب في التوراة: من لم يبال من أين مطعمه؟ لم يبال الله في أي أبواب النار أدخله..

وقال سفيان الثوري - رحمه الله -: من أنفق الحرام في الطاعة، كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال[١]..

وقد قال سيد الموحدين، ورسول رب العالمين ﷺ: «**من جمع مالاً حرامًا، ثم تصدق به، لم يكن له فيه أجر، وكان إصره عليه**»[٢]..

وقال: «**لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام**»[٣]..

وقال عبد الله بن المبارك - رحمه الله -: لأن أرد درهمًا من شبهة، أحب إليّ من أن أتصدق بمائة ألف، ومائة ألف.. حتى بلغ ستمائة ألف[٤]..

وقال يوسف بن أسباط - رحمه الله -: إن الشاب إذا تعبد، قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء، قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه[٥]..

أحبتي الكرام..

إن أكل الحرام يُعمي البصيرة، ويوهن الدين، ويقسي القلب، ويظلم الفكر ويقعد الجوارح عن الطاعات، ويوقع في حبائل الدنيا، وغوائلها، ويحجب الدعاء ولا يتقبل الله إلا من المتقين..

(١) «الكبائر» للذهبي (ص١٣١).
(٢) حسن: رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧١٩).
(٣) حسن: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني، وقال الألباني: صحيح لغيره في «الترغيب» رقم (١٧٣٠).
(٤) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤) لابن الجوزي.
(٥) «شعب الإيمان الكبرى» (٥/ ٥٧٧٤) للإمام البيهقي.

إن للمكاسب المحرمة آثارًا سيئة على الفرد والجماعة، تنزع البركات، وتفشو العاهات.. وتحل الكوارث: أزمات مالية مستحكمة، وبطالة متفشية، وتظالم وشحناء..

ويل للذين يتغذون بالحرام، ويربون أولادهم وأهليهم على الحرام.. إنهم كشاربو ماء البحر، كلما ازدادوا شربًا، ازدادوا عطشًا..

إنهم كشاربو شرب الهيم، لا يقنعون بقليل، ولا يغنيهم كثير، يستمرئون الحرام، ويربون أولادهم وأهليهم على الحرام.. ويسلكون المسالك المعوجة، والطرق المظلمة.. حياتهم ربًا وقمار، وغصب وسرقة، وتطفيف في الميزان، وأكل أموال الناس بالباطل.. أكل مال اليتيم..

كان سيدنا أبو الدرداء ﷺ يقول: لا تأكل إلا طيبًا، ولا تكسب إلا طيبًا، ولا تدخل بيتك إلا طيبًا، وسل الله أن يرزقك يومًا بيوم، وإذا أسأت، فاستغفر..

وسيدنا عليّ بن أبي طالب ﷺ يقول: الدنيا حلالها حساب: وحرامها عقاب، وشبهتها عتاب..

كان بين الإمام أحمد ويحيى بن معين - رحمهما الله - صحبة طويلة، فهجره أحمد إذ سمعه يقول: إني لا أسأل أحدًا شيئًا، ولو أعطاني الشيطان شيئًا لأكلته، حتى اعتذر يحيى، وقال: كنت أمزح..

فقال له أحمد: تمزح بالدين، أما علمت أن الأكل من الدين، قدمه الله ﷻ على العمل الصالح، فقال: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ...﴾ [المؤمنون: ٥١]..

أيها الموحدون..

أيها العمال والموظفون.. أيها التجار والصناع.. أيها السماسرة والمقاولون أيها المسلمون والمسلمات.. حق عليكم تحري الحلال الطيب، والبعد عن الحرام الخبيث.. واجتنبوا الشبهات.. واحفظوا حقوق الناس، وأنجزوا أعمالهم.. وأوفوا بعهودهم وعقودهم، واجتنبوا الغش والتدليس والمماطلة والتأخير..

اتقوا الله جميعًا، فالحلال هنيء مريء، ينير القلوب، وتنشط به الجوارح وتصلح به الأحوال، وتصح به الأجسام، ويستجاب معه الدعاء..

اللهمَّ بارك لنا في أرزاقنا..

اللهمَّ قرب إلينا الحلال وبارك لنا فيه، وباعد بيننا وبين الحرام يا رب العالمين..

اللهمَّ وسع أرزاقنا، واشرح صدورنا، وسدد بالأعمال الصالحة أعمالنا، وثبت قلوبنا..

اللهمَّ بشرنا بمغفرة وأجر كريم، وقربنا إليك قرب العارفين ونزهنا عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واجعلنا من عتقائك من النار ومن المقبولين، واغفر لنا ذنوبنا بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا مجيب السائلين، يا رحمن يا رحيم..



الوصية رقم (٦٢)

إياك أن تهجر أخاك المسلم

عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام** »[(١)]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها المسلمون عباد الله..

إن الله تعالى ورسوله ﷺ قد أمرا المسلمين بالتآخي والتحابب والتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن صفو ما يعكر صفو هذه الأخوة ومن ذلك نهي المسلم عن هجران أخيه، لا سيما إذا كانت علة الهجر، وسببه الأصلي هو الدنيا ومتاعها..

لقد أصبحنا في زمن الغربة، يمضي الإنسان يبحث عن حبيب، يبحث عن نصيب يبحث عن معين.. وهو في الأصل يكتفي بربه ومولاه أنيسًا ومعينًا ونصيرًا، ولكن مع كثرة الأعداء، وكثرة الشهوات، وقلة الأتباع والأنصار يجد المرء يناجي ربه، ويشكو إليه ما صار إليه حال الأمة الآن: اللهمَّ إنا نشكو إليك ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس.. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربنا.. إلى من تكلنا؟ إلى قريب يتجهمنا، أو إلى عدو ملكته أمرنا.. إن لم يكن بك غضب علينا، فلا نبالي.. ولكن عافيتك هي أوسع لنا، نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل علينا غضبك.. أو يحل علينا سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك..

نحن في زمن اتخذ فيه الناس أهواءهم آلهة من دون الله.. زمن أقبل الناس فيه على المنافع الدنيوية.. زمن الفرقة والشتات.. زمن قانونه: هات هات. ورسولنا ﷺ ومعلمنا الأعظم، ومخرجنا من الظلمات إلى النور يريد للمجتمع المسلم أن يكون مجتمعًا متآلفًا، تشيع فيه روح المحبة والوئام، فحث على كل ما فيه تقوية لروح الإخاء بين أبناء

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

هذا المجتمع، ونهاهم عن كل ما ينتقص أو يؤثر سلبًا على هذه الروح، ومن جملة الأخلاق السيئة التي تسلب روح الإخاء والتآلف.. وتنزع المحبة من القلوب.. الهجر بين المسلمين.. والهجر بين الإخوان يسبب تفكك اجتماعي.. وهو لا يحل فوق ثلاث كما بين حديث النبي ﷺ الذي ذكرناه.. وأحاديث أخرى فما هو الهجر؟

الهجر ضد الوصل، وهو القطيعة.. والتهاجر: التقاطع..

وهو مفارقة الإنسان غيره، إما باللسان أو البدن، أو بالقلب..

قال الكفوي: الهجر بالفتح: الترك والقطيعة، والهُجر بالضم: الفحش في المنطق.. قال ﷺ: « **لا تهجروا ولا تدابروا، ولا تحسسوا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا** »[1]..

فما الفرق في الحديث بين التهاجر والتدابر؟ التهاجر أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيام لغير غرض شرعي..

وأما التدابر فهو الإعراض عن المسلم بأن يلقي أخاه، فيعرض عنه بوجهه..

قال العلماء: إن الهجر أنواع متعددة، ويختلف باختلاف المهجور، ومنها:

١ - هجر القرآن: قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا** ﴾ [الفرقان: ٣٠] ومعناه: نسيانه بعد حفظ، أو الإعراض عنه، واللغو فيه أو ترك تلاوته.. أو يهمل العمل به..

٢- هجر الرجل زوجته أو نساءه، قال تعالى: ﴿ **وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ** ﴾ [النساء: ٣٤]..

٣- هجر الأقارب، وهو نوع من قطيعة الرحم..

٤- هجر أهل البدع والأهواء..

٥- هجر المسلمين بعضهم بعضًا، ويسمى بالتهاجر.. وهو ما نهى عنه رسول الله ﷺ في أحاديث متعددة..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا تحل الهجرة فوق ثلاثة أيام، فإن التقيا، فسلم أحدهما، فرد الآخر، اشتركا في الأجر وإن لم يرد برئ هذا من الإثم، وباء به الآخر** » وأحسبه قال: « **وإن ماتا متهاجران لا يجتمعان في الجنة** »[١]..

قوله: (فوق ثلاث) ظاهره إباحة ذلك في الثلاث، وهو من الرفق، لأن الآدمي في طبعه الغضب، وسوء الخلق، ونحو ذلك، والغالب أنه يزول أو يقل في الثلاث..

فالشريعة كلها حكمة وكلها مصلحة، لأن النفوس بطبعها يعرض لها ما يعرض فالرسول لم يأمر من غاضب أخاه أن يكلمه مباشرة..

فلو حصل مخاصمة بين اثنين في أي أمر من أمور الدنيا، اختلفا في شئ وتهاجرا فجاء إنسان فأجبرهما، ودعاهما إلى الصلح، وقال لهما: تصالحا، هذا حسن وشيء طيب، وهذا هو الواجب، لكن لو قال: نفسي لا تطاوعني الآن، نقول له لا بأس، لك رخصة، في اليوم الأول تذهب ثورة غضبه، وفي اليوم الثاني يفكر ويعود وينظر، وفي اليوم الثالث تهدأ نفسه.. فرخص له الشارع ثلاثة أيام.. ثم بعد ثلاثة أيام يجب عليه أن يكلم أخاه، ولا يجوز له أن يهجره، وهذا فيما إذا كان في أمر من أمور الدنيا..

والهجر عند الجمهور يزول بالسلام، فإن كان شخص بينه وبين الآخر مودة قبل ذلك وصلة وبر فلا يزول الهجر بينهما إلا بأن يعودا إلى ما كانا عليه قبل ذلك..

أحبتي في الله..

ومن عظم حرمة التهاجر عند الله ﷻ، أن الله ﷻ ينظر المتهاجرين فلا يغفر لهما حتى يصطلحا.. لما رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا** »[٢]..

---

(١) صحيح لغيره: رواه الطبراني في « الأوسط » والحاكم وقال: صحيح الإسناد (٤/ ١٦٣)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٧٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٥).

ووعد وبين أن من مات هاجرًا لأخيه، دخل النار - والعياذ بالله - قال ﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث، فمات، دخل النار** »(١)..

وعن هشام بن عامر ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليال، فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وأولهما فيئًا يكون سبقه بالفيء** - أي بالصلح والرجوع عن الهجر - **كفارة له، وإن سلم فلم يقبل، ورد عليه سلامه، ردت عليه الملائكة، ورد على الآخر الشيطان، فإن ماتا على صرامهما، لم يدخلا الجنة جميعًا أبدًا** »(٢)..

وجعل الرسول ﷺ هجره سنة كإثم سفك دمه، ففي سنن أبي داود من حديث أبي خراش السلمي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه** »(٣) أي كإراقة دمه في استحقاق مزيد الإثم لا في قدره..

وقد عد ابن تيمية وابن حجر الهيتمي هجر المسلم أخاه فوق ثلاث من الكبائر، لما فيه من التقاطع والإيذاء والفساد، وثبوت الوعيد عليه في الآخرة، لحديث فضالة بن عبيد أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار، إلا أن يتداركه الله بكرامته** »(٤)..

قال ابن علان - رحمه الله - في شرحه لحديث: « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجره فوق ثلاث فمات دخل النار** »(٥).

قال: فمن هجر فوق ثلاث فمات مصرًا على الهجر والقطيعة، دخل النار، إن شاء الله تعذيبه مع عصاة الموحدين، أو دخل النار خالدًا مؤبدًا إن استحل ذلك مع علمه بحرمته والإجماع عليها(٦)..

---

(١) صحيح: « صحيح سنن أبي داود » (٤٩١٤) للألباني، و« المشكاة » (٥٠٣٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد ورواته محتج بهم في « الصحيح » وأبو يعلى والطبراني وابن حبان، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٢٤٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والبيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٧٦٢)، و« الصحيحة » (٩٢٨)، و« صحيح الجامع » (٦٥٨١).

(٤) حسن: رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٧٦١).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) « دليل الفالحين » (٤/ ٤٤٥) لابن علان.

وهجر أصحاب المعاصي، ممن يفعل المنكرات والمحرمات أو يترك الواجبات كما هجر النبي ﷺ والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله تعالى توبتهم..

قال الإمام أحمد: إذا علم أنه مقيم على معصية وهو يعلم بذلك لم يأثم إن هو جفاه حتى يرجع وإلا كيف يتبين للرجل ما هو عليه إذا لم ير منكرًا ولا جفوة من صديق، وقد هجر - رحمه الله - من أجاب في المحنة إلى أن مات، فيهجر أهل المعاصي ومن قارف الأعمال الردية أو تعدى حديث رسول الله ﷺ على معنى الإقامة عليه أو الإصرار، وأما من سكر أو شرب أو فعل فعلاً من هذه الأشياء المحظورة ثم لم يكاشف بها ولم يلق فيها جلباب الحياء، فالكف عن أعراضهم وعن المسلمين والإمساك عن أعراضهم وعن المسلمين أسلم..

وهجر عمر ؓ والمسلمون صبيغًا، وهجر عبد الله بن مغفل ؓ قريبًا له وقال: لا أكلمك أبدًا، ورأى ابن مسعود ؓ رجلاً يضحك في جنازة فقال: أتضحك مع الجنازة لا أكلمك أبدًا، وكان لأنس بن مالك ؓ امرأة في خلقها سوء فكان يهجرها السنة والأشهر فتتعلق بثوبه فتقول: أنشدك بالله يا ابن مالك أنشدك بالله يا ابن مالك فما يكلمها، وقيل لأنس ؓ إن قومًا يكذبون بالشفاعة وقومًا يكذبون بعذاب القبر، قال: لا تجالسوهم، وعن حذيفة ؓ أنه قال لرجل في عضده خيطًا من الحمى لو مت وهذا عليك لم أصل عليك، وهذا كله في أصحاب المعاصي المجاهرين لقوله ﷺ: « **كل أمتي معافى إلا المجاهرين** » [البخاري (٥/ ٢٢٥٤)، (٥٧٢١)، مسلم (٤/ ٢٢٩١)، (٢٩٩٠) عن أبي هريرة]..

وهجر أهل البدع الداعين إلى بدعهم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ٦٨] وما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « **لا تجالسوا أهل القدر ولا تناكحوهم** » رواه أحمد وفيه ضعف، وقوله ﷺ: « **لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم** » [أبو داود (٤٦٩٢) (٢/ ٦٣٤): عن حذيفة]..

وقد أجمع السلف على هجر أهل البدع وكثر كلامهم فيهم:

قال محمَّد بن كعب القرظي: لا تجالسوا أصحاب القدر ولا تماروهم. وكان حماد ابن سلمة إذا جلس يقول: من كان قدريًا فليقم، وكذلك روي عن طاوس وأيوب وسليمان التيمي ويونس بن عبيد. وذكر الشيخ موفق الدين - رحمه الله - في المنع من النظر في كتب المبتدعة قال: كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع لكلامهم - إلى أن قال - وإذا كان أصحاب النبي ﷺ ومن اتبع سنتهم في جميع الأعصار والأمصار متفقين على وجوب اتباع الكتاب والسنة وترك علم الكلام وتبديع أهله وهجرانهم والخبر بزندقتهم وبدعتهم فيجب القول ببطلانه وأن لا يلتفت إليه ولا يغتر به أحد..

وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله: اطلعنا من رجل على فجور وهو يتقدم يصلي بالناس أخرج من خلفه؟ قال: اخرج من خلفه خروجًا لا تفحش عليه، وقال ابن منصور لأبي عبد الله: إذا علم من الرجل الفجور أتخبر به الناس؟ قال: لا بل يستر عليه إلا أن يكون داعية..

وكره الإمام أحمد هجر الأقارب لحق نفسه أما إذا كان الحق لله فهم وغيرهم فيه سواء..

وأختم بكلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذا الموضوع حيث قال: « وهذا حقيقة قول من قال من السلف والأئمة أن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم ولا يصلى خلفهم ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون، فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا، ولهذا يفرق بين الداعية وغير الداعية؛ لأن الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم فإنه ليس شرًا من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم..

قال: وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومًا ويهجر آخرين..

قال: وهذا لأن الهجر من باب العقوبات الشرعية فهو من جنس الجهاد في سبيل الله وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ...﴾ [الحجرات: ٩]..

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين يعني الهجر لحق الله والهجر لحق نفسه - فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر - وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك..

قال: وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وبر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة فيجتمع له من هذا وهذا، وهذا اللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته..

وقال: فإن كان الرجل متسترًا بذلك، أي فعل المنكرات والفواحش وشرب الخمر وفعل العدوان وليس معلنًا له أنكر عليه سرًّا وستر عليه كما قال النبي ﷺ: «**من ستر عبدًا ستره الله في الدنيا والآخرة**». إلا أن يتعدى ضرره والمتعدي لابد من كف عدوانه وإذا نهاه المرء سرًّا فلم ينته فعل ما ينكف به من هجر وغيره إذا كان ذلك أنفع في الدين. وأما إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية ولم يبق له غيبة ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره، فلا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام إذا كان الفاعل لذلك متمكنًا من ذلك من غير مفسدة راجحة..

وينبغي لأهل الخير والدين أن يهجروه ميتًا كما هجروه حيًّا إذا كان في ذلك كف لأمثاله من المجرمين فيتركون تشييع جنازته كما ترك النبي ﷺ على غير واحد من أهل الجرائم..

اللهمَّ الطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير، يا ذا الجلال والإكرام..

اللهمَّ اكفنا شر الزلازل والبراكين..

اللهمَّ إن زرع الباطل قد نما فقيد له يدًا من الحق تحصده وتقتلع جذوره.. وتحصد شروره يا رب العالمين..

اللهمَّ امح الشحناء والبغضاء والأحقاد من صدورنا..

اللهمَّ سلم قلوبنا من الآفات ووحد بين المسلمين، واجمع كلمتهم على البر والتقى..

اللهمَّ اجعلنا ممن تعرف عليك في حال الرخاء، فتعرفت إليه في حال الشدة..

اللهمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم.. ولا تعذبنا فأنت علينا قادر.. والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٦٣)

احذروا الجدال

عن أبي أمامة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **أنا زعيم بيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء، وإن كان محقًا** »(١)..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

هذه وصية عظيمة، وهي وإن كانت قليلة المبنى، إلا أنها عظيمة المعنى، فهي تتضمن النهي والتحذير من الجدال، ووعد من تركه ببيت في الجنة ومعنى « **أنا زعيم** » أي أنا ضامن وكافل..

والبيت هنا أي القصر كما قال الخطابي: هذا بيت فلان أي قصره والمراء هو الجدال.. فمن تركه كان له هذا المكان العظيم في الجنة، وزعيمه وضامنه وكافله هو إمام المرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين سيدنا محمَّد بن عبد الله ﷺ وقد وعد النبي ﷺ بعض الأصناف من الناس بهذا الجزاء الأخروي العظيم، كما في حديث فضالة بن عبيد ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك، لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشر مهربًا، يموت حيث شاء أن يموت** »(٢)..

والجدال آفة عظيمة، وداء عضال تمكن من كثير من الناس، فتراهم في مجالسهم وأحاديثهم يتجادلون ويتناقشون، ويمارى بعضهم بعضًا، ولربما ثارت بينهم الخصومات والعداوات بسبب هذا الجدال والمراء..

ولقد صرح القرآن الكريم بأن الإنسان بطبعه مجادل برغم وجود الحجج والبراهين

---

(١) حسن: رواه أبو داود وغيره، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٤٦٤)، و« الصحيحة » (٢٧٣).

(٢) صحيح: رواه النسائي وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٤٦٥).

الدامغة، والآيات الساطعة، والأمثلة المتعددة قال تبارك وتعالى في كتابه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤]..

يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها: يقول تعالى: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور وفصلناها كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى، ومع هذا البيان، وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله، وبصره لطريق النجاة. وساق حديث الإمام أحمد الذي رواه علي بن أبي طالب أنَّ رسول الله ﷺ طرقه، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة، فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إليّ شيئًا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[1].

حتى إنه يجادل ربه يوم القيامة، كما ذكر الإمام القرطبي في تفسيره أن الكافر يجادل ربه يوم القيامة، عندما يحاسبه..

عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ ضحك، فقال: «**أتدرون ممَّ أضحك؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول، فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول له: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا.. قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله.. قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام.. قال: فيقول: بعدًا لكن وسحقًا، فعنكن كنت أناضل**»[2]..

فما هو الجدال؟

قال المناوي: هو مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها..

وقال الكفوي: هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره[3]..

---

(١) رواه البخاري (١٠٥٩)، ومسلم (٧٥٥)، وأحمد.

(٢) رواه مسلم وأحمد والنسائي.

(٣) «الكليات» (٣٥٣).

والجدال قد يكون محمودًا، إذا تعلق بإظهار الحق، وقد أمر بذلك النبي ﷺ بقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]..

وقد يكون مذمومًا، إذا شغل عن ظهور الحق، ووضوح الصواب، وهذا هو المقصود بقوله ﷺ: «**ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا**»..

وفي سنن الترمذي وابن ماجة من حديث أبي أمامة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل**» ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ [الزخرف: ٥٨][1]..

والمحمود من الجدل هو ما أشار إليه النبي ﷺ في حديث أنس ﷺ مرفوعًا: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم، وألسنتكم**»..

وقوله جل في علاه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ...﴾ [العنكبوت: ٤٦][2]..

وقد جادل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - الخوارج زمن علي بن أبي طالب بأمر علي، فأقام عليهم الحجة وأفحمهم، فعاد عن هذه البدعة خلق كثير..

ومن هذا النوع المحمود من المجادلة مجادلة الإمام أبى حنيفة للملاحدة..

إن مكان هذا الاجتماع - بغداد - بلد إشعاع الفكر الإسلامي آنذاك؛ وإن سبب هذا الاجتماع الكبير هو وصول وفد من خارج البلاد جاء ليناقش علماء المسلمين في (الله) جل جلاله وقد وقع الاختيار على كبير العلماء آنذاك وهو الشيخ حماد شيخ أبي حنيفة وبينما الناس في انتظار الشيخ إذا بأبي حنيفة يظهر فجأة ويحيى الحاضرين ويقول: إن الشيخ أكبر من أن يحضر هذا الاجتماع لمثل هذه المسائل وقد اختار أصغر تلامذته وهو أبو حنيفة النعمان بن ثابت ليرد على أسئلتكم وجلس أبو حنيفة في مكانه مع الوفد، وما أن أخذ مكانه في المجلس مع الوفد حتى انهالت عليه الأسئلة وهي:

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجة وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤١)، و«صحيح الجامع» (٥٦٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٩).

قالوا: في أي سنة ولد ربك؟

قال: أبو حنيفة: الله لم يولد وإلا كان له أبوان؛ ولم يلد وإلا كان له أولاد والقرآن واضح في وصفه ومحدد: « **لم يلد ولم يولد** »..

قالوا: في أي سنة وجد ربك؟

قال: الله موجود قبل التاريخ والأزمنة والدهور (لا أول لوجوده)..

قالوا: نريد منك إعطاءنا في الجواب أمثلة من خلال الواقع المحسوس؟

قال لهم: ماذا قبل الأربعة؟

قالوا: ثلاثة..

قال: وماذا قبل الثلاثة؟

قالوا: اثنان..

قال: وماذا قبل الاثنين؟

قالوا: الواحد..

قال: وماذا قبل الواحد..

قالوا: لا شئ قبله..

قال لهم: إذا كان الواحد الحسابي، لا شئ قبله، فما بالكم بالواحد الحقيقي وهو الله (إنه قديم لا أول لوجوده)..

فقالوا له: في أي جهة يتجه ربك؟

قال لهم: لو أحضرتم مصباحا في مكان مظلم؛ ففي أي جهة يتجه النور؟

قالوا: يتجه في جميع الجهات..

فقال لهم: إذا كان هذا حال النور الصناعي هكذا؛ فما بالكم بنور السماوات والأرض؟

قالوا: عرفنا شيئا عن ذات ربك؟ أهي صلبة كالحديد، أم هي سائلة كالماء، أم هي غازية كالدخان والبخار؟

فقال لهم: هلا جلستم بجوار مريض مشرف على النزع الأخير (الموت)..

قالوا: جلسنا..

قال: هل يكلمكم بعدما أسكته الموت؟

قالوا: كلا..

قال: كان قبل الموت يتكلم فصار بعد الموت ساكنًا وكان يتحرك فإذا به متجمدًا فما الذي غير حاله؟

قالوا: خروج روحه من جسده..

قال: أخرجت روحه؟

قالوا: نعم..

قال: صفوا لي هذه الروح؟ أهي صلبة كالحديد؟ أم هي سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار؟

قالوا: لا نعرف شيئا عنها..

فقال لهم: إذا كانت الروح وهي مخلوقة لا يمكنكم الوصول إلى كنهها؛ أفتريدون مني أن أصف لكم الذات الإلهية؟

قالوا: في أي مكان ربك موجود؟

قال لهم: لو أحضرتم كأسًا مملوءة بحليب طازج؛ فهل في هذا الحليب من سمن؟

قالوا: نعم..

قال: وأين يوجد السمن في الحليب؟

قالوا: ليس له مكان خاص؛ بل هو شائع في كل جزيئات الحليب..

فقال لهم: إذا كان الشيء المخلوق وهو السمن ليس له مكان خاص؛ أفتطلبون أن يكون للذات الإلهية مكان دون مكان؟ إن ذلك لعجيب..

قالوا: إذا كانت كل الأمور مقدرة قبل أن يخلق الكون؛ فما صناعة ربك؟

قال لهم: أمور يبديها، يرفع أقواما ويخفض آخرين..

قالوا: إذا كان لدخول الجنة أول؛ فكيف لا يكون لها آخر ونهاية، بل إن أهلها خالدون فيها..

قال لهم: الأرقام الحسابية لها أول وليس لها نهاية..

قالوا له: كيف نأكل في الجنة؛ ثم لا نتبول ولا نتغوط؟

قال لهم: أنا وأنتم وكل مخلوق، مكث في بطن أمه تسعة أشهر يتغذى من دماء أمه ولا يتبول ولا يتغوط..

قالوا له: كيف يتأتى أن تزداد خيرات الجنة بالإنفاق منها؛ ولا يمكن أن تنتهي أو تنفذ؟

قال لهم: العلم كلما أنفقت منه؛ ازداد ولم ينقص..

وأما النوع الآخر من الجدال - وهو ما تحذرنا منه الوصية، وهو ما يجب أن يتجنبه المسلم، فهو الجدال بالباطل..

وقد عدّ الإمام الذهبي - رحمه الله - هذا النوع من الجدال من الكبائر[1]، فذكر في الكبيرة الستين فقال: [الجدال والمراء واللدد] وقال: إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودًا، وإن كان الجدال في مدافعة الحق، أو كان بغير علم، كان مذمومًا، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته، وذمه..

وهذا النوع أنواع:

١- فمنه ما يكون الهدف منه طمس نور الحق، والتشغيب عليه، وشغل أهل الحق عنه ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ...﴾ [الأنعام: ١٢١] وأخبر الله ﷻ عن هذا الصنف من الناس بقوله: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ [غافر: ٥] وقال ﷻ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن

(١) «الكبائر» للذهبي (ص٢٤٧)، ط. دار الخلفاء.

يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥]..

والدافع إلى هذا النوع من الجدال والمراء، هو الكبر والغطرسة في نفوس هؤلاء، كبر يمنعهم من قبول الحق، والعمل به.. قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦] وهذا النوع وهو الجدال في آيات الله بغير علم، بل تكبر، ودفع الحق، قال عنه ﷺ: «**المراء في القرآن كفر**»[(١)]..

وهذا النوع من الجدال يهلك صاحبه ويضله ويعميه ويجعله يوم القيامة من الخاسرين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾ [الحج: ٣، ٤]. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ﴾ [الحج: ٨، ٩]..

٢- والجدال لإظهار المزية والتقليل من شأن الآخرين:

وهذه آفة عظيمة قل من يسلم منها، فهي دأب كثير من الناس في أحاديثهم ومجالسهم ومنتدياتهم. والدافع إلى هذا النوع من الجدال شعور الشخص بتميزه ورجاحة عقله ومحاولة تسفيه آراء الآخرين، وهو من علامات الضلال؛ فقد قال الصادق المصدوق ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨][(٢)]..

وهذا النوع من الناس لا يحبه الله تعالى، قال ﷺ: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**»[(٣)]..

وهذا الصنف الذي يجادل بالباطل يعرض نفسه لسخط الجبار جل وعلا: «**ومن**

---

(١) صحيح: رواه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٦٠٣)، و«صحيح الجامع» (٦٦٨٧).

(٢) حسن: سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري.

خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع»[١]. (أبو داود وصححه الألباني)..

ولأن النبي ﷺ يعلم أن ترك هذا النوع من الجدال شاق على النفوس التي اعتادته فقد بشر من تركه بهذه البشارة العظيمة: «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا**»[٢]. وهو حديث الوصية..

أحبتي في الله..

إن هذا الصنف من الناس على خطر عظيم فعلهم دليل على زيغ قلوبهم؛ تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ [آل عمران: ٧]. فقال: «**يا عائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله فاحذروهم**»[٣]..

الجدال يفوت على الناس الخير:

إن هذا النوع من الجدل يضيع على الناس الخير. فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى (تخاصم وتنازع وتشاتم) رجلان من المسلمين فقال: «**خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرًا، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة**». (البخاري)..

ولأن الجدال يفوت على الناس الخير ويفسد عليهم الطاعات نهى الله عنه: ﴿ **ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٩٧]..

وفي الصيام قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ...**» وفي رواية سعيد ابن منصور: «**ولا يجادل**». إن الجدال على هذه الصورة يزرع الضغائن وينشر العداوات..

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٩٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح: «صحيح سنن ابن ماجة» للألباني برقم (٤٧).

٣- الجدال لاغتصاب حقوق الناس وهذا النوع من أقبح صور الجدال والمراء لانتزاع حقوق الناس واغتصابها. قال ﷺ محذرًا من هذا ومتوعدًا أهله: « **إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار** » (رواه البخاري)..

وجاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي ﷺ. قال الحضرمي: يا رسول الله! إن هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي. فقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق. فقال رسول الله ﷺ للحضرمي: « **ألك بينة؟** »، قال: لا. قال: « **فلك يمينه** » قال: يا رسول الله إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه. وليس يتورع من شيء فقال: « **ليس لك منه إلا ذلك** » فانطلق ليحلف. فقال رسول الله ﷺ لما أدبر: « **أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلمًا، ليلقين الله وهو عنه معرض** »[1]..

أحبتي في الله..

وها هي بعض الآثار السلفية التي تحذر الأمة من الجدل:

لأن الجدال بالباطل أو بغير دليل يؤدي إلى كل المفاسد التي سبق الحديث عنها فقد رأينا الصالحين ينهون عنه وينصحون باجتنابه ومن هذه الآثار الواردة عنهم في ذلك:

قال نبي الله سليمان عليه السلام لابنه: « **دع المراء فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان** »[2]..

وقال ابن عباس: « كفى بك إثمًا ألا تزال مماريًا »..

وقال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شرًّا ألزمهم الجدل ومنعهم العلم[3]..

وقال محمَّد بن حسين بن علي: الخصومة تمحق الدين وتنبت الشحناء في صدور الرجال..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) « سنن الدارمي » (١/ ١٠٢).

(٣) « شرح أصول الاعتقاد » (١/ ١٤٥).

وقيل لعبد الله بن الحسن بن الحسين: ما تقول في المراء؟ قال: يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن يكون رديئة للمغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة..

وقال الشافعي: المراء في الدين يقسي القلب ويورث الضغائن..

وقديما قيل: لا تمار حليمًا ولا سفيهًا؛ فإن الحليم يغلبك والسفيه يؤذيك..

وقال بعضهم: ما رأيت شيئًا أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أشغل للقلب من الخصومة[١]..

وقال ميمون بن مهران - رحمه الله - يوصي بعض تلاميذه:

إياك والخصومة والجدال في الدين، ولا تجادلن عالمًا ولا جاهلاً، أما العالم، فإنه يخزن عنك علمه، ولا يبالي ما صنعت، وأما الجاهل فإنه يخشن بصدرك، ولا يطيعك[٢]..

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: قد أفلح من عصم من المراء والغضب[٣] والطمع..

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله[٤]..

وقال مسعر بن كدام - رحمه الله تعالى - يوصي ابنه كدام:

إني منحتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق

إني بلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جارًا ولا لرفيق

والجهل يزري بالفتى في قومه ... وعروقه في الناس أي عروق؟[٥]

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٥٨)، والأصبهاني في «الترغيب».

(٢) الدارمي (١/ ١٠٢).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٢٠٩).

(٤) الدارمي (١/ ٦٢).

(٥) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣/ ٢٥٦).

اللهمَّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا أن تطهر قلوبنا من كل وصف يبعدنا عن محبتك..

اللهمَّ نور قلوبنا باليقين والعلم، واشغل فكرنا بالاعتبار، وأبعدنا عن الجدال والمراء..

اللهمَّ عمِّر قلوبنا بحبك.. وجوارحنا بطاعتك.. واحفظنا من قرناء السوء ومخالطتهم، واجعل أوقاتنا كلها مصروفة فيما يرضيك عنا.. يا عظيم السلطان.. يا قديم الإحسان.. قنا شر وسواس الشياطين.. وأجرنا منه يا رحمن.. واغفر لنا يا غفور.. واعف عنا وألهمنا رشدنا.. يا حي يا قيوم.. يا ذا الجلال والإكرام.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٦٤)

لا تقض بين خصمين حتى تسمع من الآخر

عن عليٍّ ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضيًا، فقلت: يا رسول الله، ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء، فقال لي: « **إنَّ الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية النبوية المباركة كانت لمن؟ كانت من أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ كانت من سيد الأولين والآخرين، وقائد الغرّ المحجلين، وشفيع المذنبين يوم الدين إلى ابن عمه وصهره سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ ذلكم التقي النقي، الذي تربى في حقل الإسلام، وسقي بماء الوحي، فكان زهرة يانعة، طاب ريحها، وملأ أرجاء الكون كله.. هذا الرجل الذي لما نزل قوله تعالى: ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ...** ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًّا، وفاطمة، وحسنًا وحسينًا، فقال: « **اللهمَّ هؤلاء أهلي** »[٢]..

محمَّد النبي أخي وصهري	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمَّد سكني وزوجي	منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فأيكم له سهم كسهمي

هذا الرجل الذي لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، قال ﷺ: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي إليّ: أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[٣]..

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده والحاكم والبيهقي وأبو داود، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٧٨).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٤)، والترمذي (٣٧٢٤)، وأحمد في مسنده.

(٣) رواه مسلم والترمذي.

إنه الرجل الذي قال له النبي ﷺ يومًا: « **ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي** »[١]..

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كنت جالسًا في المسجد أنا ورجلين معي، فنلنا من عليٍّ، فأقبل رسول الله ﷺ غضبان، يعرف الغضب في وجهه، فتعوذت بالله من غضبه..

فقال: « **ما لكم ومالي؟ من آذى عليًّا، فقد آذاني** »[٢]..

هذه الوصية أوصاه بها رسول الله ﷺ حين أرسله قاضيًا إلى اليمن، وكان حديث السن، ولم يكن له علم بالقضاء، لكن رسول الله ﷺ بشره بأن الله ﷻ سيهدي قلبه، ويثبت لسانه.. وقد كان ذلك كذلك ببركة الحبيب المصطفى ﷺ وببركة أنه تربى في بيت النبوة وتخرج من الجامعة المحمَّدية..

والوصية هنا وإن كانت موجهة لسيدنا علي بن أبي طالب ﷺ إلا أنها موجهة لكل مؤمن.. لكل من يقضي بين اثنين.. لكل من له صلة بالقضاء.. لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب..

إنه يوصيه، ويوصينا، إذا جلس بين يديه الخصمان، فلا يقضي حتى يسمع من الآخر كما يسمع من الأول.. وفعل سيدنا على ذلك، يقول عليٌّ ﷺ: فما زلت قاضيًا، أو ما شككت في قضاء بعد..

فكان عليّ ﷺ قاضيًا عادلاً، أخرج الإمام أحمد في المناقب عن عليٍّ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ أرسله إلى اليمن، للقضاء، فوجد أربعة وقعوا في حفرة حفرت، ليصطاد فيها الأسد، سقط أولاً رجل، فتعلق بآخر، وتعلق الآخر بالآخر، حتى تساقط الأربعة، فجرحهم الأسد، وماتا من جراحته، فتنازع أولياؤهم، حتى كادوا يقتتلون..

فقال عليٌّ: أنا أقضي بينكم، فإن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجزت بعضكم عن بعض، حتى تأتوا رسول الله، ليقضي بينكم..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه أحمد والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٩٢٤).

أجمعوا من القبائل الذين حفروا البئر ربع الدية، وثلثها ونصفها، ودية كاملة فللأول ربع الدية، لأنه أهلك من فوقه، وللذي يليه ثلثها، لأنه أهلك من فوقه، وللثالث النصف، لأنه أهلك من فوقه، وللرابع الدية كاملة، فأبوا أن يرضوا، فأتوا رسول الله ﷺ فلقوه عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة، فقال: «**أنا أقضي بينكم**» واحتبى ببردة، فقال رجل من القوم:إنَّ عليًا قضى بيننا، فلما قصوا عليه القصة، أجازه[1].. وقد كان سيدنا عليٌّ رضي الله عنه وأرضاه من أعدل الناس قاضيًا، وخليفة للمسلمين.. وها هي بعض القضايا التي قضى فيها عليّ رضي الله عنه سوى ذلك: فقد جاء أن رجلاً ضرب رجلاً على رأسه، فادعى المضروب أنه اخرسَّ، فرفعت القضية إلى عليّ رضي الله عنه فقال: يخرج لسانه، وينخس اللقطة: فإذا خرج الدم أحمر، فهو صحيح اللسان، وإن خرج أسود فهو أخرس[2]..

ومن ذلك أنه قضى في مولود، له رأسان وصدران، وحقو واحد، فقيل له أيورث ميراث اثنين أو ميراث واحد؟

فقال: يترك حتى ينام، ثم يصاح، فإن انتبها جميعًا، كان له ميراث واحد، وإن انتبه واحد، وبقي واحد، كان له ميراث اثنين..

ومن ذلك ما حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أتي لعمر بامرأة جهدها العطش، فمرت على راع، فاستسقت، فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها، ففعلت، فشاور الناس في رجمها، فقال عليّ رضي الله عنه: هذه مضطرة، أرى أن تخلي سبيلها[3]..

وعن الشعبي - رحمه الله - قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة، تزوجت في عدتها، فأخذ مهرها، فجعله في بيت المال، وفرق بينهما، وقال: لا يجتمعان وعاقبهما.. قال الشعبي: فقال عليّ: ليس هكذا، ولكن هذه الجهالة من الناس، ولكن يفرق بينهما، ثم تستكمل بقية العدة من الأول، ثم تستقبل عدة أخرى، وجعل لها عليّ المهر، بما استحل من فرجها.. فحمد الله عمر رضي الله عنه وأثنى عليه خيرًا[4]..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده برقم (٥٧٣) بإسناد صححه أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (١/ ٤١٠).

(٢) «تبصرة الحكام في أصول الأقضية» (٤/ ٢٦٦).

(٣) أخرجه البيهقي في «سننه الكبرى» (٨/ ٢٣٦).

(٤) المرجع السابق (٧/ ٤٤٢).

وما روي أن عمر بن الخطاب ﷺ أُتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهمّ عمر برجمها، فبلغ ذلك عليٌّ ﷺ فقال: ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر ﷺ فأرسل إليه، فسأله من أين له هذا الحكم، فقال: من قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] فستة أشهر حمله، والباقي رضاعة.. فخلى عنها..

هكذا كان سيدنا عليّ ﷺ وأرضاه موفقًا ومسددًا من الله ﷻ ببركة دعوة الحبيب ﷺ(١)..

أيها الأحبة الكرام ..

وتولية القضاء مهمة صعبة للغاية.. قال ﷺ: « **من جعل قاضيًا بين الناس، فقد ذبح بغير سكين** »(٢)..

قال المناوي في « فيض القدير »:

من تصدى له، وتولاه، فقد تعرض لهلاك دينه، فالذبح مجاز عنه، لأنه أسرع أسبابه، بل أعظم، إذ الذبح المتعارف يحصل به الإزهاق والإراحة وهذا ذبح بغير سكين، بل بعذاب أليم.. فضرب المثل ليكون أبلغ في الزجر، وأشد في التوقي، لخطره(٣)..

وعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ الله مع القاضي، ما لم يجر** » - أي يظلم متعمدًا - وفي رواية: « **ما لم يحف** » أي ما لم يتجاوز حدود الله، التي حدها لعباده.. « **فإذا جار، تخلى عنه، ولزمه الشيطان** » وفي رواية الحاكم: « **تبرأ الله منه** »..

ومعنى « **لزمه الشيطان** » أي يغويه ويضله، ليخزيه غدًا، ويذله، لما أحدثه من الجور، وارتكبه من الباطل، وتحلى به من خبيث الشمائل، وقبيح الرذائل.. قال ابن العربي - رحمه الله -:

---

(١) المرجع السابق (٧/ ٤٤٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده والترمذي وأبو داود وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٢١٧١)، و« صحيح الجامع » برقم (٦١٩٠).

(٣) « فيض القدير » للمناوي (٦/ ١٤٧).

القاضي يقضي بالحق، ما كان الله معه، فإذا تركه، جار، فالأمر أولاً بيد الله يبدأ عن بداية المقادير، وحكمه بالتقدير، وملكه للتدبير، تحقيقًا للخلق وتوحيدًا، وقد يخبر عن مآل حالهم تخويفًا وإنذارًا[١].. وهو الحكيم الخبير..

وعن بريدة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**القضاة ثلاثة: واحد في الجنة،واثنان في النار، فأما الذي في الجنة، فرجل عرف الحق، فقضي به، ورجل عرف الحق، فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضي للناس على جهل، فهو في النار**»[٢]..

ففيه إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والأعمال، والمقصرين في تحصيل رتب الكمال..

فيتعين على كل من ابتلي بالقضاء أن يتمسك بأسباب التقوى بها يكون له جنة، ويحرص على أن يكون الرجل الذي عرف الحق، فقضي به، وكان من المخصوصين بالجنة، ويجعل داء الهوى عنه محسومًا، ولحظه ولفظه بين الخصوم مقسومًا.. ويتوكل على الله في قصده، ويتقي الله، فإن الله يهدي قلبه، ويثبت لسانه..

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «**ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة، يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة**»[٣] ويخوف ﷺ الخصمين في ساحة القضاء، ويحذرهم من أن يأتي واحد منهم، فيتكلم بالكلام الجميل الحسن، ليتعدى على حق أخيه.. فعن أم سلمة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار**»[٤]..

قال المهلب: وفيه أنه ينبغي للحاكم (أو القاضي) أن يعظ الخصمين، ويحذر من مطالبة الباطل، لأن النبي ﷺ وعظ أمته بقوله هذا..

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٢٦).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٦).

(٣) **حسن**: رواه أحمد في مسنده برقم (٤٣٤٥)، وحسنه حمزة الزين وقال: رواه ابن حبان (١٥٦٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٨٦٣).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

وقد كان شريح القاضي يقول للشهود قبل أن يدلوا بشهادتهم:

اسمعوا مني هداكم الله، إنما يقضي على هذا الرجل أنتم، وإني لأتقي النار بكم وأنتم باتقائها أولى... وإن في وسعكم الآن أن تدعوا الشهادة وتمضوا..

فإذا أصروا على الشهادة، التفت إلى الذي يشهدون له، وقال: اعلم يا هذا أنني أقضي لك بشهادتهم، وإني لأرى أنك ظالم، ولكني لست أقضي بالظن، وإنما أقضي بشهادة الشهود، وإن قضائي ما يحل لك شيئًا حرمه الله عليك..

وكان الشعار الذي يردده شريح في مجالس قضائه قوله: «غدًا سيعلم الظالم، من الخاسر؟ إن الظالم ينتظر العقاب، وإن المظلوم ينتظر النصفة ...»..

أحبتي في الله..

وللقضاء آداب كثيرة يقول الكاساني في «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»[1]: وأما آداب القضاء فكثيرة، والأصل فيها كتاب سيدنا عمر ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ سماه محمَّد - رحمه الله - كتاب السياسة، وفيه أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك، ومجلسك وعدلك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك.

وفي رواية: «**ولا يخاف ضعيف من جورك**» البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق، فإن الحق قديم لا يبطل، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.. الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك، مما لم يبلغك في القرآن العظيم والسنة، ثم اعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور عند ذلك، فاعمد إلى أحبها، وأقربها إلى الله تبارك وتعالى، وأشبهها بالحق، اجعل للمدعي أمدًا ينتهي إليه، فإذا أحضر بينة أخذ بحقه، وإلا وجب القضاء عليه وفي رواية: وإن عجز عنها استحللت عليه القضاء - فإن ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعمى، المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا محدودًا في قذف، أو ظنينًا في ولاء أو

(١) «بدائع الصنائع» للكاساني (١٤/ ٤٣٣-٤٣٧).

قرابة، أو مجربًا عليه شهادة زور، فإن الله تعالى تولى منكم السر - وفي رواية السرائر - ودرأ عنكم بالبينات، إياك والغضب والقلق، والضجر والتأذي بالناس، للخصوم في مواطن الحق، الذي يوجب الله سبحانه وتعالى به الأجر، ويحسن به الذخر، وأن من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تعالى - ولو على نفسه في الحق - يكفه الله تعالى فيما بينه وبين الناس، ومن يتزين للناس بما يعلم الله منه خلافه، شانه الله ﷻ، فإنه سبحانه وتعالى لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصًا، فما ظنك بثواب عن الله سبحانه وتعالى، من عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام[1]..

ومنها: أن يكون القاضي فهمًا عند الخصومة، فيجعل فهمه وسمعه وقلبه إلى كلام الخصمين؛ لقول سيدنا عمر ﷺ في كتاب السياسة: فافهم إذا أولي إليك، ولأن من الجائز أن يكون الحق مع أحد الخصمين، فإذا لم يفهم القاضي كلامهما، يضيع الحق، وذلك قوله ﷺ: فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، ومنها: أن لا يكون قلقا وقت القضاء، لقول سيدنا عمر ﷺ: إياك والقلق..

وهذا ندب إلى السكون والتثبيت، ومنها: أن لا يكون ضجرًا عند القضاء، إذا اجتمع عليه الأمور فضاق صدره، لقوله ﷺ: إياك والضجر ومنها أن لا يكون غضبان وقت القضاء؛ لقول سيدنا عمر ﷺ: إياك والغضب وقال ﷺ: « **لا يقضي القاضي وهو غضبان** »، ولأنه يدهشه عن التأمل، ومنها: أن لا يكون جائعًا ولا عطشان ولا ممتلئا، لأن هذه العوارض من القلق، والضجر والغضب، والجوع والعطش والامتلاء، مما يشغله عن الحق، ومنها: أن لا يقضي وهو يمشي على الأرض، أو يسير على الدابة؛ لأن المشي والسير يشغلانه عن النظر والتأمل في كلام الخصمين، ولا بأس بأن يقضي وهو متكئ، لأن الاتكاء لا يقدح في التأمل والنظر..

ومنها: أن يسوي بين الخصمين في الجلوس، فيجلسهما بين يديه لا عن يمينه ولا عن يساره، لأنه لو فعل ذلك، فقد قرب أحدهما في مجلسه، وكذا لا يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، لأن لليمين فضلاً على اليسار، وقد روي أن عمر وأبي بن كعب - رضي الله عنهما - اختصما في حادثة إلى زيد بن ثابت، فألقى لسيدنا عمر ﷺ

---

(١) « السنن الكبرى » للبيهقي (١٠/ ١٥٠).

وسادة، فقال سيدنا عمر ﷺ: هذا أول جورك، وجلس بين يديه..

ومنها: أن يسوي بينهما في النظر، والنطق والخلوة، فلا ينطلق بوجهه إلى أحدهما، ولا يسار أحدهما، ولا يومئ إلى أحدهما بشيء دون خصمه، ولا يرفع صوته على أحدهما ولا يكلم أحدهما بلسان لا يعرفه الآخر، ولا يخلو بأحد في منزله، ولا يضيف أحدهما، فيعدل بين الخصمين في هذا كله، لما في ترك العدل فيه من كسر قلب الآخر، ويتهم القاضي به أيضًا..

ومنها: أن لا يقبل الهدية من أحدهما، إلا إذا كان لا يلحقه به تهمة..

وجملة الكلام فيه: أن المهدي لا يخلو إما أن يكون رجلاً كان يُهدي إليه قبل تقليد القضاء، وإما أن كان لا يهدى إليه، فإن كان لا يهدي إليه، فإما إن كان قريبًا له أو أجنبيًّا، فإن كان قريبًا له ينظر إن كان له خصومة في الحال، فإنه لا يقبل، لأنه يلحقه التهمة، وإن كان لا خصومة له في الحال يقبل، لأنه لا تهمة فيه، وإن كان أجنبيًّا لا يقبل، سواء كان له خصومة في الحال، أو لا، لأنه إن كان له خصومة في الحال، كان بمعنى الرشوة، وإن لم يكن، فربما يكون له خصومة في الحال يأتي بعد ذلك، فلا يقبل ولو قبل يكون لبيت المال، هذا إذا كان الرجل لا يهدي إليه قبل تقليد القضاء، فأما إذا كان يهدي إليه، فإن كان له في الحال خصومة لا تقبل، لأنه يتهم فيه..

وإن كان لا خصومة له في الحال، ينظر إن كان أهدى مثل ما كان يهدي أو أقل يقبل، لأنه لا تهمة فيه، وإن كان أكثر من ذلك يرد الزيادة عليه، وإن قبل كان لبيت المال، وإن لم يقبل للحال حتى انقضت الخصومة ثم قبلها، لا بأس به، ومنها: أن لا يجيب الدعوة الخاصة، بأن كانوا خمسة أو عشرة، لأنه لا يخلو من التهمة، إلا إذا كان صاحب الدعوة ممن كان يتخذ له الدعوة قبل القضاء، أو كان بينه وبين القاضي قرابة، فلا بأس بأن يحضر إذا لم يكن له خصومة، لانعدام التهمة، فإن عرف القاضي له خصومة لم يحضرها..

وأما الدعوة العامة: فإن كانت بدعة، كدعوة المباراة ونحوها، لا يحل له أن يحضرها لأنه لا يحل لغير القاضي إجابتها فالقاضي أولى، وإن كانت سنة كوليمة العرس والختان، فإنه يجيبها، لأنه إجابة السنة، ولا تهمة فيه..

ومنها: أن لا يلقن أحد الخصمين حجته، لأن فيه مكسرة قلب الآخر، ولأن فيه إعانة أحد الخصمين، فيوجب التهمة، غير أنه إن تكلم أحدهما، أسكت الآخر، ليفهم كلامه ومنها: أن لا يلقن الشاهد، بل يتركه يشهد بما عنده، فإن أوجب الشرع قبوله قبله، وإلا رده، وهذا قول أبي حنيفة ومحمَّد، وهو قول أبي يوسف الأول، ثم رجع وقال: لا بأس بتلقين الشاهد بأن يقول: أتشهد بكذا وكذا وجه قوله أن من الجائز أن الشاهد يلحقه الحصر، لمهابة مجلس القضاء، فيعجزه عن إقامة الحجة، فكان التلقين تقويمًا لحجة ثابتة فلا بأس به، ولهما أن القاضي يتهم بتلقين الشاهد فيتحرج عنه ومنها: أن لا يعبث بالشهود، لأن ذلك يشوش عليهم عقولهم فلا يمكنهم أداء الشهادة على وجهها، وإذا اتهم الشهود فلا بأس بأن يفرقهم عند أداء الشهادة، فيسألهم أين كان ومتى كان؟ فإن اختلفوا اختلافا يوجب رد الشهادة، ردها وإلا فلا، ويشهد القاضي الجنازة، لأن ذلك حق الميت على المسلمين، فلم يكن متهمًا في أداء سنة فيحضرها، إلا إذا اجتمعت الجنائز على وجه: لو حضرها كلها لشغله ذلك عن أمور المسلمين فلا بأس أن لا يشهد؛ لأن القضاء فرض عين، وصلاة الجنازة فرض كفاية، فكان إقامة فرض العين عند تعذر الجمع بينهما أولى..

ويعود المريض أيضًا، لأن ذلك حق المسلمين على المسلمين، فلا يلحقه التهمة بإقامته ويسلم على الخصوم إذا دخلوا المحكمة، لأن السلام من سنة الإسلام - وكان شريح يسلم على الخصوم لكن لا يخص أحد الخصمين بالتسليم عليه دون الآخر، وهذا قبل جلوسه في مجلس الحكم، فأما إذا جلس لا يسلم عليهم، ولا هم يسلمون عليه، أما هو فلا يسلم عليهم، لأن السنة أن يسلم القائم على القاعد، لا القاعد على القائم، وهو قاعد وهم قيام..

وأما هم فلا يسلمون عليه، لأنهم لو سلموا عليه لا يلزمه الرد، اشتغل بأمر هو أهم وأعظم من رد السلام، فلا يلزمه الاشتغال كذا ذكر الفقيه أبو جعفر الهندواني في رجل يقرأ القرآن، فدخل عليه آخر: أنه لا ينبغي له أن يسلم عليه، ولو سلم عليه لا يلزمه الجواب، وكذا المدرس إذا جلس للتدريس لا ينبغي لأحد أن يسلم عليه، ولو سلم لا يلزمه الرد، لما قلنا، بخلاف الأمير إذا جلس فدخل عليه الناس، إنهم يسلمون عليه وهو السنة، وإن كان سلاطين زماننا يكرهون التسليم عليهم وهو خطأ منهم،

لأنهم جلسوا للزيارة، ومن سنة الزائر التسليم على من دخل عليه وأما القاضي فإنما جلس للعبادة لا للزيارة، فلا يسن التسليم عليه، ولا يلزمه الجواب إن سلموا، لكن لو أجاب جاز..

ومنها: أن يسأل القاضي عن حال الشهود، فيما سوى الحدود والقصاص، وإن لم يطعن الخصم، وهو من آداب القاضي عند أبي حنيفة رحمه الله، لأن القضاء بظاهر العدالة، وإن كان جائزًا عنده فلا شك أن القضاء بالعدالة الحقيقية أفضل..

ومنها أن يجلس معه جماعة من أهل الفقه، يشاورهم ويستعين برأيهم فيما يجهله من الأحكام، وقد ندب الله - سبحانه - رسوله عليه الصلاة والسلام إلى المشاورة بقوله: « **وشاورهم في الأمر** » مع انفتاح باب الوحي، فغيره أولى وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: « ما رأيت أحدًا بعد رسول الله ﷺ أكثر مشاورة لأصحابه منه »[1]..

وروي أنه عليه الصلاة والسلام: « كان يقول لسيدنا أبي بكر، وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما: **قولا، فإني فيما لم يوح إليّ مثلكما** »، ولأن المشاورة في طلب الحق من باب المجاهدة في الله ﷻ فيكون سببًا للوصول إلى سبيل الرشاد، قال الله ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت: ٦٩]..

وينبغي أن يجلس معه من يوثق بدينه وأمانته، لئلا يضن بما عنده من الحق والصواب، بل يهديه إلى ذلك إذا رفع إليه، ولا ينبغي أن يشاورهم بحضرة الناس، لأن ذلك يذهب بمهابة المجلس والناس يتهمونه بالجهل، ولكن يقيم الناس عن المجلس، ثم يشاورهم، أو يكتب في رقعة فيدفع إليهم، أو يكلمهم بلغة لا يفهمها الخصمان، هذا إذا كان القاضي لا يدخله حصر بإجلاسهم عنده، ولا يعجز عن الكلام بين أيديهم، فإن كان لا يجلسهم، فإن أشكل عليه شيء من أحكام الحوادث، بعث إليهم وسألهم..

ومنه أن يكون له جلوازٌ - وهو المسمى بصاحب المجلس في عرف ديارنا - يقوم على رأس القاضي، لتهذيب المجلس، وبيده سوط يؤدب به المنافق، وينذر به المؤمن، وقد روي « أنَّ رسول الله ﷺ كان يمسك بيده سوطًا، ينذر به المؤمن، ويؤدب به المنافق »..

---

(١) أخرجه البيهقي في « سننه الكبرى » (٧/ ٤٥).

وكان سيدنا أبو بكر يمسك سوطًا، وسيدنا عمر ﷺ اتخذ درة ومنها أن يكون له أعوان، يستحضرون الخصوم، ويقومون بين يديه إجلالاً له، ليكون مجلسا مهيبًا، ويذعن المتمرد للحق، وهذا في زماننا، فأما في زمان الصحابة والتابعين ﷺ فما كان تقع الحاجة إلى أمثال ذلك، لأنهم كانوا ينظرون إلى الأمراء والقضاة بعين التبجيل والتعظيم، ويخافونهم وينقادون للحق بدون ذلك فقد روي أن سيدنا عمر ﷺ كان يقضي في المسجد، فإذا فرغ استلقى على قفاه وتوسد بالحصى، وما كان ينقص ذلك من حرمته..

وروي أنه لبس قميصًا، فازدادت أكمامه عن أصابعه، فدعا بالشفرة فقطعها، وكان لا يكفها أيامًا، وكانت الأطراف متعلقة منها، والناس يهابونه غاية المهابة..

فأما اليوم فقد فسد الزمان، وتغير الناس، فهان العلم وأهله، فوقعت الحاجة إلى هذه التكليفات، للتوسل إلى إحياء الحق، وإنصاف المظلوم من الظالم ومنها أن يكون له ترجمان، لجواز أن يحضر مجلس القضاء من لا يعرف القاضي لغته، من المدعي، والمدعي عليه، والشهود، ومنها أن يتخذ كاتبًا، لأنه يحتاج إلى محافظة الدعاوى والبينات والإقرارات لا يمكنه حفظها، فلابد من الكتابة، وقد يشق عليه أن يكتب بنفسه فيحتاج إلى كاتب يستعين به، وينبغي أن يكون عفيفا صالحًا من أهل الشهادة، وله معرفة بالفقه، أما العفة والصلاح، فلأن هذا من باب الأمانة، والأمانة لا يؤديها إلا العفيف الصالح..

ومنها أن يجلس للقضاء في أشهر المجالس، ليكون أرفق بالناس، وهل يقضي في المسجد؟ قال أصحابنا - رحمهم الله -: يقضي وقال الشافعي - رحمه الله -: لا يقضي، بل يقضي في بيته. وجه قوله أن القاضي يأتيه المشرك، والحائض، والنفساء، والجنب، ويجري بين الخصمين كلام اللغو والرفث والكذب، لأن أحدهما كاذب، وتنزيه المسجد عن هذا كله واجب..

(ولنا) الاقتداء برسول الله ﷺ والصحابة الكرام ﷺ، فإن رسول الله ﷺ كان يقضي في المسجد، وكذا الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون ﷺ كانوا يجلسون في المسجد للقضاء، والاقتداء بهم واجب، ولا بأس للقاضي أن يرد الخصوم إلى الصلح إن طمع منهم ذلك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ [النساء: ١٢٨]، فكان الرد

إلى الصلح ردًّا إلى الخير، وقال سيدنا عمر ﷺ: ردوا الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن فندب ﷺ القضاة إلى رد الخصوم إلى الصلح، ونبه على المعنى وهو حصول المقصود من غير ضغينة، ولا يزيد على مرة أو مرتين فإن اصطلحا، وإلا قضي بينهما بما يوجب الشرع، وإن لم يطمع منهم الصلح لا يردهم إليه، بل ينفذ القضية فيهم، لأنه لا فائدة في الرد..

أيها الأحبة الكرام..

تلك هي بعض آداب الفقهاء كما ذكرها علماء الفقه.. وممن ضرب به المثل في نزاهة القضاء، والعدالة [شريح القاضي] وقد ورد أن عمر بن الخطاب ﷺ وهو خليفة للمؤمنين ابتاع فرسًا من رجل من الأعراب، ونقده ثمنه، ثم امتطى صهوته - أي ركب ظهره - ومضي به لكنه ما كاد يبتعد بالفرس طويلاً، حتى ظهر فيه عطب، عاقه عن مواصلة الجري، فرجع به عائدًا من حيث انطلق..

وقال للرجل: خذ فرسك، فإنه معطوب..

فقال الرجل: لا آخذه يا أمير المؤمنين، وقد بعته لك سليمًا صحيحًا..

فقال عمر: اجعل بيني وبينك حكمًا..

فقال الرجل: يحكم بيننا شريح بن الحارث الكندي..

فقال عمر: رضيت به.. فاحتكم أمير المؤمنين عمر، وصاحب الفرس إلى شريح فلما سمع شريح مقالة الأعرابي.. التفت إلى عمر وقال له: هل أخذت الفرس سليمًا يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر: نعم.. فقال شريح: احتفظ بما اشتريت - يا أمير المؤمنين - أو رده كما أخذت، فنظر عمر إلى شريح معجبًا، وقال: وهل القضاء إلا هكذا؟! قول فصل.. وحكم عدل.. سر إلى الكوفة، فقد وليتك قضاءها..

لقد ازدان تاريخ القضاء في الإسلام ببدائع من مواقف شريح.. وامتلأت بطون الكتب بطرائف هذا الرجل الفذ وأخباره، وأقواله وأفعاله..

من ذلك، ما روي أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ افتقد درعًا له كانت أثيرة عنده - أي

عزيزة عليه - غالية عليه.. ثم ما لبث أن وجد رجلاً من أهل الذمة يبيعها في سوق الكوفة، فلما رآها، عرفها، وقال: هذه درعي سقطت عن جملي في ليلة كذا.. وفي مكان كذا..

فقال الذمي: بل هي درعي، وفي يدي يا أمير المؤمنين..

فقال عليّ: إنما هي درعي لم أبعها لأحد، ولم أهبها لأحد، حتى تصير إليك..

فقال الذمي: بيني وبينك قاضي المسلمين..

فقال عليّ: أنصفت.. فهلمَّ إليه.. ثم إنهما ذهبا إلى شريح القاضي، فلما صارا عنده في مجلس القضاء، قال شريح لعليّ: ما تقول يا أمير المؤمنين؟

فقال: لقد وجدت درعي هذه مع هذا الرجل، وقد سقطت مني في ليلة كذا وفي مكان كذا.. وهي لم تصل إليه لا ببيع، ولا هبة..

فقال شريح للذمي: وما تقول أنت أيها الرجل؟

فقال: الدرع درعي، وهي في يدي، ولا أتهم أمير المؤمنين بالكذب..

فالتفت شريح إلى عليّ، وقال: لا ريب عندي في أنك صادق فيما تقوله يا أمير المؤمنين، وأنَّ الدرع درعك، ولكن لابد لك من شاهدين يشهدان على صحة ما ادعيت.. فقال عليّ: نعم.. خادمي قنبر، ووالداي: الحسن والحسين يشهدان لي.. فقال شريح: لكن شهادة الابن لأبيه لا تجوز يا أمير المؤمنين.. فقال عليٌّ: يا سبحان الله! رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته، أما سمعت رسول الله ﷺ قال: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» فقال شريح: بلى يا أمير المؤمنين، غير أني لا أجيز شهادة الولد لوالده.. عند ذلك التفت عليّ إلى الذمي، وقال: خذه فليس عندي شاهد غيرهما..

فقال الذمي: ولكني أشهد بأن الدرع لك يا أمير المؤمنين، ثم قال: أمير المؤمنين يقاضيني أمام قاضيه، وقاضيه يقضي لي عليه؟! أشهد بأن الدين الذي يأمر بهذا لحق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمَّدا عبده ورسوله.. اعلم أيها القاضي أن الدرع، درع أمير المؤمنين، وأنني اتبعت الجيش وهو منطلق إلى «صفين» فسقطت الدرع عن جمله

الأورق، فأخذتها.. فقال له عليّ ﷺ: أما وأنك قد أسلمت، فإني وهبتها لك، ووهبت لك معها هذا الفرس أيضًا..

هكذا يكون القضاء.. وهكذا يكون العدل في الأحكام والقضايا.. أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ترفع درجاتنا، وتمحو سيئاتنا، وتقضي حوائجنا، وتطيب مجالسنا، وتنجينا من المهالك والمزالق، وأن تجعل البركة في أرزاقنا، وتثبت أقدامنا على الصراط، والجواز عليه..

اللهمَّ ارحمنا إذا أتانا اليقين، وعرق منا الجبين، وكثر الأنين والحنين..

اللهمَّ ارحمنا إذا اشتدت السكرات، وفاضت العبرات، وتكشفت العورات..

اللهمَّ ارحمنا إذا نسينا الأحباب والأهل والأصدقاء..

اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين..



الوصية رقم (٦٥)

لا تيأسوا فإن النصر قادم

عن خباب بن الأرت ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟

فقعد وهو محمر الوجه، وقال: « **لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله** » وفي رواية: « **والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

لا تيأسوا فقد بشركم نبيكم وحبيبكم محمَّد بن عبد الله أفضل الخلق ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، بأن الله ﷻ سوف يتم أمره، وينصر رسله.. ويتفوق أتباع الحق مهما كان الأمر.. ليتمن الله هذا الأمر، وهو الإسلام وظهوره في جميع أنحاء الدنيا، في مشارق الأرض ومغاربها.. حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت وصنعاء الشام بينها وبين حضرموت بالشام مسافة بعيدة جدًّا.. لا يخاف المؤمن على نفسه من شيء إلا الله ﷻ، والذئب على غنمه.. ولكنكم تستعجلون.. فلا تيأسوا، ولا تتعجلوا فنصر الله قادم هذه الأمة، وهذا الدين لا محالة.. قال أفضل الخلق ﷺ: « **بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة، والتمكين في الأرض** »[2] وعند البيهقي: « **بشر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر** » إنه حديث يلوح بالنصر والتأييد من العزيز الحميد في وسط اليأس والإحباط الذي يشعر به الكثيرون اليوم، حيث تكالب علينا الأعداء، وأصابنا الوهن.. ولكن الله رحيم بعباده..

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٠٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد في « مسنده » وابن حبان في « صحيحه » والحاكم (٤/ ٣١١)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٨٢٢)، و« صحيح الترغيب » (١/ ١٥).

ستأتي ساعة الفرج.. قال ﷺ: «**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**»[1] هذا غرس الله، ومن أحسن من الله صبغة، ويأبى الغرس إلا طبيعته، والحمقى هم الذين يريدون أن يخرج هذا الغرس نكدًا، وكأنهم يقولون لشجر التفاح: لا تخرج إلا حنظلاً..

إن الفرج آت لا ريب فيه..

إذا اشتملت على اليأس القلوب	وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت	وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف النصر وجه	ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث	يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت	فموصول بها الفرج القريب[2]

وقال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [الشرح: ٥، ٦] ولن يغلب عسر يسرين.. وإن وعد الله ﷻ لهذه الأمة لن يتخلف، لأن قوله الصدق، ووعدهم الصدق.. وقد وعد المؤمنين الصادقين بالنصر.. فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]..

ووعده التمكين والاستخلاف، فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ...﴾ [النور: ٥٥]..

قال ابن كثير - رحمه الله -: هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته الولاة على الناس، فتصلح بهم البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا..

وقد فعله ربنا ﷻ - وله الحمد والمنة - ففتح رسول الله ﷺ مكة وخيبر والبحرين

---

(١) حسن: رواه أحمد وابن ماجة والبخاري في «التاريخ»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٦٩)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٢٤٤٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٢٦).

وسائر جزيرة العرب، وأرض اليمن بأكملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، وبعض أطراف الشام..

ولما تولى أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة، مهد الجزيرة العربية، وفتح طرف من فارس بقيادة خالد بن الوليد، وفتح بُصرى ودمشق وحوران بقيادة أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم أجمعين - وألهم الله الصديق أن يستخلف عمر بن الخطاب ﷺ الذي قام من بعده قيامًا تامًا، فتم في أيامه فتح الشام ومصر، وأكثر إقليم فارس، وتقهقر كسرى إلى أقصى مملكته، وفر قيصر إلى القسطنطينية، وأنفقت أموالهم في سبيل الله ثم امتدت دولة عثمان ﷺ إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ففتحت المغرب من ناحية المحيط، ومن ناحية المشرق، ومدائن العراق وخراسان والأهواز.. وقتل المسلمون الترك مقتلة عظيمة جدًا وخذل الله ملكهم (خاقان)..

أحبتي في الله..

لما كان الصحابة - رضوان الله عليهم - أقوم الناس بعد رسول الله ﷺ بأوامر الله ﷻ، وأطوعهم له، كان نصرهم بحسبهم، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر، نقص من تفوقهم وانتصاراتهم..

فهل حققنا شرط الله ﷻ، ليحقق لنا موعوده؟ لقد وعدنا التمكين بشروط:

١ - أقاموا الصلاة. ٢- وآتوا الزكاة.

٣- وأمروا بالمعروف. ٤- ونهوا عن المنكر.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] هل حققنا.. ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٥٥]..

الصحابة حققوا أوامر الله، فحقق لهم وعده.. ففتحوا البلاد مشرقًا ومغربًا..

ملكنا هذه الدنيا القرون — وأخضعها جدود خالدون

وسطرنا صحائف من ضياء — فما نسي الزمان وما نسينا

وما فتئ الزمان يدور حتى — مضى بالمجد قوم آخرون

وأصبح لا يُرى في الركب قومي وقد كانوا أئمته سنينا

وقد آلمني وآلم كل حر سؤال الدهر أين المسلمون

ترى أن يرجع الماضي فإني أتوق لذلك الماضي حنينا[1]

إن المؤمن الحق، الذي يعرف ربه حق المعرفة، ويعرف دينه حق المعرفة، يعرف تمامًا أن الله سيتم نوره ولو كره الكافرون.. سيتم دينه ونوره على ربوع البلاد والعباد.. مشرقًا ومغربًا.. وشمالاً وجنوبًا.. ولو كره المشركون الفاسقون.. المسلم الحق يعرف أنه يعيش في هذه المرحلة الاستثنائية ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٨، ٩]..

المسلم يعلم أن نصر الله قادم، لأنه وعد بذلك.. ووعده لا يتخلف.. ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١] فهم الكافرون الفاسقون.. ونحن المؤمنون.. هم المشركون، ونحن المتقون.. والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]..

الله ﷻ قد أهلك الكفار، وسيهلك كل من على شاكلتهم.. ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق: ١٥-١٧]..

هؤلاء ستباد قراهم، وسوف يزول ملكهم، لأن الله ﷻ قال في كتابه وهو أصدق القائلين، وهو أحكم الحاكمين: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق: ٨، ٩] كم من الملايين قتلوا من الكفار الفجار في الحرب العالمية الثانية؟ خمسين مليون كافر.. وكم دمر من مدنهم؟ وكم دولة من دولهم قد سقطت؟! والله ﷻ قادر على إهلاكهم وتدميرهم ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]..

وقد بشرنا حبيبنا ﷺ بمبشرات كثيرة تعطينا الأمل في انتشار الإسلام في أرجاء هذه البسيطة.. منها:

---

(١) من قصيدة «شباب الإسلام» من ديوان هاشم الرفاعي (ص١٩٦).

عن تميم الداري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفار** »[1] لقد وصل الإسلام إلى البوادي والحواضر، بل إلى أرجاء البسيطة كلها، وإنا ننتظر من الله المزيد، وما ذلك على الله بعزيز.. ومن المبشرات اتساع ملك المسلمين في المشارق والمغارب، وقد جاء ذلك في سنة المصطفى ﷺ حيث قال: « **إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها** »[2]..

فإذا حدثك أحد بأن النبي ﷺ رأى قارة استراليا وقارة أمريكا فلا تكذبه.. لأن الله ﷻ زوى له الأرض، فاطلع عليها كلها، وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ المشارق والمغارب.. ولقد حدث ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ فقد وصل ملك المسلمين إلى (سانس) جنوب باريس، وإلى (سيبريا) وجبال الصين، وإندونيسيا، وجزر الملايو، والفلبين ووسط أفريقيا، وهو بالغ بإذن الله ما هو أوسع من ذلك إن شاء الله..

وقد أخبرنا ﷺ وبشرنا بفتح روما بعد القسطنطينية، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً، أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: « **مدينة هرقل تفتح أولاً - يعني قسطنطينية** »[3]..

رومية هي روما وهي عاصمة إيطاليا الآن، وقد تحقق الفتح الأول على يد السلطان العثماني البطل [محمَّد الفاتح] وهو ابن ٢٣ سنة عام ١٤٥٣م وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار المصطفى ﷺ وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله ولابد، ولتعلمن نبأه بعد حين..

ومن المبشرات هذه الأمة عودة الرخاء والأمن إلى أرض العرب، ففي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ: « **لا تقوم**

---

(١) صحيح: رواه أحمد في « مسنده » وابن حبان في « صحيحه »، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في « الصحيحة ».

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي، وصححه ورواه ابن ماجة.

(٣) صحيح: رواه أحمد والدارمي والحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»[(١)] قال الشيخ الألباني - رحمه الله -:

وقد بدأت تباشير هذا الحديث تتحقق في بعض الجهات من جزيرة العرب بما أفاض الله عليها من خيرات وبركات، وآلات ناضحات، تستنبط الماء الغزير من بطن أرض الصحراء، وهناك فكرة بجري نهر الفرات إلى الجزيرة، كما قرأناها في بعض الجرائد المحلية، فلعلها تخرج إلى حيز الوجود، وإن غدًا لناظره قريب..

وجاء في كتاب «إنه الحق» (ص ٣٩):

قال البروفيسور ألفريد كرونر، وهو من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا - لما سئل: هل كانت بلاد العرب بساتين وأنهارًا؟ فأجاب: نعم..

فسئل: متى كان ذلك؟ قال: في العصر الجليدي، الذي مر بالأرض، إن الجليد يتراكم بالقطب الشمالي، ثم يزحف نحو الجنوب، فإذا اقترب من جزيرة العرب قربًا نسبيًا، تغير الطقس، وتكون بلاد العرب بساتين وأنهارًا.. فسئل: وهل ستعود بلاد العرب بساتين وأنهارًا؟ قال: نعم، هذه حقيقة علمية[(٢)].. فمن الذي علم محمَّدًا وأخبره بذلك؟! وهو الذي بشرنا بأن الله ﷻ لن يترك دينه بدون مجددين، وكلما خبا هذا الضوء وخفت، أعاده الله ﷻ للوهج مرة أخرى بهؤلاء العظماء، الذين يحيون السنة، ويميتون البدعة، ويوقدون أنوار التوحيد، ويطفئون نيران الشرك، قال ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[(٣)]..

قال ابن القيم - رحمه الله -: ولولا ضمان الله أن يحفظ دينه، وتكفله بأن يقيم له من يجدد أعلامه، ويحيي منه ما أماته المبطلون، وينعش ما أخمله الجاهلون، لهدمت أركانه، وتداعى بنيانه، ولكن الله ذو فضل على العالمين..

وقال صاحب «مجالس الأبرار»: إنما كان التجديد على رأس كل مائة سنة، لانخرام العلماء فيه غالبًا، واندراس السنن، وظهور البدع، فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين، فيأتي

---

(١) رواه مسلم وأحمد والحاكم.

(٢) من كتاب «إنه الحق» (ص٣٩-٤١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٧٤)، و«الصحيحة» (٥٩٩).

الله تعالى من الخلق بعوض من السلف، إما واحدًا، وإما متعددًا..

وبشرنا بوجود طائفة منصورة لا يخلو منها زمان، قال ﷺ: « **لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم خذلان من خذلهم، حتى تقوم الساعة** » وقال: « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك** »..

فهذه الطائفة موجودة مستمرة، وقد توجد في بعض الأرض دون بعض، وفي بعض البلدان دون بعض، ولكنها موجودة، منهم العلماء والمجاهدون والزرَّاع والصناع يكونون في قطاعات عريضة من المجتمع.. إنها طائفة منصورة بالحق ثم أنه ﷺ أخبرنا أن الأمة لا تخلو من الخير، فقال: « **مثل أمتي مثل المطر، لا يدري أوله خير، أم آخره** »..

بشرنا ﷺ بالانتصار على اليهود، إخوان القردة والخنازير.. فقال ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال، فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود** »(١). يُهزمون، ولا يبقى شيء مما خلق الله ﷻ يتواقى به اليهودي، ويهرب خلفه، إلا أنطق الله ذلك الشيء.. لا شجر.. ولا حجر.. ولا حائط.. ولا دابة.. إلا شجر الغرقد..

كل هذه مبشرات بانتصار الإسلام والمسلمين، وانتشار الدين في كل أنحاء العالم وقبل هزيمة اليهود والانتصار عليهم، ستكون هزيمة قبلها للنصارى، هزيمة عالمية ضخمة جدًّا في معركة تقوم بين المسلمين، وبين عُبّاد الصليب، يقول ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق** »(٢)..

هذه موضع قريب من بلدة حلب في سوريا، وقريب من الحدود التركية السورية « **فيخرج إليهم جيش من المدينة** » قيل: من المدينة القريبة، وقيل من مدينة الرسول ﷺ وهم من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا للقتال، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم - يعني هناك نصارى أسلموا ودخلوا في الإسلام، وصاروا مع

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

المسلمين.. فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا.. «**فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه ولا يخذله**»[1] فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلث، وهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا... بعد معركة مرج دابق ستسقط القسطنطينية غير القسطنطينية التي فتحها محمد الفاتح العثماني..

هذا الفتح سيكون بلا سلاح كيف؟ إنه سيفتح بالتهليل والتكبير، فقال ﷺ: «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب في البحر (القسطنطينية) لا تقوم الساعة، حتى يغزوها سبعون ألف من بني إسحاق**» والمحفوظ من بني إسماعيل (العرب) فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله.. والله أكبر.. فيسقط أحد جانبها الذي في البحر، ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون: لا إله إلا الله.. والله أكبر.. فيفرج لهم، فيدخلونها، فيغنمون فبينما هم يقتسمون الغنائم، إذ جاءهم الصريخ (المنادي): إن الدجال قد خرج.. فيتركون كل شيء ويرجعون[2]..

أيها الموحدون..

ومن المبشرات أن أعداءنا يرشحون هذا الدين للهيمنة، والمفكرون منهم يظنون فعلاً دين سيسيطر، وهم يحسبون له ألف حساب، وأنهم يفكرون فعلاً بقلق شديد للمستقبل..

يقول ابن جوريون رئيس وزراء إسرائيل السابق: إنَّ أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمَّد جديد..

ولن يظهر محمَّد جديد، لأن حبيبنا ورسولنا محمَّدًا هو خاتم النبيين والمرسلين.. ومحمَّد ﷺ موجود بيننا.. لم يمت.. موجود بسنته - موجود بشرعه موجود بيننا بمنهجه وطريقته.. صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله..

ويقول المستشرق (غاردنر): إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم.

ويقول (هانوتو) وزير خارجية فرنسا السابق: لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده، وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد، الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر..

ويقول المنصر (لورانس براون): إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا.. أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن، ولا تأثير..

ويكمل حديثه فيقول: يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقون، ليبقوا بلا قوة، ولا تأثير..

ويقول مورو بيرجر: إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية..

أيها الموحدون الكرام..

يظهر لنا من هذه الأقوال والاعترافات بأن أعداءنا يعترفون بقوة ديننا، ويخشونه ويخافونه، ويعملون له حسابًا، وعندهم دراسات وتحليلات كاملة تنبئهم بأن المسلمين ستكون الغلبة لهم في يوم من الأيام.. والمستقبل كله لهذا الدين ولأتباعه..

ولو أننا تأملنا حال هؤلاء، ودققنا النظر فيه، لوجدنا أنه لا توجد معصية ولا كبيرة، ولا ذنب فعلته الأمم السابقة، إلا وقعوا فيها وعملوها، والله ﷻ قد أهلك من قبلهم . لأنهم أشركوا وكفروا، وزنوا، وفعلوا الفواحش وطففوا المكيال والميزان، وشربوا الخمر، وأحلوا ما حرم الله ﷻ، إلى آخره.. فماذا كانت عاقبتهم؟ ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] وهؤلاء مثلهم، ولابد أن يهلك الله الظالمين المعتدين.. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ [محمد: ١٠] إذا لابد أن يقع على الجدد ما وقع بأسلافهم.. ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٤٣]؟

قوم عاد قالوا: من أشد منا قوة؟ وهؤلاء قالوا: نحن أقوى من أي قوة في الأرض.. قوم لوط.. كانوا يأتون الذكران من العالمين.. هم كما قال الله عنهم: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ .... ﴾ [الأعراف: ٨١] واكتفى رجالهم برجالهم، والنساء بالنساء.. الآن في الدول التي تزعم التقدم والحضارة، إتيان الذكران ينتشر بكثرة، حتى قننوا له القوانين..

بل المعابد والكنائس خاصة في أمريكا يقومون بتزويج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء حتى أحبارهم ورهبانهم ما سلموا من ذلك ٤٠٪ منهم يمارسون الشذوذ و٨٠٪ منهم زناة، كما أوردت صحيفة (الديلي ميل، والديلي ميرور) ٧٠٪ من الشعب الذي زعم الحضارة والتقدم يرون الشذوذ من طبيعة الحياة، وأنه حق فردي لأي شخص هؤلاء ما تورعوا عن اتهام سيدنا عيسى عليه السلام بهذه الفاحشة، ونص أحد قساوستهم بإصدار كتاب أسماه (المسيح شاذ جنسيًا) كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبًا..

فإذا كان الله عز وجل قد أهلك قوم لوط، فسوف يهلك هؤلاء مثلهم.. يهلكهم الله ربما بأن يسلط بعضهم على بعض.. ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩] يسلط هذا الظالم على هذا الظالم، وقد يهلكهم بعذاب من عنده، أو بأيدينا فتكون نهايتهم..

إذا نظرنا إلى مجتمعات الكفر وجدنا العجب العجاب، لديهم جميع أنواع الفواحش والرذائل... شرب الخمر تقول الإحصائيات الرسمية في السبعينات: إن عدد الذين يتعاطون الخمر من ٩٦-٩٧ مليون نسمة، وفي هذه الصناعة يعمل ٩ر١ مليون نسمة.. تقول مجلة التايمز الأمريكية: لقد أصبح الإدمان مشكلة كبيرة ينهش المجتمع بسرعة كبيرة، ولقد تنبهت الحكومة لهذه المشكلة، ولذلك شكلت لجنة حكومية خاصة مهمتها إجراء البحوث على الكحول وبعد الدراسة خرجت اللجنة بما يلي:

١- يوجد ٩٥ مليون مدمن في الولايات المتحدة..

٢- إن استهلاك الخمر زاد بنسبة ٢٦٪ ما بين ١٩٦٠-١٩٧٠م..

٣- الإدمان أصبح مشكلة صحية تواجه البلاد بعد أمراض القلب والسرطان، فقد بلغ عدد الذين ماتوا بسبب تليف الكبد الناتج عن الإسراف في الشرب ١٣ ألفًا..

٤- يتسبب الخمر في إحداث نصف الجرائم في الولايات المتحدة[١]..

جريمة الانتحار.. ذكرت مجلة (تايم) في تحقيق صحفي بعنوان [انتحار المراهقين] بأن الولايات المتحدة تشهد زيادة مستمرة في حوادث الانتحار، من صبيان وفتيات تتراوح أعمارهم ما بين عشرة وعشرين سنة.. ما يقارب ١/٤ مليون شخص في العام وأما في بريطانيا وحدها فقد بلغ عدد ضحايا الانتحار ٤٠ ألف شخص خلال عام واحد وفي الخاتمة أقول لكل موحد.. لا تيأس فالنصر قادم..

بـشائر النـصر هـبت في سـنا القمـر تـزهو بـسيف علـيه وصـحة الظفـر

بـشائر النـصر في الآفـاق سـاطعة لاحـت بدايـتها مـن صـفحة القـدر

بـشراكم أمتـي فالنـصر يـصحبكم والخـزي والـذل للمـستهزئ الأشر

اللهمَّ انصر الإسلام والمسلمين.. وأعلى بفضلك كلمتي الحق والدين..

اللهمَّ انصر الإسلام في كل مكان..

اللهمَّ اعصمنا من الفتن، واعصمنا من الزلل وعافنا من جميع البلايا والمحن..

اللهمَّ لا تجعل لظالم سلطانًا علينا.. ولا تجعل للشيطان سلطانًا علينا.. ولا تجعل للأهواء والنفس الخبيثة سلطانًا علينا..

يا ستار العيوب.. يا كاشف الكروب.. يا علام الغيوب.. يا غفار الذنوب.. اغفر ذنوبنا.. وتول أمرنا.. وأحسن خلاصنا.. ووفق ولاة أمورنا بفضلك وكرمك يا رب العالمين..

❁❁❁❁

(١) نقلاً من كتاب « مبشرات النصر والتمكين » (ص٢٢١) للشيخ/ سيد حسين العفاني.

الوصية رقم (٦٦)

التحذير من رواسب الجاهلية

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كنا مع النبي ﷺ في غزوة، فكسع رجل من المهاجرين، رجلاً من الأنصار - أي ضربه فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**»..

قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال ﷺ: «**دعوها، فإنها منتنة**»[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

كان الصحب الكرام - رضوان الله عليهم - في غزاة، قيل: هي غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين يقال له: جهجاه بن قيس، وكان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقود له فرسه، رجلاً من الأنصار هو سنان بن وبرة الجهني رضي الله عنه حليف الأنصار..

ومعنى كسعه - أي ضرب دبره بيده، أو بصدر قدمه، فاستغاث الأنصاري بالأنصار، واستغاث المهاجري بالمهاجرين.. فأنكر النبي ﷺ عصبيتهم، قائلاً لهم: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**» أي ما شأنها؟ وهو ينكر عليهم التفرقة.. ثم قال لهم: «**دعوها فإنها منتنة**» - أي كلمة قبيحة.. مؤذية، لأنها تخرج الإنسان من أصله الكبير.. تخرجه من أخوة الدين.. أخوة الإيمان.. إلى أمر حقير ذليل.. إنها الأنانية القبيحة، التي تظهر في هذه العصبية..

أحبتي الكرام..

لقد حرص الإسلام على إقامة العلاقات الودية بين الأفراد والجماعات المسلمة ودعم هذه الصلات الأخوية بين القبائل والشعوب، وجعل الأساس لذلك أخوة الإيمان، لا نعرة الجاهلية، ولا العصبيات القبلية، ورسولنا ﷺ أقام الدليل القاطع على

(١) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

حقيقة الأخوة الإيمانية، وتقديمها على كل أمر من الأمور الأخرى، فها هو رسول الله ﷺ يعلن مبدأ المساواة والأخوة، فيقول:

« **يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى، قال: فليبلغ الشاهد الغائب** »[١]، وفي الحديث: « **الناس بنو آدم، وآدم من تراب** »[٢]..

وقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وآخى كذلك بين الأوس والخزرج، وأخذ رسول الله ﷺ ينمي هذه الأخوة ويدعمها بأقواله وأفعاله.. مؤكدًا هذه الحقيقة الغالية.. يقول: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[٣]، وقال: « **مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى** »[٤]..

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تقوي رابطة الأخوة الإيمانية، وتنزع العصبية الجاهلية.. لقد أعلن مبدأ المساواة، وحرص على تطبيقه يوم أن جاء الحب ابن الحب، ليشفع في المرأة المخزومية التي سرقت.. فقد أخرج الشيخان عن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقال: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: « **أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة** » ثم قام فخطب قائلاً: « **إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة ابنة محمَّد سرقت، لقطع محمَّد يدها** »[٥]. ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة، فقطعت يدها، فحسنت توبتها.. لقد كانت وقفة

---

(١) « السلسلة الصحيحة » للألباني رقم (٢٧٠٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي وحسنه وأبو داود، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٩٢٢)، و« صحيح الجامع » (٤٥٦٨).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

حبيب المصطفى ﷺ صارمة غاية الصرامة، حاسمة كل الحسم، في أن الناس يجب أن يكونوا أمام الحق سواء، فلا معنى لقانون يطبق على فئة دون فئة، ولا قيمة لقانون تستثنى منه فئات لشرفها أو جاهها أو قدرتها على التواصل مع الحكام..

وقد ذكر رسول الله ﷺ فاطمة - رضي الله عنها - على وجه الخصوص، لأنها أعز أهله عنده، أو لأنه لم يبق من أبنائه ولا بناته أحد سواها في ذلك الوقت.. وكان رسول الله ﷺ يجلها غاية الإجلال، وغاية الحب..

أيها الموحدون..

والإسلام لم يكتف بتقرير مبدأ المساواة نظريًا، وتثبيته فكريًا، بل أكده عمليًا كما رأينا.. ولو نظرنا إلى أحكام الدين وتعاليمه وجدناه يحول ذلك من فكرة مجردة إلى واقع ملموس..

في العبادات الشعائر التي فرضها الإسلام، كالصلاة والصيام والزكاة والحج في صلاة الجماعة يقف الغني والفقير في صف واحد.. ومن ذهب إلى المسجد أولاً، أخذ مكانه أولاً في مقدمة الصفوف، حتى ولو كان من أقل الناس مالاً وأضعفهم جاهًا، ومن تأخر حضوره، تأخر مكانه، مهما كان مركزه..

يقف العالم بجوار الأمي، والشريف بجانب الوضيع، والحاكم بجوار الخادم.. لا فرق بين واحد وآخر، فكلهم سواسية أمام الله، في قيامهم وقعودهم وركوعهم وسجودهم.. قبلتهم واحدة.. وكتابهم واحد.. وربهم واحد.. وحركاتهم واحدة.. خلف إمام واحد..

وفي الحج تتحقق المساواة بصورة أشد ظهورًا.. فالكل يلبس ثيابًا بيضاء ليس فيها مخيط.. لم يدخلها التصنيع ولا التكلف.. أشبه ما تكون بأكفان الموتى.. يستوي فيها القادر والعاجز.. والملك والخفير.. ثم ينطلق الجميع ملبين بهتاف واحد (لبيك اللهمَّ لبيك ...) مبتهلين إلى رب واحد، طائفين ببيت واحد.. لا فرق بين سيد ومسود.. ولا آمر ومأمور..

وكذلك الصيام .. الكل يصوم في شهر واحد.. وفي وقت واحد.. ويفطرون كذلك في وقت واحد.. لا فرق بين غني ولا فقير.. ولا حاكم ومحكوم..

أحبتي الكرام..

وتقريرًا لمبدأ المساواة، نهى الإسلام عن الافتخار بالآباء، والاعتزاز بالانتماء القبلي، الذي قد يدفع بصاحبه إلى النار، وبئس القرار، لأنه ربما افتخر بالكفرة من آبائه أو أجداده، وما يدفعه إلى ذلك إلا العصبية الجاهلية.. وتعالوا بنا لنستمع إلى هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب ﷺ قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، فمن أنت لا أم لك؟ فقال رسول الله ﷺ: « **انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى تسعة.. فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان بن فلان بن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام، إن هذين المنتسبين، أما أنت أيها المنتمي إلى تسعة في النار، وأنت عاشرهم.. وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة** »[1]..

لقد لقن رسول الله ﷺ هذا المفاخر بآبائه درسًا يردعه ويردع أمثاله عن هذا الباطل الزائف..

وهذا الرجل الثاني الذي انتمى إلى الإسلام ليذكرنا بسلمان الخير.. سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سئل عن نسبه، قال: أنا ابن الإسلام.. ولما بلغ عمر مقولته هذه بكي، وقال: أنا ابن الإسلام.. وكان يقول:

أبي الإســـلام لا أب لي ســـواه   إذا افتخـــروا بقـــيس أو تمـــيم

جعل الإسلام لا فرق بين بلال الحبشي، ولا صهيب الرومي، ولا حمزة القرشي ولا أبي ذر الغفاري، ولا معاذ الأنصاري.. إلا بالتقوى والعمل الصالح..

رفع الإسلام سلمان فارس.. وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب بل لقد قال الحبيب المصطفى ﷺ قولة جعلها وسامًا على صدر سلمان الفارسي رضي الله عنه: « **سلمان منا آل البيت** »[2]..

إن الفخر بالآباء أو القبيلة أو بالعصبية الجاهلية مع غمز الآخرين، والطعن فيهم،

---

(١) صحيح: رواه النسائي والضياء في « المختارة »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٤٩٢)، و« الصحيحة » (١٢٧٠).

(٢) ضعيف: رواه الحاكم في المستدرك (١٥/ ٢٠٤) برقم (٦٦١٨)، والطبراني في « الكبير » برقم (٥٩٠٨)، وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » برقم (٣٢٧٢).

وأنهم لا يساوونه في النسب، مرض فتاك قاتل، يخبث النفس ويشعل العداوة، ويفرق الجماعة، ويوجد البغضاء والعداوة بين أفراد المجتمع الواحد، وقد يؤدي إلى تمزيق المجتمع، وجعله أحزابًا وطوائف.. ولقد شدد الرسول الأعظم ﷺ في محاربة هذا الداء العضال، ونهى أمته عن الوقوع فيه، وبين لهم حقيقة أمرهم، ليكونوا على بصيرة من ذلك، فقال: « **لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله ﷻ من الجعل، الذي يدهده الخرء بأنفه إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية** - أي كبرها ونخوتها - **إنما الناس رجلان: مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم من تراب** »[1]..

إنه تحذير نبوي كريم من آثار الجاهلية، التي جاء الإسلام ليحطمها، ويقيم عليها البناء الشامخ القوي.. إنها أخوة الإسلام التي لا ترقى إليها العصبية، ولا تؤثر فيها الجاهلية..

الناس من جهة الأصل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة ... وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب ... يفاخرون به فالطين والماء

الكل سواء أمام قانون السماء.. سيدنا أبو ذر الغفاري ﷺ عير رجلاً فقال له: يا ابن السوداء، فشكا ذلك للحبيب المصطفى ﷺ فقال له منكرًا وموبخًا: « **إنك امرؤٌ فيك جاهلية** »[2] وقبلها سأله: أعيرته بأمه؟ أي قلت له: يا ابن السوداء؟ وفي بعض الروايات إن أمه كانت امرأة أعجمية.. ومعنى إنك امرؤ فيك جاهلية - يريد أنك في تعييره بأمه على خلق من أخلاق الجاهلية، لأنهم كانوا يتفاخرون بالأنساب فجهلت وعصت الله في ذلك..

إن الإسلام قد محا من نفوس أبنائه عقد التمييز بين الأجناس والألوان والطبقات التي سادت مجتمعات كثيرة.. ولا زالت تسود مجتمعات أخرى إلى اليوم.. إن كثيرًا من

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، ورواه أبو داود، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٤٨٢).

(٢) رواه البخاري.

المسلمين على امتداد القرون يقولون عن بلال ﷺ العبد الأسود الذي اشتراه أبو بكر وأعتقه.. وتلك جاهلية جهلاء إننا نحب سيدنا بلال ونعتز ونفتخر به، حتى إن عمر ابن الخطاب ﷺ يقول عن سيدنا أبي بكر ﷺ هو سيدنا وأعتق سيدنا - أي بلالاً.. وأما الحضارة الغربية، فقد أعلنت مبدأ المساواة كلامًا.. ولكنها عجزت عن تحقيقه أو تطبيقه، ولا زالت مشكلة التمييز العنصري حية قائمة، نقرأ عنها ونسمع، إن لم نر ونشاهد - في جنوب أفريقيا، وكذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، التي فرقت بين البيض والسود، حتى في دور العبادة فللبيض كنائسهم المستقلة، كما أن للسود كنائسهم الخاصة..

وقد حدث أن أخطأ رجل أسود، فدخل كنيسة من كنائس البيض في يوم وكان القسيس يعظ ويحاضر الجالسين، فلمح هذا الوجه الغريب بين الحضور، فلم يملك إلا أن أخرج ورقة مطوية أرسلها إليه، فلما فتحها الرجل الأسود، وجد فيها: عنوان كنيسة السود في شارع كذا..

وفي روسيا أحب شاب أفريقي، كان يدرس في موسكو، فتاة شقراء، وأحبته.. وغلا مرجل الغضب في بعض الشباب السوفيتي.. لا من أجل الحب، فهذا أمر مباح هناك، بل لانتهاك حرمة اللون.. وفي اليوم التالي، وجدت جثة الشاب الأسود، ملقاة في الطريق، واحتج الطلاب الأفارقة بصورة جماعية.. فقابلهم الطلاب الروس بمثلها، وهم يقولون في بذاءة ووقاحة: عودوا إلى غاباتكم أيها القردة!!

أحبتي الكرام..

وليس الإسلام فقط يحترم شعور المسلم فقط، أو يساوي بين المسلم وأخيه المسلم فقط.. ولكن ساوى الإسلام بين المسلم وبين غيره في أمور متعددة، باعتباره إنسان له كيانه، وله شأنه.. فحتى لو اختلف الدين، فإنه لا يسقط عن المخالفين إنسانيتهم، ولا يخلعهم منها، حتى أن النبي ﷺ قام لجنازة - أي وقف احترامًا لها، فقيل: له: إنها جنازة يهودي، فقال ﷺ: «**أليست نفسًا؟**»[1] والقيمة الإنسانية واحدة للجميع.. فالعربي إنسان.. والأعجمي إنسان والأبيض إنسان.. والأسود إنسان.. والحاكم إنسان،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وغيرهم.

والمحكوم إنسان.. والغني إنسان.. والفقير إنسان.. ورب العمل إنسان والعامل إنسان.. والحر إنسان.. والعبد إنسان.. ومن هنا اعتبر الإسلام الاعتداء على النفس البشرية اعتداء على الإنسانية كلها - أي نفس - كما جعل إنقاذ أي نفس إنقاذًا للجميع، هذا ما قرره القرآن الكريم بوضوح في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]..

وفي عهد الخلفاء الراشدين وجدنا كثيرًا من الصور والأمثلة لتطبيق مبدأ المساواة بين جميع الناس، دون تفريق أو تمييز، وحسبنا أن نشير إلى قصة الأمير الغساني (جبلة ابن الأيهم) مع الأعرابي الذي شكا إلى عمر بن الخطاب ﷺ وكان أميرًا للمؤمنين كيف لطمه جبلة بغير حق، فلم يسع عمر إلا أن أحضر جبلة، ويطلب منه أن يقتص منه الأعرابى فيمكنه، ليلطمه لطمة بلطمة، إلا أن يعفو عنه الأعرابي أو يصفح وعز على الأمير الغساني أن يفعل ذلك، وقال لعمر بصراحة ووضوح: كيف يقتص مني وأنا ملك، وهو سوقة؟

فقال عمر: إن الإسلام سوى بينكما..

ولم يفهم الأمير المسكين هذا المعنى الكبير، وخرج من المدينة هاربًا مرتدًا عن الإسلام، الذي يفرض المساواة بين الملك والسوقة، أمام شرع الله ﷻ، وغلبت عليه شقوته، فكان من الخاسرين..

ولم يبال عمر والصحابة معه بهذه النتيجة، لأن ارتداد رجل عن الإسلام أهون بكثير من التهاون في تطبيق مبدأ عظيم من مبادئ الإسلام، وهو المساواة.. وخسارة فرد، لا تقاس بخسارة مبدأ..

وتأملوا قصة عمر بن الخطاب ﷺ مع واليه على مصر عمرو بن العاص حين ضرب ابنه عبد الله رجلاً قبطيًا متطاولاً عليه بأنه ابن الأكرمين..

وتأملوا كيف سافر القبطي من مصر إلى المدينة، شاكيًا الوالي، طالبًا النصفة والعدل، فما كان من عمر إلا أن استدعى أميره على مصر (عمرو بن العاص) واستدعى ولده عبد الله، وأمر القبطي أن يضرب ابن عمرو كما ضربه، وكان معه

الدرة، فأمره أن يمررها على صلعته، ويقول له: أنت ابن الأكرمين؟! ثم قال كلمته المشهورة [متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!]..

الرجل القبطي يسافر من مصر إلى المدينة، على بعد المسافة، ومشقة الطريق، وضعف المواصلات.. لماذا؟ ما الذي جعله يركب الصعب في سبيل الانتصاف لنفسه؟ إنه الإسلام، الذي جعله يشعر بكرامته الإنسانية.. وأفهمه أن له حقوقًا يجب أن يبحث عنها..

وفي عهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ سقطت منه درع فالتقطها نصراني، فعرفها عليّ معه، فقال له: هذه درعي، ولكن الرجل النصراني أنكر، وادعى أنها ملكه، فلم يملك سيدنا عليّ إلا أن قال للنصراني: بيني وبينك القضاء.. وذهبا إلى القاضي شريح، وبعد سماع الخصمين، طلب القاضي من الخليفة بينة على دعواه - أي شهودًا - فلم يكن عنده.. فما كان من القاضي إلا أن حكم للنصراني بالدرع، بحكم وضع يده عليه.. ودهش النصراني لهذا الحكم، الذي لم يكن يتوقعه، فقال: أشهد أن هذه أحكام أنبياء.. أمير المؤمنين يذهب معي إلى القاضي، فيحكم لي عليه، وهو يعلم أنه لا يكذب.. أما إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمَّدا رسول الله..

يا أمير المؤمنين، إن الدرع درعك، وقد سقطت منك، فأخذتها.. فوهبها له عليٌّ. فأي نظام في الدنيا يعامل رئيس الدولة، كما يعامل واحدًا من الرعية؟!

اللهمَّ إنا نسألك فعل الخيرات.. وترك المنكرات.. وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا، وتتوب علينا.. وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضنا إليك غير خزايا، ولا مفتونين.. وألحقنا بالصالحين..

اللهمَّ ألحقنا بنبينا غير خزايا ولا نادمين.. ولا خارجين ولا فاسقين.. ولا مبدلين، ولا مرتابين.. واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا..

۞۞۞۞

الوصية رقم (٦٧)

تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد

عن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه وصية ربانية من رب البرية جل في علاه، إنها وصية بالتواضع..

والتواضع خلق من أجل أخلاق المؤمنين الصادقين، لأن به يعرف المرء نفسه وحقيقته.. يقول عنه عبد الله بن المبارك - رحمه الله -: رأس التواضع أن نفسك عند من دونك في نعم الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياك فضل عليه، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تعلمه، أنه ليس له بدنياه فضل عليك[٢]..

التواضع خلق محبب إلى ربكم، لذلك ربي عليه أنبياءه، فخاطب نبينا وحبيبنا محمَّدًا ﷺ آمرًا له بالتواضع، فقال: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨] وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم، والرفق بهم وربى عليه كليمه موسى عليه السلام يوم قال للسائل: أنه لا يعرف من هو أعلم منه على وجه الأرض، فأرسل إليه الخضر، ليتعلم منه[٣]..

عن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**موسى رسول الله قال: ذكّر الناس يومًا، حتى إذا فاضت العيون، ورقت القلوب ولى، فأدركه رجل، فقال: أي رسول الله، هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال موسى: لا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٨) للغزالي.

(٣) روح المعاني» (٥/ ١٤) للألوسي.

العلم إلى الله»[1]..

فأدبه الله ﷻ بالتواضع، فأرسله إلى الخضر، ليعلمه ما علمه الله ﷻ ولما ركب السفينة، جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله تعالى، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر..

وربى الله نبيه سليمان عليه السلام، الذي أوتي من الملك ما لم يؤتاه أحد فجاءه الهدهد، وهو طائر صغير في مملكة سليمان، ليقول له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]..

وغيرهم من أنبياء الله ورسله، وامتدح الله ﷻ من يربون أولادهم على التواضع في صورة تخليده لوصية لقمان لابنه في آيات تتلى إلى يوم القيامة، والتي قال فيها لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]..

والقرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل لقد نوه بالمتواضعين أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]..

فقد نعت الله تعالى من اختصه بالعبودية له بنعوت كثيرة، استهلها بنعت أو بصفة التواضع، الذي دل عليه مشيهم في الأرض هونًا - أي بسكينة وتواضع، وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم، لأن العبودية له سبحانه من أشرف الأوصاف ومن أعلى مراتب المحبين، وبذلك يتفاخرون..

كفاني فخرًا أن تكون لي ربًّا　　　وكفاني عزًّا أن أكون لك عبدًا

ولذلك نسبت العبودية لرسول الله ﷺ في أشرف مناسبة له في حياته، وأعظمها، وذلك ليلة الإسراء والمعراج، حيث نال أعظم التكريم، وغاية التبجيل، إذ أدناه ربه من حضرته القدسية، وأوحى إليه في ذلك المقام ما أوحى، ومع ذلك وصفه بالعبودية، حيث قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ

---

(١) رواه البخاري.

﴿ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ... ﴾ [الإسراء: ١] فكفى بالمتواضعين فخرًا وشرفًا أن الله وصفهم بالعبودية له سبحانه..

وقد رغب النبي - صلوات ربي وسلامه عليه - في التواضع، لأن من تواضع لله رفعه الله ﷻ.. يقول عمر بن الخطاب ﷺ يومًا وهو على المنبر:

يا أيها الناس: تواضعوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من تواضع لله، رفعه الله، فهو في نفسه صغير، وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبر، وضعه الله، فهو في أعين الناس صغير، وفي نفسه كبير، حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير** »[(١)]..

وعنه ﷺ مرفوعًا قال: يقول الله تبارك وتعالى: « **من تواضع لي هكذا - وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها - رفعته هكذا - وجعل باطن كفه إلى السماء ورفعها نحو السماء** »[(٢)]..

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك - أي موكل بها - فإذا تواضع، قيل للملك: ارفع حكمته - أي قدره ومنزلته - فإذا تكبر، قيل للملك: ضع حكمته** »[(٣)]..

وسيدنا سلمان الفارسي ﷺ ينصح سيدنا جرير بن عبد الله البجلي ﷺ فيقول له أيا جرير، تواضع لله، فإنه من تواضع لله في الدنيا، رفعه الله يوم القيامة[(٤)]..

وعن طارق قال: خرج عمر ﷺ إلى الشام، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ﷺ فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقة له، فنزل ونزع خفيه، فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض..

فقال أبو عبيدة ﷺ: « يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك »..

---

(١) « مشكاة المصابيح » (٣/ ١١٠)، رقم (٥١١٩)، وسكت عنه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أحمد والبزار ورواتهما محتج بهم في « الصحيح ».

(٣) حسن لغيره: رواه الطبراني والبزار، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٢٨٩٥).

(٤) صحيح لغيره: رواه البيهقي بسند حسن، وذكره الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٧٣٣)، والغزالي في « الإحياء » (٣/ ٢٨).

فقال عمر ﷺ: « أوه، لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة، جعلته نكالاً لأمة محمَّد ﷺ لقد كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به، أذلنا الله »[١]..

فعلوا ذلك وتخلقوا بالتواضع، لأن أستاذهم ومربيهم ومعلمهم هو سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين ﷺ فقد كان متواضعًا في نفسه، متواضعًا في كل شيء..

فعن أبي هريرة ﷺ قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمَّد، أرسلني إليك ربك: أملكًا أجعلك؟ أم عبدًا رسولاً؟ فقال له جبريل عليه السلام: تواضع لربك يا محمَّد، فقال: « **بل عبدًا رسولاً** »[٢]..

وقال ﷺ على سبيل التواضع أيضًا: « **لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله** »[٣]..

وقال: « **لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى** »[٤]..

وهذا مع علمه بأنه سيد الأولين والآخرين.. قال يومًا عن نفسه: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض** »[٥]. ولكنه نهى عن ذلك هضمًا لنفسه، وتواضعًا لربه وإخوانه الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - جريًا على ما كان متحليًا به من التواضع الجم، وهضم النفس..

لقد كلم رجل يومًا من الأيام، فأخذته رعدة، فقال له النبي ﷺ : « **هوِّن عليك،**

---

(١) صحيح موقوف: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٨٩٣).

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده وابن حبان وأبو يعلى والبزار، وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٢): رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب ».

فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد»[١] فما أعظمك يا رسول الله! وما أعظم هذا التواضع الذي تحليت به ولما حج حجته المشهورة - حجة الوداع - ومعه من المسلمين نحو مائة ألف، وهو ﷺ إمامهم، يصدرون عن أمره ونهيه، ويترقبون حركاته وسكناته، ليقتدوا به في أداء المناسك، ومع ذلك فقد كان في غاية التواضع لله وللمؤمنين، إذ حج على رحل رث، وعليه قطيفة، لا تساوي أربعة دراهم، وقال: «**اللهمَّ اجعله حجًا، لا رياء فيه ولا سمعة**»[٢]، وعن أنس ﷺ قال: إن امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة، فقالت: يا رسول الله، إنَّ لي إليك حاجة، فقال: «**يا أم فلان، اجلسي في أيّ سكك المدينة شئت، أجلس إليك**» قال: ففعلت، فقعد إليها رسول الله ﷺ حتى قضت حاجتها»[٣]..

ويحكى لنا أنس بن مالك ﷺ ويبين تواضعه، فيقول: كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنائز، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد.. قال: وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف، وعليه إكاف من ليف[٤]..

وكان من تواضعه ﷺ أنه إذا ركب دابة، لا يأنف من أن يردف أحدًا معه عليها، إن أمكن، وإلا تناوب معهم في الركوب عليها.. فقد أردف خلفه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث، وأردف خلفه عبد الله بن عباس..

وعن ابن مسعود ﷺ قال: كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير، قال: وكان أبو لبابة وعلى بن أبي طالب - رضي الله عنهما - زميلي رسول الله ﷺ قال: وكانت إذا جاءت عقبة رسول الله - أي دوره في الركوب - قالا: نحن نمشي عنك، فيقول: النبي ﷺ: «**ما أنتما بأقوى مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما**»[٥]..

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٥٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي في «الشمائل» وابن ماجة، وصححه الألباني في «الترغيب» (١١٢٢).

(٣) رواه مسلم (٢٣٢٦).

(٤) رواه الترمذي وابن ماجة في «الزهد»، وأبو الشيخ في «الأخلاق» رقم (١٢٢)، والبغوي في «شرح السنة».

(٥) حسن: ذكره البغوي في «شرح السنة»، وأحمد في «مسنده»، وأبو نعيم في «الحلية»، وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٧١) إلى البزار وأحمد، وقال: رجال أحمد رجال «الصحيح» إلا أن فيه عاصم بن بهدلة حديثه حسن.

وهذا من كمال تواضعه ﷺ..

وقد كان من تواضعه ما أخبرنا به أنس بن مالك ﷺ أيضًا بقوله: « **إن كانت الأمة من أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها** »..

وقد كان من تواضعه في بيته ومع أهل بيته، لما سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ فقالت: « نعم، كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته »[1]..

وفي رواية أخرى: « كان بشرًا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه »[2]..

فهذا نبي الله ﷺ وبهذه المكانة العالية الرفيعة عند ربه ومولاه، ومع ذلك يقوم بهذه الأعمال.. ولا حاجة له في أن يقوم بها إلا لكمال تواضعه، لأن هذا العمل ممكن أن تقوم به أمهات المؤمنين، أو أحد من خدمه الذين وهبوا أنفسهم لخدمته رغبة في رضى الله ﷻ، ولكنه يأبى إلا أن يقوم بنفسه، لكمال تواضعه، فهل بعد هذا من تواضع؟

هل لنا أن نتخلق بأخلاقه؟ ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٢١]..

إنه سيد ولد آدم، ليس فوقه أحد من البشر، وهو أحب الخلق إلى الله ﷻ وأعظمهم جاهًا وقدرًا عند رب العالمين.. إنه صاحب الوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة.. إن الأرض ما وطئ عليها، ولن يطأ عليها إلى يوم القيامة أكرم، ولا أجل ولا أرفع منه ﷺ ومع هذا كله كان يوم الخندق ينقل التراب على كتفه الشريف، حتى أغبر بطنه، وكان يقول:

اللهمَّ لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلنّ سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إنَّ الأُلى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده »، وابن حبان في « صحيحه »، وأبو الشيخ في « الأخلاق ».

(٢) رواه أحمد في « المسند »، وابن حبان والبيهقي في « الدلائل »، والبغوي في « الأنوار ».

ويرفع بها صوته [أبينا .. أبينا][1]..

وكان يرعى الغنم.. وليس هو وحده ولكن إخوانه من الأنبياء، قاموا برعي الأغنام.. قال ﷺ: « **ما بعث الله نبيًّا، إلا وقد رعي الغنم وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط** »[2]. قال أهل العلم: رعي الغنم وظيفة، ارتضاها الله ﷻ لأنبيائه.. فما السر في ذلك؟

قالوا: إن من أسرارها أنها تربي النفوس على التواضع، وتزيد الخضوع لله رب العالمين.. وتربي على الصبر، وتحمل المشاق..

كان يأتي ضعفاء المسلمين لزيارتهم ومودتهم، فلم تشغله النبوة عن ذلك، ولم تمنعه مسئولية أمته، ولا كثرة الارتباطات والأعمال أن يجعل للضعفاء والمرضي نصيبًا من الزيارة والعبادة واللقاء..

فأين أنتم يا أصحاب الجاه والسلطان من هذا الخلق العظيم؟ أين أنتم من هدى نبيكم الكريم.. إن أردتم حلاوة الإيمان أن تطعموها.. فهذا هو السبيل إليها فلا تخطئوه..

كان من تواضعه ﷺ أنه كان يمر بالصبيان، ويسلم عليهم، وفي رواية: « كان يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح رءوسهم ». إننا نجد في هذا العصر من يترفع عن المتقين من الرجال، فكيف يكون شأنه مع الصبيان والصغار؟

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

ورضي الله عن سلفنا الصالح، وعمن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، فقد كان سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ قبل الخلافة يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة، قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا المنائح (أغنام دارنا) فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو الله أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري (٢٢٦٢) كتاب الإجارة.

يحلب لهم، فربما قال للجارية من الحي: يا جارية، أتحبين أن أُرغي لك أو أصرح؟ فربما قالت: أرغ. وربما قالت: صرح فأي ذلك قالت، فعل.. بعض الناس إذا تولى منصبًا ولو حقيرًا تكبر على أهله وجيرانه فهلا تعلم التواضع..

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة: أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء، وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو أبو بكر الصديق الذي كان يأتيها، وهو يومئذ خليفة..

وعن سعيد بن المسيب - رحمه الله -: أنَّ أبا بكر ﷺ لما بعث الجنود إلى بلاد الشام، أمر يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ولما ركبوا، مشي أبو بكر مع أمراء جنوده يودعهم، حتى بلغ ثنية الوداع.. فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشي ونحن رُكبان؟ فقال: إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله..

وهذا سيدنا عمر الفاروق ﷺ يخرج في يوم حار، واضعًا رداءً على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام، احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين..

قال: لا، بل اركب أنت، وأنا أركب خلفك، تريد أن تحملني على المكان الوطيء، وتركب أنت على المكان الخشن، فركب خلف الغلام، فدخل المدينة وهو خلفه، والناس ينظرون إليه..

وكان سيدنا عثمان بن عفان ﷺ يلي وضوءه بالليل بنفسه، فقيل له: لو أمرت بعض الخدم، فكفوك؟ فقال لهم: لا إن الليل لهم ليستريحوا فيه. فأين أولئك الذين يتعبون خدمهم بالليل والنهار، وربما يحتاج أحدهم كأس الماء في الليل، فيصيح بالخادم، بل وأحيانًا تكون امرأة أجنبية.. فهلا تعلموا التواضع من أئمة الهدى، ومصابيح الدجى؟!

وعند البخاري في الأدب المفرد أن عليًّا ﷺ اشترى تمرًا بدرهم، فحمله في ملحفته، فقال له رجل: أحمل عنك يا أمير المؤمنين، فقال له: لا أبو العيال أحق أن يحمل..

وكان ﷺ يمشي في الأسواق وحده، يرشد الضال، ويعين الضعيف ويمر بالبائع والبقال، فيفتح عليه القرآن.. ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل، والمتواضعين من الولاة..

وهذا سيدنا عبد الله بن سلام ﷺ يمر في السوق وعليه حزمة من الحطب، فقيل له: ما يحملك على هذا، وقد أغناك الله عن هذا؟ قال: أردت أن أدفع الكبر.. فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** »[1]..

أحبتي الكرام..

من أراد الرفعة، فليتواضع لله ﷻ، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة، صعد إلى أعلاها، فكأن سائلاً سأله: ما صعد بك إلى هنا - أعني في رأس الشجرة وأعلاها - وأنت في أصلها - أي تحتها؟ فكأن لسان حاله يقول: « **من تواضع لله رفعه** »..

انظر إلى السحاب حين تواضع. لقد ارتفع في الأجواء، فطاف على الرياض فألقى لؤلؤًا من نداه، ثم مر بالقمر المجدب، فأنتبه وأرواه، ولما رأى البحر الخضم، ورأى عظمته تتجلى في الأمواج المتلاطمة، والتيار الهائج، قال في نفسه: لابد أن أتواضع وأهبط من عليائي إلى هذا البحر، فكافأه الله على تواضعه: فأمر الأصداف أن تستقبل قطراته، وأن تحولها إلى لؤلؤ مكنون، ينتظم للحسان، أو جواهر للتيجان..

تواضع.. فإن التراب لما ذل لأخمص القدم، صار طهورًا للوجه..

اللهمَّ اجعلنا من المتواضعين لعبادك المؤمنين. متذللين إليك ضارعين

اللهمَّ املأ وجهنا منك حياء.. وقلوبنا منك حبا. وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا من خدمتك..

اللهمَّ أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.. يا خير المسئولين.. يا خير المعطين.. يا خير الرازقين..

---

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما، وخرج في موضع آخر.

اللهمَّ كن لنا وللمسلمين عونًا وسندًا، وهاديًا ومعينًا وحافظًا..

اللهمَّ اصرف عنا السوء بما شئت، وكيف شئت، إنك على ما تشاء قدير..

اللهمَّ اشرح صدورنا.. ويسر أمورنا.. واقض حوائجنا.. يا قاضي الحاجات.. يا كاشف الكربات.. يا مجيب الدعوات.. يا سميع يا سريع يا قريب يا مجيب .. يا كريم العفو، ويا عظيم الرجاء.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٦٨)

عليكم بالإنصاف

عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً، فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: « **يا أبا ذر، أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينهم** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

هذه الوصية المباركة من أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ للصحابي الجليل، الزاهد الورع، أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وهي في عمومها تحث على الإنصاف.. إنصاف المرء من نفسه، أو من غيره..

ذلكم الخلق العظيم، الذي غاب بين أفراد مجتمعنا.. والإنصاف الغائب في الأسرة الإنصاف الغائب في المدرسة.. الإنصاف الغائب في العمل.. الإنصاف الذي غاب في مجتمعاتنا كلها.. إلا من رحم ربي..

هذا الخلق الغائب قال عنه الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف..

وقال القرطبي - رحمه الله - معلقًا على كلام الإمام مالك: « هذا في زمان مالك، فكيف في زماننا اليوم، الذي عم فيه الفساد، وكثر فيه الطغام؟! » أي أوغاد الناس، ونحن نقول: إن زمن الإمام مالك - رحمه الله - كان في القرن الثاني الهجري، وزمن القرطبي - رحمه الله - كان في القرن السادس الهجري، فما الظن بزماننا هذا؟ ألا إن الهوة أشد، والخطب أوهى وأمر، فإلى الله المشتكى، وعليه التكلان..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

أحبتي في الله..

الإنصاف ثلث الإيمان، لما رواه البخاري تعليقًا عن عمار قال: « **ثلاث من جمعهن، فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار** »[(١)] ولا عجب إن قلنا: إنه الإيمان كله، لأن من أنصف سلم وأنفق، بل إن من أنصف آمن واستقام، ورضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد ﷺ نبيًّا ورسولاً..

أفترون من حاله هكذا.. أي مؤمن مستقيم، راض بربه ومولاه ربًا، وبرسوله محمَّد نبيًّا، أيظلم أو يغش؟ أترونه يشح أو يبخل؟ أترونه يحابي أو يماطل؟ أترونه يتحيز أو يتعصب؟ أترونه يدع المحاسن ويقع في سفاسف الأمور؟ إن المنصف لبعيد عن ذلك كله.. لكن ما هو الإنصاف؟ وما هي أنواعه؟ وما أقوال العلماء فيه؟

قال أهل العلم: الإنصاف: أي العدل، وتناصفوا: أنصف بعضهم بعضًا وأنصف الشخص أي عدل..

قال المناوي – رحمه الله –: الإنصاف هو العدل في المعاملة، بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله..

وقيل: هو استيفاء الحقوق لأربابها، واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة.. إنها كلمة تعني العدل والإحسان لا الظلم والاعتداء، تعني اتباع الشرع لا اتباع الهوى قال الله ﷻ لنبيه داود عليه السلام: ﴿ **يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...** ﴾ [ص: ٢٦] قال القاسمي: في الآية وجوب الحكم بالحق، وأن لا يميل إلى أحد الخصمين لقرابة، أو رجاء، أو سبب يقتضي الميل..

وقد أنصف القرآن الكريم ملكة سبأ في قولها: ﴿ **... إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ...** ﴾ والوقف هنا وقف تام، فقد تم المعنى، فقال الله ﷻ بعد ذلك تحقيقًا لقولها: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل: ٣٤] قال الشيخ ابن غازي: فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ من تصديق الله تعالى لقول ملكة سبأ وهي كافرة، وهذا في غاية العدل والإنصاف..

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا.

وقد كان هذا الخلق الكريم سائدًا في الجاهلية قبل الإسلام.. فهذا ابن الدغنة وكان في مكة سيدًا مطاعًا، وكان كافرًا.. ومع ذلك أنصف سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ حين ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجرًا، نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة، فقال له: أين تريد يا أبا بكر؟ قال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي..

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر، لا يخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع، واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة - أي ركب معه راحلته، وطاف ابن الدغنة عشية في إشراف قريش، قائلاً لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذّب قريش بجوار ابن الدغنة[1]..

فإنصاف ابن الدغنة وهو على الكفر لسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ وهو ممن دخل في الإسلام، يدل على أن التحلي بهذا الخلق الرفيع، وهو الإنصاف من الأمور التي يقرها الطبع السليم..

وقد كان هذا الخُلق العظيم من أخلاق إمام النبيين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمَّد ﷺ فقد حث عليه قولاً وعملاً.. قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2]..

وفي مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه - قال: أظنها عائشة - رضي الله عنها - فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها بقصعة فيها طعام، قال: فضربت الأخرى بيد الخادم، فكسرت القصعة نصفين، قال: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**غارت أمكم**»..

قال أنس: وأخذ الكسرتين، فضم إحداهما إلى الأخرى، فجعل فيها الطعام ثم قال: «**كلوا**» فأكلوا وحبس رسول الله ﷺ القصعة، حتى فرغوا، فدفع الرسول ﷺ

---

(١) «الإنصاف» لأبي الحسن بن عازي (٤٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

قصعة أخرى، وترك المكسورة مكانها، أي في بيت التي كسرت[١]..

ففيه الصبر على أخلاق النساء وعوجهن، لأنه ﷺ لم يوبخها على ذلك ولا لامها، ولا زاد على قوله: « **غارت أمكم** »..

وفيه إنصاف الرسول ﷺ لمن أرسلت إليه الطعام، فقد أرسل إليها القصعة السليمة، وترك للأخرى المكسورة..

وها هو سيد المنصفين، ورسول رب العالمين - صلوات ربي وسلامه عليه، ينصف المرأة الغامدية، حين تناولها سيدنا خالد بن الوليد ﷺ بلسانه، وهي يقام عليها حد الرجم، قام خالد فضربها بحجر، فرمي رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها، فلما سمع نبي الله ﷺ سبه إياها، قال مخاطبًا خالد بن الوليد، ومنصفًا للمرأة: « **مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس، لغفر له** »[٢]..

أحبتي الكرام..

وها هي السيدة عائشة - رضي الله عنها - تنصف السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - يومًا من الأيام رغم أنها قد تطاولت عليها..

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله إلى رسول الله، فاستأذنت، وهو مضطجع معي في مرطى، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك، يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة - أي يطلبن منك أن تسوي بينها وبينهن في المحبة القلبية..

قالت عائشة - رضي الله عنها -: فقال لها رسول الله ﷺ: « **ألست تحبين ما أحب؟** » فقالت: بلى، قال: « **فأحبي هذه** »..

قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بما حدث، وبما قال.. فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء.. فأرسلن السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - رغم أنها تغار على رسول الله ﷺ ورغم أنها استطالت عليها: وهي التي كانت

---

(١) رواه البخاري وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

(٢) رواه مسلم (١٦٩٥).

تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ. ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب.. وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتتقرب به إلى الله ﷻ"[١]..

وهذا هو الشاهد، وهذا هو وجه الإنصاف، حيث إن الغيرة، واستطالة زينب على عائشة - رضي الله عنها - لم تمنع عائشة من إنصاف زينب - رضي الله عنها -..

بالإنصاف يشعر الفرد والأسرة والمجتمع بالأمان والرضا والقناعة، إذ لا أضر عليهم في حياتهم ومعاشهم وشئونهم كلها من الظلم والجور، واتباع الهوى.. بالإنصاف يوثق بالعالم، ويطمئن إلى القاضي..

قال أبو الزناد بن سراج: إن العبد إذا اتصف بالإنصاف، لم يترك لمولاه حقًا إلا أداه، ولم يترك شيئًا مما نهاه عنه، إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان..

وقال الشيخ عبد الوهاب خلاف: حين جاء الإسلام، كان إنصاف الضعفاء من الأقوياء أظهر شعائره، وأول أهدافه، كذلك أنصف الفقراء من الأغنياء، فقرر في أموال الأغنياء حقًا معلومًا للسائل والمحروم، وأنصف اليتامى ممن يتولون أمرهم، فقال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢][٢]..

وقال شوقي مخاطبًا المصطفى ﷺ:

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى ... فالكل في حق الحياة سواء

فلو أن إنسانًا تخير ملة ... ما اختار إلا دينك الفقراء[٣]

وقد ذكر أهل العلم أن للإنصاف أنواعًا عديدة منها:

١ - أن ينصف المرء نفسه من نفسه، إذ كيف ينصف الناس من لا ينصف نفسه، فلا يدعي لها ما ليس لها، ولا يدنسها بمعصية الله، ويرفعها بطاعته وتوحيده وحبه..

---

(١) رواه مسلم والنسائي.

(٢) «نور من الكتاب والسنة» (ص١٢١) بتصرف.

(٣) «ديوان شوقي» (١/ ٣٩).

٢- أن ينصف المرء خالقه ﷻ، حيث لا يتصور أن ينصف المخلوقين من لا ينصف الخالق ﷻ.. جاء في الأثر الإلهي، يقول الله ﷻ: ابن آدم، ما أنصفتني، خيري إليك نازل، وشرك إليّ صاعد، كم أتحبب إليك بالنعم وأنا غني عنك، وكم تتبغض إليّ بالمعاصي، وأنت فقير إليّ، ولا يزال الملك الكريم يعرج إليّ منك بعمل قبيح[1]..

وجاء في أثر آخر: ابن آدم، ما أنصفتني، خلقتك، وتعبد غيري، وأرزقك وتشكر سواي[2]..

قال ابن القيم - رحمه الله -: طوبى لمن أنصف ربه، فأقر بالجهل في علمه، والآفات في عمله، والعيوب في نفسه، والتفريط في حقه، والظلم في معاملته، فإن آخذه بذنوبه، رأى عدله، وإن لم يؤاخذه بها، رأى فضله، وإن عمل حسنة رآها من منته وصدقته عليه، فإن قبلها فمنة وصدقة ثانية، وإن ردها فلكون مثلها لا يصلح أن يواجه به..

وإن عمل سيئة رآها من تخليه عنه وخذلانه له، وإمساك عصمته عنه، وذلك من عدله فيه، فيرى في ذلك فقره إلى ربه وظلمه في نفسه، فإن غفرها له فبمحض إحسانه وجوده وكرمه..

ونكتة المسألة وسرها: أنه لا يرى ربه إلا محسنًا، ولا يرى نفسه إلا مسيئًا أو مفرطًا، أو مقصرًا، فيرى كل ما يسره من فضل ربه عليه، وإحسانه إليه، وكل ما يسوءه من ذنوبه، وعدل الله فيه[3]..

الإنصاف في معاملة الله أن يعطي العبودية حقها، وأن لا ينازع ربه صفات ألوهيته، وأن لا يشكر على نعمه سواه، ولا يستعين بها على معاصيه، ولا يحمد غيره، ولا يعبد سواه..

٣- إنصاف النبي ﷺ وذلك بالقيام بحقوقه ﷺ من الإيمان به ومحبته، وتقديم محبته على محبة الخلق كلهم وطاعته وتوقيره وتبجيله، وتقديم أمره وقوله على أمر غيره وقوله.. فهو ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأرحم بهم وأرأف بهم من كل أحد من

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٤٠٩، ٤١٠) لابن القيم الجوزية.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) «الفوائد» (ص٤٩) لابن القيم الجوزية.

خلق، وأنه ما وصل إلى خير إلا وعلى يديه ﷺ..

٤- إنصاف العباد من نفسه: فينصف غيره من نفسه، حتى لو كان هذا الغير مخالفًا له في الرأي أو في الدين أو في المذهب، أو غير ذلك..

لذلك نرى أنه من الإنصاف للغير قول السيدة عائشة - رضي الله عنها - لما سمعت عروة بن الزبير يسب حسان بن ثابت رضي الله عنه وكان ممن خاض في حديث الإفك، فقالت - رضي الله عنها -: يا ابن أختي، دعه فإنه كان ينافح عن رسول الله[1]..

وقال عروه: كانت عائشة تكره أن يُسب عندها حسان، وتقول إنه الذي قال:

فــــإني وأبي ووالــــده وعــــرضي لعــــرض محمَّــــد مــــنك وقــــاء[2]

وخطب عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - في أهل العراق - قبل وقعة الجمل - ليكفهم عن الخروج مع أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقال: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم، ليعلم إياه أم هي؟!

ومعلوم أن عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - كان في صف علي رضي الله عنه..

قال ابن هبيرة: في هذا الحديث الأدلة أن عمارًا كان صادق اللهجة، وكان لا تستخفه الخصومة إلى أن ينتقص خصمه، فإنه شهد لعائشة - رضي الله عنها - بالفضل التام مع ما بينهما من الحرب[3]..

وكان ذلك من إنصاف عمار وشدة ورعه، وتحريه قول الحق..

أحبتي في الله..

بالإنصاف تعود الحقوق إلى أصحابها.. وتعم روح العدالة..

بالإنصاف ينزع الحقد والغل والحسد، ويحل محلها الاحترام والحب والتنافس في الخيرات.. بالإنصاف يعم التعاون بالخيرات..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) فتح الباري» (١٣/ ٥٩) لابن حجر العسقلاني.

اللهمَّ اجعلنا من عبادك المنصفين.. واجعلنا من عبادك المخلصين المحسنين..

اللهمَّ اجعلنا من الذين يستمعون الحق فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب..

اللهمَّ انصر الإسلام والمسلمين، وأعز أهل الدين، وأذل الشرك والمشركين..

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا.. وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين..

اللهمَّ ألف بين قلوب المسلمين ووحد كلمتهم، واجمعهم على كلمة سواء يا رب العالمين..



الوصية رقم (٦٩)
الغيرة خلق الكرام

عن سعد بن عبادة ﷺ أنه قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي، لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « **أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

هذا القبس النبوي الشريف يرويه لنا الصحابي الجليل صاحب لواء الأنصار الغيور الكريم « سعد بن عبادة » ﷺ زعيم الخزرج، وكان من أهل بيعة العقبة، وكان أحد النقباء، كان يكتب في الجاهلية بالعربية، ويحسن الرمي، والسباحة، وكانت العرب تسمى من اجتمعت فيه هذه الأشياء بـ (الكامل)..

هذا الصحابي بكى عليه سيد الأولين والآخرين حزنًا عليه في مرضه، فعن عبد الله ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود ﷺ فلما دخل عليه، وجده في غاشية أهله، فقال: « **قد قضى؟** » قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: « **ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا** - وأشار إلى لسانه - **أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه** »[2] أي إذا صاحب البكاء عويل وصراخ..

وكان هذا الصحابي الجليل غيورًا على عرضه وشرفه، في الوقت الذي نجد فيه كثيرًا من المسلمين الآن، قد نزع الله الغيرة من قلوبهم..

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، لو وجدت مع أهلي

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) رواه البخاري وغيره.

رجلاً، لم أمسه، حتى آتي بأربعة شهداء؟

قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»..

قال سعد: كلا، والذي بعثك بالحق، إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك..

قال ﷺ: «**اسمعوا إلى ما يقول سيدكم، إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني**»[١] وليس قول سعد للنبي ﷺ لا أو كلا والذي بعثك بالحق.. ليس قوله ردًّا لقول النبي، ولا مخالفة منه لأمره ﷺ وإنما معناه: الإخبار عن حالة الإنسان عند رؤيته الرجل عند امرأته، واستيلاء الغضب عليه فإنه حينئذ يعاجله بالسيف، ولو كان عاصيًا..

قال العلماء: الغيرة بفتح الغين، وأصلها المنع، والرجل غيور على أهله أي يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره[٢]..

والغيرة صفة كمال، أخبر النبي أن سعدًا غيور، وأنه أغير منه، وأن الله أغير منه ﷺ وأنه من أجل ذلك، حرم الفواحش، وهذا تفسير لمعنى غيرة الله تعالى، أي أن غيرته ﷻ منعه الناس من الفواحش، لكن الغيرة في حق الناس يقارنها تغير حال الإنسان وانزعاجه، وهذا مستحيل في غيرة الله ﷻ ولذلك فإنه سبحانه لا يعاجلهم بالعقوبة، بل حذرهم وأنذرهم، وكرر ذلك عليهم وأمهلهم، وكذا ينبغي للعبد أن يتخلق بأخلاق سيده ومولاه، فلا يبادر بالقتل وغيره في غير موضعه، فإن الله ﷻ لم يعاجلهم بالعقوبة، مع أنه لو عاجلهم، كان عدلاً منه سبحانه..

أحبتي الكرام..

لقد أصبح النساء في عصرنا هذا يملأن الشوارع والأسواق والبقالات، بل وفي كل مكان تجد فيه الرجال، نجد مزاحمة النساء، وهن متبرجات، متهتكات، سافرات الوجوه، قد وضعن على وجوههن جميع أنواع المساحيق والزينة والعجيب في هذا الأمر أنك ترى مع هذه المرأة المتبرجة السافرة زوجها، أو أخاها، أو أباها، وهو يمشي معها ويضاحكها على مرأى ومسمع من الناس، وهو مع ذلك لا يستحي من نفسه، ولا

(١) رواه مسلم.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٥/ ٢٦٧).

يخجل من مشاهدة الناس له، بل إنه لا يغار على زوجته، أو ابنته، أو أخته، وقد خرجت في أبهى زينة لها، وقد عصت بذلك جبار السموات والأرض.. ترمقها أعين الذئاب جائعة، إنه يعرضها بهذه الهيئة المبتذلة، الخارجة عن الستر والحياء والعفة، ولم يصنع شيئًا بدعوى الحضارة والتقدم..

وأعجب عندما أرى رجلاً تقوده زوجته إلى السوبر ماركت أو السوق تزاحم الرجال لتشتري ما تريد، وقد حسرت عن ذراعيها. وكشفت عن وجهها، وتجادل وتناضل البائع، وهو معها كأنه مجرد خادم، لا يحرك ساكنًا..

فهل وصل بنا الحال يا أمة الإسلام إلى هذا الحد.. فما دمت معها فتقدم أنت بل اتركها في البيت، لأن الله ﷻ جعل لها البيت هو الأساس، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ...﴾ [الأحزاب: ٣٣]..

والسبب الأساسي في خروج المرأة بهذا الشكل، إنما هو ضعف الغيرة في قلوب الرجال، إن لم أقل بانعدامها..

وما عجبي أن النساء ترجلت ... ولكن تأنيث الرجال عجاب

أيها المسلمون عباد الله..

لقد كان العرب في جاهليتهم يعتبرون المرأة ذروة شرفهم، وعنوان عرضهم لأجل ذلك فقد تفننوا في حمايتها، والمحافظة عليها، والدفاع عنها، سواء كانت زوجة أم ابنة أو أختًا أو أمًا، أو قريبة أو جارة، حتى يظل شرفهم سليمًا من الدنس.. وقد وصل الحال بهم في الغيرة أن تجاوزوا الحد، حتى كانوا يئدون بناتهم، مخافة لحوق العار من أجلهن..

ومن مظاهر الغيرة عندهم: ستر النساء ومنعهن من الظهور أمام الرجال الأجانب حتى قال أحدهم:

نقاتل أقوامًا فنسبي نساءهم ... ولم ير ذو عز لنسواننا حجلاً

ومعناه: أنه لا يرى أي إنسان خلخال المرأة التي تلبسه في قدميها لشدة تحريمهم عدم إظهار نسائهم..

أما في عصرنا، فترى الشعر المنفوش، أو الذراعين، أو الساقين، والنحر، قد بدا منها، وأما الحلي، فحدث ولا حرج..

وكان العرب مع هذا يفخرون بغض البصر عن الجارات، ويعتبرون ذلك من العفة والغيرة على الأعراض، وما أجمل قول أحدهم:

وأغضي طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

فهذه أخلاق العرب، حتى لو بذلوا في ذلك النفس والمال.. يقول أحدهم:

أصون عرضي بمالي لا أبدده لا بارك الله بعد العرض في المال

ولما جاء الإسلام شجع على الغيرة، وحث عليها، وحمد أهلها.. وذكر لنا غيرة سعد بن عبادة حيث قال في هذا القبس الذي نعيش في ظلاله: لو رأيت رجلاً مع امرأتي، لضربته بالسيف، غير مصفح..

هذه غيرة سعد، والتي كانت علامة مميزة له، حتى قال أصحابه من الأنصار، فيما ذكره ابن حجر - رحمه الله - اعتذارًا: يا رسول الله، لا تلمه، فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا عذراء، ولا طلق امرأة، فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته..

هذه غيرة سعد، وهي الأدنى والأقل من غيرة المصطفى ﷺ ثم فوق ذلك كله، غيرة من ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، حيث أثبت هذا الحديث وغيره من الأحاديث، هذه الصفة لله ﷻ والواجب إثباتها على الحقيقة اللائقة به سبحانه وتعالى، كسائر صفاته من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تعطيل قال ﷺ: «**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله**»[1]..

وفي المسند للإمام أحمد بلفظ: «**المؤمن يغار، المؤمن يغار، المؤمن يغار، والله ﷻ أشد غيرًا**» وكرر للتأكيد، وللتنبيه على أن الغيرة من صفات أهل الإيمان بل ومن صفات رب الأرض والسموات..

وليس هذا الصحابي فقط، ولكن روى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: كنت أنقل النوى من أرض الزبير بن العوام - أي زوجها - على

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

رأسي، فجئت يومًا، والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، فدعاني، ثم قال: « إخ، إخ » ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنني قد استحييت، فمضى.. فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه، وعرفت غيرتك..

فقال: والله لحملك النوى، كان أشد عليّ من ركوبك معه.. حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني[1]..

قال المهلب: وفي حديث أسماء من الفقه أن المرأة الشريفة، إذا تطوعت من خدمة زوجها بما لا يلزمها، كنقل النوى، وسياسة الفرس، أنه لا ينكر ذلك عليها أب ولا سلطان..

وفيه: غيرة الرجل عند ابتذال أهله فيما يشق عليهن من الخدمة، وأنفة نفسه من ذلك، لاسيما إذا كانت ذا حسب وأبوة، وكذلك عز على النبي ﷺ إفراط امتهانها، ولم يلمها على ذلك، ولا وبخ الزبير على تكليفه لها ذلك، لما علم من طيب نفسها به..

أحبتي في الله..

فأين هذا السمو والغيرة من الرجال والنساء اليوم؟ أين هذا ونحن نرى المرأة تركب السيارة مع السائق، أو مع مالك السيارة دون محرم، ودون جمع من الناس دون غيرة من زوجها أو أخيها أو أبيها..

ولقد قدَّر النبي ﷺ غيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدرها حتى في المنام، فقد أخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما أنا نائم، رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا؟ قالت: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبرًا..

فبكى عمر، وهو في المجلس، ثم قال: أو عليك أغار يا رسول الله[2]؟!

وعند مسلم من حديث جابر: « **دخلت الجنة، فرأيت فيها دارًا، أو قصرًا، فقلت:**

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري.

لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل، فذكرت غيرتك»..

فبكي عمر، وقال: أي يا رسول الله، أو عليك يغار[1]!!

فإذا كان رسول الله ﷺ يولي مدبرًا، حتى لا يرى امرأة عمر بجوار قصرها، فأين هذا الخلق العظيم من أخلاق الذين في قلوبهم مرض، فيقتحمون البيوت على المؤمنات الغافلات من خلال الهواتف والمكالمات والمراسلات، أو قهرًا لأهلها في الظلمات.. تالله ما لهؤلاء من غيرة، وإن قلوبهم لفي موات.. قال ابن بطال - رحمه الله - في حديث جابر:

فيه: أنه إذا علم من الإنسان خلق، فلا يتعرض لما ينافر خلقه، ويؤذيه في ذلك الخلق، كما فعل النبي ﷺ حين لم يدخل القصر، الذي كان لعمر، لمعرفته بغيرته..

وقوله: [أعليك أغار يا رسول الله] أنَّ الرجل الصالح المعروف بالخير والصلاح، لا يجب أن يظن به شيء من السوء[2]..

أيها الموحدون..

ولعظم حب الصحابة للنبي ﷺ كانوا يغارون على زوجاته، وهن أمهاتهم، وكان أعظم الصحابة قدرًا في ذلك عمر بن الخطاب ﷺ الذي وافقه ربه في ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب، قال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله ﷻ آية الحجاب[3].. وهي كما يقول ابن كثير - رحمه الله -: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ...** ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. ولم تقف غيرة عمر ﷺ على أمهات المؤمنين عند حد الاستتار، وعدم إبداء أي شيء من أبدانهن، بل تجاوزت إلى ما هو أبعد من ذلك.. فقد روى البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) «شرح ابن بطال» (١٣/ ٣٥١).

(٣) رواه البخاري وأحمد.

خرجت سودة - بعدما فرض الحجاب - لحاجتها وكانت امرأة جسيمة، لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا سودة، أما والله إنك لا تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين..

قالت عائشة: فانكفأت راجعة، ورسول الله في بيتي، وإنه ليتعشى، وفي يده عرق، فدخلت، فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا.. قالت: فأوحي الله إليه، ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: « **إنه أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن** »[1]..

قال ابن حجر - رحمه الله - في « الفتح »:

والحاصل أن عمر ﷺ وقع في قلبه نفرة من اطلاع الأجانب على الحريم النبوي، حتى صرح بقوله: « احجب نساءك » وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب، ثم قصد بعد ذلك أن لا يبدين أشخاصهن أصلاً، ولو كنّ متسترات فبالغ في ذلك، فمنع منه، وأذن لهن في الخروج لحاجتهن، دفعًا للمشقة ورفعًا للحرج[2]..

وقال النووي - رحمه الله - في شرحه: فيه تنبيه أهل الفضل والكبار على مصالحهم ونصيحتهم، وتكرار ذلك عليهم..

وفيه: جواز خروج المرأة من بيت زوجها، لقضاء الحاجة إلى الموضع المعتاد لذلك بغير استئذان الزوج، لأنه مما أذن فيه الشرع[3]..

أحبتي الكرام..

فالغيرة في موضعها مظهر من مظاهر الرجولة الحقيقية، وفيها صيانة للأعراض، وحفظ للحرمات، وتعظيم للشعائر، وحفظ لحدود الله ﷻ وهي مؤشرة على قوة الإيمان ورسوخه في القلوب.. كما رأينا غيرة سعد بن عبادة ﷺ وغيرة عمر بن الخطاب كذلك..

---

(١) رواه البخاري (٤٤٢١)، ومسلم (٤٠٣٤).
(٢) « فتح الباري » (١٣/ ٣٣٣) رقم (٤٤٢٠) لابن حجر.
(٣) « صحيح مسلم بشرح النووي » (٧/ ٣٠٦).

ولما دخل الثوار على سيدنا عثمان بن عفان ﷺ نشرت زوجته (نائلة) شعرها، كأنها تستنصر بمروءة هؤلاء الثائرين، فصرخ فيها عثمان، وهو يقول لها: خذي خمارك، فلعمري لدخولهم عليَّ أهون من حرمة شعرك.. فالرجل يغار على زوجته وأهله.. أخته وأمه.. غيرة فيها صيانة لهن، وحفظًا عليهن من كل ما يخدش شرفهن، ويمتهن كرامتهن..

وكذلك للزوجة أن تغار على زوجها، فقد سأل أستاذنا الأعظم، ونبينا الأكرم ﷺ أمنا عائشة ﷺ يومًا، قائلاً لها: « **أغرت** » فتعجبت قائلة: ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك[1]!

فقال رسول الله ﷺ : أو قد جاءك شيطانك؟

قالت: أومعي شيطان؟ قال: « **نعم** »..

قلت: ومع كل إنسان، قال: « **نعم** »، قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: « **نعم، ولكن ربي أعانني عليه، حتى أسلم** »[2]..

وعن أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام، الذي كان في الصحفة، ويقول: « **غارت أمكم** » ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت[3]..

والمراد بأمكم هي (سارة) كما قال ابن حجر في الفتح: كأن معنى الكلام عنده: لا تتعجبوا مما وقع من هذه من الغيرة، فقد غارت قبل ذلك أمكم، حتى أخرج إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل وهو طفل مع أمه إلى وادٍ غير ذي زرع.. وقالوا: فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدة الغضب،

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) رواه مسلم (٥٠٣٥)، وأحمد في مسنده.

(٣) رواه البخاري (٤٨٢٤).

الذي أثارته الغيرة[1].. وقد أخرج أبو يعلي بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعًا: « **أن الغيراء، لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه** »[2]..

وعن ابن مسعود رفعه: « **إن الله كتب الغيرة على النساء، فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد** »[3] أخرجه البزار وأشار إلى صحته ورجاله ثقات..

أيها الأحبة الكرام..

والغيرة منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم، فقد روي أحمد في مسنده والنسائي بإسناد حسن أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إن من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحبها الله، فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله، فالغيرة في غير الريبة** »[4]..

فينبغي على الزوجين، وخاصة إذا كانا متدينين، أن يدع كل منهما للآخر مجالاً لمراقبة الله ﷻ، ومحاسبة ضميره، فلا يعكر كل منهما سعادة الأسرة في ريبة، وعلى الزوجة أن تكون مدافعة عن زوجها، لا موظف مخابرات تسأله دائمًا: أين كنت وماذا فعلت؟ ولماذا تأخرت؟ ومن الذين قابلت؟ إلى آخر هذه المضايقات.. لماذا؟

لأن الغيرة إذا زادت عن حدها، كانت نقمة على الشخص نفسه، وعلى من حوله وبعض الأزواج والزوجات مريض بمرض الشك المر، الذي يحول الحياة الزوجية إلى نكد، وإلى جحيم لا يطاق، وقد نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، يتخونهم، ويطلب عثراتهم[5]..

فلا يصح أن يسيء الرجل الظن بزوجته، وليس له أن يسرف تقصي كل حركاتها وسكناتها، فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل وكان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا تكثر الغيرة على أهلك، فترمى بالسوء من أجلك..

---

(١) « فتح الباري » (١٥/ ٣١) لابن حجر العسقلاني.

(٢) رواه أبو يعلى في « مسنده » رقم (٤٥٥٠) (جـ٩/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه البزار في « البحر الزخار » (جـ٤/ ٣٨٣) رقم (١٣٣٠).

(٤) حسن: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٢٢١).

(٥) رواه مسلم.

وقال معاوية ﷺ: ثلاث من خصال السؤدد: الصفح، واندماج البطن، وترك الإفراط في الغيرة..

فلابد من الاعتدال.. وينبغي على الزوجة أن تكبح جماح نفسها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وإلا فهي أشد غيرة النساء..

وقد ذكر الحافظ ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه «المنتظم» في أحداث سنة ٢٨٦هـ أن امرأة تقدمت إلى موسى بن إسحاق قاضي (الري) - مدينة في إيران الآن - وقد ادعى وليها على زوجها خمسمائة دينار مهرًا، فأنكر، وقد جاء الرجل ببينة تشهد أن لابنته هذا المهر..

فقال القاضي: نريد أن تسفر لنا عن وجهها، حتى نعلم أنها الزوجة أم لا؟ فلما صمموا على ذلك.. قال الزوج: لا تفعلوا، وهي صادقة فيما تدعيه، فأقر الزوج بما ادعى ولي زوجته، ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها، غيرة عليها.. فقالت الزوجة حين عرفت ذلك منه، وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: هو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة، وأني قد وهبت له هذا المهر.. فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق[1]..

ويذكر بعض المؤرخين في حسنات الحجاج بن يوسف الثقفي، أن امرأة مسلمة سبيت في الهند، فنادت: واحجاجاه، وبلغه ذلك، فجعل يقول: «لبيك» وأنفق سبعة ملايين من الدراهم، حتى أنقذ المرأة..

وهذه امرأة شريفة أسرها الروم، لا تربطها بالخليفة «المعتصم بالله» أي رابطة، سوى أخوة الإسلام، استنجدت به لما عذبها صاحب عمورية وأطلقت صيحة، سجل التاريخ دويها الضخم «وامعتصماه» وما أن بلغت المعتصم هذه الندبة - وكان يأخذ لنفسه شيئًا من الراحة - حتى قال بملء جوارحه: «لبيك» وانطلق لتوه إلى القتال، وانطلق معه جيش المسلمين، وقد ملأت الغيرة لكرامة المرأة نفس كل جندي إباء وحماسًا فأنزلوا بالعدو شر هزيمة، واقتحموا قلاعه في أعماق بلاده، حتى أتوا عمورية، وهدموا قلاعها وانتهوا إلى تلك الأسيرة، وفكوا عقالها، وقال لها المعتصم: اشهدي لي عند جدك المصطفى ﷺ أني جئت لخلاصك..

(١) «المنتظم» لابن الجوزي (١٢/ ١٣٨).

أحبتي في الله..

لكن ماذا يحدث لو ماتت الغيرة؟

لو تركت الغيرة، لدخل صاحبه النار، قال النبي المختار ﷺ كما جاء عن عمار رضي الله عنه **ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر** » قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر، فقد عرفناه، فما الديوث؟

قال: « **الذي لا يبالي من دخل على أهله** »..

قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: « **التي تتشبه بالرجال** »[١]..

ويقول الحافظ الذهبي - رحمه الله - في وصف الديوث: هو من كان يظن بأهله الفاحشة، ويتغافل لمحبته فيها، أو لغير ذلك، ولا خير فيمن لا غيرة له[٢]. وإذا قل الغيورون، وكثر الديوثون، صارت أخلاقهم كأخلاق الحمير، هذا بين يدي الساعة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا: « **لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير** » قلت: إن ذلك لكائن؟

قال: « **نعم ليكونن** »[٣]..

قال الألباني في الصحيحة: وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: « **والذي نفسي بيده، لا تفني هذه الأمة، حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم من يقول: لو واريتها هذا الحائط** »[٤]..

فغيرة خير الناس في ذلك الوقت، ليست إنكار الفاحشة، ولا منعها، ولا تغييرها، وإنما أن يأخذها بعيدًا عن الطريق العام، ويتوارى وراء حائط.. وفي صحيح مسلم: « **ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة** »[٥]. يتهارجون

---

(١) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٠٦٢).

(٢) « الكبائر ».

(٣) صحيح: رواه البزار وابن حبان (١٨٨٩)، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٤٨١) وقال: سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات على شرط مسلم.

(٤) صحيح: رواه أبو يعلى في « مسنده » برقم (٦٠٤٩) (جـ١٢/ ٣٤٩)، وقال الهيثمي في « المجمع » (٨/ ٣٣١): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(٥) رواه مسلم (٥٢٢٨) عن النواس بن سمعان.

أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك.. وهذا من عدم الغيرة..

نسأل الله ﷻ أن لا يدركنا هذا الزمان، ولا ندركه..

اللهمَّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا..

اللهمَّ أرنا الحق حقًّا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه..

اللهمَّ ارزقنا الحلال الطيب وبارك لنا فيه، وأبعدنا عن الحرام الخبيث..

اللهمَّ أصلح أحوالنا، واغفر ذنوبنا، ويسر أمورنا، واهد شبابنا..

واحفظ بناتنا ونساءنا، واهدنا إلى الحق، واجعلنا من الراشدين، يا رب العالمين..



الوصية رقم (٧٠)

أخلصوا لربكم أعمالكم

عن أبي أمامة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟ فقال ﷺ: « **لا شيء** » فأعادها ثلاثًا، ورسول الله يرد بنفس الجواب ثم قال: « **إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغى به وجهه** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة المرسلين، وهو شرط العمل، وأساس العبادة، ليكون المبتغي والمقصود وجه الله، وابتغاء مرضاته.. قال تعالى: ﴿ **فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ** ﴾ [الزمر: ٢، ٣] وقال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه** »[2]..

وقال ﷺ: « **من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة** »[3] أي ريحها..

وحديث الوصية التي رواه لنا أبو أمامة ﷺ والتي نعيش في ظلالها يدل على أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا يبتغي به وجه الله ﷻ، وكذا يشترط في العمل أن يكون صوابًا، قال ﷺ: « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد** »[4]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا.. لكن قد يقول قائل: ما هو الإخلاص؟

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في « صحيح سنن النسائي » برقم (**٣١٤٠**)، و« صحيح الترغيب ».

(٢) رواه مسلم.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (**٢٢٧**).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فالجواب: أن تعاريف العلماء للإخلاص قد تنوعت، ولكنها تصب في معين واحد ألا وهو: أن يكون قصد الإنسان في سكناته وحركاته، وعباداته الظاهرة والباطنة، خالصة لوجهه تعالى، لا يريد بها شيئًا من حطام الدنيا، ولا ثناء الخلق عليه..

قال الجرجاني: الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهدًا غير الله..

وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله -: الإخلاص، صدق النية مع الله ﷻ..

وقيل: تصفيه السر والقول والعمل..

وقال سهل بن عبد الله التستري - رحمه الله -: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص، فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازحه شيء، لا نفس، ولا هوى، ولا دنيا..

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: «إذا كان العبد مخلصًا له، اجتباه ربه، فأحيا قلبه واجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد وذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من حصول ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله، فإنه في طلب وإرادة، وحب مطلق، فيهوى ما يسنح له، ويتشبث بما يهواه كالغصن.. فتارة تجتذبه الصور المحرمة، وغير المحرمة، وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة، فترضيه كلمة، وتغضبه كلمة، ويستعبده الدرهم والدينار»..

ويقول ابن الجوزي - رحمه الله -: «ما أقل من يعمل لله تعالى مخلصًا، لأن أكثر الناس يحبون ظهور عباداتهم»..

فالتفتوا إخواني إلى إصلاح النيات، وترك التزين للخلق، ولتكن عمدتكم الاستقامة مع الحق، فبذلك ارتقى السلف وسعدوا..

قال الربيع بن خثيم - رحمه الله -: كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل.. كأنه قصد حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وابتغى به وجهه**»[1]..

---

(١) صحيح: رواه النسائي (٣١٤٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢).

ووصى الإمام أحمد ابنه عبد الله قائلاً: يا بني، انوِ الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير..

وسئل حمدون القصار: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟

قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق..

ودخل عمر بن محيريز - رحمه الله - حانوتًا، وهو يريد أن يشتري ثوبًا، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز، فأحسن بيعه، فغضب ابن محيريز، وخرج، وقال: إنما نشتري بأموالنا، ولسنا نشتري بديننا[1]..

أي أنه - رحمه الله - لا يريد أن يراعي في السعر، أو يقدر من أجل دينه، لأنه يريد بدينه وجه الله، لا الاستفادة من الناس..

وقد كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين (زين العابدين) فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل إلى منازل الأرامل والمساكين، وكان عليّ بن الحسين، لما مات وجدوا بظهره أثرًا من الجِرب، التي كان يقوم بنقلها إلى الأرامل وغيرهم في ظلام الليل..

فرحم الله على زين العابدين، وغيره من التابعين والصالحين..

قال الحسن البصري - رحمه الله -: كان الرجل ليجلس المجلس، فتجيئه عبرته، فيردها، فإذا خشي أن تسبقه، قام[2]..

أيها الموحدون..

ولقد جعل ربنا تبارك وتعالى الإخلاص عنوانًا لخير أمة أخرجت للناس، وهي أمة الإسلام، وجعل ذلك علامة لها في طريق التوحيد.. قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٩].

والإمام ابن القيم - رحمه الله - يشبه العمل بغير إخلاص، فيقول في فوائده:

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٠٦) لابن الجوزي.

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (ص٢٦٢).

العلم بغير إخلاص، ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه[١]..

وسيدنا عمر ﷺ يسأل إمام العلماء (معاذ بن جبل) فيقول له: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث، وهن المنجيات: الإخلاص، وهو الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها، والصلاة، وهي الملة، والطاعة وهي العصمة فقال عمر: صدقت[٢]..

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابا.. الخالص أن يكون لله، والصواب، أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][٣]..

وقالوا: إخلاص ساعة، نجاة الأبد، ولكن الإخلاص عزيز..

قال الغزالي - رحمه الله -:

فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله، نجا، وذلك لعزة الإخلاص، وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب..

أيها الأحبة الكرام..

إن شأن الإخلاص مع العبادات بل مع جميع الأعمال، حتى المباحة لعجيب جدًّا فبالإخلاص يعطي الله على القليل الكثير، وبالرياء وترك الإخلاص لا يعطي الله على الكثير شيئًا، ورب درهم سبق منه ألف درهم..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: والنوع الواحد من العمل. والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمن فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله به كبائر الذنوب، كما في حديث البطاقة..

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص٦٧).

(٢) «شفاء العليل» (ص٢٨٦) لابن القيم.

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٣) لابن القيم.

وحديث البطاقة كما أخرجه الترمذي وحسنه النسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: « **يصاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة.. يصاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مد البصر، ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا!! أظلمك كتبتي الحافظون!! فيقول: لا يا ربي، فيقال: أفلك عذر أو حسنة فيها؟! فيقول الرجل: لا يا ربي، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمَّدا عبده ورسوله، فيقول: يا ربي ما هذه البطاقة!.. ما هذه البطاقة، وما تصنع مع هذه السجلات من الذنوب!، فيقال: إنك لا تظلم اليوم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فتطيش السجلات وتثقل البطاقة** » صححه الذهبي رحمه الله..

قال ابن القيم - رحمه الله -: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضلها في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض..

قال: ومن تأمل حديث البطاقة التي توضع في كفه، ويقابلها تسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مد البصر تثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب صاحبها..

ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه لقلة إخلاصه في توحيده لربه تبارك وتعالى..

ومن هذا أيضا: حديث الرجل الذي سقي الكلب.. وفي رواية بغي من بغايا بني إسرائيل - زانية - فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له** »، قالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرًا، فقال: « **في كل كبد رطبة أجر** » متفق عليه..

وفي رواية البخاري: « **فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة** »..

قد ترى أن العمل بسيط، لكن خالط من العمل الإخلاص الشيء الكثير..

ومن هذا أيضًا ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: « **لقد رأيت رجلاً ينقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين** »، وفي رواية: « **مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا.. والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة** »..

بعمل بسيط أخلصه لله رب العالمين كان سببًا في دخوله الجنة..

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - معلقًا على هذا الحديث - حديث البغي التي سقت الكلب -، وحديث الرجل الذي أماط الأذى عن الطريق.. قال رحمه الله: فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر الله لها، وإلا فليست كل بغي سقت كلبًا يغفر لها..

فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإجلال..

إنه سر الإخلاص الذي أودعه الله قلوب عباده الصادقين..

أحبتي في الله..

وفي المقابل نجد أن أداء الطاعة بدون إخلاص وصدق مع الله لا قيمة لها ولا ثواب لها عليها، بل صاحبها معرض للوعيد الشديد، وإن كانت هذه الطاعة من الأعمال العظام كالإنفاق في وجوه الخير، والقتال، بل وطلب العلم الشرعي، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنَّ أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟! قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جرئ ولقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار** »..

وآخر تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن. فأتى به فعرفه الله بنعمته عليه فعرفها، قال: فما عملت؟! قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم وقارئ وقد قيل، ثم يؤمر به فيسحب على وجهه في النار فيلقي فيها والعياذ بالله..

وآخر وسع الله عليه وأعطاه من صنوف المال. فأتي به فعرفه الله نعمه عليه فعرفها، قال: فما عملت فيها، ألا أنفقت فيها؟!، قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها لك إلا أنفقت فيه، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال جواد وقد قيل، ثم أمر به فسحب

على وجهه حتى ألقي في النار..

إنه الإخلاص الذي يجعل للأعمال قيمة عند الله تبارك وتعالى، فلا إنفاق، ولا استشهاد، ولا قراءة قرآن.. إلا بالإخلاص لله رب العالمين..

أحبتي في الله..

من أجل ذلك فقد كان سلفنا الصالح من أشد الناس خوفًا على أعمالهم من أن يخالطها الرياء أو تشوبها شائبة الشرك فكانوا رحمهم الله يجاهدون أنفسهم في أعمالهم وأقوالهم كي تكون خالصة لوجه الله تبارك وتعالى..

ولذلك لما حدث يزيد بن هارون بحديث عمر ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات) والإمام أحمد جالس، فقال الإمام أحمد ليزيد: يا أبا خالد: هذا والله هو الخناق، هذا والله هو الخناق أن تجعل عملك خالصًا لوجه الله تبارك وتعالى..

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي لأنها تتقلب عليّ في كل حين..

وقال يوسف بن أسباط: تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد..

وقال بعض السلف: من سره أن يكمل له عمله فليحسن نيته فإن الله ﷻ يأجر العبد إذا أحسن نيته حتى باللقمة يأكلها..

قال سهل بن عبد الله التستري: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب..

وقال ابن عيينة: كان من دعاء المطرف بن عبد الله: اللهمَّ إني أستغفرك مما زعمت أني أريد به وجهك، فخالط قلبي منه ما قد علمت..

وهذا خالد بن معدان رحمه الله إذا عظمت حلقته من الطلاب، قام خوف الشهرة والرياء..

وهذا محمَّد بن المنكدر يقول: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت على طاعة الله..

وهذا أيوب السختياني كان يقوم الليل كله فإذا جاء الصباح رفع صوته كأنه قد استيقظ من حينه..

وكان رحمه الله إذا حدث بحديث النبي ﷺ يشتد عليه البكاء وهو في حلقته، فكان يشد العمامة على عينه ويقول: ما أشد الزكام.. ما أشد الزكام..

وهذا عبد الواحد بن زيد يخبرنا بحديث عجيب حصل لأيوب وقد عاهده ألا يخبر إلا أن يموت أيوب - إذ لا رياء يومئذ -، قال عبد الواحد: كنت مع أيوب فعطشنا عطشًا شديدًا حتى كدنا نهلك، فقال أيوب: تستر علي، قلت: نعم إلا أن تموت، قال: عبد الواحد فغمز أيوب برجله على جراء فتفجر منه الماء فشربت حتى رويت وحملت معي..

كانت بينهم وبين الله أسرار لو أقسم منهم على الله أحد لأبره إلا لإخلاصهم وصدقهم مع الله تبارك وتعالى..

وقال أبو حازم: لا يحسن عبد فيما بينه وبين ربه إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يعور ما بينه وبين الله إلا أعور الله ما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها..

هذا داود ابن أبي هند يصوم أربعين سنة لا يعلم به أهله.. كان له دكان يأخذ طعامه في الصباح فيتصدق به، فإذا جاء الغداء أخذ غداءه فتصدق به، فإذا جاء العشاء تعشى مع أهله..

أربعين سنة وهم لا يدرون بصيامه..

وكان رحمه الله يقوم الليل أكثر من عشرين سنة ولم تعلم به زوجته..

سبحان الله.. انظر كيف ربوا أنفسهم على الإخلاص وحملوها على إخفاء الأعمال الصالحة.. فهذه زوجته تضاجعه وينام معها، ومع ذلك يقوم عشرين سنة أو أكثر ولم تعلم به وبقيامه..

أحبتي في الله..

الحديث عن أخبار السلف الصالح في الإخلاص، حديث شيق، يجذب النفوس، وترق له القلوب، وفيه عبرة لمن يعتبر..

فقد يتقاصر الإنسان أمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويقول: هؤلاء أيدهم الله بالوحي، لكن هؤلاء ممن ذكرنا أخبارهم، وسنذكر طرفًا آخر منها لم يكن الوحي ينزل عليهم، ولم يروا النبي ﷺ ..

وقد صدق الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - حين قال: وقد جرت عادة الله التي لا تتبدل، وسنته التي لا تتحول، أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق، وإقبال قلوبهم إليه، ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه، ويلبس المرائي ثوب الزور من المقت والمهانة والبغض وما يليق به..

١- عبد الرحمن بن أبي ليلى - رحمه الله - كان يصلي في بيته، فإذا شعر بأحد، قطع صلاة النافلة، ونام على فراشه - كأنه نائم - فيدخل عليه الداخل ويقول: هذا لا يفتر من النوم؟! غالب وقته على فراشه نائم؟ وما علموا أنه يصلي ويخفي ذلك عليهم..

٢- حمزة بن دهقان - رحمه الله - جاء إلى بشر الحافي - رحمه الله - فقال له: أحب أن أخلو معك يومًا، فقال له: لا بأس، حدد يومًا لذلك..

يقول: فدخلت عليه يومًا دون أن يشعر، فرأيته قد دخل قبة، فصلى فيها أربع ركعات، لا أحسن أن أصلي مثلها، وسمعته يقول في سجوده: «اللهمَّ إنك تعلم فوق عرشك، أن الذل - يقصد عدم الشهرة - أحب إليَّ من الشرف.. اللهمَّ إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر، أحب إليَّ من الغنى.. اللهمَّ إنك تعلم أني لا أوثر على حبك شيئًا.. يقول: فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء، فقال: اللهمَّ إنك تعلم أني لو أعلم أن هذا هنا لم أتكلم»[1]..

٣- وللإمام الماوردي قصة في الإخلاص في تصنيف الكتب، فقد ألف المؤلفات في التفسير والفقه وغير ذلك ولم يظهر شيء في حياته، ولما دنت وفاته قال لشخص يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وإنما إذا عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء فاعمد إليها وألقها في دجلة بالليل وإذا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت مني وأني ظفرت بما أرجوه من النية الخالصة، فلما حضرته الوفاة بسط يده، فأظهرت كتبه بعد ذلك[2]..

---

(١) «علو الهمة» (١/ ١٣١) د/ سيد حسين العفاني.

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٢٦٨) للسبكي.

٤- **وهذا عبد الواحد بن زيد** يخبرنا بحديث عجيب حصل لأيوب وقد عاهده ألا يخبر إلا أن يموت أيوب، قال عبد الواحد: كنت مع أيوب فعطشنا عطشًا شديدًا حتى كدنا نهلك، فقال أيوب: تستر عليّ؟ قلت: نعم إلا أن تموت، قال: عبد الواحد فغمز أيوب برجله على حراء فتفجر منه الماء فشربت حتى رويت وحملت معي..

كانت بينهم وبين الله أسرار لو أقسم منهم على الله أحد لأبره لإخلاصهم وصدقهم مع الله تبارك وتعالى..

٥- **روى صاحب طبقات الحنابلة**: أن عبد الغني المقدسي المحدث الشهير، كان مسجونا في بيت المقدس في فلسطين، فقام من الليل صادقًا مع الله مخلصا، فأخذ يصلي، ومعه في السجن قوم من اليهود والنصارى، فأخذ يبكي حتى الصباح، فلما أصبح الصباح ورأى أولئك النفر هذا الصادق العابد المخلص، ذهبوا إلى السجان، وقالوا: أطلقنا فإنا قد أسلمنا، ودخلنا في دين هذا الرجل، قال: ولم؟ أدعاكم للإسلام؟ قالوا: ما دعانا للإسلام، ولكن بتنا معه في ليلة ذكرنا بيوم القيامة..!

٦- **وهذا رجل مسلم** وقع في حصار حاصره المسلمون للروم وطال هذا الحصار واشتد الانتظار على المسلمين وأحرقتهم سهام العدو، فعمد رجل من المسلمين سرًّا إلى ناحية من الحصن، فحفر نفقا ثم دخل منه، فهجم على الباب من الداخل وجعل يضرب في الأعداء حتى فتح الباب ودخل المسلمون، واختفى ذلك الرجل فلم يعرفه أحد، فصار قائد المسلمين - مسلمة - يقول ويستحلف الناس: سألتكم بالله أن يخرج إلى صاحب النفق، فلما كان الليل جاء رجل فاستأذن على حارس مسلمة، فقال الحارس: من هذا؟ قال: رجل يدلكم على صاحب النفق، فاذهب إلى صاحبك - يعني مسلمة - وأخبره وقل له يشترط عليك شرطًا، وهو ألا تبحث عنه بعد ذلك اليوم أبدًا، ولا تطلب رؤيته بعده ولا الكلام معه أبدًا، فقال مسلمة: له شرطه فأخبروني عنه من هو؟ فدخل الرجل - نفسه - وقال: أنا هو.. ولي ما اشترطت، لا تسألني.. لا تبحث عني.. لا تدعني إلى مجلسك.. فاختفى بين الجند..

فكان مسلمة بعد ذلك يقول: « اللهمَّ احشرني مع صاحب النفق »..

٧- وهذا داود بن أبي هند ذكر في ترجمته أنه صام أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان يخرج في مهنته، ويأخذ معه غداءه، فيتوهمون أنه مفطر، فيتصدق به في الطريق، فيرجع آخر النهار إلى أهله فيأكل معهم..

أيها الموحدون..

وكما قال هذا المخلص المحب.. اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه..

قلوب المخلصين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمين
فتسقيها شراب الصدق صرفا ... وتشرب من كئوس العارفين

ومتى علم العبد أن له ربًّا له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الأمر كله، قلوب العابد إليه مفضية، الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم ما كان، وما هو كائن وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.. يعلم السر وأخفى ﴿**وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ**﴾ [الملك: ١٣] راقبه واستحيا من مخالفته..

قال عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه مني ومما يسهل الإخلاص: معرفة عظمة ملك الملوك، وأنَّ قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأنه يدبر أمر الممالك، يأمر وينهى، يعز ويذل ﴿ **لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فمن أعجب الأمور أن تعرفه سبحانه ثم لا تخلص له، وأن تسمع داعيه، ثم تتأخر عن إجابته..

ولابد أن يتعرف الإنسان على نفسه بصدق.. فيعرف أنه أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة.. وهو بين هذا وذاك يحمل العذرة.. جده البعيد تراب ذليل، وأبوه القريب ماء مهين، وقد أخرج من مجرى البول مرتين: مرة ماء مهينًا حقيرًا، ومرة مولودًا صغيرًا..

أنف يسيل وأذن كلها سهك ... والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب ... أقصر فإنك مأكول ومشروب

أخي الحبيب..

إن أردت أن يحبك الله، وأن تنال رضاه، فما عليك إلا بصدقات مخفية، بحيث لا تعلم شمالك، ما أنفقت يمينك.. فضلاً أن يعلمه الناس.. وما عليك إلا بركعات إمامها الخشوع، وقائدها الإخلاص، تركعها في ظلمات الليل، بحيث لا يراك إلا الله، ولا يعلم بك أحد إلا هو..

فلما أخفوا أعمالهم، أخفى الله لهم من الأجر ما الله به عليم.. ﴿ **فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧]..

إن تربية النفس على مثل هذه الأعمال لهو أبعد لها عن الرياء، وأكمل لها في الإخلاص..

وقد كان محمَّد بن سيرين - رحمه الله - يضحك في النهار، حتى تدمع عيناه، فإذا جاء الليل، قطعه بالبكاء والصلاة.. ومن خير الناس (بسّام بالنهار.. بكاء في الليل)..

الإخلاص.. سر بين العبد وربه.. لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده..

اللهمَّ ارزقنا الإخلاص في أقوالنا وأعمالنا.. واجعلها خالصة لوجهك الكريم.. اللهمَّ أبعد الرياء عن أعمالنا وأقوالنا.. وزينا بالحلم.. ونور قلوبنا بتوحيدك.. وجوارحنا بطاعتك.. يا أكرم الأكرمين.. اللهمَّ اجعل سعينا مشكورًا، وعملنا مأجورًا، ودعاءنا مقبولاً، واختم لنا بصالح الأعمال.. اللهمَّ لا تجعل أنسنا إلا بك، ولا تجعل خوفنا إلا منك.. ولا تجعل اعتمادنا إلا عليك.. اللهمَّ خذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك..

اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين..

۞۞۞۞

الوصية رقم (٧١)

اشفعوا تؤجروا

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه، فقال: « **اشفعوا تؤجروا، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

هذه وصية كريمة مباركة من أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ وفيها الحض على الخير بالفعل والقول، وبالتسبب إليه بكل وجه.. والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة، ومعونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس، ولا التمكن منه، ليدخل عليه، أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان ﷺ لا يحتجب..

ومعنى (اشفعوا) أي ليشفع بعضكم في بعض (تؤجروا) أي يثيبكم الله ﷻ ويحصل لكم الأجر على شفاعتكم، وإن لم تقبل، فإن قضيت حاجة من شفعتم له، فبتقدير الله ﷻ، وإن لم تقض، فبتقديره سبحانه..

ففي الوصية (حث على الشفاعة، ودلالة على عظم ثوابها ...)[2]..

أيها الأحبة الكرام..

إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق، وجعلهم درجات، وفاوت بين خلقه فيما أعطاهم ورزقهم به من الأموال والأعمال والعقول، وغير ذلك.. قال تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ ...**﴾ [الزخرف: ٣٢] فيكون بعضهم مسخرًا لبعض.. كل منهم مسخر لخدمة الآخر، وللسعي في حاجته.. الغني مسخر لخدمة الفقير بجاهه وماله.. والفقير مسخر للغني يخدمه بعمله وسعيه..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) « تحفة الأحوذي » (٦/ ٤٧١)، « شرح سنن الترمذي ».

وقد جعل الله ﷻ نعمة الجاه والمكانة بين الناس من أجل النعم وأعظمها على المسلم.. فإذا قام بشكرها كانت نعمة عليه وعلى من حوله.. وإذا كفرها ولم يشكرها، كانت له نقمة ووبالاً وبلاء عظيمًا.. وقد أمرنا النبي ﷺ أن ينفع المسلم أخاه بما يستطيع أن ينفعه به..

إن استطاع أن ينفعه بالمال، فليفعل.. وإن استطاع أن ينفعه بالقول أو بالفعل، فليفعل..

ومن أعظم أبواب النفع للمسلم، باب الشفاعة الحسنة، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ...** ﴾ [النساء: ٨٥]..

والشفاعة هي سؤال الشافع الخير لغيره.. أو توسط الشافع لغيره بجلب نفع أو دفع ضر، أو رفعه..

وقد حث النبي ﷺ على الشفاعة بقضاء حاجة الأخ المسلم، فقال: « **لأن أمشي في حاجة أخي آحب إليّ أن أعتكف شهرًا** »[(١)]..

وقال - صلوات ربي وسلامه عليه -: « **من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة** »[(٢)].

وقد ورد عن عمر مرفوعًا: « **أفضل الأعمال، إدخال السرور على المؤمن، كسوت عورته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجته** »[(٣)]..

وقال ﷺ: « **من مشى مع أخيه في حاجة، حتى تتهيأ له، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام** »[(٤)]..

---

(١) حسن: رواه الأصبهاني واللفظ له، وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في « الصحيحة » برقم (٩٠٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) حسن: رواه الطبراني وابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والديلمي، وحسنه الألباني بنحوه في « صحيح الجامع » رقم (١٠٩٦).

(٤) حسن: رواه ابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٦٢٣)، و« صحيح الجامع » (١٧٦).

وبعث الحسن البصري - رحمه الله - قومًا من أصحابه في قضاء حاجة لرجل، وقال لهم: مروا بثابت البناني، فخذوه معكم - أي ليشفع شفاعة حسنة للرجل في قضاء حاجته - فأتوا ثابتًا، فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن، فأخبروه فقال: قولوا له: يا أعمش، أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة.. فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه وذهب معهم[1]..

وقد ورد أن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان معتكفًا في مسجد رسول الله ﷺ فجاءه رجل يستعين به على حاجة له، فخرج معه، وقال: سمعت صاحب هذا القبر ﷺ يقول: «**من مشى في حاجة أخيه، وبلغ فيها، كان خيرًا من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق، كل خندق أبعد مما بين الخافقين**»..

وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: ليس أقول لكم إلا ما سمعت، قيل لابن المنكدر: أي الأعمال أفضل؟ قال: إدخال السرور على المؤمن.. وقيل له: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان..

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: الشفاعات زكاة المروءات..

وفي مرة جاء رجل إلى الحسن بن سهل يستشفع به في حاجة، قضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: علام تشكرنا؟ ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة؟ ثم أنشأ يقول:

فرضت عليّ زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع ... فاجهد بوسعك أن تنفعا

وقال البيجاني - رحمه الله -: وإذا أراد الله بعبد خيرًا، جعل قضاء الحوائج على يديه، وفي الناس موفقون لا يدخلون في شيء إلا أصلحوه، وإذا تناولوه أتقنوه، وإذا شفعوا، شفعوا، وإذا سعوا في حاجة قضوها، أولئك هم الميسرون لما خلقوا له، وبفضل مساعيهم، وحسن نياتهم، تقضي الحوائج بلا عناء، ومن استعان بهم بعد الله ﷻ، وجد

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (ص٤٥٢).

عندهم الفرج بعد الشدة، والمخرج الواسع بعد الضيق[١]..

أحبتي في الله..

إن الشفاعة الحسنة مبذولة لكل مسلم، فليس للمعارف فقط، ولا للمصالح الشخصية فإن المرء عما قريب سيفارق جاهه، ويفارق منصبه، فلا ينبغي أن يبخل المسلم بجاهه عن أخيه ويساعده إن احتاج إلى مساعدته قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال ﷺ: « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** »[٢]..

إذا جاءك أحد المسلمين يريد شفاعتك إلى فلان صديقك أو صاحبك، وأنت القادر على قضاء حاجته، فلا تتوانى.. أجلب له الخير وانفعه بشفاعتك ومجالات الشفاعة الحسنة، واصطناع المعروف إلى الخلق له صور متعددة منها:

١- رفع حاجة من لا يستطيع رفعها إلى الحكام والمسئولين، فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: « إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرم وجوه الناس، فبحسب المسلم الضعيف من العدل، أن ينصف في العدل والقسمة »[٣]..

٢- تزكية من يحتاج إلى تزكية..

٣- تعليم الجاهل، وإرشاد الضال..

قال ﷺ: « **وإرشادك الضال يكتب لك به صدقة** »[٤]..

٤- نصح المستشارين وتوجيههم إلى ما فيه خيرهم في دينهم، لأن النصح بذله واجب قال ﷺ: « **حق المسلم على المسلم ست.. ومنها: وإذا استنصحك، فانصح له ...** »[٥] وقال ﷺ: « **المستشار مؤتمن** »[٦]..

---

(١) « إصلاح المجتمع » لمحمد سالم البيحاني (ص٨٥).

(٢) رواه مسلم والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم.

(٣) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٨/ ١٦٨).

(٤) حسن: رواه البزار والطبراني، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٦٨٦).

(٥) رواه مسلم وغيره.

(٦) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٦٤١)، و« صحيح الجامع » (٦٧٠٠).

٥- الدفاع أو المرافعة عن المتهمين ظلمًا لدى المحاكم.. وهذا لم يغفل عنه الأخيار من مشركي العرب في جاهليتهم، فكيف بالمسلمين؟ إنهم أحق بذلك وأولى، ولاسيما في هذا العصر، الذي انحصر فيه العدل، وفشا فيه الظلم، فعن محمَّد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالا: قال رسول الله ﷺ: « **لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا، لو دعيت به في الإسلام، لأجبت. تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وألا يعز ظالم مظلومًا** » وكان هذا الحلف قبل بعثة النبي ﷺ..

٦- تفقد حال المحرومين، الذين لا يسألون الناس إلحافًا..

٧- الشفاعة للإصلاح بين الزوجين، لمن له مكانة وفضل في نفوسهم..

٨- الشفاعة للمعسرين لدى الغرماء..

فالشفاعة الحسنة مطلوبة، ومشروعة، ومحمودة ومرغب فيها.. وعلى الشافع أن يحسن نيته، ويبتغي الأجر والثواب من رب الأرباب جل في علاه وليتأس بما مدحهم الله ﷻ بقوله: ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا** ﴾ [الإنسان: ٩] والأعمال بالنيات، وعلى قدر صدق المسلم في نيته وإخلاصه، واتباعه لسنة نبيه، وبقدر نصبه وعنائه في الأمر الذي يشفع فيه، يكون أجره وثوابه..

وقد شفع النبي ﷺ لزوج بريرة.. فقد كان زوجها يحبها حبًّا شديدًا فقد كان زوجها عبدًا يُقال له: (مغيث) يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: كأني أنظر إليه وهو يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ للعباس: « **يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مُغيثًا؟** »، فقال النبي ﷺ لها: « **لو راجعته!** »..

قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: « **إنما أنا أشفع** »[(١)]..

قالت: لا حاجة لي فيه..

قال الطبري: فيه من الفقه، جواز استشفاع العالم والخليفة في الحوائج والرغبة إلى أهلها في الإسعاف لسائلها، وأن ذلك من مكارم الأخلاق، وقد قال النبي ﷺ:

(١) رواه البخاري وأبو داود وابن ماجة وغيرهم.

« **اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء** » وهذا يدل على أن الساعي في ذلك مأجور، وإن لم تنقضِ الحاجة..

قال ابن بطال: وفيه من الفقه، أن من سئل من الأمور ما هو غير واجب عليه فعله، فله رد سائله، وترك قضاء حاجته، وإن كان الشفيع سلطانًا أو عالمًا، أو شريفًا؛ لأن النبي ﷺ لم ينكر على بريرة ردها إياه فيما شفع فيه، وليس أحد من الخلق أعلى رتبة من النبي، فغيره من الخلق أحرى أن لا يكون منكرًا رده فيما شفع فيه[1]..

وقال ابن حجر في « فتح الباري »:

فيه استحباب شفاعة الحاكم في الرفق بالخصم حيث لا ضرر ولا إلزام، ولا لوم على من خالف، ولا غضب، ولو عظم قدر الشافع، وترجم له النسائي بقوله: « شفاعة الحاكم في الخصوم قبل فصل الحكم ولا يجب على المشفوع عنده القبول » ويؤخذ منه أن التصميم في الشفاعة لا يسوغ فيما تشق فيه الإجابة على المسئول بل يكون على وجه العرض والترغيب..

وفيه: جواز الشفاعة قبل أن يسألها المشفوع له؛ لأنه لم ينقل أن مغيثًا سأل النبي ﷺ أن يشفع له..

وقال: ويؤخذ منه استحباب إدخال السرور على قلب المؤمن..

وقال الشيخ أبو جمرة - رحمه الله -: فيه أن الشافع يؤجر، ولو لم تحصل إجابته، وأن المشفوع عنده إذا كان دون قدر الشافع، لم تمتنع الشفاعة..

وفيه: حسن أدب بريرة، لأنها لم تفصح برد الشفاعة، وإنما قالت: لا حاجة لي فيه..

ويؤخذ منه أن الشافع يذكر للمشفوع عنده ما يبعث إلى قبوله من مقتضى الشفاعة والحامل عليها[2]..

وحديث مغيث وبريرة حديث كله بركة.. وفيه خير عظيم، وفوائد جمة، وآداب وأحكام متعددة، فليراجع فيه فتح الباري لابن حجر، ففيه الفائدة وقد شفع النبي ﷺ

---

(١) « شرح ابن بطال » (١٣/ ٤٣٤).

(٢) « فتح الباري » (١٥/ ١٦٥) لابن حجر.

جابر بن عبد الله، ليوضع عنه من الدين.. خرّج البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أصيب عبد الله وترك عيالاً ودينًا، فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضًا من دينه، فأبوا فأتيت النبي ﷺ فاستشفعت به عليهم، فأبوا، ولم يفعلوا، فقال لي النبي ﷺ: «**اذهب، فصنف تمرك أصنافًا، كل شيء منه على حدة، عذق ابن زيد على حدة، والعجوة على حدة، واللين على حدة ثم أحضرهم حتى آتيك**» قال: ففعلت، ثم جاء ﷺ فقعد عليه، وكال لكل رجل حتى استوفى، وبقي التمر كما هو، كأنه لم يُمس[1]..

قال ابن حجر في الفتح: وفي الحديث من الفوائد، فيه مشي الإمام في حوائج رعيته وشفاعته عند بعضهم في بعض، وفيه: علم ظاهر من أعلام نبوته ﷺ لتكثير القليل إلى أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه[2]..

وهذا هو الحر بن قيس يشفع لعمه عيينة بن حصن في الدخول على عمر - رضي الله عنهم أجمعين - فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم عيينة بن حصن - وكان من المؤلفة قلوبهم - فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر بن الخطاب ﷺ وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبابًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، ألك وجه عند هذا الأمير، قال: نعم.. قال: فاستأذن لي عليه، فاستأذن، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب - عبارة تهديد - فوالله ما تعطينا الجزل - أي الكثير - ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر ﷺ حتى همَّ أن يوقع به..

فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا لمن الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافًا عند كتاب الله ﷻ[3]..

أيها الأحبة الكرام..

هذه نماذج من الشفاعة الحسنة، والشفاعة حتى تكون حسنة ومقبولة شرعًا نافعة

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٣٨٥).

(٣) رواه البخاري.

لصاحبها، وتزيد في اجره عند ربه، لابد أن لا تكون في حد من حدود الله ﷻ.. فقد قال النبي ﷺ: « **من حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله في أمره** »[١]..

وقد عدها الإمام ابن القيم - رحمه الله - من الكبائر، وقد غضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا عندما سرقت المرأة المخزومية، وجاء ليشفع فيها الحب ابن الحب أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قائلاً له: « **أتشفع في حد من حدود الله؟** » ثم قام فخطب قائلاً: « **أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، وإن سرق الشريف تركوه، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمَّد سرقت، لقطع محمَّد يدها** »[٢]..

وهذا في الشفاعة إذا وصل الحد إلى السلطان فلا تحل حينئذ، ومن يشفع فيعتبر مرتكبًا لكبيرة من الكبائر العظام، لأنه ضاد الله في أرضه وسلطانه، لكن إذا لم يصل إلى السلطان، فيجوز الستر عليه، والعفو عنه.

وتلك نكبة من النكبات التي تمر بها بلاد الإسلام « تعطيل الحدود الشرعية » وذلك بسبب شفاعات السوء، التي تحاد شرع الله، فإذا تعطل الحد الشرعي، حلت عقوبة الله ﷻ.. حلت عقوبة تشمل المجتمع بأسره.. قال ﷺ: « **حد يقام في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا** »[٣]. لكن أصبح الحال.. أنه يسب دين الله وشرعه، ويستهزئ به ولا يقام الحد، ويسرق من يسرق ولا يقام الحد، ويزني من يزني ولا يقام الحد، ويرتد من يرتد عن دين الله ﷻ ولا يقام الحد..

قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا** ﴾ [النساء: ٨٥] فهذه الآية دليل على أن هناك نوع من الشفاعات حرام.. وهي الشفاعة السيئة..

وهي الشفاعة التي يؤجر عليها في الدنيا مالاً.. فعن أبي أمامة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من شفع شفاعة لأحد، فأهدى له هدية عليها، فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا** »[٤]..

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في « الشعب » والحاكم وصححه، والطبراني بنحوه، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (١٨٠٩).

(٢) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٣) رواه أحمد في « مسنده ».

(٤) صحيح: رواه أحمد في « مسنده »، وأبو داود، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٢٦٢٤)، وهو في « صحيح الجامع » (٦٣١٦).

فمن الناس من يعرض بذل جاهه ووساطته مقابل مبلغ يشترطه، ليعين شخصًا في وظيفة، أو نقل عامل من شركة إلى أخرى، أو يدخل مريضًا المستشفى للعلاج، هذا المقابل حرام.. لا تجعل الشيطان يفسد عليك ثوابك، وأعمالك الصالحة..

فيا أصحاب الجاه! افتحوا قلوبكم، ووسعوا صدوركم لمن جاء مستشفعًا بكم في قضاء حاجة من الحاجات.. افتحوا صدوركم وقلوبكم لهؤلاء الضعفاء قبل أن تفتحوا بيوتكم ومكاتبكم وجوالاتكم!

يا أصحاب الجاه.. احذروا الضيق والضجر بمن يستغيث بكم.. ولا تغبنوا أنفسكم، فما ولاكم الله من جاه أو منصب نعمة من ربكم، فاشكروه عليها، وحافظوا عليها..

يا أصحاب الجاه! لا تحقروا معروفكم.. ولو أن تلقوا صاحب الحاجة إن لم يكن في وسعكم قضاءها - ببسمة طيبة، وكلمة لينة، ووجه طلق.. ولعل الله يقضي الحاجة بكلمة تقولونها.. أو رسالة تكتبونها.. أو خطوة تمشونها..

يا أصحاب الجاه، ليكن رسول الله محمَّد ﷺ قدوتكم، وأسوتكم الحسنة هو وأصحابه وأهل بيته الكرام... ألم تقل السيدة عائشة له حين رجع لأول مرة نزل عليه الوحي، وهو يرتجف: «إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1]..

ألم يكن أصحابه الكرام يفرحون ويُسرون بمجيء ذوي الحاجات إليهم..

واعلموا أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأن ما عند الله خير وأبقى..

كرروا الشفاعات، وألحوا في قضاء الحاجات، ولا تيأسوا فأنتم مأجورون في كل الأحوال، إذا صلحت النيات، وأردتم بذلك وجه خالق الأرض والسموات..

اللهمَّ اجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر..

اللهمَّ يسرنا لليسرى، وانفعنا بالذكرى..

---

(١) رواه البخاري.

اللهمَّ اجعلنا سلمًا لأوليائك، حربًا على أعدائك.. شفعاء لضعفاء خلقك..

اللهمَّ اغفر ذنوبنا، واختمِ بالباقيات الصالحات أعمالنا..

اللهمَّ أحسن عاقبتنا.. وتول أمرنا، وأحسن خلاصنا، واهدنا، واهدِ بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى.. واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..

وصلِّ اللهمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم..



الوصية رقم (٧٢)
ابغوني ضعفاءكم

عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ابغوني ضعفاءكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

قال الطيبي - رحمه الله -: فيه نهي عن مخالطة الأغنياء، وتحذير من التكبر على الفقراء، والمحافظة على جبر خواطرهم.. ولهذا قال لقمان الحكيم لابنه: لا تحقرن أحدًا خلقان ثيابه، فإن ربك وربه واحد..

وقال يحيي بن معاذ: حبك الفقراء من أخلاق المرسلين، وإيثارك مجالستهم من علامات الصالحين، وفرارك منهم من علامات المنافقين..

وفي بعض الكتب الإلهية: أوحى الله إلى بعض أنبيائه: احذر أن أمقتك، فتسقط من عيني، فأصب عليك الدنيا صبًّا..

وقال القاضي - رحمه الله - في « معنى الوصية »:

أي اطلبوا لي، وتقربوا إليّ بالتقرب إليهم، وتفقد حالهم، وحفظ حقوقهم والإحسان إليهم قولاً وفعلاً، واستنصارًا بهم[٢]..

نعم إنَّ حب الفقراء من أخلاق المرسلين، ألم يقل إمامهم وسيدهم محمَّد بن عبد الله ﷺ: « **اللهمَّ أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين** »[٣]..

أتي كبراء مكة وصناديدها من الذين عشعشت الجاهلية في رءوسهم، فرأوا الرسول

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح (١٧٠٢) ألباني، وهو في « الصحيحة » برقم (٧٧٩).

(٢) « فيض القدير » (١/ ١٠٩) للمناوي.

(٣) **صحيح**: « صحيح سنن ابن ماجة » للألباني (٤١٢٦)، و« صحيح الجامع » (١٢٦١).

ﷺ جالسًا في الحرم، وحوله بلال، وصهيب وعمار، وابن مسعود ﷺ وكلهم مساكين وفقراء..

فقال أبو جهل: يا محمَّد، إن كنت تريد أن نجلس معك، فاطرد هؤلاء الأعبد، حتى نجلس معك، فهم الرسول ﷺ طمعًا في إسلامهم، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]..

إن هؤلاء الفقراء.. هؤلاء المساكين.. هؤلاء المنكسرين خير من أولئك العظماء المتكبرين.. بل إن أقفية هؤلاء المؤمنين الموحدين أشرف بكثير من أولئك الكفرة الجاحدين.. إن أقدام هؤلاء خير من رءوس أولئك، لأن هؤلاء موحدون طائعون.. لكن الآخرين مكذبون متكبرون متغطرسون.. محادون لله ورسوله..

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]..

كان النبي ﷺ يجلس معهم.. كان يؤاكلهم ويشاربهم.. ويقف معهم كان يعلمهم، ويرفع من شأنهم.. كان يعيش مأساتهم.. كان يشعر بجوعهم ودموعهم..

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» قال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال، لا يسمع لقوله، فقال ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا»[1]..

هذا حال الفقير في نظر الناس.. وفي عيونهم..

يمشي الفقير وكل شيء ضده	والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضًا وليس بمذنب	ويرى العداوة لا يرى أسبابها

(١) رواه البخاري ومسلم.

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة حنت إليه وحركت أذنابها
وإذا رأت يومًا فقيرًا عابرًا نبحت عليه وكشرت أنيابها

ولكن ما هو الميزان عند الله ﷻ؟ ما هو المقياس؟ ما هي المؤهلات التي ترفع الإنسان أو تخفضه؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] الخيرية عند الله ليست بكثرة الأموال.. ولا بكثرة العيال.. وإنما بتقوى الإله الواحد الأحد..

الميزان هو الإيمان بالله ورسوله.. فعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**انظر أرفع رجل في المسجد**» قال: فنظرت، فإذا رجل عليه حلةٌ.. قلت: هذا.. قال لي: «**انظر أوضع رجل في المسجد**»..

قال: فنظرت، فإذا رجل عليه أخلاق، قال: قلت: هذا، فقال رسول الله ﷺ: «**لهذا عند الله خير يوم القيامة من ملء الأرض مثل هذا**»[١]..

وليست كثرة المال هي الغنى، وإنما الغنى الحقيقي، هو غنى القلب بالحب لله ﷻ. والفقر فقر القلب وبعده عن المطلوب من الرب..

فعن أبي ذر ﷺ أيضًا أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «**يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى؟**»، فقلت: نعم يا رسول الله..

قال: «**أترى قلة المال هو الفقر؟**»، فقلت: نعم يا رسول الله.. قال ﷺ: «**إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب**»[٢]..

أحبتي الكرام..

هؤلاء الضعفاء.. هؤلاء الفقراء.. هم أعظم الناس مكانة عند الله ﷻ يوم القيامة.. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**اطلعت من الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء**»[٣]..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٢٠٤).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٢٠٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

بل إن الجنة دار النعيم، والنار وهي دار الشقاء يوم القيامة كل منهما تحاج الأخرى.. هذه تريد أن يسكنها الفقراء.. والأخرى يسكنها ويخلد معذبًا فيها الجبارون، قال سيد الأولين والآخرين ﷺ: «**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: في ضعفاء المسلمين ومساكينهم، فقضي الله بينهما، إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليّ ملؤها**»(١). بل إنَّ هؤلاء الفقراء المنكسرين.. هؤلاء الضعفاء يشرفون يوم القيامة بأنهم يدخلون الجنة قبل أغنياء المسلمين، قال النبي الأمين ﷺ: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام**»(٢)..

وعن حارثة بن وهب ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**»(٣)..

وهؤلاء المستضعفون.. هؤلاء الفقراء هم خير عباد الله ﷻ في الدنيا كما أخبرنا بذلك أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ عندما قال لأصحابه وأتباعه: «**ألا أخبركم بخير عباد الله؟ الضعيف المستضعف ذو الطمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره**»(٤)..

إنهم يجتمعون يوم القيامة، فيقال: أين فقراء هذه الأمة، فيقال لهم: ماذا عملتم، فيقولون: ربنا، ابتلينا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا فيقول الله ﷻ: صدقتم.. فيدخلون الجنة قبل الناس، ويبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان..

أيها الموحدون الكرام..

. لأجل هذا أوصانا النبي ﷺ بهذه الوصية التي نعيش في ظلالها «**ابغوني ضعفاءكم، فإنما ترزقون، وتنصرون بضعفائكم**»..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه ابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٨٩).

(٣) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة.

(٤) صحيح لغيره: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٩٨).

وأوصانا كذلك أن نحبهم، وندنو منهم.. فعن أبي ذر ﷺ قال: أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بخصال من الخير: أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقي، وانظر إلى من هو دوني، وأوصاني بحب المساكين، والدنو منهم، وأوصاني أن أصل رحمي، وإن أدبرت[١]..

أوصانا أن نحافظ على شعورهم، وألا نكسر بخاطرهم، فعن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر ﷺ أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتي النبي ﷺ فأخبره، فقال: « **يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك** » فأتاهم أبو بكر، فقال: يا إخوتاه، هل أغضبتكم؟ قالوا: لا.. يغفر الله لك يا أخي[٢]..

قال النووي - رحمه الله -: وهذا الإتيان لأبي سفيان كان وهو كافر في الهدنة، بعد صلح الحديبية.. وفيه مراعاة قلوب الضعفاء وأهل الدين، وإكرامهم وملاطفتهم[٣]..

وليس هذا أن نترك الدنيا، أو نرمي بالمال، وإنما المراد أن نعيش منكسرة قلوبنا لله ﷻ، والذي انكسر قلبه لله، هو من يعيش عبدًا لله، لا لشهوته، ولا لمنصبه، ولا لدنياه..

هيا بنا أحبتي الكرام نقف مع نماذج من هؤلاء الضعفاء والمساكين والمستضعفين التي أحياها النبي ﷺ ووقف معها، موقف لا ينساه التاريخ..

أتاه شاب من شباب مكة، وقد أخذ أهله كل شئ عنده.. لماذا؟ ما الذي ارتكبه؟ لا شيء سوى أنه أسلم مع رسول الله ﷺ .. جريمته الكبرى أنه أسلم.. أخذوا ماله.. وخلعوا ثيابه، فما وجد إلا شملة قسمها نصفين نصف لأعلاه، ونصفها لأسفله، فلما رآه النبي ﷺ أجهش بالبكاء في وجهه، وقال: « **رأيته من أغنى شباب مكة، ومن أطيب شباب مكة، ثم ترك ذلك كله لله** » إنه عبد الله ذو البجادين، وسمي بذلك لأنه قسم الشملة إلى قسمين، ليستر بها جسده، وأتى إلى رسول الله ﷺ جائعًا طريدًا معذبًا، يحمل « لا إله إلا الله محمَّد رسول الله »..

---

(١) صحيح: رواه الطبراني وابن حبان، وصححه الألباني في « الترغيب » (٣١٩٥).

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) « صحيح مسلم بشرح النووي » (٨/ ٢٧٣).

وتمر الأيام، والرسول ﷺ يملأ قلبه حبًّا وحنانًا ورحمة وعطفًا ويخرج معه في غزوة تبوك - غزوة العسرة - وينام الجيش ليلاً، وكان تعداده أكثر من عشرة آلاف، وفي وسط الليل يستيقظ عبد الله بن مسعود ﷺ فيرى نارًا تضيء في آخر المعسكر، فيلتمس رسول الله ﷺ فلم يجده، ويبحث عن أبي بكر فلم يجده، ويبحث عن عمر فلم يجده، فيذهب إلى مكان النار، فإذا بالرسول الأعظم ﷺ قد حفر قبرًا ونزل في ذلك القبر.. وأبو بكر وعمر يحملان جنازة يدليانها في القبر..

فقال ابن مسعود: من هذا يا رسول الله؟

قال: « **هذا أخوك عبد الله ذو البجادين، توفي في هذه الليلة** » ويجعل رسول الله ﷺ ساعده تحت خد عبد الله، ودموعه تتقاطر على خده في ظلام الليل، فلما أنزله قبره، رفع كفيه، واستقبل القبلة ثم قال: « **اللهمَّ ارض عنه، فإني أمسيت عنه راضيًا** » فبكى ابن مسعود ﷺ وقال: يا ليتني كنت صاحب تلك الحفرة[1]..

أي فوز أعظم من هذا الفوز؟! وأي فضل من أن يرضى الله ﷻ ورسوله على عبد.. ولكن مع هذا فكثير من الناس، رضوا بالبدائل الدنيوية، من المناصب والأموال والقصور، ولم يعبئوا بغضب الحي الذي لا يموت..

وهذا نموذج آخر، تختصم امرأتان في عصر النبي المصطفى ﷺ فأتت إحداهما واسمها الربيع أخت الصحابي الجليل أنس بن النضر ﷺ فقلعت سن امرأة أخرى، ورفع الأمر إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ : « **كتاب الله: السنُّ بالسن** »..

فأتى أنس بن النضر ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتريد أن تقلع سن أختي الربيع؟ قال: نعم.. كتاب الله فقال: والله لا تقلع سن أختي..

ما معنى هذا القسم؟ هل هو اعتراض على الشرع؟ هل هو اعتراض على حكم النبي ﷺ ؟ لا هذه ولا تلك، وإنما أقسم أنس هذا القسم رجاءً في الله أن يبر قسمه، وكأنه دعاء وتضرع إلى الله.. فأمرهم النبي ﷺ أن يذهبوا إلى أهل المرأة، فإن رضوا بالأرش أو الدية فلا بأس، فذهبوا إليهم، فرضوا بالأرش، وكانوا قبل ذلك لم يرضوا به أبدًا، وكانوا قد أقسموا لا يرضون إلا بسن الربيع..

(١) حسن: رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٣٧٢).

فتبسم الرسول ﷺ وأخذ ينظر إلى ثياب أنس بن النضر الممزقة وإلى جسمه نحيل، ثم قال: « **إن من عباد الله من لو أقسم على الله، لأبره** » كأنه يقول له: أصبحت في منزلة إذا حلفت على الله، أبر الله قسمك!! أي منزلة هذه أن يقسم الإنسان الضعيف على الملك الجليل، فيلبي قسمه. وهذا واحد آخر من أولئك المستضعفين.. إنه البراء بن مالك ﷺ.. إنه أخو خادم النبي ﷺ أنس بن مالك ﷺ شهد أحدًا والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرًا، وكان شجاعًا مقدامًا.. كان الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا ذهبوا إلى معركة من المعارك وقالوا له: اقسم على الله أن ينصرنا..

فلما كان يوم تستر من بلاد فارس، حاصروها، وكان لهم قلعة، فرفض الكفار أن ينزلوا منها، وكانت محصنة، وما كان الصحابة يملكون صواريخ ولا مدافع، ولا حتى منجنيق، إلا أنهم كانوا يملكون ما هو أعظم من ذلك كله.. يملكون الدعاء، الذي يتجاوز حدود الأرض إلى السماء.. يملكون دعوة من صالح من هؤلاء المستضعفين، الذين قال عنهم الحبيب المصطفى: « **رب أشعث أغبر، لا يؤبه له، لو أقسم على الله عز وجل لأبره، منهم البراء بن مالك** »[1]. قالوا للبراء: نسألك بالله أن تقسم على ربك أن ينصرنا هذا اليوم، فقال: انتظروني قليلاً، فذهب واغتسل وتحنط وتطيب، ثم رفع سيفه، والتفت إلى السماء، ليخاطب ربه مباشرة، ثم قال: « **اللهمَّ إنك تعلم أني أحبك ...** » هذا أول مؤهل من مؤهلات البراء.. فليسأل كل منا نفسه: هل تحب ربك؟ هل صحيح أننا مسلمون نحب ربنا، فنمتثل أمره، ونجتنب نواهيه، ونحب دينه وشرعه.. لا أعني بالمحبة لله ﷻ - تلك المحبة المزعومة، التي يدعيها كل الناس بألسنتهم، وليس لها في عالم الحقيقة وجود..

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	**هذا لعمري في القياس شنيع**
لو كان حبك صادقًا لأطعته	**إن المحب لمن يحب مطيع**

إن قومًا ادعوا محبته ﷻ، فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾..

---

(١) رواه الترمذي في « المناقب » (٣٨٥٤)، وذكره ابن الأثير في « أسد الغابة » (١/ ٢٠٠) رقم ٤٠١

قال البراء: اللهمَّ إنك تعلم أني أحبك، اللهمَّ إني أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيك، واجعلني أول قتيل.. دارت المعركة، فوالله الذي لا إله إلا هو كان أول قتيل في المعركة.. وكان فوزًا ساحقًا للمسلمين.. ودكوا القلعة دكًّا، ورفعت راية لا إله إلا الله عالية خفاقة..

فأين هذه القلوب؟ وأين هذه النماذج العظيمة؟

أحبتي في الله..

وفي مناظرة ساخنة دارت بين هرقل ملك الروم، وبين أبي سفيان، الذي كان آنذاك عدوًّا لدودًا للإسلام ولرسول الإسلام..

يقول هرقل: يا أبا سفيان، أضعفاء الناس يتبعونه أم كبراؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم، قال: أولئك أتباع الرسل[١]..

فينبغي أن نرحم أولئك المساكين، وأن نعيش مأساتهم، وأن نحبهم، وأن نقف معهم، ونلبي طلباتهم، لأن صوتهم ضعيف لا يصل، وخطوتهم قصيرة لا تمتد، وتغلق الأبواب في وجوههم، لأنهم مساكين..

وقد كان أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ يزور عجائز المدينة، ويقضي لهم حاجاتهم.. ويسألهن عن أحوالهن، ويمسكه الأعرابي في الطريق، فيوقفه، حتى ينتهي من حاجته.. ويحمل الأطفال ويداعبهم، كان الفقير والمسكين والضعيف يأخذ بيديه ﷺ فينطلق به حيث شاء..

قال أنس بن مالك ﷺ: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[٢]..

وعن سهل بن حنيف ﷺ أن النبي ﷺ كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم[٣]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري في «الأدب» باب الكبر (٨/ ٢٤).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٦) في «المستدرك»، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وهذا من كمال رأفته ورحمته بالضعفاء، وكان من كمال رحمته بهم أنه إذا صلى الغداة، جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه[1].. وذلك للتبرك به..

وما كان ﷺ يفعل ذلك إلا لكمال رأفته بهم، ليطيب نفوسهم، ولو كان في ذلك عناء له من شدة البرد في الشتاء..

وفي هذا ما يوجب التأسي به في أحوال الضعفة من المسلمين، لأن الأمة معنية باقتفاء آثار نبيها في كل شئ سوى ما خص به ﷺ

قال عبد الله بن أبي أوفى ﷺ كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له الحاجة[2]..

وعن أبي هريرة ﷺ أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد، أو قال: شابًّا، ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها، فقالوا: ماتت، قال: « **أفلا كنتم آذنتموني؟!** »، فكأنهم صغروا أمرها، فقال: « **دلوني على قبرها** » فدلوه، فصلى عليها، ثم قال: « **إنَّ القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله تعالى ينورها لهم بصلاتي عليهم** »[3]..

۞۞۞

(١) رواه مسلم وأحمد والبغوي في « شرح السنة ».

(٢) حسن: رواه النسائي وابن حبان والدارمي والحاكم والطبراني في « الصغير »، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٣).

(٣) رواه البخاري في « الجنائز » ومسلم وغيرهما.

الوصية رقم (٧٣)

وفوا نذوركم

عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة، فجاء إلى النبي ﷺ فقال له: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة - وهي موضع مكان بين الشام وديار بكر..

فقال ﷺ: « **هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية؟** » قال: لا قال: « **هل كان فيها عيد من أعيادهم؟** » قال: لا..

قال: « **أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله تعالى، ولا فيما لا يملك ابن آدم** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

في هذه الوصية جاء رجل يستفتي أستاذ البشرية ﷺ ومعلم الإنسانية في نذره الذي نذره، فأخذ النبي ﷺ يقرره ويسأله، فلما وجد أن هذا النذر مباح، وليس في معصية الله ﷻ أوصاه بالوفاء بنذره، قائلاً له: « **أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم** »[2]..

فما هو النذر؟ وما حقيقته؟ وما حكمه؟ وما أنواعه؟

النذر: أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر، يقال: نذرت لله نذرًا.. قال تعالى على لسان السيدة مريم عليها من الله السلام: ﴿ **إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ...** ﴾ [مريم: ٢٦] وقال: ﴿ **وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ...** ﴾ [البقرة: ٢٧]..

ويقال: نذر الرجل كذا، إذا التزم فعله..

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » رقم (٣٣١٣)، و« صحيح الجامع » برقم (٢٥٥١).

(٢) رواه مسلم وأبو داود.

وقد جاء ذكر النذر في كتاب الله ﷻ في مقام المدح، قال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ ﴾ [الإنسان: ٥-٧] فجعل الله ﷻ خوفهم من أهوال يوم القيامة، ووفاءهم بنذورهم من أسباب نجاتهم، ودخولهم الجنة..

وقد ورد في صحيح مسلم النهي عن النذر، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أخذ رسول الله ﷺ يومًا ينهانا عن النذر، ويقول: « **إنه لا يرد شيئًا، وإنما يستخرج به من الشحيح** »[1]..

وفي رواية: « **إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل** »..

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئًا، وإنما يستخرج به من البخيل** »[2]. ومعناه: أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يجر لهم في العاجل نفعًا، ولا يصرف عنهم ضرًّا، ولا يغير قضاء..

وكأنه يقول: لا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئًا لم يقدره لكم، أو تصرفوا به عنكم ما قدره عليكم، فإذا نذرتم، فعجلوا بالوفاء، فإن الذي نذرتموه لازم لكم..

وكان أبو عبيد يقول: وجه النهي عن النذر، والتشديد فيه، ليس هو أن يكون مأثمًا، لأنه لو كان كذلك ما أمر الله أن يوفي به، ولا حمد فاعله، ولكن وجهه عندي: تعظيم شأن النذر، وتغليظ أمره، لئلا يتهاون به، فيفرط في الوفاء به، ويترك القيام به[3]..

وقد نقل عن أكثر الشافعية والمالكية بأن النذر مكروه، وهو رأي الجمهور إلا أن الإمام النووي والغزالي - رحمهما الله - قالا باستحبابه..

وهذا فيه إشكال.. لماذا؟

لأن القاعدة تقتضي أن وسيلة الطاعة، طاعة، ووسيلة المعصية معصية ولما كان النذر وسيلة إلى التزام قربة، لزم على هذا أن يكون قربة لكن وردت بعض النصوص

---

(١) صحيح: « صحيح سنن النسائي » رقم (٣٨٠٣).

(٢) صحيح: « صحيح سنن النسائي » رقم (٣٨٠٤)، و« صحيح سنن ابن ماجة » (٢١٢٣).

(٣) « السيل الجرار » (٤/ ٣٤).

التي تدل على خلافه كقوله ﷺ: « **لا تنذروا ...** » وقوله: « **إنه لا يأتي بخير ...** » فكيف توجه هذه النصوص؟ وأحسن الطرق لإزالة هذا الإشكال أن يقال:

إن نذر القربة على نوعين:

الأول: معلق على حصول منفعة لصاحبه، كأن يقول: **إن شفي الله مريضي، فعليّ لله** نذر كذا وكذا.

أو إن نجح ولدي في الجامعة أو **في دراسته هذا العام، فلله عليّ أن أتصدق بكذا وكذا**..

الثاني: نذر مطلق يعني غير معلق على شفاء أو نجاح أو أي شيء، كأن يتقرب إلى الله تقربًا خالصًا بنذر، فيقول: لله عليّ أن أتصدق بكذا، أو أعطي الفقير كذا وكذا..

ويقال: إن النهي في الأحاديث متوجه إلى النوع الأول، لأن النذر لم يقع فيه خالصًا للتقرب إلى الله ﷻ، بل يشترط حصول نفع للناذر.. فلو لم يشف مريضه، لم يتصدق، ولو لم ينجح ولده في دراسته لم يتصدق، وهذا هو حال البخيل، فإنه لا يخرج من ماله شيئًا إلا بعوض عاجل يزيد على ما أخرج غالبًا، وإلى هذا المعنى كانت الإشارة بقوله: « **وإنما يستخرج به من البخيل** » وقد ينضم إلى هذا: اعتقاد جاهل يظن أن النذر يوجب حصول ذلك الغرض - أي شفاء المريض ونحوه - أو أن الله يفعل معه ذلك الغرض، لأجل ذلك النذر.. وإلى هذا كانت الإشارة بقوله: « **فإنه لا يرد شيئًا** »..

أحبتي في الله..

والنذر ينقسم إلى قسمين من جهة الأمر المنذور:

الأول: **نذر الطاعة**: وهو واجب الوفاء به، لقول النبي المصطفى ﷺ: « **من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه** »[1]. فلو ألزم الإنسان نفسه بطاعة، لزمته.. ولكن الطاعة إما:

١- أن تكون واجبة بأصل الشرع، كالصلوات الخمس، وصوم رمضان ونحو ذلك فحينئذ يكون لا أثر للنذر، لأن إيجاب الله لذلك أعظم من إيجابه بالنذر..

٢- وإما أن تكون الطاعة نفلاً، ندب الشارع الحكيم إليها، وحض على فعلها

(١) رواه مسلم والبخاري وأبو داود والترمذي.

كصلاة النافلة، أو الصيام في غير رمضان، أو الصدقة، وسائر الطاعات وهذا قد ندبه الشارع، وهو قد أوجبه على نفسه..

٣- وإما إن نذر ما لا يطيق، أو ما يعجز عن الوفاء به، وذلك كمن نذر أن يحج ماشيًا، فبعض العلماء يرى أن ذلك لا يلزم الوفاء به، ويرى بعضهم أن عليه الوفاء به.. ويرى البعض الآخر أن عليه كفارة يمين..

واستدلوا بأحاديث كثيرة منها:

ما روي عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً يهادي بين اثنين، فقال: «ما هذا؟» قالوا: نذر أن يمشي إلى البيت ثم قال: «**إن الله عز وجل لغني عن تعذيب هذا لنفسه**» ثم أمره فركب[1]..

وما رواه عقبة بن عامر ﷺ أن أخته نذرت أن تمشي إلى البيت الحرام حافية، غير مختمرة، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**مر أختك فلتركب، ولتختمر، ولتصم ثلاثة أيام**»[2]..

وفي رواية: «**فمرها فلتركب ولتكفر**»..

وفي رواية: فأمرها النبي ﷺ أن تركب، وتهدي هديًا..

وفي أخرى: «**فلتركب، ولتُهدِ بدنة**»[3] وفي رواية: لم يذكر هديًا، ولا كفارة..

وعن عقبة بن عامر - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كفارة النذر، كفارة اليمين**»[4]..

فلهذه الأحاديث وغيرها اختلف أهل العلم فيما يلزم من نذر ما لا يطيق، إن عجز عن الوفاء...والراجح من هذه الآراء أن عليه كفارة يمين، لقوة الدليل..

وأما إن كان النذر في معصية، فيلزمه عدم الوفاء به، كمن نذر القتل أو شرب الخمر، فقد قال ﷺ كما في الوصية التي نحن بصدد الحديث عنها - قال للرجل:

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) **ضعيف**: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي.

(٣) **صحيح**: «صحيح سنن أبي داود» (٣٣٠٣).

(٤) رواه مسلم.

« .. **فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله تعالى، ولا فيما لا يملك ابن آدم ...** »[(١)]..

وأما الواجب بالكفاية فالأصح لزومه بالنذر، سواء احتاج فيه إلى بذل مال ومقاساة شقة كالجهاد، وتجهيز الموتى، أو كصلاة الجنازة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

وأما لو نذر فعل مباح كأكل ونوم، أو نذر ترك هذا المباح كأن لا يأكل الحلوى، لم يلزمه الفعل، ولا الترك، لحديث أبي داود: « **لا نذر إلا فيما ابتغى به وجه الله تعالى** »..

ولخبر البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بينما النبي ﷺ يخطب إذ رأى رجلاً قائمًا في الشمس، فسأل عنه، فقالوا: هذا أبو إسرائيل نذر أن يصوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم..

فقال ﷺ : « **مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه** » وقد أجاب الشافعية وغيرهم عن حديث المرأة التي قالت للنبي ﷺ حين قدم المدينة، إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، فقال لها: « **أوفِ بنذرك** » بأنه لما حصل السرور للمسلمين بقدومه ﷺ وأغاظ الكفار، وأرغم المنافقين، كان من القربة.. ولذلك استحب ضربه في النكاح، ليخرج عن معنى السفاح..

قال البيهقي - رحمه الله -: يشبه أن يكون ﷺ إنما أذن لها في الضرب - أي بالدف - لأنه أمر مباح، وفيه إظهار الفرح بظهور رسول الله ﷺ ورجوعه سالمًا..

لكن هل يلزم قضاء نذر الطاعة عن الميت؟

الجواب: إذا نذر الإنسان طاعة مما يلزمه الوفاء به، ثم مات قبل أن يوفي، فإن وليه يقضي عنه نذره، فإن كان النذر مالاً، فإنه يؤدي عن الميت من رأس ماله قبل ديون الناس، لقوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ [النساء: ١١] فعمّ الله الدين، ولم يخص، ورسول الله ﷺ قال: « **دين الله أحق أن يقضى** »[(٢)]..

وإن كان النذر عبادة كالحج والصيام والاعتكاف ونحو ذلك، فإن وليه يؤدي عنه، لحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن سعد بن عبادة رضي الله عنه استفتى النبي ﷺ في نذر كان على أمه، فتوفيت قبل أن تقضيه، فأفتاه أن يقضيه عنها، فكانت سنة بعد..

---

(١) تقدم.

(٢) صحيح: « صحيح سنن أبي داود » رقم (٣٣١٠).

وفي لفظ أنه قال: « **اقضه عنها** »[١]..

وعنه أيضًا أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إنَّ أمي ماتت وعليها صوم من نذر، أفأصوم عنها؟

فقال لها النبي ﷺ: « **أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها؟ قالت: نعم.. قال: فدين الله أحق أن يقضى** »[٢]..

وفي رواية للبخاري أنها قالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: « **حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء** »[٣]..

إذا كان ذلك جائز في الصيام والحج وغيرها، فهل يقضي الصلاة المنذورة عن الميت؟ ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يصلي أحد عن أحد، بل حكي ابن بطال الإجماع على ذلك!

لكنه منقوض بأن ابن عمر - رضي الله عنها - جعلت أمها على نفسها صلاة بقباء فقال: صلِّ عنها.. وقال ابن عباس نحوه.

وقد أوجب داود وابن حزم في المحلى قضاء الصلاة المنذورة عن الميت..

لكن ما الحكم لو نذر مسلم أن يعبد الله عبادة لا يشاركه فيها أحد.. ماذا يفعل؟

جاء في كتاب « مغني المحتاج في فقه الشافعية » أنه يطوف بالبيت وحده، وقيل: يصلي داخل البيت وحده، وقيل: يتولى الإمامة العظمى، فإن الإمام لا يكون إلا واحدًا.. فإن انفرد بها واحدٌ، فقد قام بعبادة هي أعظم العبادات وعليه حمل قول سليمان عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥] فإنه انفرد بهذه العبادة، وهي القيام بمصالح الإنس والجن والطير وغيرها، وينبغي أن يكون أي واحد من ذلك..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وأحمد في « مسنده ».

(٣) رواه البخاري.

أيها الموحدون الكرام..

والنذر عبادة، فلا يجوز صرف هذه العبادة لغير الله تعالى من نحو ملك مقرب أو نبي مرسل، أو ولي من الأولياء - حيًّا أو ميتًا، أو نحو ذلك مما يفعله عباد الأوثان والقبور وأشباههم، لمن يعتقدون فيهم ضرًّا أو نفعًا، أو قضاء حاجة، أو تفريج كربة - فقد ارتكب أعظم الذنوب، وهو الشرك بالله تعالى.. وهو نظير ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦] قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى:

وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله، لا لنبي، ولا لغير نبي، وأن هذا شرك لا يوفي به..

وجاء في « سبل السلام » للصنعاني - رحمه الله -:

وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور، والمشاهد، والأموات، فلا كلام في تحريمها - أي لا خلاف لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع ويضر، ويجلب الخير، ويدفع الشر، ويعافي الأليم - أي المريض - ويشفي السقيم، وهذا هو الذي كان يفعله عباد الأوثان بعينه، فيحرم كما يحرم النذر على الوثن، ويحرم قبضه لأنه تقرير على الشرك، ويجب الانتهاء عنه، وإبانة أنه من أعظم المحرمات وأنه الذي كان يفعله عُبّاد الأصنام، لكن طال الأمد، حتى صار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا..

وقد جاء في كتاب « البحر الرائق »:

وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد، كأن يكون لإنسان غائب أو مريض، أوله حاجة ضرورية، فيأتي بعض فيجعل سترة على رأسه، فيقول: يا سيدي فلان، إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع كذا، أو من الزيت كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه: منها: أنه نذر للمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز، لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق بل للخالق..

ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك..

ومنها: إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى، واعتقد ذلك فقد كفر.. اللهمَّ إلا أن قال: يا الله، إني نذرت لك، إن شفيت مريضي أو رددت غائبي، أو قضيت حاجتي، أن أطعم الفقراء الذين بباب السيدة نفيسة، أو الفقراء الذين بباب الإمام الشافعي، أو الإمام الليث، أو أشتري حصرًا لمساجدهم، أو زيتًا لوقودها، أو دراهم لمن يقوم بشعائرها.. إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء، والنذر لله ﷻ[1]..

أحبتي في الله..

أوفوا نذوركم، تكونوا من أهل الطاعة، ومن أهل الفلاح والنجاح، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه إلى الله ﷻ، متضرعين إليه..

يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، نسألك بعزك وسلطانك وفضلك أن تتم علينا نعمة الإيمان، وأن تجعلنا أهلاً لطاعتك وكرمك ونورك..

اللهمَّ أنت ثقتنا في كل كرب، وأنت رجاؤنا في كل شدة، وأنت لنا في كل أمر ونازلة.. فكم من كرب ضعف فيه فؤادنا، وقلت فيه حيلتنا، فأنت صاحب كل حاجة، وولي كل نعمة.. اللهمَّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام دائمًا يا رب العالمين..

اللهمَّ إنا نسألك بكل اسم هو لك. أنزلته في كتابك، أو أعلمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونورًا وضياء لأبصارنا.. وغذاء لأرواحنا، ونجاة لنا في الدنيا وفلاحًا يوم القيامة، وشفاعة لنا عند العرض عليك.. يا رب العالمين..

۞۞۞۞

(١) «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» (٦/ ٢٩٠).

الوصية رقم (٧٤)

استقيموا على الصراط ولا تعوجوا

عن ابن مسعود ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعند رأس الصراط داع يقول: استقيموا على الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، ثم فسره، فأخبر: أن الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب المفتحة محارم الله، وأن الستور المرخاة: حدود الله، وأن الداعي على رأس الصراط: هو القرآن، وأن الداعي من فوقه: واعظ الله في قلب كل مؤمن** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

هذا القبس النبوي المبارك الذي يوصي الأمة الإسلامية على أن يجيبوا داعي الله، فيستقيموا على الصراط والإسلام، وأن يتجنبوا محارم الله ﷻ، ويبتعدوا عن حدوده ﷻ قدر المستطاع..

وقد ضرب المثل هنا، لزيادة التوضيح والتقريب.. لماذا؟ لكي يصير المعقول محسوسًا، والشيء المتخيل يكون متحققًا..

والتمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل، ورفع الحجاب عنه، وإبرازه في صورة المشاهد، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية، وفشت في عبارات البلغاء، وإشارات الحكماء..

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -:

سر هذا الحديث: أنه أقام الصراط معنى للإسلام، وأقام الداعي معنى للكتاب،

---

(١) صحيح: رواه أحمد في « مسنده » والحاكم والترمذي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٣٤٨)، و« صحيح الجامع » (٣٨٨٧).

والداعي الآخر، معنى للعظة في قلب كل مؤمن.. فأنت على الصراط الدائم وهو الإسلام، وسامع للنداء القائم، وهو القرآن.. فإن أنت أقمت حركاتك وسكناتك بمدبرك وخالقك بسقوط من سواه، أقامك إليه به، وقمت به إليه بسقوطك عنك، فحينئذ يكشف لك اسمه الأعظم، الذي لا يخيب من قصده به[1]..

وقال الطيبي - رحمه الله -:

ونظير هذا الحديث، حديث: «**ألا وإن لكل ملك حمي، ألا وإن حمي الله في الأرض محارمه**»، فمن رتع حول الحمي، يوشك أن يقع فيه.. فالسور بمنزلة الحمي، وما حولها، بمنزلة الباب، والستور حدود الله، الحد الفاصل بين العبد، ومحارم الله، وواعظ الله هو لمة الملك في قلب المؤمن، والأخرى لمة الشيطان[2]..

أحبتي في الله..

إن ربنا تبارك وتعالى هو الذي خلقنا، ويعلم ما توسوس به نفوسنا، لذلك أرسل إلى بني آدم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وأيدهم بمعجزاته.. وما ذلك إلا لأجل أن يكون العباد على بينة من أمر دينهم.. قال ﷻ في كتابه: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ**﴾ [النساء: ١٦٥] فإذا استجابوا لله ولرسوله، فازوا بالجنة والرضوان، ولكن اقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يكون الناس في هذه الدنيا على فريقين: فريق هدى، وفريق حقت عليهم الضلالة، فريق مطيع، وآخر عاصي، وفي الآخرة، فريق في الجنة، وفريق في السعير..

والله ﷻ ينادي على أهل الإيمان أن يستجيبوا لأمره، وأمر رسوله وحبيبه ﷺ قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٤] لقد أمرهم بما يقتضيه الإيمان منهم، وهو الاستجابة لله ورسوله، أي الانقياد، لما أمر به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، واجتناب ما نهي عنه، والانكفاف عنه..

فالاستجابة لله ولرسوله: هي الامتثال لأمره، من صلاة وصيام، وزكاة وحج،

---

(١) «فيض القدير» (٤/ ٣٣٥) للمناوي.

(٢) نفس المرجع السابق.

وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وغيرها من الأعمال الصالحة، التي أمر الله بها.. وهي اجتناب نهيه، فلا تعصيه.. لا تشرب الخمر، لا تتعامل بالربا، لا تأكل أموال الناس بالباطل.. لا تتحاكم إلى غير شريعته.. والحياة الحقيقية هي الحياة في طاعة الله ﷻ..

أحبتي في الله..

إن الأجل قريب، وهو مستور عنا، وهو في يد غيرنا، يسوقه حثيث الليل والنهار، وإذا انتهت المدة، حيل بينكم وبين العدة، فاحتالوا قبل المنتهى، وأكرموا أجلكم بحسن العمل، وبالاستقامة على الصراط المستقيم.. وإذا آنستم السلامة، فاستوحشوا بالعطب، فإنه الغاية وإذا بسطت الأمل، فاقبضوا أنفسكم عنه، بذكر الأجل، فهو الموعود وإليه المورود..

واعلموا أن من علامات التوفيق، دخول أعمال البر عليكم من غير قصد لها وصرف المعاصي مع سعيكم إليها، وفتح باب اللجوء والافتقار إليه في كل الأحوال قال رجل لطاوس اليماني: أوصني..

قال: أوصيك أن تحب الله حبًّا، حتى لا يكون شيء أحب إليك منه، وارج الله رجاء يحول بينك وبين ذلك الخوف، وارض للناس ما ترضى لنفسك، وليعلم العبد أن بالحب والذل لله ﷻ تتم العبادة، فاجمع في قلبك أخي المسلم محبة مولاك مع تمام الذل والخضوع له، واعلم أن الخلق منذ خلقوا ما زالوا مسافرين، وليس له حط عن رحالهم إلا في الجنة أو النار..

والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة، وركوب الأخطار، ومن المحال أن يطلب فيها نعيمًا ولذة وراحة بال، إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن المسافر عند كل وطأة قدم، أو أنة من آنات السفر، لابد أن يكون مستشعرًا أنه مسافر من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نام أو استراح فهو على قدم الاستعداد لمواصلة السير..

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسمو إلى أحد

فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولد

ولا لبس نفيس فائق أنق ولا لروح مسرور حل في بلد

إلا مسارعة في نيل منزلة يحظى بها مخلص للواحد الأحد

أحبتي في الله..

استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، وسيروا على ما أمركم الله به ورسوله واحذروا مخالفة أمره وأمر رسوله ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟** ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ** ﴾ [النساء: ٨٠].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله**»[(١)]..

وفي صحيح البخاري أنه ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟

قال: «**من أطاعني، دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(٢)]..

وفي حديث المقداد بن معدي كرب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال، فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**»[(٣)]..

وعن ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله، اتبعناه**»[(٤)]..

وقال تعالى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴾ [الحشر: ٧]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وصححه الألباني.

(٤) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة، وصححه الألباني.

وقد حفظ أصحاب رسول الله ﷺ سنته القولية والفعلية، وطبقوها وبلغوها من بعدهم من التابعين..

ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة ﷺ قال: لما توفى رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب، قال أبو بكر الصديق ﷺ: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فقال له عمر: كيف تقاتلهم، وقد قال النبي ﷺ: « **أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإن قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها** »..

فقال أبو بكر الصديق: أليست الزكاة من حقها، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها..

فقال عمر: فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[1]، وقد تابعه الصحابة - رضوان الله عليهم - فقاتلوا أهل الردة، حتى ردوهم إلى الإسلام، وقتلوا من أصرَّ على ردته..

وفي هذه القصة أوضح دليل على تعظيم السنة، ووجوب العمل بها، ففي التمسك بها الجنة، كما ذكرنا..

وجاءت الجدة إلى الصديق ﷺ تسأله عن ميراثها، فقال لها: ليس لك في كتاب الله شيء، ولا أعلم أنَّ رسول الله ﷺ قضى لك بشيء وسأسأل الناس، ثم سأل الصحابة - رضوان الله عليهم - فشهد عنده بعضهم بأن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس، فقضى لها بذلك..

وكان عمر ﷺ يوصي عماله أن يقضوا بين الناس بكتاب الله، فإن لم يجدوا القضية في كتاب الله، فبسنة رسول الله، ولما أشكل عليه حكم إملاص المرأة، وهو إسقاطها جنينًا ميتًا، بسبب تعدي أحد عليها، سأل الصحابة عن ذلك، فشهد عنده محمَّد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة بأن النبي قضى في ذلك بغرة عبد أو أمة، فقضي بذلك ﷺ..

ولما أشكل على عثمان حكم اعتداد المرأة في بيتها بعد وفاة زوجها، فماذا حدث؟ لقد أخبرته فريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد - رضي الله عنهما - بأن النبي ﷺ أمرها أن تمكث في بيته حتى يبلغ الكتاب أجله، قضى بذلك ﷺ..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وهكذا قضى بالسنة في إقامة حد الشرب على الوليد بن عقبة..

ولما بلغ عليّ بن أبي طالب ﷺ أن عثمان بن عفان ينهي عن متعة الحج، أهلّ عليّ بالحج والعمرة جميعًا وقال: لا أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد..

ولما نازع بعض الناس عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في بعض السنة، قال له عبد الله: هل نحن مأمورون باتباع عمر، أو باتباع السنة؟

ولما قال رجل لعمران بن حصين ﷺ: حدثنا عن كتاب الله، وهو يحدثهم عن السنة، غضب، وقال: «إنَّ السنة هي تفسير كتاب الله». ولولا السنة، لم نعرف الظهر أربع والمغرب ثلاث، والفجر ركعتان، ولم نعرف تفصيل أحكام الزكاة إلى غير ذلك، مما جاءت به السنة من تفصيل الأحكام. والآثار عن الصحابة في تعظيم شأن السنة، ووجوب العمل بها، والتحذير من مخالفتها كثيرًا جدًا..

وأخرج البيهقي عن التابعي الجليل أيوب السختياني - رحمه الله - أنه قال: إذا حُدِّث الرجل بسنة، فقال: دعنا من هذا، وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنه ضال..

وأخرج البيهقي أيضًا عن الأوزاعي - رحمه الله - أنه قال لبعض أصحابه: إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث، فإياك أن تقول بغيره، فإن رسول الله ﷺ كان مبلغًا عن الله تعالى..

وقال مالك - رحمه الله -: ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ..

وأخرج البيهقي عن الزهري - رحمه الله - أنه قال: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة..

أيها الأحبة الكرام..

الصراط المستقيم هو الإسلام.. والإسلام قرآن وسنة.. كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ ونحن مأمورون باتباعهما، وتطبيق ما جاء فيهما، وانتهاء واجتناب ما نهيا عنه.. وقد كان صحابة النبي الكريم ﷺ من أعظم الخلق تطبيقًا لأوامره، وبعدًا عن نواهيه، كانوا أسرع الناس امتثالاً لما أمرهم به، وأسرعهم اجتنابًا لما نهاهم عنه.. كما كانوا حريصين على السنة.. كانوا حريصين على تطبيقها قولاً وفعلاً.. لما أنزل الله تعالى

على رسوله وحبيبه ﷺ قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ...﴾ [البقرة: ١٤٤] في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكان أهل قباء يصلون نحو بيت المقدس، لم يبلغهم الخبر، فجاءهم رجل، وقال: يا أهل قباء، إن رسول الله ﷺ أنزل عليه قرآنًا، وقد أمر باستقبال القبلة، قال: فاستداروا نحو الكعبة.. استداروا نحوها وهم في صلاتهم تطبيقًا لأمره..

ومن ذلكم ما ذكره أنس بن مالك ﷺ قال: كنت في بيت أبي طلحة، أسقيهم الخمر، فجاء رجل، فقال: ما بلغكم خبر تحريم الخمر؟ إن الله أنزل تحريمها، قال أنس: فقال لي أبو طلحة: يا أنس، انهض فأرق الخمر، قال: فأراق الصحابة الخمور، حتى جرت في سكك المدينة..

إنهم رجال تربوا على ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ما إن سمعوا منادي رسول الله ﷺ: ألا إن الخمر قد حرمت، فما فعلوا غير إهراقها..

إنها الطاعة.. إنه الإيمان.. ما ترددوا.. وما قالوا: ننتظر حتى نستفسر من رسول الله ﷺ وما خرج عبقري، فقال، لا تهرقوها حتى ننتفع بها ونبيعها إلى المشركين، إنما كان استسلام تام، وانقياد كامل..

وهذا موقف آخر..

قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: تختم النبي ﷺ بخاتم الذهب فلما ألقاه، ألقى الناس خواتمهم من الذهب.. وتركوها اقتداء برسول الله ويشبه ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال:

بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه، إذ خلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم، ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «**ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟**»..

قالوا: رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ جبريل أتاني، فأخبرني أن فيها قذرًا**»[1]..

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والدارمي، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٧٦٦)، و«صحيح سنن أبي داود» رقم (٦٥٠).

وفي يوم خيبر جاءه رجل، فقال: أكلت الحمر.. فسكت، ثم أتاه الثانية فقال: أكلت الحمر.. فسكت، ثم أتاه الثالثة، فقال: أفنيت الحمر فأمر مناديًا، فنادى في الناس: «**إنَّ الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية**»[1]، فأكفيت القدور، وإنها لتفور باللحم، كما حدث أنس بن مالك ﷺ..

إنهم لم يفكروا، ولم يتحايلوا، ولم يبحثوا عن فرصة أو استثناء.. إنه مشهد عظيم.. يتألق روعة وسموًّا..

أحبتي في الله..

استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم.. والإسلام، والإيمان، والقرآن والجهاد، يحيي القلوب الحياة الطيبة، وكمال الحياة في الجنة، والرسول داع إلى الإيمان، وإلى الجنة، وهو داع إلى الحياة في الدنيا والآخرة فاتقوا الله، واتبعوا الطريق المستقيم، اتبعوا قرآنكم.. وسنة نبيكم فإن فيهما فلاح العبد وفوزه في الدنيا والآخرة، وبالإعراض عنهما، ومخالفة أمرهما خسارة الدنيا والآخرة..

اللهمَّ اجعلنا من المستجيبين لأمرك، وأمر رسولك..

اللهمَّ إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل.. ونعوذ بك من النار.. وما قرب إليها من قول أو عمل..

اللهمَّ انصرنا على شيطاننا.. وانصرنا على شهواتنا.. وانصرنا على أنفسنا واغفر لنا ذنوبنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.. وتوفنا وأنت راض عنا يا كريم، وصلِّ اللهمَّ وسلم وبارك على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم..

۞۞۞۞

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٨٣٣).

الوصية رقم (٧٥)

داوموا على شكر الإله

عن أبي الأحوص عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ في ثوب دون، فقال له النبي ﷺ: « **ألك مال؟** ».. قال: نعم من كل المال..

قال: « **من أين المال؟** » قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق..

قال: « **فإذا أتاك الله مالاً، فلير عليك أثر نعمة الله وكرامته** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

هذا الرجل أتى إلى الحبيب المصطفى ﷺ وهو قشف الهيئة، يلبس ثيابًا بالية، رثةً، فسأله هل لك من مال؟

فأجابه بأن له مالاً من جميع أصناف المال من إبل وغنم وخيل، ورقيق فأنكر النبي ﷺ عليه لباسه، وأنكر عليه حاله، ثم وعظه بقوله: **إذا أتاك الله مالاً، فلير عليك أثر** نعمته وكرامته.. فإنه سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر إنعامه وإفضاله، وجوده وكرمه على عباده كما قال النبي ﷺ في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: « **إنَّ الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده** »[٢]..

وعن ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتباؤس** »[٣]..

وعند الطبراني والبيهقي من حديث عمران بن حصين ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي وأبو داود، وصححه الألباني في « صحيح سنن النسائي » (٥٢٢٤)، و« صحيح سنن أبي داود » (٤٠٦٣).

(٢) حسن: رواه الترمذي والحاكم، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٨٨٧).

(٣) صحيح: « صحيح الجامع » برقم (١٧٤٢).

« **إن الله إذا أنعم علي عبد نعمة، يحب أن يرى أثر نعمته على عبده** »[1]. إنه من الجمال الذي يحبه الله ﷻ، أن يرى أثر نعمته على عبده، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن، فيجب أن يرى على العبد الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليه..

ولأجل محبته ﷻ للجمال أنزل لعباده لباسًا يجمل ظواهرهم، ويقوي تجمل بواطنهم فهو يحب لعبده التجمل في مأكله ومشربه وملبسه، مما يليق بأمثاله عرفًا.. وليحذر أن يكون مرائيًا للخلق..

فينبغي للعبد أن يظهر نعم الله عليه بلسان الحال والمقال، فهو سبحانه القائل في كتابه: ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى: ١١]..

أيها الموحدون..

إن نعم الله ﷻ كثيرة، ومنته جسيمة، وفضله كبير، فكم من خير أرساه؟! وكم من معروف أسداه؟! وكم من نقمة ردها؟! ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقال تعالى: ﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان: ٢٠] فقد أخبرنا سبحانه بأنه لا سبيل لعد وحصر نعمه، فهي كثيرة ومتتابعة..

وقد أمر سبحانه وتعالى عباده بشكره، والاعتراف بفضله، قال تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ [لقمان: ١٤]..

وأخبر أنه لا يعذب الشاكرين من عباده، فقال: ﴿ **مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا** ﴾ [النساء: ١٤٧]..

وقد قسم مولانا ﷻ العباد إلى قسمين: شكور وكفور، وأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ [الإنسان: ٣] وأخبرنا سبحانه أن حفظ النعم واستمرارها، وعدم زوالها وزيادتها مقرون بالشكر، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم: ٧]..

فأين الشاكرون؟

إن نعمه لا تعد ولا تحصى.. الإنسان موجود.. فمن أوجده؟ الإنسان يرى، نعمة

---

(١) رواه الطبراني، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (١٧١٢).

البصر.. يسمع.. نعمة الأذنين.. نعمة التفكير.. نعمة الأجهزة.. نعمة الهواء.. نعمة الماء.. نعمة الزوجة.. نعمة الأولاد.. هذا الجمال في الأرض.. هذه ألوان الأطعمة والأشربة.. كلها نعم..

أنت موجود.. فمن منحك نعمة الوجود؟ من أوجدك؟ ولماذا أوجدك؟ خلقهم ليرحمهم.. خلقهم ليعبدوه ويشكروه.. نعمة الحواس الخمس.. نعمة اللمس.. نعمة السمع والبصر.. نعمة الإدراك.. هناك آلات في جسدك تعمل دون أن تشعر بها.. القلب ينبض، فمن يأمره أن ينبض، لو كلفت أنت أن تأمر القلب بالنبض، لما استطعت أن تنام.. والرئتان تتحركان بعمل نوبي آلي.. والهضم يتم بأعقد أسلوب، وأنت مرتاح.. آلية معقدة جدًّا، من نبض قلب.. إلى عمل الرئتين إلى عمل الجهاز الهضمي، ولو تتبعت الأجهزة في الجسم والأعصاب والدماغ، والقلب والرئتين، لوجدت خلقًا كاملاً.. كل هذا كان من قطرة ماء.. شيء لا يرى إلا بالمجهر.. والبويضة كحبة الملح مع حيوان لا يرى إلا بالمجهر، فتم خلق الإنسان في أكمل صورة في تسعة أشهر.. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٧، ٨] فأين الشاكرون؟

أنبياؤه عليهم السلام كانوا أسبق الناس إلى كل خير، وأقربهم من كل فضل وأعلمهم بعظمة الخالق جل في علاه..

ففي بعض الآثار أن موسى ﷺ، قال: يا رب، خلقت آدم بيديك ونفخت فيه من روحك.. وأسجدت له ملائكتك.. وعلمته جميع أسمائك، فكيف أطاق شكرك، فقال الله ﷻ، يا موسى، علم أن ذلك مني، فكانت معرفته بذلك، شكرًا لما صنعته له[1]..

ونبي الله نوح ﷺ، كان من أعظم الشاكرين، وأحسن الحامدين، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]..

وعن سعد بن مسعود الثقفي قال: إنما سمي نوح ﷺ عبدًا شكورًا، لأنه لم يلبس جديدًا، ولم يأكل طعامًا إلا حمد الله تعالى عليه[2]..

وهذا هو الخليل إبراهيم ﷺ، قال عنه الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» رقم (١٢).

(٢) المرجع السابق رقم (١٤).

حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ... ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١]..

ونبي الله داود عليه السلام، قال الله عز وجل مخاطبًا إياه: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]..

وعن الحسن قال: قال داود عليه السلام: إلهي، لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبحانك الليل والنهار، ما قضيت نعمة من نعمك(١)..

ويروى أن داود عليه السلام، قال: يا رب، كيف أشكرك؟ وشكري لك نعمة عليّ من عندك، تستوجب بها شكرًا، فقال: الآن شكرتني يا داود..

ونبي الله سليمان عليه السلام، لما كثرت عليه نعم الله، وتعددت آلاؤه، ابتهل إلى ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [النمل: ١٩] ولقمان الحكيم عليه السلام، كان من الشاكرين.. قال الرب الكريم: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢] وكان نبي الله وكليمه موسى عليه السلام من الشاكرين الحامدين.. قال تعالى له: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]..

وعن أبي الجلد قال: قرأت في مسألة موسى عليه السلام، أنه قال: يا رب، كيف لي أن أشكرك، وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك، لا يجازي بها عملي كله.. فأتاه الوحي، أن موسى، الآن شكرتني(٢)..

وهكذا تتجلى روائع الشكر، وأفانين الثناء في حياة الأنبياء عليهم السلام وقد حث مولانا عباده المؤمنين، إذا بلغوا أشدهم، واستتم بناؤهم، وبلغوا أربعين سنة، أن يبتهلوا إلى الله عز وجل سائليه توفيقهم إلى شكره على نعمه وحمده على آلائه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]..

وفي الأثر الإلهي: «**أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتني أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي أبدًا، إن تابوا إليّ فأنا حبيبهم،**

(١) المرجع السابق رقم (٢٥).

(٢) المرجع السابق رقم (٦).

وإن أعرضوا عني فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من الذنوب والمعائب ...»...

وهذا نبينا وحبيبنا ﷺ إمام الشاكرين، وسيد العابدين..

بل لقد امتزج الشكر بأنفاسه، وسار في عروقه، ورسخ في وجدانه، لبس حلة الشكر، وارتدى برداء الثناء، ونطق لسانه بترانيم الشكر وعبقت جوارحه بأريج الثناء، وترجم شكره لله ﷻ بأعمال زاكية، وأفعال رائعة، وأقوال ذائعة، قام ليلة حتى تفطرت قدماه، فقيل له في ذلك، لم تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فلم يزد على تلك العبارة الكافية، والإجابة الشافية: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[١]. فما أعظم هذا الجواب، وما أجمل هذه العبارة.. وما أحسن المعنى.. وقد كان من دعائه ﷺ: «**اللهمَّ أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك**»[٢]. وكان يقول: «**اللهمَّ اجعلني لك شكَّارًا.. لك ذكَّارًا ...**»[٣]..

وكان ﷺ إذا أصبح، وإذا أمسى يقول: «**اللهمَّ ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر**»[٤]. وأخبرنا أنَّ من قالها حين يصبح، فقد أدى شكر يومه، ومن قالها حين يمسي، فقد أدى شكر ليلته..

أحبتي الكرام..

الشكر من أعلى المنازل، وأرقى المقامات، وهو نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، والشكر مبناه على خمس قواعد:

الأولى: خضوع الشاكر للمشكور..

الثانية: حبه له..

الثالثة: اعترافه بنعمته..

الرابعة: ثناؤه عليه بها..

الخامسة: ألا تستعمل النعمة فيما يكره المنعم..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٦٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٣٨٣٠)، والترمذي (٣٥٥١).

(٤) ضعيف: رواه أبو داود وابن حبان وابن السني وضعفه الألباني.

فالشكر إذن هو: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وإضافة النعم إلى موليها، والثناء على المنعم بذكر إنعامه، وعكوف القلب على محبته، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره..

لكن ما هي أقسام الشكر؟

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح:

١- **فالشكر بالقلب**: يكون بالاعتراف بالنعم للمنعم، وأنها منه وبفضله.. قال بعضهم: إذا كانت القلوب جبلت على محبة من أحسن إليها، فواعجبًا لمن لا يدري محسنًا إليه إلا الله، كيف لا يميل بكليته إليه؟!

٢- **والشكر باللسان**: الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها وإظهارها.. كان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يقول في دعائه: اللهمَّ إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرًا، أو أن أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها.. وقد قال فضيل بن عياض - رحمه الله -: كان يقال: من شكر النعمة، التحدث بها.. وجلس ليلة هو وابن عيينة يتذكران النعم إلى الصباح..

٣- **والشكر بالجوارح**: ألا يستعان بالنعم إلا على طاعة الله ﷻ، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ: ١٣] وقال بعض السلف: لما قيل لهم هذا، لم تأت عليهم ساعة، إلا وفيهم مصلٍّ ومرَّ ابن المنكدر بشاب يقاوم امرأة، فقال: يا بني، ما هذا جزاء نعمة الله عليك! فالعجب ممن يعلم أن كل ما به من نعمة من الله، ثم لا يستحي من الاستعانة بها على ما نهاه!!

أيها الموحدون..

قد بينا لكم فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه، فليسأل كل واحد منا نفسه هل أنا من الشاكرين حقًّا؟ هل أنا من المحبين لله صدقًا؟

هل أنا من الخاضعين لله قولاً وعملاً؟ هل أنا من المعترفين لله بالفضل والنعمة؟ هل ظهرت آثار الشكر على قلبي حقًّا؟ هل ظهرت آثار الشكر على جوارحك؟ هل ظهرت آثار الشكر على أخلاقك وتعاملاتك؟

أحبتي في الله..

لنكن أكثر صراحة مع أنفسنا، هل من الشكر أن يتشبه المسلم والمسلمة بغير المسلمين من المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى؟! هل من الشكر على نعم المولى ﷻ ما تفعله كثير من نساء العصر من كشف شعورهن وزينتهن، والتبرج الذي خرج بهن عن حدود الشرع؟

هل من الشكر أن نترك قرآننا، وسنة نبينا محمَّد ﷺ ونتبع البدع والضلالات؟ هل من الشكر أن نتعامل بالربا، ونحارب الله ورسوله؟ هل من الشكر على نعم الله ﷻ صرف أموالنا في السجائر والدخان والمخدرات هل من الشكر استخدام نعم الله ﷻ علينا كالهاتف وغيره في المحرمات؟ هل من الشكر كذا وكذا؟! كل نعمة من نعمه ﷻ ليسأل كل واحد نفسه هل شكر هذه النعمة؟ ومعلوم أن نعمه تعالى لا تعد ولا تحصى.. لكن هناك نعم لها مكانتها، ولها عظمتها.. وأعظم النعم:

١- **نعمة الإسلام**: فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.. اشكر ربك واحمده على أن جعلك من أبوين مسلمين..

اشكر ربك أن جعلك له عبدًا، فلم تسجد لصنم، ولم تسجد لحجر ولا لشجر.. احمد ربك واشكره أن جعلك من الموحدين..

قال ابن عيينة - رحمه الله -: ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله..

وقال ابن أبي الحواري: قلت لأبي معاوية: ما أعظم النعمة علينا في التوحيد!

٢- **نعمة القرآن**: فما أعظمها من نعمة! وما أجله من دستور!

حكي عن بعض الفقراء أنه اشتد به الفقر، حتى ضاق به ذرعًا، فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له: أتود أنا أنسيناك سورة الأنعام، ولك ألف دينار؟ قال: لا، قال: فسورة هود؟ قال: لا، قال: فسورة يوسف؟ قال: لا، قال: فمعك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو؟ فأصبح وقد سري عنه[1]..

٣- **نعمة الستر والإمهال**: وهي من أعظم النعم لأن الله ﷻ، لو عاجلنا بالعقوبة

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين».

خلكنا.. قال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] قال كما ذكرناه: أما الظاهرة فالإسلام، وأما الباطنة، فستره عليكم المعاصي..

وقال رجل لأبي تميمة: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين، لا أدري أيتهما أفضل؟ ذنوب سترها فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد؟ ومودة قذفها في قلوب العباد، لا يبلغها علمي..

وكتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد، فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه، فما ندري أيهما نشكر: أجميل ما يستر أم قبيح ما ستر؟

٤- **نعمة التذكير**: قال ابن القيم - رحمه الله -:

ومن دقيق نعم الله على العبد، التي لا يكاد يفطن لها، أنه يغلق عليه بابه فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب، يسأله شيئًا من القوت، ليعرفه نعمته عليه. قال سلام بن أبي مطيع: دخلت على مريض أعوده، فإذا هو يئن، فقلت له: اذكر المطروحين على الطريق، اذكر الذين لا مأوى لهم، ولا لهم من يخدمهم، قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك، فسمعته يقول لنفسه مخاطبًا إياها: اذكري المطروحين في الطريق.. اذكري من لا مأوى له، ولا له من يخدمه..

٥- **نعمة فتح باب التوبة**: قال ﷺ: «**لو أخطأتم حتى تبلغ السماء، ثم تبتم، لتاب الله عليكم**»(١)..

وقال ﷺ: «**إنَّ الله عز وجل يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٢)..

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا، فإن أصبح ذهبًا اتبعناك، فدعا ربه، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت، فتحت لهم باب التوبة، فقال ﷺ: «**بل باب التوبة والرحمة**»(٣).

---

(١) **حسن صحيح**: رواه ابن ماجة وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٣٨).

(٢) رواه مسلم والنسائي وغيرهما.

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٤٢).

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** »[1]..

وعن بكر المزني قال: لا تزال التوبة للعبد مبسوطة، ما لم تأته الرسل - أي رسل الموت - فإذا عاينهم، انقطعت المعرفة..

فأين التائبون؟ أين الراكعون الساجدون؟ أين المخبتون؟ أين الخاشعون لله الخاضعون؟..

٦- **نعمة الاصطفاء**: وهذه النعمة يشعر بها أهل الاستقامة والورع والإقبال على الله ﷻ دون غيرهم، فقد ثبتهم الله ﷻ على دينه في عصر كثرت فيه الفتن، وصرفهم الله ﷻ إلى طاعته، واتباع أوامره في حين صرف أكثر الناس عنها، وحببهم في الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وهذه أعظم النعم التي يستحق عليها سبحانه تمام الشكر، وغاية الحمد..

مر وهب بن منبه ومعه رجل على رجل مبتلى، أعمى، مجذوم مقعد، به برص وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلي به كثيرًا من خلقه..

فقال له الرجل: أي شيء عافاك الله منه، فقال له: يا هذا، لقد عافاني بأن جعل لي لسانًا يذكره، وقلبًا يشكره..

٧- **نعمة الصحة والعافية**: فقد جاء رجل إلى يونس بن عبيد، يشكو ضيق حاله فقال له يونس: أيسرك ببصرك هذا، مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا، قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا فذكره نعم الله عليه، ثم قال له: أرى عندك مئين الألوف، وأنت تشكو الحاجة.. وكان سيدنا أبو الدرداء ﷺ يقول: « الصحة، الملك »..

٨- **نعمة المال:** أي الطعام والشراب..

قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها -: ما من عبد يشرب الماء القراح - الصافي فيدخل بغير أذى، ويخرج بغير أذى، إلا وجب عليه الشكر..

(١) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة، وحسنه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » (٣١٤٣).

وكان أبو بكر المزني - رحمه الله - يقول: والله ما أدري أي النعمتين أفضل عليّ وعليكم، أنعمة المسلك؟ أم نعمة المخرج؟ فقال الحسن: إنها نعمة الطعام..

وقال عبد الله بن قرط الأزدي - رحمه الله - وقد رأى على الناس ألوانًا من الثياب في يوم العيد: يا لها من نعمة ما أعظمها؟! ومن كرامة ما أظهرها، وإنما تثبت النعم بشكر المنعم عليه للمنعم..

وقال بعض السلف في خطبته يوم عيد: أصبحتم زهرًا، وأصبح الناس غبرًا، أصبح الناس ينسجون وأنتم تلبسون، وأصبح الناس ينتجون، وأنتم تركبون، وأصبح الناس يزرعون وأنتم تأكلون.. فبكى وأبكاهم..

أحبتي الكرام..

راعوا نعمة ربكم، وداوموا عليها بالشكر، واعترفوا بتقصيركم وذنوبكم..

إذا كنت في نعمة فارعها فإن الذنوب تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله فرب العباد سريع النقم

اللهمَّ اجعلنا لك شكارين، ولمنهج نبيك ورسولك سالكين، ولحوضه يوم الحشر واردين، وفي زمرته إلى الجنة مع الداخلين..

اللهمَّ أعنا على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك.. ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير..

اللهمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها..

اللهمَّ أرجع نفوسنا إليك راضية مرضية، وأدخلها في عبادك الصالحين..

اللهمَّ حبيب السائلين، هادي الحائرين، موصل المنقطعين، اجعلنا من أصحاب القلوب السليمة، وألبسنا لباس التقوى، وبشرنا بمغفرة وأجر كريم، يا رب العالمين..

الوصية رقم (٧٦)

اجتهدوا في العشر الأواخر

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخلت العشر، شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»[1]..

أيها الموحدون..

ها هو شهر القرآن قد اصفرت شمسه، وآذنت بالغروب، فلم يبق إلا ثلثه الأخير، فماذا قدمت فيما مضى منه؟ وهل أحسنت فيه أم أسأت؟ فهل يحس المحسن المجاهد فيه الآن بتعب ما بذله من الطاعة؟ وهل يجد المفرط الكسول المنغمس في الشهوات راحة الكسل والإضاعة؟ وهل بقي له طعم الشهوة إلى هذه الساعة؟

تـفني اللـذات ممـن نـال صـفوتها مـن الحـرام ويبقـى الإثـم والعـار

تبقـى عـواقب سـوء في مغبـتها لا خـير في لـذة مـن بعـدها الـنار

فلنستدرك ما مضى بما بقي من ليال، أفضل مما مضى.. إنها ليال العشر الأواخر من رمضان.. تلك الليالي التي خصها رسول الله ﷺ بمزيد من العبادة.. فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر، ما لا يجتهد في غيرها»[2]..

لكن كيف كان يجتهد النبي ﷺ في العبادة مع ربه في العشر الأواخر..

١ - كان إذا دخلت العشر، شد مئزره، وهذا كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد فيها، زيادة على المعتاد..

وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء، وترك الجماع، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون، منهم سفيان الثوري، وقد ورد في تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه، حتى ينسلخ رمضان.. وفي حديث أنس: «وطوى فراشه، واعتزل النساء»..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه مسلم وغيره.

وفي رواية عند ابن أبي عاصم من حديث عائشة - رضي الله عنها -: «كان رسول الله ﷺ إذا كان رمضان، قام ونام، فإذا دخل العشر، شد المئزر، واجتنب النساء، واغتسل بين الأذانين، وجعل العشاء سحورًا»[١]..

٢- وكان يحيي ليله، أي كان يقوم أغلب الليل، ويستغرقه بالسهر في الصلاة والذكر والعبادة، وقد جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - لا أعلم رسول الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليله، ولا قام ليلة حتى الصباح ولا قام شهرًا كاملاً قط غير رمضان[٢]..

كان يحيي الليل كله، أوجله، فقد أخرج أصحاب السنن بإسناد صحيح من حديث أبي ذر ﷺ قال: «صمنا مع رسول الله ﷺ في رمضان فلم يقم بنا شيئًا منه، حتى بقي سبع ليالٍ، فقام بنا السابعة، حتى مضى نحو من ثلث الليل، ثم كانت التي تليها.. حتى كانت الثالثة، فجمع أهله، واجتمع الناس، فقام حتى خشينا الفلاح؟ قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور»..

٣- وأيقظ أهله: وما ذاك إلا شفقة، ورحمة بهم، حتى لا يفوتهم هذا الخير في هذه الليالي المباركة.. وقد كان يوقظهن في سائر السنة، ولكنه كان يوقظهن لقيام بعض الليل.. ففي البخاري أن النبي ﷺ استيقظ ليلة، فقال: «**سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتن؟ ماذا نزل من الخزائن؟ أيقظوا صواحب الحجر، فربَّ كاسية في الدنيا، عارية في الآخرة**»[٣]..

وحث الأمة كلها على فعل ذلك، فقال: «**رحم الله رجلاً قام من الليل، وأيقظ أهله، فإن أبت، نضح في وجهها الماء ...**»[٤]..

لكنه كان يوقظ أهله في العشر الأواخر، فيه شدة الحرص، وكان أبرز من الليالي الأخرى في سائر العام..

---

(١) رواه ابن أبي عاصم.

(٢) رواه النسائي (١٦٤١).

(٣) رواه البخاري والترمذي.

(٤) **صحيح:** رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٢٥)، وصححه في «صحيح الجامع» برقم (٣٤٩٤).

وقد صح عنه ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليًّا، ليلاً، فيقول لهما: « **ألا تقومان فتصليان؟** »..

وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي من الليل ما شاء الله، أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل، أيقظ أهله للصلاة.. يقول لهم: الصلاة الصلاة.. ويتلو هذه الآية.. ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ...** ﴾ [طه: ١٣٢] وكانت امرأة أبي محمَّد حبيب الفارسي تقول له بالليل: قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قبلنا، ونحن قد بقينا..

يا نائمًا بالليل كم ترقد	**قم يا حبيبي قد دنا الموعد**
فخذ من الليل وأوقاته	**وردًا إذا ما هجع الرقد**
من نام حتى ينقضي ليله	**لم يبلغ المنزل أو يجهد**

لقد كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم - أو تتفطر قدماه، فيقال له لم تفعل ذلك يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: « **أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!** »[١]..

٤- **وكان يحيي ليال العشر بالاعتكاف في المسجد**، وهو مستحب لكل مسلم في رمضان، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان، عشرة أيام، فلما كان العام، الذي قبض فيه، اعتكف عشرين يومًا »[٢]..

وقد ثبت عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله عز وجل[٣]..

ولو اعتكف المسلم يومًا واحدًا، أو أقل، أو أكثر، جاز ذلك، لأنه لا حد لأقله. وينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر، والاستغفار، والقراءة، والصلاة، والعبادة، وأن يحاسب نفسه، وينظر فيما قدم لآخرته، وأن يجتنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا، ويقلل من الخلطة بالخلق..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري (٢٠٤٤) وغيره.

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - في لطائفه: ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس، حتى ولا لتعليم علم، وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه، والتخلي بمناجاة ربه، وذكره ودعائه. وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية[1]. ا.هـ

٥- وكان يحيي الليل، والعشر الأواخر من رمضان بالوصال، وكان هذا خاص به ﷺ وحده.. ففي «الصحيحين» من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ واصل في رمضان، فواصل الناس، فنهاهم، فقيل: إنك تواصل، فقال: «**إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»[2]. وفي رواية لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهاهم عن الوصال، فأبوا أن ينتهوا، واصل بهم يومًا، ثم يومًا، حتى رأوا الهلال، فقال ﷺ: «**لو تأخر، لزدتكم**» كالمنكل لهم[3].. وفي لفظ عند مسلم: «**لو مد الشهر، لواصلنا وصالاً، يدع المتعمقون تعمقهم**».. ومن هذه الأحاديث يتبين لنا بوضوح أن الرسول ﷺ كان يواصل الصيام في العشر الأواخر، بدليل أنهم رأوا الهلال، وهذا لا يكون إلا في آخر الشهر..

وهذه الأحاديث يتضح منها شدة حرص الصحابة على الاقتداء به ﷺ والمراد بالإطعام والإسقاء، ليس إطعام وسقاء حقيقي، بل المراد ما يغذيه به الله عز وجل من العلوم والمعارف، وما يفيض على قلبه من لذة المناجاة، وقرة عينه بقربه عز وجل، وتنعمه بحبه، والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال، التي هي غذاء القلب، ونعيم الروح، وقرة العين، وبهجة النفوس والروح والقلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه، حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمن، وكما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور تستضيء به ... ومن حديثك في أعقابها حادي

إذا شكت من كلال السير أوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق، يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم وغيره.

الغذاء الحيواني.. ولاسيما المسرور الفرحان، الظافر بمطلوبه، الذي قرت عينه بمحبوبه، وتنعم بقربه، والرضى عنه، وألطاف محبوبه، وهداياه وتحفه تصل إليه كل وقت.. ومحبوبه حفي به، معتن بأمره، مكرم له غاية الإكرام، مع المحبة التامة له، أفليس في هذا أعظم غذاء لهذا المحب؟ فكيف بالحبيب، الذي لا أجل ولا أعظم منه، ولا أكمل، ولا أعظم إحسانًا، إذا امتلأ قلب المحب بحبه، وملك حبه أجزاء قلبه وجوارحه وتمكن حبه منه أعظم تمكن.. وهذا حاله مع حبيبه، أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلاً ونهارًا؟ ولهذا قال: «**إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني**» ولو كان ذلك طعامًا وشرابًا للفم، لما كان صائمًا فضلاً عن كونه مواصلاً"[1]. ا.هـ كلام ابن القيم - رحمه الله - من «زاد المعاد»..

أحبتي في الله..

ومن مظاهر اجتهاده ﷺ في العشر الأواخر «اغتساله بين الأذانين» كما ذكرناه، والمراد أذان المغرب والعشاء..

قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر..

وكان أيوب السختياني - رحمه الله - يغتسل ليلة ثلاث وعشرين، وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين، ويستجمر، ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة المدينة، والتي تليها ليلتنا - يعني البصريين..

فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب، بالغسل والطيب، واللباس الحسن، كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد وكذلك يشرع أخذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات، ولا يكمل التزين الظاهر، إلا بتزين الباطن بالتوبة، والإنابة إلى الله ﷻ، وتطهير الباطن من أدران وأدناس الذنوب؟ فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن، لا تغني شيئًا. ولا يصلح لمناجاة الملوك في الخلوات، إلا من زين ظاهره وباطنه وطهرهما، خصوصًا ملك الملوك، الذي يعلم السر

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٣٢) لابن القيم الجوزية.

وأخفى.. وهو لا ينظر إلى صوركم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم..

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى تجرد عريانًا ولو كان كاسيًا

أيها الموحدون الكرام..

ترون لماذا يفعل الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ كل هذا؟ لأنه يطلب تلك الليلة الزاهية.. تلك الليلة البهية.. ليلة القدر.. ليلة نزول القرآن.. ليلة خير من ألف شهر..

نعم إنها ليلة القدر، التي من قامها إيمانًا واحتسابًا، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه، كما في البخاري من حديث أبي هريرة..

إنها ليلة القدر، التي إن وفقت لقيامها، كتب لك كأنك عبدت الله أكثر من (٨٣) عامًا.. إنها ليلة القدر.. ليلة العتق والمباهاة.. وقربة ومناجاة.. وآه إن فاتتنا هذه الليلة!!

واحسرتاه إن فاتتنا ليلة القدر..

وكيف لا يتحسر من قد فاتته المغفرة.. إن من تفوته، فهو المحروم.. وهو المطرود قال ﷺ: «**إن هذا الشهر قد حضركم فيه ليلة، خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم**»[1]..

إنها ليلة مباركة، وكما قال الله عنها: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ [الدخان: ٤] أي تقدر في تلك الليلة مقادير الخلائق على مدى العام، فيكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والعزيز والذليل، والجدب والقحط، وكل ما أراد الله ﷻ في تلك السنة..

والمقصود بكتابة مقادير الخلائق في ليلة القدر - والله أعلم - أنها تنقل في ليلة القدر في اللوح المحفوظ..

وقد خص الله ﷻ هذه الليلة بخصائص:

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٠٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢٤٧).

١- منها: أنه نزل فيها القرآن الكريم.. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة، من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع، في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ[١]..

٢- ووصفها الله ﷻ بأنها خير من ألف شهر..

٣- أن الملائكة تتنزل فيها والروح الأمين، أي يكثر تنزل الملائكة فيها، لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له[٢].. والروح هو سيدنا جبريل عليه السلام، وقد خصه الله ﷻ بالذكر لشرفه..

٤- وصفها الله ﷻ بأنها مباركة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ...﴾ [الدخان: ٣]..

٥- وصفها بأنها سلام ﴿سَلَٰمٌ هِيَ ...﴾ [القدر: ٥] أي سالمة لا يستطيع فيها الشيطان أن يعمل فيها سوءًا، أو يعمل فيها أذى، كما قاله مجاهد وتكثر فيها السلامة من العقاب والعذاب بما يقوم العبد من طاعة الله ﷻ..

٦- أن الله ﷻ يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا، ما تقدم من ذنبه، كما جاء في الحديث.. ومعنى إيمانًا واحتسابًا أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليها، وطلبًا للأجر، لا لقصد آخر من رياء أو نحوه..

وقد أنزل الله فيها قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، بل سورة بأكملها.. قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ [القدر: ١-٥]..

ويستحب تحري ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، قال ﷺ: «**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**»[٣]..

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٢٩).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٥٣١).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وفي أوتار العشر آكد لحديث عائشة - أيضًا: « **تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر** »[١]..

أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين..

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: « **التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى** »[٢]..

وهي في ليلة سبع وعشرين أرجى ما تكون، فقد جاء عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عند أحمد وعند أبي داود من حديث معاوية أن النبي قال: « **ليلة القدر ليلة سبع وعشرين** »[٣]. وهذا مذهب أكثر الصحابة وجمهور العلماء، حتى أبى بن كعب ﷺ كان يحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين، قال زر بن حبيش: فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر قال: بالعلامة، أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ: « **أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها** »[٤]..

وإنما أخفى الله ﷻ هذه الليلة، ليجتهد العباد في طلبها، ويجدوا في العبادة كما أخفى ساعة الإجابة يوم الجمعة وغيرها..

فينبغي للمؤمن أن يجتهد في أيام وليالي هذه العشر، طلبًا لليلة القدر، اقتداء بنبينا ﷺ وأن يجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله..

والسيدة عائشة - رضي الله عنها - تسأل الرسول ﷺ يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول؟ قال: قولي: « **اللهمَّ إنك عفو كريم تحب العفو، فاعف عني** »[٥]..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » (٣٥١٣)، و« صحيح سنن ابن ماجة » (٣٨٥٠).

أيها الموحدون الكرام..

قوموا ليالي العشر، فقيام الليل دأب الصالحين، وشعار الصالحين، وتاج الزاهدين فكم وردت فيه من آيات وأحاديث وآثار، وكم ذكرت فيه من فضائل، فكيف إذا كان قيامه في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، حيث ليلة القدر..

ماذا فاته من فاته قيام الليل؟ أما لكم همة تنافسون الحسن والفضيل وسفيان أما لكم همة كهمة التابعي الجليل (أبي إدريس الخولاني) حيث كان يقوم حتى تتورم قدماه، ويقول: والله لننافسن أصحاب محمَّد ﷺ حتى يعلموا أنهم خلفوا وراءهم رجالاً..

آه يا مسكين، لو رأيت أقوامًا تركوا لذيذ النوم، ففازوا بليلة القدر، فهم في قبورهم منعمين، وغدًا بين الحور العين جذلين.. وفي الجنان مخلدين..

يا عبد الله.. اهجر فراشك، فإن الفرش غدًا أمامك..

اهجر فراشك جوف الليل وارم به	ففي القبور إذا وافيتها فرش
ما شئت إن شئتها فرشًا مرقشة	أو رمضة فوقها السمومة الرقش
هذا ينام قرير العين نائمًا	وذا عليه سخين العين ينتهش
شتان بينهما وبين حالهما	هل يستوي الري في الأحشاء والعطش
قاموا ونمنا وكل في تقلبه	لنفسه جاهدًا يسعى ويحتوش
أولئك الناس إن عد الكرام فهم	وإن ترد دبشا فنحن ذا دبش

فيا عباد الله..

إن أردت لحاق السادة، فاترك مخاللة الوسادة.. يا ثقيل النوم، أما تنبهت، الجنة فوقك تتزخرف، والنار تحتك توقد، والقبر إلى جنبك يحفر.. أمامك الجواهر والدرر، أمامك ليلة القدر.. فعلام تضيع الأعمار في الطين والمدر..

بادر قبل أن يفوتك ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ فتأتي يوم القيامة ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]..

ألا تستحق ليلة القدر أن نضحي من أجلها بعشر ليال فقط.. غدًا يوفي الناس أعمالهم، فتحمد قيامك وصيامك.. غدًا تفرح بتهجدك وصلاتك حين يتحسر أهل الغفلة..

غدًا توفي النفوس ما كسبت ... ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

يقول الحسن: إن الله جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا.. فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون..

اللهمَّ قربنا إليك قرب العارفين، ونزهنا عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن واجعلنا من عتقائك من النار في هذا الشهر الكريم.. واجعلنا من التائبين.. واجعلنا من الفائزين.. ومن المقبولين..

اللهمَّ احفظ قلوبنا بنور أسمائك الحسنى، وصفاتك العلى.. يا حق يا مبين.. يا قديم الإحسان، ألبسنا لباس التقوى، وابعد عنا شرور الأعداء، وعيون الحاقدين، وأفئدة الحاسدين..

اللهمَّ افتح لنا فتحًا مبينًا بنورك وإلهامك لأهل محبتك..

اللهمَّ اغفر لنا يا غفور.. وارحمنا برحمتك يا رحيم..

وصلِّ اللهمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمَّد..

الوصية رقم (٧٧)
أدوا زكاة أموالكم

عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من أدى زكاة ماله، طيبة بها نفسه، يريد به وجه الله، والدار الآخرة، لم يغب شيئًا من ماله ...** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

لقد أقام الله ﷻ دين الإسلام على خمسة أعمدة، وجعلها أركان هذا الدين القويم، وأسس لبنائه المتين، لو انهار واحد منها، لسقط هذا البنيان على صاحبه..

ففي « الصحيحين » من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمَّدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً** »[2].

إن دين الإسلام تضمنت أحكامه ما يكفل للبشرية إصلاحها، وقيامها على أكمل الوجوه، وما يتضمن إقامة مجتمع مثالي، يتراحم أبناؤه، ويتعاونون على مشاق هذه الحياة، لذا جاءت عنايته بعلاج مشكلة الفقر، بما لم يسبق له نظير، لا فيما يتعلق بجانب التربية والتوجيه، ولا فيما يتعلق بجانب التشريع، ولا فيما يتعلق بجانب التطبيق..

في الوقت الذي ترى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية أن مشكلة الفقر معضلة اجتماعية، عجز العالم المعاصر عن حلها، والقضاء عليها، فإن علاج الفقر في الإسلام، له في القرآن الكريم العناية البالغة، وله من السنة النبوية المطهرة الاهتمام البارز.. بل إن الدراسات المنصفة تثبت بكل برهان ساطع، ودليل قاطع أن الإسلام عالج مشاكل الفقر بالعلاج الجذري الأصيل المقام، على بنيان العدل، ومبدأ التكافل الاجتماعي،

---

(١) حسن: رواه الحاكم (٤/ ٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه رقم (١٤٢٢)، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب ».

(٢) رواه البخاري ومسلم.

بنظام متعدد الأوجه، متين الأسس، راسخ القواعد..

ومن هنا شرع الإسلام الزكاة، وجعلها فريضة معلومة من الدين بالضرورة فرضيتها ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، واعتبرت منكرها كافرًا..

ولأهميتها ومكانتها نرى أن المولى تبارك وتعالى قد قرنها بالصلاة، وهي أعظم شعائر الإسلام في اثنتين وثمانين موضعًا، مما يدل على كمال الاتصال بينهما.. قال تعالى: **﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ ...﴾** [الحج: ٤١] وقال تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾** [النور: ٥٦] وجعلها تطهير لصاحب المال مما يتعلق به من أثر الذنوب، فالزكاة كفارة لها، بل فيها تطهير بالغ، وعظيم للإنسان.. قال سبحانه: **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ...﴾** [التوبة: ١٠٣]..

وعندما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، أوصاه قائلاً: « **وأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم ...** »[1]..

. فالزكاة شعيرة كبيرة، وعبادة عظيمة، وفريضة دورية منتظمة، دائمة الموارد مستمرة النفع.. فريضة مقصدها: إغناء الفقراء، وذوي الحاجات، إغناء يستأصل شأفة العوز من حياتهم، هي حق للفقراء في أموال الأغنياء.. ليس معنى من معاني التفضل والامتنان، وليست إحسانًا اختياريًا، إنما هي فريضة تتمتع بأعلى درجات الإلزام الخلقي والشرعي..

قال تعالى: **﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾** [النمل: ١-٣]..

معشر المسلمين الموحدين..

الزكاة سبب للنجاة من كل مرهوب، وطريق للفوز بكل مرغوب.. **﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾** [الليل: ١٤-١٨]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم.

وأستاذنا ومعلمنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور ﷺ يوجه الأمة فيقول: « **اتقوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم** »[1]..

في الزكاة تعويد للإنسان على البذل والعطاء، والكرم والسخاء، والابتعاد عن الجشع والطمع والأثرة..

في الزكاة عطف المسلمين بعضهم على بعض.. فالغني يشعر بحاجة الفقير ويعينه ويساعده، فتكون نفس الغني طيبة قوية الإيمان، وتكون نفس الفقير خالية من الغل والحسد، فيسود الحب والوئام بين الناس، وينتشر الأمن والأمان، وينال الكل بذلك رضى الملك الديان..

ولنعلم أن الزكاة ومثلها صدقة التطوع سبب لنماء المال وبركته، وهذه حقيقة لا مرية فيها، ولا شك، فقد أفصح عنها الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وأكدتها السنة المطهرة، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: ٧]. وقال: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩]..

وقال ﷺ: « **ما نقصت صدقة من مال** »[2]..

أيها الموحدون..

ومما يدل على أهمية هذه الفريضة إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - على قتال مانعيها، فمن أنكرها عُدّ كافرًا مرتدًا - والعياذ بالله..

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق، قال حين استخلف: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها[3]..

---

(١) صحيح: رواه أحمد والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه ابن حبان، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٨٦٧).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

وفي رواية: « **عقالاً** » والعناق: أنثى الماعز..

ولا يظنن أحد أن الفرد - في دولة الإسلام - حر في دفع الزكاة أو عدم دفعها، فالشارع يجبر ولي الأمر أخذها من مانعيها مع التغريم المالي قهرًا عنهم.. فعن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **من أعطى زكاة ماله مؤتجرًا، فله أجرها، ومن منعها فإنا آخذوها، وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا عز وجل، ليس لآل محمَّد منها شيء** »[1]..

ومؤتجرًا أي قاصدًا للأجر بإعطائها..

والمراد من الشطر البعض، وظاهره أن ذلك عقوبة بأخذ جزء من المال على منعه إخراج الزكاة.. وعزمة معنى العزمة في اللغة الجد في الأمر، ففيه دليل على أن ذلك واجب مفروض من الأحكام، والعزائم: الغرائض..

من عزمات ربنا: أي من حقوقه وواجباته[2]..

ولقد وجه الله ﷻ وعيده الشديد لمانعي الزكاة والمتهاونين فيها، فقال: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥** ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]..

والاكتناز معناه: حبس المال، ومنع الزكاة.. فإذا أخرج المسلم زكاة ماله لم يكن كنزًا.. لكن لماذا خصت هذه الأعضاء بالذات في الكي [الجباه والجنوب والظهور]..

قال الإمام الفخر الرازي:

والجواب لوجوه: **أحدها**: أن المقصود من كسب الأموال حصول فرح في القلب يظهر أثره في الوجوه، وحصول شبع ينتفخ بسببه الجنبان، ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم، فلما طلبا تزين هذه الأعضاء الثلاثة، حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور..

---

(١) حسن: رواه أحمد وأبو داود (١٥٧٥)، والنسائي (١٤٤٤)، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٢٦٥).

(٢) « عون المعبود » (٣/ ٤٩٤).

وثانيها: أن هذه الأعضاء الثلاثة مجوفة، قد حصل في داخلها آلات ضعيفة يعظم تألمها بسبب وصول أدنى أثر إليها بخلاف سائر الأعضاء..

ثالثها: قال أبو بكر الوراق: خصت هذه المواضع بالذكر، لأن صاحب المال، إذا رأى الفقير بجنبه، تباعد عنه، وولى ظهره..

ورابعها: أن المعنى أنهم يكونون على الجهات الأربع، إما أن كان من مقدمه فعلى الجبهة، وإما من خلفه، فعلى، وإما من يمينه ويساره فعلى الجنبين..

وخامسها: أن ألطف أعضاء الإنسان جبينه، والعضو المتوسط في اللطافة والصلابة جنبه، والعضو الذي هو أصلب أعضاء الإنسان ظهره، فبين تعالى أن هذه الأقسام الثلاثة من أعضائه تصير مغمورة في الكي[1]..

أحبتي الكرام الأفاضل..

كل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز، يعذب به صاحبه يوم القيامة، كما دل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: « **ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقَّها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوي بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت، أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله إما إلى جنة، وإما إلى النار** »[2]. ثم ذكر النبي ﷺ صاحب الإبل والبقر والغنم، الذي لا يؤدي زكاتها، وأخبر أنه يعذب بها يوم القيامة..

وقد جعل ربنا تبارك وتعالى أن من العلامات التي يتميز بها المؤمن من المنافق منع الزكاة.. قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ... ﴾ [التوبة: ٦٧]..

ورسولنا وحبيبنا ﷺ حذر أمته من التهاون في الزكاة والتساهل في إخراجها بأساليب شتى، وتوجيهات لا تحصى، فقد أنذر عليه الصلاة والسلام من التهاون بها بالعذاب الغليظ في الآخرة، لينبه القلوب الغافلة، ويحرك النفوس الشحيحة إلى

---

(١) تفسير الفخر الرازي « مفاتيح الغيب » (٨/ ١٣).

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي.

الحرص عليها، والاهتمام بشأنها، ففي البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من أتاه الله مالاً، فلم يؤد زكاته، مُثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك** »(١)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ...** ﴾ [آل عمران: ١٨٠]..

وسمي الأقرع بذلك، لكثرة السم في رأسه..

وفائدة قوله: « **أنا مالك، أنا كنزك** » الحسرة والزيادة في التعذيب حيث لا ينفعه الندم، وفيه نوع من التهكم(٢)..

وقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال النبي ﷺ لها: أتعطين زكاة هذا؟ قالت: لا يا رسول الله.. قال: « **أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟!** »(٣)..

فقلعتهما وألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ﷻ..

وقد استدل بهذا الحديث من رأى أن في الحلي زكاة..

فيا من أنعم الله عليهم بالنعم المتوافرة، وفضلهم بالأموال المتكاثرة، تذكروا من يعيشون تحت وطأة البؤس، ويقاسون هموم الحاجة..

تذكروا أن من أعظم الوزر، وأكبر الجرم أن يتناسى أهل الجود والغنى، الفقراء الذين لا مورد لهم، والنساء اللاتي لا عائل لهن، والأيتام الذين لا آباء لهم.. والمشردين الذين لا سكن لهم..

إن على الأمة الإسلامية أن تعلم تمام العلم أن من أسباب خذلانها، وعوامل هزيمتها تعطيلهم لفريضة الزكاة، فالله جل وعلا يقول: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

(٢) « فتح الباري » لابن حجر.

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٥٦٣)، والترمذي (٦٣٧)، والنسائي (٢٤٧٩)، وهو في « صحيح الترغيب » (٧٦٨) للألباني.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]..

وينبغي أن نعلم أنه إذا منعت الزكاة، منعت البركة.. وحلت الأمراض والابتلاءات والمجاعات. قال ﷺ: «**ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين**»[(١)]. وقال: «**من أدى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شره**»..

وفي حديث آخر: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»[(٢)]..

أيها الأغنياء تذكروا الأيتام والضعفاء، والأرامل والفقراء، فلهم في أموالكم حقوق مفروضة، وواجبات لازمة، أنتم مسئولون عنها، ومحاسبون عليها.. يقول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابًا شديدًا..

فيا من أضعفته نفسه عن إخراج ما أوجب الله، ألا تخشى من سخط الله؟ ألا تخشى أن يعتريك ما يصيبك في مالك، ويصيبك في بدنك، فيحرمك من لذة الانتفاع به.. فنبينا ﷺ يقول: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميلة، تعس عبد الخميصة، إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»..

وفي الحديث: «**ينادي في كل صباح ومساء ملكان: اللهمَّ أعط كل منفق خلفًا، وأعط كل ممسك تلفًا**»[(٣)]..

أيها الموحدون..

والزكاة تجب في أربعة أصناف:

الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام، والذهب والفضة،

---

(١) صحيح: رواه الطبراني والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٦٣).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) رواه البخاري وابن ماجة والبيهقي وغيرهم.

وعروض التجارة..

ولكل من الأصناف الأربعة نصاب محدود، لا تجب الزكاة فيما دونه..

فنصاب الحبوب والثمار، خمسة أوسق، والوسق: ستون صاعًا بصاع النبي ﷺ وهذا المقدار بالكيل المصري يساوى (٥٠ كيلة) بالكيل المصري وتساوي أربعة أرادب وكيلتين وبالكيلو حوالي ٦٤٧ كيلو جرام فإن نقص محصول القمح أو الذرة، أو الشعير، أو الأرز، والتمر، والزبيب على الراجح فلا تخرج منه الزكاة، لقوله ﷺ: «**ليس فيما دون خمسة أوسق زكاة أو صدقة**»[1]. والواجب في زكاة الزروع، التي بلغت هذا النصاب العشر، إذا كانت تروي بلا كلفة، كالأمطار، والأنهار، والعيون الجارية..

أما إن كانت الأرض تروى بالميكنة الزراعية والآلات الحديثة، ونحو ذلك فالواجب فيها نصف العشر، لما صح عنه ﷺ: «**فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًا العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر**»[2]..

فإن سقيت نصف الوقت بكلفة، ونصفها بغير تكلف، فالزكاة ثلاثة أرباع العشر اتفاقًا..

أما نصاب الإبل والبقر والغنم، ففيها تفصيل، فهي: إما معلوفة، وإما عاملة، وإما سائمة، وإما معدة للتجارة.. وفي أنصبتها وقدر الواجب فيها تفصيل.. وأما نصاب الذهب: فعشرون مثقالاً، وهي تساوي حوالي (٩٧) جرام من الذهب عيار (٢١) و(٨٥) جرام عيار (٢٤) وحوالي (١١٣) جرام عيار (١٨) ولابد من مرور الحول عليه..

وأما نصاب الفضة فحوالي (٢٠٠ درهم) تساوي تقريبًا (٥٩٥) جرامًا من الفضة والواجب فيهما ٥ر٢٪ = ١/٤٠ لحديث علي بن أبي طالب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كانت لك مائة درهم، وحال عليها الحول، ففيها خمسة دراهم، وليس عليك شيء - أي في الذهب - حتى يكون لك عشرون دينارًا ...**»[3]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» وابن ماجة والترمذي، وهو في «صحيح سنن أبي داود» برقم (١٣٩١).

أما بالنسبة للحلي الذي تلبسه المرأة، فاختلف أهل العلم من السلف والخلف في ذلك فمذهب الجمهور أنه لا زكاة في حلي الذهب والفضة المعتاد لبسه للمرأة، وأدلتهم في ذلك: عن نافع أن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان يحلي بناته وجواريه الذهب، ثم لا يخرج منه الزكاة[١]..

وقال: ليس في الحلي زكاة[٢]..

وعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - أنها كانت لا تزكي الحلي[٣]..

وأما الرأي الآخر ففيه زكاة، إذا بلغ النصاب، وحال عليه الحول، سواء كان ملبوسًا، أم مدخرًا، أو معدًّا للتجارة، ولهم أيضًا أدلة صحيحة على ذلك..

ويقاس زكاة الأوراق النقدية بنصاب الذهب وهذا هو الأصح، واعتبر آخرون زكاة الفضة..

أما العروض، وهي السلع المعدة للبيع، فإنها تقوم في آخر العام، ويخرج ربع عشر قيمتها لحديث سمرة قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع..

ويدخل في ذلك: الأراضي المعدة للبيع، والعمارات، والسيارات وغير ذلك..

أحبتي في الله..

الزكاة حق الله تعالى لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعًا، أو يدفع ضرًّا، ولا أن يقي بها ماله، أو يدفع عنه مذمة، بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها، لكونهم من أهلها، لا لغرض آخر، مع طيب النفس بها، والإخلاص لله في ذلك، حتى تبرأ ذمته، ويستحق جزيل المثوبة والخلف من الله ﷻ..

وقد أوضح مولانا ﷻ في كتابه الكريم الأصناف التي ينبغي إخراج الزكاة إليهم،

---

(١) أخرجه الدارقطني في «سننه» بإسناد حسن، وأخرجه مالك في «الموطأ» رقم (٥٨٥)، والبيهقي (٤/ ١٣٨).

(٢) أخرجه الدارقطني (٢/ ١٠٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٨٢) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٥٥) بإسناد صحيح.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠]..

وفي ختم الآية الكريمة بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ تنبيه من الله لعباده بأنه هو العليم بأحوال عباده، من يستحق منهم للصدقة ومن لا يستحق، وهو الحكيم في شرعه وقدره، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وإن خفي على بعض الناس أسرار حكمته، ليطمئن العباد لشرعه، ويسلموا لحكمه..

اللهمَّ طهر أموالنا، وطهر قلوبنا، وطهر ألسنتنا - واقذف في قلوبنا رجاءك واقطع رجاءنا عمن سواك، حتى لا نرجوا أحدًا غيرك، فأنت مولانا وأنت ولينا في الدنيا والآخرة يا ذا الجلال والإكرام..

اللهمَّ إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه.. سبحانك ما أعظم شأنك، وما أعز سلطانك، وما أجل برهانك.. يا من الكل منه، والكل إليه، استقبلنا بمحض عفوك وكرمك.. واجعلنا راضين بحكمك في جميع الأحوال حتى لا نحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت.. واجعل غناك في نفوسنا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا.. وأقر بذلك أعيننا..

اللهمَّ اغفر لنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وارحمنا بواسع رحمتك يا واسع المغفرة.. يا رب العالمين..

❁❁❁

الوصية رقم (٧٨)

استخيروا ربكم في جميع أموركم

عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب. اللهمَّ إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه.. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به**»[1] ويسمي حاجته..

أحبتي الكرام..

إن من أعظم نعم الله ﷻ، وآلائه الجسيمة على عبده المسلم: استخارته لربه، ورضاه وقناعته بما قسمه له وقدره.. ففي ذلك السعادة الأبدية أما التبرم والتسخط بالمقدور، الشقاوة السرمدية، وذلك، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله، ولا يطلع عليه أحد سواه.. لذلك روى سعد بن أبي وقاص ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم، تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله**»[2]..

قال الطيبي - رحمه الله -: أي الرضا بقضاء الله، وهو ترك السخط، علامة سعادته وإنما جعله علامة سعادة العبد لأمرين:

أحدهما: ليتفرغ للعبادة، لأنه إذا لم يرض بالقضاء، يكون مهمومًا أبدًا مشغول القلب بحدوث الحوادث، ويقول: لم كان كذا، ولم لا يكون كذا؟

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم.

(٢) ضعيف: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٠) برقم (١٤٤٤)، وضعفه الشيخ أحمد شاكر والألباني.

والثاني: لئلا يتعرض لغضب الله ﷻ لسخطه، وسخط العبد: أن يذكر غير ما قضي الله له..

ولقد أرشد الأستاذ الأعظم، والرسول الأكرم، والناصح الأمين ﷺ أمته، وعلمها ودلها على جميع ما ينفعها في دينها ودنياها، قال ﷺ: « **وليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله شعس نعله إذا انقطع** »[١].

وقد كان السلف - رضوان الله عليهم - يطلبون من الله ﷻ كل شيء، حتى ملح طعامهم، وما هو أقل منه.. ثم يأخذون بالأسباب..

روى أحمد في الزهد أن أبا مسلم الخولاني، كان يدعو في النافلة: اللهمَّ ارزق أبا مسلم طبيخًا.. اللهمَّ ارزق أبا مسلم زيتًا.. اللهمَّ ارزق أبا مسلم حطبًا.. ويسأله فيها ما يريده[٢]..

والعبد في هذه الدنيا تمر به المحن، ويحتاج إذا وقف على مفترق الطرق أن يلجأ إلى ربه، ويفوض إليه أمره، ويسأله الدلالة على الخير..

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين وثبت في أمره.. وقد قال الله ﷻ لرسوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

قال قتادة: ما تشاور قوم يبغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم..

فما هي الاستخارة؟ وما حكمها؟ وما دليلها؟ وما كيفية صلاة الاستخارة؟ وما الحكمة من مشروعيتها؟ وما سببها؟

الاستخارة في اللغة: طلب الخيرة في الشيء، يقال: استخير الله، يخر لك اصطلاحا: طلب الخير من الله ﷻ فيما أباحه لعباده بالكيفية المأثورة عن رسول الله ﷺ ..

وقد أجمع العلماء على أن الاستخارة سنة، ودليل مشروعيتها حديث الوصية وهو

---

(١) حسن: رواه الترمذي وابن حبان، وحسنه الألباني في «المشكاة» رقم (٢٢٥١).

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (ص٤٦٩).

حديث جابر: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن الكريم..

يقول ابن بطال - رحمه الله - في شرحه: فقه هذا الحديث أنه يجب على المؤمن رد الأمور كلها إلى الله ﷻ، وصرف أزمتها، والتبرؤ من الحول والقوة وينبغي له - أي المؤمن - أن لا يروم شيئًا من دقيق الأمور وجليلها حتى يستخير الله فيه ويسأله أن يحمله فيه على الخير، ويصرف عنه الشر، إذعانًا بالافتقار إليه في كل أمر، والتزامًا لذلة العبودية له، وتبركا باتباع سنة نبيه ﷺ في الاستخارة، ولذلك كان النبي ﷺ يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، لشدة حاجتهم إلى الاستخارة في الحالات كلها، كشدة حاجتهم إلى القراءة في كل الصلوات[1]. فما هي الحكمة من مشروعيتها؟

وحكمة مشروعيتها هي التسليم لأمر الله، والخروج من الحول والطول والالتجاء إليه سبحانه، للجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ويحتاج في هذا إلى قرع باب الملك سبحانه، ولا شيء أنجع لذلك من الصلاة والدعاء، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه.. ثم بعد الاستخارة يقوم إلى ما ينشرح له صدره..

أحبتي الكرام..

ما سببها؟ أي ما يجري فيه الاستخارة..

اتفقت المذاهب الأربعة على أن الاستخارة تكون في الأمور التي لا يدري العبد وجه الصواب فيها، أما ما هو معروف خيره أو شره كالعبادات وصنائع المعروف، والمعاصي والمنكرات، فلا حاجة إلى الاستخارة فيها، إلا إذا أراد بيان خصوص الوقت كالحج مثلاً في هذه السنة، لاحتمال عدو أو فتنة، والرفقة فيه، أيرافق فلانًا أم لا؟

وعلى هذا فالاستخارة لا محل لها في الواجب والحرام والمكروه، وإنما تكون في المندوبات والمباحات..

والاستخارة في المندوب لا تكون في أصله، لماذا؟ لأنه مطلوب، وإنما تكون التعارض، أي إذا تعارض عنده أمران، أيهما يبدأ به، أو يقتصر عليه، أما المباح، فيستخار في أصله..

---

(١) «شرح ابن بطال» (١٩/ ١٦٥).

متى يُبدأ بالاستخارة؟

ينبغي على المسلم الذي يريد أن يستخير الله ﷻ أن يكون خالي الذهن، فارغ الفؤاد، غير عازم على أمر معين.. لأن قول الرسول الأعظم ﷺ في الوصية: « **إذا همَّ** » يشير إلى أن الاستخارة تكون عند أول ما يرد على القلب، فيظهر له ببركة الصلاة والدعاء ما هو خير له، بخلاف ما إذا تمكن الأمر في قلبه، أو تحكم في عقله، وقويت فيه عزيمته وإرادته، فبذلك يصير عنده ميل وحب له، فيخشى أن يخفى عليه الرشاد، لغلبة ميله إلى ما عزم عليه..

ويحتمل أن يكون المراد بالهم: العزيمة، لأن الخاطر لا يثبت، فلا يستمر إلا على ما يقصد التصميم على فعله من غير ميل، وإلا لو استخار في كل خاطر، لاستخار فيما لا يعبأ به، فتضيع بذلك أوقات عمره..

لكن قبل الاستخارة تستحب الاستشارة.. قال النووي - رحمه الله - يستحب أن يستشير قبل الاستخارة، من يُعلم حاله النصيحة والشفقة والخبرة، ويثق بدينه ومعرفته.. قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

وإذا استشار وظهر أنه مصلحة، استخار الله ﷻ في ذلك..

قال ابن حجر الهيثمي: حتى عند التعارض (أي تقدم الاستشارة) لأن الطمأنينة إلى قول المستشار أقوى منها إلى النفس لغلبة حظوظها، وفساد خواطرها وأما لو كانت نفسه مطمئنة صادقة إرادتها، متخلية عن حظوظها، قدم الاستخارة..

أحبتي الكرام..

ما هي كيفية صلاة الاستخارة؟ وما الذي يُقرأ فيها؟

١- الوضوء، كما نتوضأ لأي صلاة..

٢- استحضار النية قبل الشروع في الصلاة، لقوله ﷺ: « **إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى** » وهي عمل من الأعمال الصالحة فيحتاج إلى نية..

٣- تُصلى ركعتين.. ويستحب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة بسورة ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾ [الكافرون: ١] وفي الركعة الثانية بسورة ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾.

وذكر الإمام النووي - رحمه الله - تعليلاً لذلك، فقال: ناسب الإتيان بهما في صلاة يراد منها إخلاص الرغبة، وصدق التفويض، وإظهار العجز، وأجازوا أن يزاد عليهما، ما وقع فيه ذكرة الخيرة من القرآن الكريم..

واستحسن بعض السلف أن يقرأ بعد الفاتحة في صلاة الاستخارة بقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٦٨-٧٠] في الأولى وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وليس فيه دليل على ذلك، لكنه على سبيل الاستحسان ولذلك رأت الحنابلة وبعض الفقهاء على قراءة أي آية من القرآن أو سورة فليس هناك سورة معينة.. ولا آيات معينة..

وبعد أن تسلم من الركعتين، ارفع يديك إلى مولاك متضرعًا بالدعاء، فالدعاء يكون عقب الصلاة، وهذا رأى الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، لأنه هو الموافق لما جاء في نص الحديث عن رسول الله ﷺ..

ويرى الإمام ابن تيمية - رحمه الله - أن الدعاء في صلاة الاستخارة جائز والدعاء عنده قبل السلام أفضل، فإن النبي ﷺ أكثر دعائه قبل السلام، والمصلي قبل السلام، لم ينصرف.. «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٢٦٥)..

أحبتي في الله..

وإذا اخترتم الدعاء بعد التسليم، والانتهاء من صلاة ركعتين، فابدأ بحمد الله ﷻ والثناء عليه، ثم تصلي على رسوله ﷺ بأي صيغة، والأفضل الصيغة الإبراهيمية، التي تقال في التشهد.. ثم تقرأ دعاء الاستخارة بإخلاص لله ﷻ، وتيقن أنه يخير لك خير الأمور وأحسنها، ثم توكل عليه وحده..

وبعد الاستخارة لا تخرج حال المستخير عن ثلاث حالات.. هي:

الأولى: قد يطمئن المستخير لأحد الأمرين، ويحدث هذا بأحد طريقتين..

١- إما أن ينشرح صدره لذلك ويطمئن..

٢- وإما أن يرى رؤيا حسنة طيبة، ترتاح نفسه إليها..

الثانية: قد يظل المستخير في حيرة من أمره، ففي هذه الحال عليه أن يكرر صلاة الاستخارة عدة مرات، فقد استخار سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ عندما أراد أن يجمع القرآن الكريم كله في مصحف واحد شهرًا كاملاً، لأن الرسول ﷺ لم يفعله..

٣- وقد يستخير عدة مرات، ولا يستبين له ترجيح أحد الأمرين على الآخر، فعليه حينئذ أن يستشير أهل الفضل والصلاح من ذوي الاختصاص، ثم يتوكل على الله، ويشرع فيما أشير به عليه.. فكما أن الاستشارة مشروعة قبل الاستخارة، فكذلك تشرع بعدها..

قال الشاعر:

شاور صديقك في الخفي المشكل   واقبل نصيحة ناصح متفضل

فالله قد أوصى بذاك نبيه   في قوله: شاورهم وتوكل

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير «وشاورهم في الأمر»:

ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة فيه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده[١]..

قال بعض الأدباء: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار[٢]..

أخي الحبيب..

وبعد أن صليت صلاة الاستخارة، وتضرعت إلى الله ﷻ أن يخير لك واستشرت بعض أهل الصلاح والتقوى.. اترك أمرك إلى الله ﷻ واسع في طلبك.. وارض بما قدر الله لك.. واقبل ما قسمه الله لك..

قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - إن الرجل ليستخير الله، فيختار له، فيسخط على ربه، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد خار له..

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢/ ١٥٩).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٦٠) للماوردي.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره..

قال ابن القيم: فالمقدور يكتنفه أمران: الاستخارة قبله، والرضا بعده..

أيها المسلم..

لا تكره قضاء الله الذي يحل بك، فلربما أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تؤثره وتحبه، فيه عطبك.. قال تعالى: ﴿**وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦]..

أحبتي في الله..

وقد جهل كثير من الناس هذه الاستخارة الشرعية، وهجروها، أو قل من يعمل بها، وابتدعوا لها أنواعًا كثيرة، لم يرد شيء منها في الكتاب ولا في السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف أو الخلف..

والاستخارات المبتدعة كثيرة منها:

١- **استخارة السبحة**: وطريقتها: أن يأخذ الشخص مسبحة، فيتمتم بحاجته ثم يحصر بعض حباتها بين يديه ويعدها، فإن كانت فردية، عدل عما نواه، وإن كانت زوجية، اعتبر ما نواه خيرًا وسار فيه..

ولعمري ما الفرق بين هذه الطريقة، وما كان يتبع في الجاهلية الأولى من إطلاق الطير في الجو، وهو ما سماه الشرع الشريف بالطيرة، ونهى عنها..

٢- **استخارة الفنجان**: وطريقتها: أن يشرب صاحب الحاجة القهوة المقدمة إليه، ثم يكفئ الفنجان، وبعد قليل يقدمه لقارئه، فينظر فيه بعد أن أحدثت فضلات القهوة رسومًا وأشكالاً مختلفة، شأنها في ذلك شأن كل راسب في أي إناء إذا انكفأ.. فيتخيل ما يريد ثم يأخذ في سرد حكايات كثيرة لصاحب الحاجة، فلا يقوم من عنده، إلا وقد امتلأت رأسه بهذه الأسطورة.. نعم أسطورة وخرافة وخزعبلات.. لأن الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ.. حتى رسول الله يقول: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسني السوء..

٣- **استخارة الورق (الكوتشينة)**: وهي لا تخرج عن سابقتها، غير أن صاحب الخاجة يعطي ورقتين مصور فيهما رجل وامرأة، فيسر إليهما ما يريد ثم يأخذهما الدجال، فيخلطهما بباقي الأوراق، ثم يأخذ في رصها بطريقة فنية، فيصادف وجود رجل بجوار امرأة، أو وجود رجل أو امرأة في طريق، أو وجود واحد منهما بجوار أوراق يرمز إليها بالمال، أو الفرح أو القضاء، أو ما إلى ذلك، فيأخذ في سرد ما يمليه عليه خياله، فلا يقوم الشخص من مقامه هذا إلا مقتنعًا بحقيقة ما يقول، وما هو إلا رجمٌ بالغيب..

٤- **استخارة الرمل**: وطريقتها: أن يخطط الشخص في الرمل خطوطًا متقطعة ثم يعدها بطريقة حسابية معروفة لديهم، فينتهي منها إلى استخراج برج الشخص، فيكشف عنه في كتاب استحضره لهذا الغرض، فيسرد عليه حياته الماضية والمستقبلية.. وهذا الكلام بعينه هو نفس الكلام الذي يقول لآخر ما دام برجهما قد اتفقا.. وهذا باطل وحرام..

٥- **استخارة الكف**: وهو باطل أيضًا وحرام.. ويدخل هو وغيره تحت قول النبي ﷺ: « **من أتى عرَّافًا، أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمَّد** »[1]..

اللهمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يضام، وبملكك الذي لا يرام.. وارحمنا بقدرتك علينا.. يا واسع الرحاب.. يا عظيم الجناب ويا مفتح الأبواب.. وقابل التوب ممن تاب.. لا إله إلا أنت العزيز الوهاب لقد ضاقت الرحاب إلا رحابك.. وأغلقت الأبواب كلها إلا بابك - ولقد لجأنا إليك.. ورجونا الخير من يديك.. فلا تطردنا من رحابك ولا تردنا عن بابك.. يا أرحم الراحمين..

اللهمَّ يا جار المستجيرين وأمان الخائفين.. وقوة المستضعفين.. وناصر المظلومين، اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.. واجعل التوفيق خير رفيق لنا يا رب العالمين..

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم.

الوصية رقم (٧٩)

إذا سمعت النداء فأجب

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ النبي ﷺ قال: «**من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له، إلا من عذر**»[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أمة القرآن..

الصلاة هي عماد الدين، ومعلوم أن أي بناء دون أعمدة ينهار، والإسلام عموده الصلاة.. إذا صلحت، صلح سائر عمل المسلم.. وإذا فسدت، فسد عمله.. وجميع فرائض الإسلام وأركانه فرضت على وجه الأرض، إلا هذه الفريضة العظيمة.. فقد فرضها الله ﷻ من فوق سبع سموات.. فرضت تحت عرش الرحمن جل جلاله.. ليلة أن عرج بالرسول الخاتم ﷺ إلى السموات العلا، وعند وصوله إلى سدرة المنتهى، فرض الله عليه الصلاة وعلى أمته..

ومن لطف الرحمن الرحيم على أمة الإسلام أن خففها بدل من خمسين صلاة، صارت خمس صلوات في اليوم والليلة.. ومن كرمه وجوده، ومنه وعطائه أن جعلها في الأجر خمسين صلاة..

أخي الحبيب..

إذا كنت من المواظبين على هذه الفريضة العظيمة، فتلك نعمة من أعظم النعم، التي يفقدها غيرك من المسلمين.. وهم كثيرون..

ولكن تخيل لو أن هؤلاء المسلمين، الذين يؤدون الصلوات الخمس كل يوم في المساجد، تقاعسوا وتكاسلوا، وراحوا يهجرون المساجد، وأخذ كل واحد منهم يصلي في بيته.. فماذا يكون الحال؟

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان والدارقطني وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٢٦)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

بالطبع تغلق المساجد، ويكون حال المسلمين في ضياع وغربة، ولا أحد يعرف الآخر.. إذًا بماذا يعرف الأخ المسلم أخاه؟

يعرف الجار والصديق، والغريب والقريب بالصلاة في المساجد، وبها تقوى روابط المحبة والألفة، والتناصر والتناصح والتزاور، وبدون الصلاة في المساجد، يصبح الناس غرباء..

أخي الحبيب..

ألم تسأل نفسك يومًا، لماذا جاري فلان يذهب ويصلي في المسجد يوميًا؟ ما غرضه؟ وما حاجته؟ ولماذا يصحو من النوم في وقت الفجر يقطع نومته ولذته؟ ويذهب لصلاة الفجر؟ بالطبع هو يطمع في رضا الله ﷻ، ونيل الأجر، وتثقيل الميزان، والفوز بنعيم الجنان..

إذًا لا عذر لك لأن تصلي في البيت، ما دام الله ﷻ قد منَّ عليك بالصحة والعافية، غيرك ينام في المستشفى على الأسرة البيضاء، ويتمنى أن يمشي خطوات إلى المسجد، ليركع لله ركعات.. وإذا لم تذهب الآن إلى المسجد وأنت في صحة وعافية، فمتى تصلي؟ ومتى تذهب؟ هل تصلي في الكبر، عندما ينحني ظهرك، ويُشَل ساْقاك؟..

فهذه الوصية التي نعيش تحت ظلالها وصية عظيمة تحذر أمة الإسلام من ترك الصلوات الخمس في جماعة، في بيوت الله ﷻ.. «من سمع النداء - أي الأذان - إذا سمعت المنادي ينادي (حي على الصلاة.. حي على الفلاح).. أو ينادي (الصلاة خير من النوم) ولا عذر لك.. ولا ضرورة لك.. فلا صلاة لك»..

فهذا ابن أم مكتوم ﷺ يسأل المفتي الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ فيقول له: يا رسول الله، إني رجل ضرير البصر، شاسع الدار، ولي قائد، لا يلائمني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «**هل تسمع النداء؟**»، قال: نعم.. قال: «**لا أجد لك رخصة**»[1]..

وفي رواية لأحمد أن ابن أم مكتوم قال: يا رسول الله، إن بيني وبين المسجد نخلاً وشجرًا ولا أقدر على قائد كل ساعة، أيسعني أن أصلي في بيتي؟

(١) حسن صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والحاكم وابن خزيمة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٢٩).

قال النبي ﷺ: « **أتسمع الإقامة؟** » قال: نعم..

قال: « **فائتها** »[١]..

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: من سمع حي على الفلاح، فلم يجب، فقد ترك سنة محمَّد رسول الله ﷺ[٢]..

وعن أسامة بن زيد ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لينتهين رجال عن ترك الجماعة، أو لأحرقن بيوتهم** »[٣]..

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين** »[٤]..

فإذا سمعت المؤذن يقول: حي على الصلاة.. حي على الفلاح فانفض الدنيا من يديك، وأقبل على الله ﷻ، وأسرع إلى بيت الله وإن لم تفعل، فقد أدنيت..

لا تعلل بتجارة، ولا تتعلل بوظيفة، ولا بعمل.. أنت عبد الله.. خلقك لعبادته.. ومهمتك في هذه الدنيا هي عبادته وحده لا شريك له.. ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]..

وفي الأثر الإلهي: « **يا ابن آدم، خلقتك للعبادة فلا تلعب، وقدرت لك الرزق فلا تتعب.. إن رضيت بما قسمته لك، أرحت نفسك وبدنك وكنت عندي محمودًا** »..

وفي أثر آخر: يا ابن آدم، لقد خلقت السموات والأرض، ولم أعي بخلقهن أفيعيني رغيف أسوقه إليك كل حين؟! يا ابن آدم، لك عليّ رزق، ولي عليك فريضة، فإن خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك..

فاحذر أن تتخلف عن صلاة الجماعة، وإلا استحوذ عليك الشيطان.. فعن أبي

---

(١) صحيح: رواه أحمد وغيره.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في « الأوسط »، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٤٣٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٤٣٣).

(٤) صحيح: « صحيح سنن ابن ماجة » للألباني (٧٩٤).

الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية** »[١]..

يا من تتخلف عن الصلاة في جماعة، يخشى عليك من النفاق، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: من سره أن يلقي الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادي بهن، فإن الله ﷻ شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها - أي الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتي به يهادى بين الرجلين، حتى يقام في الصف[٢]..

أخي المسلم..

يا من تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمَّدًا رسول الله.. لماذا تسمع النداء وأنت تسير في الشارع، فتعطيه ظهرك؟ لماذا تعرض عن ربك؟ لماذا لا تلبي أمره؟ ألست مؤمنًا؟ ألست عبدًا لله؟!

إن الذي خلقك يناديك.. إن الذي أعطاك الأذنين، ولو شاء لسلب سمعهما، فصرت أصم لا تسمع..

إن الله هو الذي أعطاك العينين، ولو شاء لسلبك ضوءهما، فصرت أعمى لا ترى.. إن الله هو الذي أعطاك لسانًا وشفتين، ولو شاء لسلب نطقهما.. فصرت أبكم لا تتكلم..

عُدْ إلى ربك، فأنت والله محتاج إليه..

عُدْ إلى مولاك، فأنت والله فقير إليه.. إنه غني عن صلاتك.. وغني عن عبادتك.. ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر: ١٥] هو لا يحتاج إلى عبادتك. لا يحتاج إلى صلاتك.. أنت الذي تحتاج إليه تحتاج إلى حسنة من الحسنات.. ليرفعك بها درجة من الدرجات.. قال سيد الكائنات - عليه الصلاة والسلام -: « **ألا**

---

(١) حسن: رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٧٠١).

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن خزيمة.

أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ »، قالوا: بلى يا رسول الله..

قال: « إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط »[(١)] أي الجهاد..

وقال ﷺ: « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمسًا وعشرون ضعفًا، وذلك أنه إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة، إلا رفعت بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه تقول: اللهمَّ اغفر له.. اللهمَّ ارحمه.. ما لم يحدث فيه ... »[(٢)]..

وقال ﷺ: « من وصل صفًّا، وصله الله، ومن قطع صفًّا، قطعه الله »[(٣)]..

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « من سدّ فرجة - أي في الصف - رفعه الله بها درجة، وبني له بيتًا في الجنة »[(٤)]..

وعن النبي ﷺ قال: « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة »[(٥)]..

وقال: « من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق »[(٦)]..

وعن أبي أمامة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم ... »[(٧)]..

قيل: كأجره من حيث إنه يكتب له بكل خطوة أجر كالحاج، وإن تغاير الأجران كثرة وقلة، أو كمية وكيفية، أو من حيث إنه يستوفي أجر المصلين من وقت الخروج إلى أن يرجع، وإن لم يصلِّ إلا في بعض تلك الأوقات، كالحاج، فإنه يستوفي أجر الحاج إلى

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي وأحمد وابن حبان والبيهقي وابن خزيمة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه أحمد والنسائي والحاكم وابن خزيمة، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٥٠٣).

(٤) صحيح لغيره: رواه الطبراني في « الأوسط »، وصححه الألباني في « الترغيب » (٥٠٥).

(٥) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٨٢٣).

(٦) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٩٧٩).

(٧) حسن: رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني في « المشكاة » (٧٢٨).

أن يرجع، وإن لم يحج إلا في عرفة[١]..

وتأمل أخي الحبيب هذا الموقف الجليل..

روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب ﷺ قال: كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة في المسجد، فتوجهت له، فقلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء؟

قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي..

فقال رسول الله ﷺ: « **قد جمع الله لك ذلك كله** »[٢]..

قال النووي - رحمه الله -: فيه إثبات الثواب في الخطا في الرجوع من الصلاة كما يثبت في الذهاب..

أخي الحبيب..

إذا أردت أن يفرح مولاك بك، فانطلق إلى المسجد، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا يتوضأ أحدكم وضوءه ويسبغه، ثم يأتي المسجد، لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا تبشبش الله إليه، كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته** »[٣]..

هل رأيت كل هذه الأجور العظيمة؟ لو قارنتها بصلاتك في بيتك، هل تحصل عليها؟ كلا.. ولا أظن أن هناك إنسان عاقل يقول: أنا مستغنٍ عن الأجور، ولدي ما يكفيني للآخرة، وأنا قلبي طيب ونظيف.. وهذا يكفي.. أقول لك: هذا من عمل الشيطان، لأنه لا يريدك أن تفعل الخير، ولو كان هذا الكلام صحيحًا، لما بكي الصحابة - رضوان الله عليهم - خوفًا من النار وعذابها وهم أفضل الناس على وجه الأرض بعد الأنبياء والرسل.. وهذه الأجور العظيمة سبب من أسباب دخول الجنة..

---

(١) « عون المعبود » (٢/ ٧٧).

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه ابن أبي شيبة وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٢٧)، و« صحيح الجامع » (٥٦٠٤).

وبعد هذا كله لا تريد أن تجيب أو تستجيب لداعي الله ورسوله.. فقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك أشد التحذير..

قال ﷺ: « **إنَّ أثقل صلاة على المنافقين، صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما، لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة، فتقام، ثم آمر رجلاً، فيصلي بالناس، ثم انطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم** »(١)..

وفي رواية لأحمد: « **لولا ما في البيوت من النساء والذرية، أقمت صلاة العشاء، وأمرت فتياني يحرقون ما في البيوت بالنار** »..

أخي الحبيب..

هل تصبر على حر ونار الآخرة؟ إنها فضلت عليها بتسعة وستين مرة، قال الرسول الأعظم ﷺ: « **ناركم هذه، التي توقدون، جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم** »(٢)..

قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: « **فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلها مثل حرها** »(٣)..

فأطفأ نار آخرتك بالصلاة في الدنيا، والصبر على الطاعات، وتحمل الأذى..

عباد الله..

ما هذا التكاسل عن الطاعات، وزرع الأعمار قد دنا للحصاد، وما هذا التباعد ومدد الأيام قد قاربت للنفاد، وما هذا التغافل والتكاسل عن إعداد الزاد ليوم الميعاد..

تزود للذي لابد منه ... فإن الموت ميقات العباد
يسرك أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد؟!

أين الحسرات على فوت أمس؟ أين العبرات على مقاسات الرمس؟ أين الاستعداد ليوم تدنو فيه منكم الشمس؟ ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا**

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهما.

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وابن حبان.

(٣) متفقٌ عليه.

يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٤٠]..

فيا من مشيه أتى، وشبابه اضمحل وخبى، متى تتضرع إلى مولاك، وتقف بالباب؟ أما اعتبرت بالراحلين من الأقارب والجيران والزملاء والأحباب؟ أم قرع سمعك؟ ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ [الحديد: ٢٠]..

كيف أنت إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وكل إنسان ألزم طائره في عنقه يوم النشور، وحرر الحساب بين يدي سريع الحساب ونصب الميزان: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]..

أحبتي في الله..

وقبل الختام أود أن أقف بكم مع الأعذار المرخصة في التخلف عن الجماعة

ذكر العلماء أن منها ما هو خاص، ومنها ما هو عام..

فمن الأعذار العامة: (المطر والوحل): الذي يشق معه الخروج إلى المسجد فعن نافع أن ابن عمر - رضي الله عنهما - أذن للصلاة في ليلة، ذات برد وريح ثم قال: ألا صلوا في الرحال، ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يأمر المؤذن، إذا كانت ليلة ذات برد ومطر، يقول: صلوا في الرحال(١)..

وعن جابر ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فمطرنا، فقال: « **فليصلِّ من شاء منكم في رحله** »(٢)..

لكنه إذا خرج للجماعة فهو أفضل، لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاءت سحابة، فمطرت حتى سال السقف - وكان من جريد النخل - فأقيمت الصلاة فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته ﷺ (٣)..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٣) البخاري ومسلم.

ومنها: البرد الشديد، وهو الذي يخرج عن الحد، الذي ألفه الناس، لحديث ابن عمر، الذي ذكر آنفًا..

وعن نعيم النحام، أنه إذا نودي بالصبح في يوم بارد، وهو في مرط امرأته فقال: ليت المنادي، ومن قعد فلا حرج عليه. فنادى منادي النبي ﷺ في آخر أذانه.. « **ومن قعد فلا حرج** » وذلك في زمن النبي ﷺ في آخر أذانه..

وقد ألحق بأهل الأعذار: الظلمة الشديدة، التي لا يبصر بها الإنسان طريقه إلى المسجد فيها..

وهناك أعذار خاصة كالمرض، الذي يشق معه الإتيان إلى المسجد لصلاة الجماعة قال ابن المنذر: لا أعلم خلافًا بين أهل العلم أن للمريض أن يتخلف عن الجماعات من أجل المرض، ولأن النبي ﷺ لما مرض تخلف عن المسجد، وقال: « **مروا أبا بكر، فليصلِّ بالناس** »..

فإن كان المرض يسيرًا، لا يشق معه القصد، كوجع ضرس، وصداع يسير، فليس بعذر.. وضبطوه بأن تلحقه مشقة كمشقة المشي في المطر..

وقد حرص رجال من السلف الصالح - رضوان الله عليهم - على الجماعة، رغم مرضهم فلله درهم من مرضي.. لا، بل نحن المرضى والله.. مرضي القلوب..

فعن سعيد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يحمل وهو مريض إلى المسجد[١].. لله درك من إمام علم.. وليس هذا فحسب، بل كان يأمر بحمله في اليوم المطير إلى المسجد، حيث تجتمع له رخصتان للتخلف عن المسجد، وهما: المطر والمرض..

ومن الأعذار المبيحة لترك الجماعة (الخوف) كأن يخاف على نفسه من سلطان، أو ظالم، أو عدو أو لص، ونحو ذلك..

قيل لسعيد بن المسيب - رحمه الله -: إن طارقًا يريد قتلك، فتغيب، فقال: أبحيث لا يقدر الله عليّ؟ فيقال له: اجلس في بيتك..

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (١/ ٣٥٠).

فقال: أسمع حي على الفلاح، ولا أجيب[١]؟!

وكان الربيع بن خثيم - رحمه الله - بعد ما سقط شقه يهادي بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يقولون: يا أبا يزيد، لقد رخص الله لك، لو صليت في بيتك، فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي (حي على الفلاح) فمن سمع منكم حي على الفلاح، فليجبه ولو زحفًا، ولو حبوًا..

وعن أبي حيان التيمي أن الربيع بن خثيم أصابه الفالج، فكان يحمل إلى الصلاة، فقيل له: إنك قد رخص لك..

قال: ولكن أسمع النداء بحي على الفلاح[٢]..

ومن الأعذار المبيحة لترك الجماعة [مدافعة الأخبثين] أي البول والغائط

لحديث عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان**»[٣]..

وعن عبد الله بن الأرقم، أنه خرج حاجًّا أو معتمرًا ومعه الناس، وهو يؤمهم فلما كان ذات يوم أقام الصلاة - صلاة الصبح - ثم قال: ليتقدم أحدكم وذهب إلى الخلاء، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أراد أحدكم أن يذهب للخلاء، وقامت الصلاة، فليبدأ بالخلاء**»[٤]..

وكذلك [أكل البصل والثوم والكراث ونحوها]..

وذلك لكي لا يتأذى به الناس والملائكة، لحديث جابر ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من أكل هذه البقلة: الثوم**» وقال مرة: «**من أكل البصل والثوم والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»[٥]. والمراد أكلها نيئة، أما مطبوخة

(١) القرطبي (١٨/ ٢٥١).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ١٣٣).

(٣) رواه مسلم وأبو داود وأحمد.

(٤) صحيح: رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

فلا حرج.. لقوله ﷺ: « ... **فمن أكلها فليمتهما طبخًا** »[١]..

سؤال:

هل يعذر العروس في عدم الخروج للجماعة لزفافه؟

يرى فقهاء الشافعية والحنابلة أن زفاف الزوجة إلى زوجها عذر يبيح له المقام عندها، وعدم خروجه للجماعة (سبعًا للبكر) (وثلاثًا للثيب) ومع ذلك نرى الصحابي الجليل الحارث بن حسان ﷺ يتزوج في ليلة من الليالي، فيحضر صلاة الفجر مع الجماعة.. كما روي الطبراني عن عنبة بن الأزهر، قال: تزوج الحارث بن حسان - وكان له صحبة - فقيل له: أتخرج، وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ فقال: والله، إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جماعة لامرأة سوء[٢]..

اللهمَّ جمل بواطننا بالإخلاص لك، وحسن أعمالنا باتباع رسولك، والتأدب بآدابه..

اللهمَّ أيقظنا من الغفلات، ونجنا من الدركات، وكفر عنا الذنوب والسيئات، واغفر لنا برحمتك يا رب الأرض والسموات..

۞۞۞۞

---

(١) رواه مسلم والنسائي.

(٢) حسن: قاله الهيثمي في « المجمع » (٢/ ٤١)، رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد حسن.

الوصية رقم (٨٠)

من خطب امرأة فلينظر إليها

عن جابر ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله ..

إن من تمام نعمة الله ﷻ على عباده أن جعل لهم من أنفسهم أزواجًا، لماذا؟ لتكون المرأة سكنًا وراحة وودادًا للرجل، وليحصل الاطمئنان والأنس، والاستقرار.. قال الله ﷻ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٩]..

وقال تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١]..

ولعل من عوامل دوام هذا الأنس والاطمئنان، والسكن والاستقرار ما جاءت به شريعة الإسلام من إباحة نظر الخاطب إلى مخطوبته..

وهذا النظر مباح بحدود وشروط سنبينها، بل إنه مسنون للأمر به في هذه الوصية الكريمة المباركة، وغيرها من وصايا السنة النبوية المطهرة..

فعن أبي هريرة ﷺ قال: كنت عند النبي ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: « **أنظرت إليها؟** »، قال: لا، قال: « **فاذهب، فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئًا** » فرسول الله ﷺ أمره أن يذهب لينظر إليها - والمراد بالشيء الذي في أعين الأنصار، إما أنها صغيرة، وإما أن فيها زرقة، وفي هذا الحديث **دلالة** لجواز ذكر مثل هذا للنصيحة.. وحديث الوصية..

---

(١) حسن: رواه أبو داود والحاكم والبيهقي، وحسنه ابن حجر (٩/ ١٨١)، والألباني في « صحيح الجامع » (٥٠٦).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهما - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « **إذا خطب أحدكم المرأة، فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل** »[١]..

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة، فقال: « **انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** »[٢]. أي تدوم بينكما المودة والمحبة والأنس والوداد وفي تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: يعني يكون بينكما الألفة والمحبة، لأن تزوجها إذا كان بعد معرفة، فلا يكون بعدها غالبًا ندامة..

وعن محمَّد بن مسلمة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: « **إذا ألقي الله عز وجل في قلب امرئ خطبة امرأة، فلا بأس أن ينظر إليها** »[٣].

وعن موسى بن عبد الله عن أبي حميد أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة، وإن كانت لا تعلم** »[٤]..

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ أراد أن يتزوج امرأة فبعث امرأة، لتنظر إليها، فقال: « **انظري إلى عرقوبيها، وشمي عوارضها** »[٥].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه ... »[٦]..

قال ابن حجر: استنبط البخاري جواز ذلك من حديث الباب..

وعن محمَّد ابن الحنفية، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب إلى عليٍّ ابنته أم كلثوم، فذكر له صغرها، فقال: أبعث بها إليك، فإن رضيت فهي امرأتك..

---

(١) تقدم في أول الوصية.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة والبيهقي في « سننه »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٨٥٩).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجة وفي إسناده الحجاج وأحمد « صحيح الجامع » (٣٨٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد في « مسنده » وقال الهيثمي في « المجمع »: رجال أحمد رجال الصحيح (٤/ ٢٧٦).

(٥) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٦٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٦) رواه البخاري.

لكن ما هي الحكمة من الأمر بالنظر إلى المخطوبة؟

في «حجة الله البالغة» (جـ٢/ ١٢٤) قال:

والسبب في استحباب النظر إلى المخطوبة أن يكون الزوج على رؤية، وأن يكون أبعد من الندم الذي يلزمه إن اقتحم في النكاح، ولم يوافقه، فلم يرده وأسهل للتلافي إن رد، وأن يكون تزوجها على شوق ونشاط إن وافقه، والرجل الحكيم لا يلج مولجًا حتى يتبين خيره وشره قبل ولوجه. فالنكاح بعد تقديم النظر أدل على الألفة، والموافقة الداعية إلى تحصيل المقاصد.. وهو يساعد على قيام حياة زوجية سعيدة مبنية على الوئام والوفاق..

وحتى لا يتذرع أهل الريبة والفساد باتخاذ ذلك وسيلة للنظرة التي تنبعث عن نية سيئة، فتكون النتيجة إيذاء الناس في أعراضهم، قيدت الشريعة هذا النظر بضوابط منها:

١- أن لا يخلو بها عند النظر، فلابد أن يكون ذلك بحضور محرم من محارمها من الرجال، أو يكون أحد محارمه هو من النساء كأخته أو أمه، أو عمته ونحو ذلك لأن الخلوة بالأجنبية محرم، قال ﷺ: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**»[(١)]..

وعن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[(٢)]..

٢- أن لا ينظر إليها نظرة خائنة، فالله ﷻ يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور - أي نظرة ليس فيها شهوة أو تلذذ -.. قال الإمام أحمد - رحمه الله -: ينظر إلى الوجه، ولا يكون عن طريق اللذة..

وقد اختلف الفقهاء - رحمهم الله - في إباحة نظر الخاطب إلى ما سوى الوجه على عدة أقوال:

الأول: وهو رأي الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية: أن الخاطب له أن ينظر إلى الوجه والكفان..

وقال الإمام النووي - رحمه الله -: إنما يباح له النظر إلى وجهها وكفيها فقط لأنهما

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأحمد والحاكم، وهو في «صحيح الجامع» (٧٥٤٦).

ليسا بعورة، ولأنه يستدل بالوجه على الجمال أو ضده، وبالكفين على خصوبة البدن، أو عدمها، هذا مذهبنا، ومذهب الأكثرين[١]..

وعند المالكية: يندب لمن أراد نكاح امرأة - إذا رجا أنها ووليها يجيبانه إلى ما سأل، وإلا حُرم - نظر وجهها وكفيها فقط بعلمها، بلا لذة، بنفسه، ووكيله مثله، إذا أمن المفسدة، ويكره استغفالها، لئلا يتطرق أهل الفساد لنظر محارم الناس، ويقولون: نحن خطاب[٢]..

وجاء في «تكملة المجموع»: وإذا أراد الرجل خطبة امرأة، جاز له النظر منها إلى ما ليس بعورة منها، وهو وجهها وكفاها، بإذنها، وبغير إذنها، ولا يجوز له أن ينظر إلى ما هو عورة منها[٣]..

وحجتهم في ذلك أن النظر في الأصل محرم، وإنما أُبيح للحاجة، والحاجة تندفع بالنظر إلى الوجه والكفين، فيبقى ما عدا ذلك على التحريم..

والرأي الثاني: وهو الصحيح من مذهب الحنابلة: أن للخاطب أن ينظر من المرأة المخطوبة إلى ما يظهر غالبًا، كالرقبة، واليدين، والقدمين..

وحجتهم في ذلك أن النبي ﷺ لما أذن في النظر إلى المرأة من غير علمها، لمن أراد خطبتها، علم أنه أذن في النظر إلى جميع ما يظهر عادة، إذ لا يمكن إفراد الوجه بالنظر مع مشاركة غيره له في الظهور، ولأنه يظهر غالبًا فأبيح النظر إليه كالوجه، ولأنها امرأة أبيح له النظر إليها، بأمر الشارع، فأبيح النظر منها إلى ذلك[٤]، كذوات المحارم..

أحبتي الكرام..

هذا هو كلام الفقهاء والعلماء.. هذا كلام أهل العلم والدين.. لكن كيف صار حال خطّاب الأمة؟

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٩/ ٢١٠).

(٢) «مختصر خليل» (٣/ ١٦٥).

(٣) «المجموع» (١٦/ ١٣٨) للنووي.

(٤) «الشرح الكبير على المغني» لابن قدامة (٧/ ٣٤٢).

الشاب قبل أن يخطب الفتاة كم جالسها في النوادي؟! وكم مرة اتصل بها هاتفيًا من الموبايل؟! وكم مرة أرسل إليها الرسائل الغرامية؟! وكم رأها حاسرة الذراعين؟! كاشفة شعرها؟! عارية الساق؟! سفعاء الخدود؟! وكم مرة خلا بها هنا أو هناك إلا من رحم ربي ﷻ..

فيا ليت شباب الأمة يعودون إلى الدين.. يعودون إلى التدين.. يعودون إلى كتاب ربهم.. وسنة حبيبهم.. وسلف الأمة - رضوان الله عليهم..

النظر إلى النساء محرم إلا لخطبة امرأة.. قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ...**﴾ [النور: ٣٠، ٣١]..

فبعض أهل العلم قال بأن ما ظهر منها هو الوجه والكفين..

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم من نظرة فتكت بقلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

أيهما أفضل نظرك إلى الغيد الحسان أم إلى حور الجنان؟

عند أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأته، فينظر وجهه في خدها، أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب ...**»[1]..

فشتان ثم شتان بين نساء الدنيا، والحور العين في الآخرة..

وعنه ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض، لملأت ما بينهما ريحًا، ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا**

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (١١٦٥٥)، وحسنه حمزة الزين (١/ ٢٣٦)، وقال الهيثمي (١٠/ ٤١٩)، رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن.

وما فيها»[١]..

يقول أبو الدرداء ﷺ: من غض بصره عن النظر الحرام، زوج من الحور العين، حيث أحب..

يظل الشاب يقابل الفتاة ويجالسها، ويمازحها، ويلامسها، ويداعبها وبعد ذلك يتركها.. يدخل البيت بحجة أنه خطبها.. والخطبة ما هي إلا مقدمة للزواج، ووعد به، ثم تترك الأم هذا الخاطب يخلو بابنتها في حجرة واحدة، وكأنها زوجته، وليست مخطوبته.. وكذا الأب يسمح له أن يخرج بها إلى هنا وهناك وربما يتركها إلى فتاة أخرى، ويذرها تتألم..

نسي ذلك الخاطب أن النبي ﷺ قال: «**العينان تزنيان، وزناهما النظر، واليدان تزنيان، وزناهما اللمس، واللسان يزني وزناه الكلام، والرجلان تزنيان، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»[٢] وهذا كله دين..

عفوا تعف نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين إن أقرضته ... كان الوفا عن أهل بيتك فاعلم
يا هاتكًا حرم الرجال وقاطعًا ... سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرًا من سلالة ماجد ... ما كنت هتّاكًا لحرمة مسلم
من يزن يزن به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيبًا فافهم

أيها الموحدون الكرام..

ومن عظمة شريعة الإسلام أن أباحت كذلك أن تنظر المخطوبة إلى من يريد خطبتها، من أجل أن تدوم الألفة والمودة، بل هي أولى منه، لأنه يمكنه مفارقة من لا يرضاها بالطلاق، وهو بيده، أما هي فلا تملكه، ولأنه يعجبها منه ما يعجبه منها، ولهذا قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم، فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن..

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١١٦).
(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه أحمد شاكر والألباني، وتخرج في موضع آخر.

وذكر ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه « أحكام النساء »: أنه يستحب لمن أراد تزويج ابنته أن ينظر لها شابًا مستحسن الصورة، لأن المرأة تحب ما يحب الرجل..

لكن هل تتقيد المرأة في النظر بالوجه والكفين مثل الرجل؟[1]

رأى بعض الفقهاء أنه يستحب أن تنظر المرأة إلى الوجه والكفين..

وجاء في كتب الحنابلة قالوا: وتنظر المرأة إلى الرجل، إذا عزمت على نكاحه، لأنه يعجبها منه ما يعجبه منها..

قالوا: والمذهب أنها تنظر إلى جميع بدنه، عدا ما بين السرة إلى الركبة وللمرأة مثل ما للرجل من الحقوق والواجبات، لأن الإسلام كرمها، ورفع شأنها.. فلها أن تختار شريك حياتها، كما تحب وترضى، ولا ينبغي أن يكرهها وليها أو يجبرها على الزواج برجل معين، هي لا تريده..

وقال ورد في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال: « **لا تُنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن** »..

قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: « **أن تسكت** »[2]..

والأيم هي المرأة التي سبق لها الزواج، ولا زوج لها، والبكر هي التي لم يسبق لها الزواج، والاستئمار والاستئذان معناهما متقارب، إلا أنه يكفي في البكر سكوتها، لشدة حيائها، بخلاف الثيب..

وفي حديث آخر قال فيه ﷺ: « **الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر، وإذنها سكوتها** »[3]..

والمرأة إذا أجبرت على الزواج، كان هذا الزواج فاسدًا، ففي صحيح البخاري عن خنساء بنت خدام الأنصارية - رضي الله عنها - أن أباها زوجها، وهي ثيب فكرهت

---

(١) « أحكام النساء » لابن الجوزي (ص٣٠٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

(٣) رواه مسلم وابن ماجة وغيرهم.

ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه[١]..

وفي سنن أبي داود وابن ماجة أن جارية بكرًا أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيرها ﷺ[٢]..

أي أنه خيرها بين بقاء هذا الزواج، وبين تركه، لعدم رضاها عنه..

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاءت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبي زوجني من ابن أخيه، ليرفع خسيسته، وأنا كارهة، قال: فجعل الأمر إليها، فقالت الفتاة: قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء[٣]..

أحبتي الكرام..

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه إلى الله ﷻ بصالح أعمالنا..

اللهمَّ إنا نسألك توبة الصادقين، وصدق المؤمنين، وإيمان الموحدين، وتوحيد المخلصين، وإخلاص المخلصين..

اللهمَّ ألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، وتوفنا وأنت راض عنا يا كريم..

اللهمَّ اغفر ذنوبنا وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين..

اللهمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا بالباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.. وبلغنا مما يرضيك آمالنا يا أرحم الراحمين..

۞۞۞

---

(١) صحيح: رواه النسائي (٣٢٦٨)، وابن ماجة (١٨٧٣)، وصححه الألباني فيهما.

(٢) صحيح: «صحيح سنن ابن ماجة» (١٨٧٥) الألباني.

(٣) ضعيف: رواه النسائي وابن ماجة (١٨٧٤) واللفظ له، وضعفه الألباني.

الوصية رقم (٨١)

ارفعوا أصواتكم بالأذان

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ارفع صوتك بالنداء** - أي الأذان - **فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس، ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة** »[١]..

وزاد ابن ماجة: « **ولا حجر ولا شجر، إلا شهد له** »..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

هذه الوصية الكريمة من الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ لأحد أصحابه الكرام، ثم لما سمعه منه سيدنا أبو سعيد الخدري ﷺ ثم قاله لعبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك، أو باديتك، فأذنت للصلاة، فارفع صوتك بالنداء..

قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ..

وهذه الوصية تدل على مكانة الأذان وفضله، فهو شعيرة من شعائر هذا الدين الحنيف.. شعيرة يعلن بها عن أعظم فريضة، وأكرم ركن من أركان الإسلام.. وهي فريضة الصلاة..

إنه نداء الحق والإيمان.. إنه نداء يدحر الشيطان ويرغمه.. كما قال ﷺ: « **إذا نودي بالصلاة، أدبر الشيطان، وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي الأذان، أقبل، فإذا ثوب أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا.. اذكر كذا.. لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى** »[٢]. وفي رواية: « **إذا نودي للصلاة** - أي أذن لها - **أدبر الشيطان وله ضراط** ... »..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

وفي حديث جابر ﷺ: « **إذا نادى المنادي بالأذان، هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء** »(١) وهي ثلاثون ميلاً من المدينة..

إنه نداء للتخفيف عن النفس آلامها في رحاب ربها، وفي رحاب بابه الكريم وهو يوصل إلى الجنة.. فعن أبي هريرة ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ﷺ ينادي - أي يؤذن - فلما سكت، قال رسول الله ﷺ: « **من قال مثل هذا يقينًا، دخل الجنة** »(٢)..

ويغفر به الذنوب والآثام.. فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **المؤذن يغفر له مد صوته، ويشهد له كل رطب ويابس، وله مثل أجر من صلى** » وفي رواية: « **وشاهد الصلاة يكتب له خمس وعشرون حسنة، ويكفر عنه ما بينهما** »(٣)..

إن أهله هم خيار عباد الله، لأنهم تارة يراعون الشمس لمعرفة الوقت، وتارة يراعون القمر أو النجوم.. قال ﷺ: « **إن خيار عباد الله، الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم، لذكر الله** »(٤)..

إنهم أي الذين يقومون بالأذان - من الصنف المبارك، الذي يصلي الله عليه مع ملائكته الكرام.. قال سيد الموحدين ﷺ: « **إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم، والمؤذن يغفر له مدى صوته، ويصدقه من يسمعه من رطب ويابس وله مثل أجر من صلى معه** »(٥)..

ولو يعلم الناس ما في النداء من الثواب والأجر العظيم، وما يحصلون عليه من الحسنات، لاقترعوا فيما بينهم على من الذي يقوم بالأذان، قال النبي العدنان ﷺ: « **لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه النسائي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٥٥).

(٣) **حسن صحيح**: رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٣٤).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وهو في « صحيح الترغيب » رقم (٢٤٤).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني.

يعلمون ما في التهجير، لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا»[١]..

ولقد دعا النبي ﷺ للمؤذنين والأئمة، فقال: «**الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، اللهمَّ أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين**»[٢]..

وقد ورد كثير من الأحاديث التي تفيد فضيلة الأذان والمؤذنين، وتبين ما لهم من فضل وثواب عظيم عند الله ﷻ.. قال ﷺ: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**»[٣]..

وقال: «**من أذن ثنتى عشرة سنة، وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، ولكل إقامة ثلاثون حسنة**»[٤]..

وعن عقبة بن عامر ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يعجب ربك من راعي غنم على شظية للجبل، يؤذن بالصلاة، ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة**»[٥]..

أحبتي الكرام..

إذا كان هذا فضل الأذان وثوابه، فمتى شرع؟ وما حكمه؟ وما صفته؟ وما شروطه؟ وما صفة المؤذن الذي ينال هذا الأجر؟ وما هي أسرار كلماته المباركات؟

أولاً: حكمه: اتفقت الأمة الإسلامية على مشروعية الأذان، والعمل به جارٍ منذ عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا بلا خلاف، وقد شرع في السنة الأولى للهجرة واختلف أهل العلم في حكمه، هل هو واجب؟ أو سنة مؤكدة؟

والصحيح أنه لا ينبغي التردد في مثل هذه العبادة العظيمة، فليس لأهل مدينة أو

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٧)، و«المشكاة» (٦٦٣).

(٣) رواه مسلم.

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجة والدارقطني والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٤٨).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٤٧).

قرية أن يدعوا الأذان والإقامة، وقد جعله الرسول ﷺ علامة للإسلام، ودلالة على التمسك به، والدخول فيه، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا، لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإذا سمع أذانًا، كف عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم»[1].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من ثلاثة لا يؤذن، ولا تقام فيهم الصلاة، إلا استحوذ عليهم الشيطان** »[2]..

أما عن صفته:

فقد وردت كلماته بالصفة التي نسمعها من تربيع التكبير، وتثنية بقية الألفاظ، عدا كلمة التوحيد الأخيرة في حديث عبد الله بن زيد ﷺ قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس ليضرب به الناس في الجمع للصلاة أطاف بي وأنا نائم رجل، يحمل ناقوسًا في يده، فقلت له: يا عبد الله، أتبيع الناقوس، فقال: وما تصنع به؟ قلت: ندعوا به للصلاة..

قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ قلت: بلى، قال: تقول: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمَّدا رسول الله.. أشهد أن محمَّدا رسول الله.. حي على الصلاة.. حي على الصلاة.. حي على الفلاح.. حي على الفلاح.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. قال: ثم استأخر غير بعيد، قال: ثم تقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمَّدا رسول الله.. حي على الصلاة.. حي على الفلاح.. قد قامت الصلاة.. قد قامت الصلاة.. الله أكبر الله أكبر.. لا إله إلا الله.. فلما أصبحت، أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: « **إن هذا رؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال، فألق عليه ما رأيت، فليؤذن به، فإنه أندى صوتًا منك** » ..

فقمت مع بلال، فجعلت ألقنه عنه، ويؤذن به..

قال: فسمع بذلك عمر بن الخطاب ﷺ وهو في بيته، فخرج يجر رداءه، ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٤٢٧).

« **فلله الحمد** »[١]..

أما عن شروط الأذان: فيشترط فيه:

١ - **دخول وقت الصلاة**: فلا يصح الأذان قبل الوقت، ويستحب إذا دخل الوقت أن يؤذن في أوله، ليعلم الناس، فيأخذوا أهبتهم للصلاة، قال ﷺ: « **إذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم ...** »[٢]..

٢- **نية الأذان**: لأنه عبادة من العبادات، ويفتقر إلى النية، قال ﷺ: « **إنما الأعمال بالنيات** »[٣]..

٣- **أداؤه باللغة العربية**: فيشترط كون الأذان باللفظ العربي، ولا يصح الإتيان به بأي لغة أخرى، وهذا مذهب الحنفية والحنابلة ومن وافقهم من الشافعية إلا أنهم قالوا: إن لم يوجد منهم من يحسن العربية، أجزأهم بغيرها..

٤- **خلو الأذان من اللحن الذي يغير المعنى**: كمد همزة أكبر أو بائه، أو التمديد الزائد عن المطلوب..

٥- **ترتيب كلمات الأذان**: فيشترط أن يأتي المؤذن بألفاظ الأذان على نفس النظم والترتيب الوارد في السنة، دون تقديم أو تأخير لكلمة أو لجملة.. لأن ترك الترتيب يخل بالإعلام المقصود..

٦- **الموالاة بين ألفاظ الأذان**: والمقصود بالموالاة أي المتابعة بين ألفاظه بدون فاصل، أو فعل، فإن كان الفاصل يسيرًا، كأن عطس المؤذن في أثنائه، فيبني على ما مضى عند الجمهور.. لكن لو طال الفصل، لبطل الأذان..

٧- **إسماع غير الحاضرين**: إما برفع الصوت، أو باستعمال مكبر الصوت، ليحصل المقصود للأذان.. فإن كان يؤذن لنفسه، فلا يشترط رفع الصوت إلا بقدر ما يُسمع نفسه، أو الحاضر معه.. لأنَّ رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن زيد رضي الله عنه: « **علمه بلالاً،**

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فإنه أندى وأمد صوتًا منك»..

أما عن صفات المؤذن: فيستحب أن يتصف بما يلي:

١ - **أن يبتغي بأذانه وجه الله**: فلا يأخذ أجرة على أذانه وإقامته، لأن الاستئجار على الطاعة لا يجوز، وقد قال ﷺ لعثمان بن أبي العاص: « **واتخذ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا**»..

فإن لم يوجد من يتطوع بالأذان، جعل له راتبًا من بيت المال، وذلك لحاجة المسلمين إليه..

٢ - **أن يكون المؤذن عدلاً أمينًا**: لأن المؤذن مؤتمن - أي أمين على مواقيت الصلاة، ويصح أذان الفاسق مع الكراهة عند الجمهور..

٣ - **أن يكون صيتًا (حسن الصوت)**: لقوله ﷺ لعبد الله بن زيد: « **فقم مع بلال، فألق عليه ما رأيت، فإنه أندى صوتًا منك**»..

وعليه فيستحب استخدام أجهزة الصوتيات الحديثة، لتحسين الصوت وإبلاغه، هذا مع كراهة التمطيط والتطريب..

٤ - **أن يكون عالمًا بالوقت**: ليتمكن من الأذان في أوله، ويؤمن خطره، ويجوز لمن لا يعلم الوقت بنفسه - كالأعمى - أن يؤذن إذا كان معه من يخبره به، فقد كان ابن أم مكتوم - وهو أعمى - لا يؤذن، حتى يقال له: أصبحت أصبحت »[1]..

ما هي الأمور التي تستحب في الأذان؟

ويستحب في الأذان عدة أمور منها:

١ - **أن يكون المؤذن طاهرًا**: لعموم الأدلة على استحباب ذكر الله على طهارة لحديث المهاجر بن قنفذ أنه سلم على النبي ﷺ وهو يتوضأ، فلم يرد عليه حتى توضأ، فرد عليه، ثم قال: « **إنه لم يمنعني أن أرد عليك، إلا أني كرهت أن أذكر الله إلا على طهارة**»[2]..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والدارمي وأحمد، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٨٣٤).

فإن أذن وهو محدث، أجزاه - حدثًا أصغر أو أكبر، لعدم وجود دليل يمنع ذلك ولأن الجنب ليس بنجس.. وقد منعه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه..

٢- **أن يؤذن قائمًا:** إلا أن يكون به علة، فيجوز أن يؤذن جالسًا..

٣- **استقبال القبلة:** وقد أجمع أهل العلم على أن من السنة استقبال القبلة..

٤- **إدخال إصبعيه في أذنيه:** لحديث أبي جحيفة قال: رأيت بلالاً يؤذن، ويدور، ويتبع فاه هاهنا، وهاهنا، وإصبعاه في أذنيه[1]..

٥- **أن يجمع المؤذن بين كل تكبيرتين:** لحديث عمر بن الخطاب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله ...** »[2]..

قال النووي: فيه إشارة ظاهرة إلى أن المؤذن يجمع بين كل تكبيرتين، وأن السامع يجيبه كذلك[3]..

٦- **أن يلتفت برأسه يمينًا عند قوله:** [حي على الصلاة] ويسارًا عند قوله [حي على الفلاح] ويكون بدنه مستقبل القبلة..

أحبتي الكرام..

ما الذي يستحب لمن سمع الأذان؟

١- **الترديد سرًّا خلف المؤذن:** لقول النبي ﷺ: « **إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن** »[4]..

فإذا قال المؤذن: حي على الصلاة، وحي على الفلاح، فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، لحديث عمر بن الخطاب ﷺ الذي أوردنا جزءًا منه.. وفيه.. « ... **ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا**

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وأحمد، وصححه الألباني في « الإرواء ».

(٢) صحيح: رواه مسلم والبخاري.

(٣) « شرح مسلم » للنووي (٣/ ٧٩).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

قوة إلا بالله ...»[١]..

أما إذا قال المؤذن (الصلاة خير من النوم) يقول السامع: الصلاة خير من النوم، لعموم حديث: « **فقولوا مثل ما يقول** » وما ورد من قول بعضهم: (صدقت وبررت) فلم يرد به حديث صحيح، ولم يثبت فيه أثر..

٢- الصلاة والسلام على رسول الله وسؤال الوسيلة له: لقول النبي ﷺ: « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى على صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، فأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة، حلت له شفاعتي** »[٢]..

ولحديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **من قال حين يسمع النداء: اللهمَّ رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمَّدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة** »[٣]..

٣- أن يشهد المسلم بعده لله بالوحدانية والرضا به، وبرسوله، وبدينه: لقول النبي ﷺ: « **من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد رسولاً، غفر له، ما تقدم من ذنبه** »[٤]..

٤- الدعاء بين الأذان والإقامة: لأنه مستجاب في هذا الوقت، قال ﷺ: « **الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد** »[٥]..

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ: « **قل كما يقولون، فإذا انتهيت، فسل تعط** »[٦]..

---

(١) تقدم، رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٣) رواه البخاري والترمذي والنسائي وأبو داود.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٥) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

(٦) صحيح: رواه أبو داود والنسائي وابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٥٦).

٥- **عدم الخروج بعد الأذان من المسجد:** فعن أبي الشعثاء قال: كنا قعودًا في المسجد مع أبي هريرة ﷺ فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي فأتبعه أبو هريرة ﷺ بصره، حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ[1]..

قال النووي - رحمه الله -: فيه كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان، حتى يصلي المكتوبة إلا لعذر..

ولقوله ﷺ: «**لا يسمع النداء في مسجدي هذا، ثم يخرج منه إلا لحاجة، ثم لا يرجع إليه إلا منافق**»[2]..

وعن سعيد بن المسيب - رحمه الله - أن النبي ﷺ قال: «**لا يخرج من المسجد أحد بعد النداء إلا منافق، إلا أحد أخرجته حاجة، وهو يريد الرجوع**»[3]. ويلحق بالجنب، المحدث والراعف، والحاقن ونحوهم، وكذا من يكون إمامًا لمسجد آخر..

أحبتي الكرام..

ولقد قرأت موضوعًا بعنوان «تشنيف الآذان بأسرار الأذان» وهو موضوع قيم للغاية، وددت أن أنقله لكم..

فإن شرائع الإسلام وفرائضه، لا تخلوا من حكم وأسرار أودعها الله سبحانه وتعالى فيها لمن تأملها وتدبرها وتفكر فيها، فالأذان من شعائر الإسلام التي أودعه الله أسرارًا وحكمًا بليغة لا يعرفها إلا العالمون بدينه، وسنظهر هنا بعضًا من هذه الأسرار متوكلين على الله، راجين منه أن يوفقنا إلى الصواب ويلهمنا طريق الرشاد، ويسدد خطانا نحو الهدى، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..

اعلم أيها السامع بإذن قلبك، وفقني الله وإياك لامتثال أمر ربي وربك، أن الصلاة أعظم أركان الإسلام، وأجل قواعد الإيمان، وهي قربان المؤمن ونوره، وهي عمود الدين، وعمود الإيمان، والميزان الذي من أوفى به استوفى، وهي خدمة الله في الأرض، هي خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر، وهي قربان كل تقي، وليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة..

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب»: حسن صحيح (٢٦٢).

(٣) حسن: رواه أبو داود في مراسيله، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب».

ولما كانت من أعظم شعائر الإيمان، كان من أعظم شعائرها الأذان؛ لأن الإنسان لا يزال يتقلب في الأطوار، وينتقل في طلب الأوطار، لاهيًا بما هو فيه من دنس دنياه، عما خلق له من طاعة مولاه، مشغولاً بما ينبغي الاشتغال عنه، فإذا دخل وقت الصلاة احتاج إلى ما يحثه عليها، ويرغبه إليها، لئلا يلهو عنها بأعماله، ويتشاغل عنها بأشغاله، فكان الأذان هو المرغب إلى أدائها، والمحرك للهمة إلى إجابة ندائها، وكان أول لفظ يقرع السمع منه..

(**الله أكبر**) زجرًا عن الاشتغال بما هو دونه، إذ من شأن كل إنسان بالطبع، أن يطلب أكبر الأمرين فإذا كان كذلك فليفرغ إلى من هو أكبر. فاختيار هذا اللفظ لدلالة الاسم الشريف على جميع صفات الكمال، ونعوت الجلال واشتماله على سائر الأسماء الحسنى، والصفات العليا، لا إله إلا هو وحده لا شريك له..

و (**أكبر**) أفعل التفضيل الدال على عموم متعلقة، حذّق فلا شيء مما يخطر بالبال أو يجوزه الوهم والخيال إلا والله أكبر منه، ولا يخفي لطف هذا وحثه على ترك السوي، وعلى اجتماع القلب عليه سبحانه، وتعظيمه والثناء عليه، واستحضار عظمته وكبريائه، وجلاله واستحقاقه لجميع أجزاء المحامد، وإفراد الشكر ودقائق المدح، ولهذا كان التكبير مفتاح الصلاة لقدوم العبد بين يدي جبار السموات والأرض، ليستحضر في صلاته أنه بين يدي الملك الفعال لما يريد، المذل لكل جبار عنيد.. والإله الحق الذي كل الكائنات لا شيء بالنسبة إليه: ﴿ **وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** ﴾ [الأنعام: ٣]. فكما كان التكبير مفتاح الصلاة كان مفتاح الأذان؛ لأنه يفتح القلوب بذكر علام الغيوب..

ثم إنه لما كان التكبير أول الأذان كرر أربع مرات تأكيدًا؛ لأن السامع في بادئ الأمر متشاغل بما هو فيه فحسن التأكيد هناك زيادة في حضه على الإقبال وإطراح الأشغال، وإطفاء لنار الشيطان، وإخمادًا لجمرات المعاصي والطغيان، ولما كانت نيران الشهوات تشتعل في كل آن، وجمرات المعاصي تتعسر على كل إنسان كان في التكبير من الإطفاء لها ما لا يخفي على أهل العرفان..

(**أشهد أن لا إله إلا الله**):

وإذا سمع السامع التكبير بسمعه وقلبه، واجتمع لأداء ما نودي إليه بجوارحه، ولبه، والتفت إلى الأكبر الأعظم، سمع قول المنادي (أشهد أن لا إله إلا الله) تذكيرًا

للسامع بذلك، ليحضه على الالتفات إلى إلهه المنفرد بالألوهية، والتفرغ عن أشغاله وأعراضه، والقيام بطاعته، والفرار إليه. والوقوف بكليته بين يديه، ونفي ما سواه، وإثباته فردًا مختصًا، بالألوهية منفردًا، بالربوبية حقيقًا بالإجلال، أهلا للعزة والكمال، معروفًا بالخير والإفضال، متعرفًا إلى خلقه بالفضل والإحسان، مسديًا دقائق الجود وجلائله إلى كل إنسان..

عن عتبان بن مالك - رضي الله عنهما - يرفعه: « **لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه** »[1]..

وقال ﷺ: « **من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة** »[2]. وعن عمر رضي الله عنه، قال ﷺ: « **أبشروا وبشروا من ورائكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقًا بها دخل الجنة** »[3]، وغيرها من الأحاديث..

وأما تأكيد تكرارها، فتأكيد وحض على الإقبال عليه بالقلب، والقالب، والتلذذ بذكره، وحلاوة المكرر يعرفها ذوو الذوق السليم، ولطف المناسبة بين التكبير والشهادة ظاهر؛ لأنه لما أخبر أن الله أكبر كان ترغيبًا للعبد في ترك ما سوى الأكبر، وأمرًا له بالإقبال عليه والوقوف بالذل بين يديه، وباستشعار الخضوع وملازمة الخشوع، ثم أتى بعد ذلك بما هو أعلى ترقيًا، وهو نفي الألوهية عن سواه، وحصرها فيه ترهيبًا للعبد عن تساهله في طاعة إلهه الذي لا إله إلا هو، وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وإذا كان الأكبر لا إله غيره شهادة الحق فكيف يليق بالعبد، المضطر إليه أن يشتغل عنه..

(أشهد أن محمَّدًا رسول الله):

ثم إنه حسن إتباع الشهادة بأختها وهي: « **أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله** » صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ لأنها لا تقبل هذه إلا بهذه، وللإعلام بأنه ﷺ رسول مرسل من الله ﷻ فالتكبير لإيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة، والشهادة لله - سبحانه وتعالى - بالإلهية لإدراك التبري من الإشراك، والشهادة لمحمَّد ﷺ بالرسالة للإقرار بما جاء به

---

(١) « صحيح الجامع » (٧٧٢٠).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في « الأوسط »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٣١٨).

(٣) صحيح: « صحيح الجامع » (٣٥).

المختار من الملك الجبار للبراءة من النار، قال ﷺ وقد سمع مؤذنًا قال: « **الله أكبر** » « **الله أكبر** » فقال ﷺ: « **على الفطرة** » فقال: « **أشهد أن لا إله إلا الله** » فقال ﷺ: « **بريء هذا من الشرك** » فقال: « **أشهد أنَّ محمَّدا رسول الله** » قال ﷺ: « **خرج من النار** ». وفي التذكير به ﷺ والشهادة برسالته من الحض على اتباعه، واقتفاء آثاره، في الأقوال، والأفعال، والحركات، والسكنات، والقيام بأمره، وإجابة داعيه والإصغاء إلى مناديه، وزيادة ترغيب إلى الصلاة التي جعلت قرة عينه فيها ما لا يخفي، وإظهارًا لشرفه ﷺ وإغاظة لمن لم يقبل دعوته، ولم يعد بإجابته، وإعلانًا لدينه الذي جاء به من عند الله سبحانه - وتذكيرًا للمحبة له ﷺ وترويحا للمشوق إليه، ولإتباع التلذذ بذكر الله - سبحانه - بذكر حبيبه للانشراح بذكر الأحباب ولئلا يتخلى عباده عن ذكره ﷺ وليكون ذكره مبدأ للصلاة، وختامًا فإنه كما جاء في الأذان الذي هو نداء للصلاة، ودعاء إليها الشهادة له بالرسالة، كذلك جاء في التشهد الذي هو آخر الصلاة الشهادة له ﷺ بالرسالة بعد السلام عليه وقبل الصلاة عليه ﷺ إشارة إلى أنه بهذه العبادة العظيمة سرًّا لندائه، وبهذه النعمة الجسيمة..

(حي على الصلاة):

اعلم أنه بعد تخلي القلب عما سوى الله - سبحانه - بالعلم بأنه الأكبر والشهادة له بالإلهية وحده، وأنه الواجب أن يعبد بحق، والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة الذي هو الهادي إلى الصراط المستقيم، والمعلم للخلق كل خلق لم يبق للعبد عذر عن طاعة الله - سبحانه - وطاعة رسوله ﷺ فحسن حينئذ النداء للصلاة (بحي على الصلاة) أي هلم وأقبل إلى الصلاة، وما أحسن إتيان هذا الأمر بالإقبال والقيام إلى الصلاة، وإذا كان الأمر عن الرب الإله المفضل المنعم الرحمن الرحيم، العفو الحليم على لسان رسوله الذي هو بالمؤمنين رءوف رحيم ﷺ فكيف يليق بعاقل أن يتساهل في امتثال هذا الأمر العظيم، أو يؤثر غيره عليه، ويتمهل في القيام إليه، ويتغافل عن الوثوب لإجابة أمره، أو يتكاسل عن النهوض لأداء واجب شكره، وهل يتثبط عن إجابة سلطان هذا الداعي، أو يقعد عن امتثال هذا الأمر الذي لا يغفل عنه واعٍ..

(حي على الفلاح):

وبعد الأمر بالإقبال على الصلاة وتكراره للتأكيد شرع في ترغيبه بقوله: (حي على الفلاح) أي هلم وأقبل إلى ما به الفلاح، والصلاة هي سبب الفلاح، ومفتاح باب

النجاح، وبها ينال العبد ما يروم، ويبلغ ما يتمناه من الحي القيوم، والفلاح هو الفوز، والنجاة، والبقاء في الخير، والصلاة هي سببه الأعظم وأصله المعظم، ولهذا جاء في الكتاب العزيز في وصف المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝﴾ [البقرة: ٣-٥]. وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وسماها النبي ﷺ فلاحًا فقال النبي ﷺ: «**الجفاء كل الجفاء، والكفر، والنفاق من سمع منادي الله - تعالى ينادي بالصلاة ويدعو إلى الفلاح فلا يجيبه**»[1]..

وفي قوله: (حي على الفلاح) بعد الأمر بالصلاة من الترغيب إليها ما لا يخفي حسنه كأنه يقول هلم إلى ما به الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، وكثيرًا ما يأتي بعد الأمر الترغيب، وبعد النهي الترهيب بحسب ما تقتضيه المقام..

أخرج مسلم عن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا قال المؤذن: الله أكبر فقال أحدكم: الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمَّدا رسول الله قال: أشهد أن محمَّدا رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال الله أكبر الله أكبر قال: الله أكبر الله أكبر ثم قال: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة**»..

فلما ندب ﷺ إلى القول كما يقول المؤذن، وكان في القول ما يقول تأديبًا للنفس، وتنبيهًا لها من سنة الغفلة، وضربًا لها بسوط الإزعاج، وجذبا لها بأزمة الاشتياق، وعطفا لها عن أودية الفراق، وتشويقًا لها إلى بلوغ المرام، والتفاتًا بها إلى رفيع المقام، وتمرينًا لها على الطاعة، وارتحالا عن طلل الإضاعة، لتذهب حلاوة الذكر مرارة النسيان، وتجري بها أنها المراقبة إلى رياض الإيمان، فتبسم زهور المحبة، وتطيب أثمار المناجاة، وتغرد طيور جنات الشهود ليسمع أرباب السماع، ويعوا ويفوز بالتمتع بفواكه «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**». فإذا سمع العبد الأذان بقلبه وآذانه، ونطق به بفؤاده ولسانه، كان أرفع إنابة وأسرع إجابة، وأجدر أن لا يتغافل عن امتثال أوامره، وسماع

(١) رواه الطبراني في «الكبير» عن معاذ.

زواجره، ولما قال المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح وعلم السامع أن الأمر عظيم، والخطب جسيم، وأنه يدعوه إلى البدار إلى خطاب الملك الجبار، والقيام بين يدي ملك الأملاك، ومدير الأفلاك، الذي خلقه في أحسن تقويم، وخصه إحسانه العميم، فخلق له السمع، والبصر، والفؤاد، ووكل به ملائكة يحفظونه في كل إصدار وإيراد..

فحسن أن يقول عند أمره بالقيام لمناجاة الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يعني لا حول عن معصية الله إلا بقوة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله..

فإذا علم العبد عجزه عن القيام بأمر الله، وضعفه عن ترك مناهي الله، ونظر بعين البصيرة إلى حقارته وذله، وأنه ليس له حول ولا قوة على إجابة هذا الداعي، وأداء ما طلبه منه من حميد المساعي، واجتناب البطالة، والفرار عن أدران الجهالة..

(لا إله إلا الله):

لما كان الله - سبحانه - هو الأول والآخر، ومنه البداية وإليه النهاية، ختم هذا العقد الفريد بلفظ: «**لا إله إلا الله**» الذي قامت به السموات والأرض، فكان ابتداء الأذان بلفظ الجلالة من الله أكبر، وختمه بها أيضًا من لا اله إلا الله وفي حسن الختام بها التفاؤل بأن يكون آخر الكلام فيفوز قائلها بحسن الختام، فقد قال ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم في المستدرك عن معاذ بن جبل ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»..

فكان ختم الأذان بها لما فيها من الفضل العظيم، والفيض العميم، ولإفرادها مع تشفيع كلمات الأذان سر لطيف يفهمه كل ذي فهم شريف، إذ لا يخفي على الفطن العارف القايل[1] في ظل رياض المعارف أن الله - سبحانه - وتر يحب الوتر، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ أهل الصفا، فلما كانت كلمات الأذان شفعًا، وترت بكلمة الشهادة، كما وترت صلاة النهار بصلاة المغرب، وصلاة الليل بصلاة الوتر، قال ﷺ: «**المغرب وتر النهار، فأوتروا صلاة الليل**»..

فالشهادة في أول الأذان المقصود منها تنبيه ذوي الأشغال، والتحريض في المبادرة بسلوك الامتثال، والسامع في أول الأذان أقرب إلى الغفلة والانشغال بالمجال، وهو في

---

(١) القايل: من القيلولة.

آخر الأذان بخلاف ذلك الحال إذا كان واعيًا للمقال، وأما من استولت كثافة الغفلة على فؤاده، وقطعت عوائق الخسران طرق رشاده، فهو بمعزل عن الجميع، وإذا نودي إلى الخير فهو غير سميع..

فائدة:

اعلم وفقني الله وإياك أن الصلوات الواجبات خمس، والسنن المؤكدة، التي كان النبي ﷺ لا يتركها حضرًا وسفرًا سنة الفجر، ووتر الليل، وفي كلمات الأذان إلى ذلك إشارة، لأن الظهر، والعصر، والعشاء أربعًا أربعًا، والتكبير كلمتا الشهادة على رواية التربيع والترجيع مشابهة لها في كونها أربعًا أربعًا، وصلاة الفجر وسنتها ركعتان ركعتان، وحي على الصلاة، وحي على الفلاح مثنى مثنى، ولما كانت حي على الفلاح تابعة في المعنى لحي على الصلاة وكانت سنة الفجر تابعة لصلاة الفجر حصلت المناسبة ووقعت المشابهة، ولما كان المغرب وتر صلاة النهار، والوتر المندوب إليه وتر صلاة الليل، ناسب الوتران التكبير في آخر الأذان، وكلمة الشهادة إشارة إلى تغاير الوترين وصحة الإيثار بواحدة، وفي إيجادها في كونها كلها كلمات ذكر الله سبحانه إشارة إلى المغرب الذي هو وتر النهار، فإنه لا يكون إلا ثلاثًا؛ لأنه لو جعل الوتر النهار مشابها لذهب الوتر وكانت كلماته شفع..

اللهمَّ نبهنا من سنة الغفلة، وأزل عن القلب رتاجه وقفله، وافتح مسامعنا لسماع ندائك، وفقه قلوبنا لفهم دعائك. واجعل قرة أعيننا في الصلاة، وفهم معاني كلماتك، وأقبل بقلوبنا إلى ما به الصلاح والفلاح واجعلنا ممن لهجت منهم بذكرك الألسنة، والقلوب، والأرواح، واختم أعمالنا وأقوالنا بكلمة الشهادة، آمين اللهمَّ آمين..

۞۞۞

الوصية رقم (٨٢)

اتقوا اللاعنين

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **اتقوا اللاعنين** » قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟

قال: « **الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الأحبة الكرام..

هذه الوصية الكريمة من أستاذ البشرية ﷺ ومعلم الإنسانية، فما من خير إلا ودلنا عليه، وما من شر إلا ورهبنا وحذرنا منه، ونهانا عنه.. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدلنا على كمال شريعة الإسلام..

حذرنا رسولنا ﷺ من اللاعنين، وفي رواية عند أبي داود وغيره من حديث معاذ ابن جبل ﷺ أنه قال: قال ﷺ : « **اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل** »[٢]. وفي رواية عند الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **اتقوا الملاعن الثلاث** »..

قيل: ما الملاعن الثلاث يا رسول الله؟

قال: « **أن يقعد أحدكم في ظل يستظل به أو في طريق، أو في نقع ماء** »[٣]..

قال الخلجاني - رحمه الله - في « اللاعنين »: يريد الأمرين الجالبين للعن، الحاملين للناس عليه، والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما، لعن وشتم، يعني عادة الناس لعنه، فلما صار سببًا لذلك أضيف إليهما الفعل فكان كأنهما اللاعنان..

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

(٢) حسن: رواه البيهقي وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » (٢٦)، و« صحيح الجامع » (١١٢).

(٣) حسن: رواه أحمد وغيره، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٤٧)، و« صحيح الجامع » (١١٣).

فهم يدعون عليه باللعنة.. واللعن هو الطرد من رحمة الله الرحيم الرحمن (والذي يتخلى في طريق الناس) أي يتغوط أو يتبول في الأماكن التي يمر بها الناس.. في طرقاتهم.. وأماكن جلوسهم.. والمراد بالطريق هنا في الوصية الطريق المسلوك، لا المهجور، الذي لا يسلك إلا نادرًا.. (أو ظلهم) أي مستظل الناس، الذي اتخذوه مقيلاً ومنزلاً ينزلونه ويقعدون فيه..

قال صاحب كتاب «عون المعبود»: والحديث يدل على تحريم التخلي في طرق الناس لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به واستقذاره[1]. وقد سمي الفاعل لاعنًا، لأنه أدخل اللعنة على نفسه، ومعلوم أنه بهذا الفعل قد آذى المسلمين، والإيذاء بدون سب، أو الإيذاء في أصله محرم لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨] فإيذاء المسلم بغير وجه حق، يعني في غير قصاص، أو في غير وجه تطلبه الشريعة بمثل الأمر بالمعروف، أو نهي عن منكر، أو غير ذلك، فإن الإيذاء محرم..

أحبتي في الله..

والوصية فيها إرشاد لحماية صحة البيئة من الوباء ومن كل يشوه نظافتها وفيها تطبيق لقاعدة إسلامية رئيسية، وهي أن كل مسلم مسئول عن سلامة جماعة المسلمين، تطبيقًا للقاعدة التي وضعها رسول الله ﷺ وأسسها، بأن المسلم للمسلم كالجسد الواحد، وأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وهذه الحماية تُلزم المسلم بأن لا يكون مصدر ضرر للبيئة فعن سعيد بن المسيب سُمع يقول: «**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود**»[2]..

وقد دعا الإسلام إلى الوقاية من الأمراض الانتقالية، بعزل المريض عن الأصحاء، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يوردن ممرض على مصح**»[3]..

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/ ٤٢٩)، و«عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١/ ٣٠).

(٢) حسن: حسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» رقم (٤٤٨٧).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو داود.

يقول النووي - رحمه الله - في شرحه: أرشد فيه إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره..

وقال: وأمَّا النهي عن إيراد الممرض على المصح، فليس للعدوى، بل للتأذي بالرائحة الكريهة، وقبح صورته..

والإسلام يكره التواكل، ولكنه يأمرنا باتخاذ الأسباب الدنيوية، ثم بعد ذلك بالتوكل على الله.. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ...﴾ [النساء: ٧١] والأعرابي الذي سأل رسول الله ﷺ هل يترك ناقته دون أن يربطها توكلاً على الله، فقال له النبي ﷺ: «**اعقلها وتوكل**»[١]..

وقد حرّم النبي ﷺ تلويث الماء بمفرغات البدن، التي تحمل الجراثيم، وتنقل العدوى، فقال فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «**لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل منه**»[٢]..

وقال العلماء: التغوط في الماء كالبول فيه وأقبح، وكذلك إذا بال في إناء ثم صبه في الماء، وكذا إذا بال بقرب النهر بحيث يجري إليه البول، فكله مذموم، منهي عنه..

وقد نهى ﷺ أن يبول الرجل في مستحمه.. ولا يخفي أن تلوث موارد المياه بالبراز، وما يشتمل عليه من جراثيم عامل أساسي في نقل الأمراض بصورة مباشرة من خلال الماء الملوث، أو غير مباشرة من خلال تلوث الخضروات والثمرات التي تسقى بهذا الماء..

وفي ذكر الظل لمسة لطيفة، لأن ما يكون في الظل لا تطهره الشمس، فيبقى مرتعًا خصبًا للجراثيم، ويعمل الظل على تكثيرها..

ويقاس على البول والبراز كل ما تتلوث به البيئة من مخلفات، والحيوانات النافقة، ورمي القمامة، وإلقاء فضلات المصانع.. وكل ما يؤدي إلى فساد البيئة.. قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥] وهذا النهي عن تلويث

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٦٨).

(٢) صحيح: «صحيح سنن النسائي» (٢٢١)، و«صحيح الجامع» (٧٥٩٤)، و«صحيح سنن ابن ماجة» (٣٤٤).

الموارد والطرق جزء من توجيهات الإسلام للحفاظ على صحة البيئة، ويقابل ذلك أمر إيجابي بتنظيفها، فقد قال ﷺ : « **إماطة الأذى عن الطريق صدقة** »[١]..

وقال: « **عرضت عليّ أعمال أمتي: حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها: الأذى يماط عن الطريق** »[٢]..

وقال: « **الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق** »[٣]..

أحبتي في الله..

لقد حث الإسلام على النظافة، لأنه دين النظافة بأوسع معانيها، نظافة في العقائد، وذلك من الشرك والخرافات، ونظافة المنكرات والرذائل.. ونظافة اللسان من الكذب والكفر.. ونظافة الأجساد والثياب من الأوساخ والقاذورات.. ونظافة المساجد، ونظافة الطريق والبيوت وسائر جوانب الحياة حتى يكون المجتمع المسلم شامة بيضاء في جبين الأمم الإسلامية..

ونظافة الهيئة والثياب مأمور بها.. فعن خريم الأسدي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه يومًا: « **إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش** »[٤]..

وعن جابر بن عبد الله – أنه قال: أتانا النبي ﷺ فرأى رجلاً ثائر الرأس، فقال ﷺ : « **أما يجد هذا ما يسكن به شعره** »[٥]..

---

(١) صحيح: « الصحيحة » رقم (٥٧٦)، و« صحيح سنن أبي داود » (١٢٨٥) ألباني.

(٢) رواه مسلم وابن ماجة.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٤) صحيح: رواه أحمد في « مسنده » (٧٥٥٤)، وصححه حمزة الزين (جـ١٣/ ٤٣٧)، ورواه الطبراني (٥٦١٦) في « الكبير »، وابن المبارك في « الزهد » رقم (٨٥٣)، والحاكم برقم (٧٤٧٧) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي (١٧/ ٢١٨)، وضعفه الألباني في « صحيح أبي داود » رقم (٤٠٨٩).

(٥) صحيح: صححه الألباني في « صحيح سنن النسائي » (٥٢٣٦)، و« الصحيحة » (٤٩٣).

وفي الموطأ عن عطاء بن يسار قال: كان رسول الله ﷺ في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته، ففعل ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ: « **أليس هذا خير من أن يأتي أحدكم وهو ثائر الرأس، كأنه شيطان** »[١]..

ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة، فقال: « **أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟** »[٢]..

وأكد الحث على النظافة والتجمل في مواطن الاجتماع مثل الجمعة والعيدين فعن عبد الله بن سلام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته** »[٣]..

وحرص على نظافة المسجد، فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً أسود - أو امرأة سوداء - كان يقم المسجد، فمات، فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات، قال: « **أفلا كنتم آذنتموني** به - أي أعلمتموني بموته - **دلوني على قبره** - أو قال قبرها - **فصلى عليها** »[٤].

لماذا هذه العناية ، وهذا التكريم من سيد الأولين والآخرين ﷺ .. ليس إلا لأن هذا الرجل، أو هذه المرأة يحرصان على نظافة المسجد..

وأمر بتطهير الأفنية حرصًا على النظافة، وسلامة من يسكنها، فقال: « **طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهر أفنيتها** »[٥]، والأفنية جمع فناء وهو الساحة أمام البيت، وقد ورد عند البراز في مسنده: « ... **فنظفوا أفناءكم وساحاتكم، ولا تشبهوا باليهود، يجمعون الأكباء في دورهم** »..

وهذا في تطهير الأفنية والساحات وتنظيفها، حرصًا على سلامة البيئة.. وفي تطهير الأبدان، أو الأجساد عند الطبراني من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **طهروا هذه الأجساد، طهركم الله، فإنه ليس من عبد يبيت طاهرًا إلا**

---

(١) أخرجه مالك في « الموطأ » (١٤٩٤) بسند صحيح مرسل، « الصحيحة » (٤٩٣).

(٢) صحيح: « صحيح سنن أبي داود » رقم (٤٠٦٢)، و« صحيح سنن النسائي » (٥٢٣٦) ألباني.

(٣) صحيح: « صحيح سنن أبي داود » رقم (٩٨٩)، و« صحيح سنن ابن ماجة » (١٠٩٦)، و« صحيح الجامع » (٥٦٣٥).

(٤) رواه البخاري وغيره.

(٥) صحيح: « السلسلة الصحيحة » (٢٣٦)، و« صحيح الجامع » (٣٩٣٥).

بات معه في شعاره ملك، لا ينقلب ساعة من الليل، إلا قال: اللهمَّ اغفر لعبدك، فإنه بات طاهرًا»[١]..

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -:

أما البدن فليست الصورة داخلة تحت كسب الآدمي، بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها، فقبيح بالعاقل إهمال نفسه، وقد نبه الشارع على الكل بالبعض، فأمر بقص الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، ونهي عن أكل الثوم والبصل النيئ، لأجل الرائحة، وينبغي أن يقيس على ذلك، ويطلب غاية النظافة والنزاهة. ا.هـ..

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده**»[٢]..

ومن لطائف وعجائب ما ورد عن رسول ﷺ في هذا الباب، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ يدني إليّ رأسه، وهو مجاور، فأغسله وأرجله، وأنا في حجرتي، وأنا حائض وهو في المسجد»[٣]، وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي رافع ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ طاف على نسائه في يوم، فجعل يغتسل عند هذه، وعند هذه.. فقيل: يا رسول الله، لو جعلته غسلاً واحدًا؟!

قال: «**هذا أزكى، وأطيب وأطهر**»[٤]..

قال أبو داود: حديث أنس أصح من هذا.. والمراد بحديث أنس أنَّ رسول الله ﷺ طاف على نسائه في ليلة بغسل واحد..

ولا تعارض بينهما، ويفعل المسلم الذي له أكثر من زوجة ما يكون ميسورًا من أمره.. فهذا وارد، وذاك وارد عنه ﷺ..

---

(١) صحيح: «صحيح الترغيب» (٥٩٩)، و«صحيح الجامع» (٣٩٣٦).

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه النسائي (٣٨٧) ألباني، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٤٦٧)، و«صحيح سنن ابن ماجة» (١٧٧٨).

(٤) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٩)، و«صحيح سنن ابن ماجة».

أحبتي الكرام..

كل هذا حرصًا من الرسول ﷺ على المحافظة على نظافة البيئة من التلوث..

ونظافة البيوت.. ونظافة المساجد.. ونظافة الشوارع.. ونظافة الأماكن التي يجتمع فيها الناس.. وقد أمر الله ﷻ بالنظافة في أماكن التجمع للعبادة كالمساجد، قال تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ...﴾ [الأعراف: ٣١] وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة.. الرجال والنساء، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله … وما بدا منه فلا أحله

فقال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] فأمرهم الله ﷻ بالزينة، والزينة هي اللباس، وهو ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جيد المتاع..

وعن محمَّد بن سيرين - رحمه الله - أن تميمًا الداري، اشترى رداءً بألف درهم، وكان يصلي فيه..

هذا هو الإسلام.. وهذا هو رسول الإسلام ﷺ يحرص على النظافة من جميع الوجوه.. ويحرص على نظافة البيئة من جميع وجوه المحافظة، ومن لم يحافظ على ذلك، أضر بنفسه، وأضر بمن حوله.. وهذا محرم لقول الرسول الأعظم ﷺ: « **لا ضرر ولا ضرار** »[١]. وفي رواية بزيادة: « **ومن ضار، ضاره الله، ومن شاق، شاقه الله** »..

وكف الأذى عن الآخرين، سواء كان في الطريق أو في أي مكان صدقة منك على نفسك.. فعن أبي ذر ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **كف شر عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك** »[٢]..

ويقاس على التبول أو التغوط في الطريق التي يجلس فيها الناس ويسلكونها كل ما فيه إضرار لهم كالتدخين مثلاً في الطريق أو المكان الذي جعل يستريح فيه الناس، أو يجتمعون فيه.. أو كان في سيارة أو مركبة..

أو رمي نفايات السجائر والقمامة ونحوها في الطرقات، أو ترك المجاري تطفح في

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة وغيرهم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٧٥١٧).

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٤٤٩٠).

الشوارع دون مبالاة.. فهذا كله من الضرر الذي يلحق بالفرد بل وبالمجتمع كله.. وهذا موجب لغضب الله ﷻ وسخطه، ومن يفعل ذلك فهو ملعون ومطرود من رحمة الرحيم الرحمن جل وعلا، قال ﷺ في حديث الوصية: «**اتقوا اللاعنين**»..

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من آذى المسلمين في طرقهم، وجبت عليه لعنتهم**»[1]..

وحفظ صحة البيئة فيه سلامة المجتمع وحماية له من الأمراض المنتشرة في هذا العصور، كما يسمون بعضها «التيفود، وأنفلونزا الطيور، وأنفلونزا الخنازير» وغيرها..

حفظ الله أمة الإسلام من الوباء والغلاء..

اللهمَّ أعز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشرك، واخذل المشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين.. واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين..

اللهمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم.. ولا تعذبنا فأنت علينا قادر.. والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير.. يا ذا الجلال والإكرام..

اللهمَّ إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك الرضا.. ونسألك القصد في الغنى والفقر.. ونسألك النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، برحمتك يا أرحم الراحمين.. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير..

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار..

﴿ **سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٨٢** ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]..

(١) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٢٣).

الوصية رقم (٨٣)

كن ربانيًا ولا تكن رمضانيًا

عن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **يا أيها الناس، عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه، وإن قل** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الصادقون..

هذه الوصية الكريمة فيها الحث على الاقتصاد في العبادة، واجتناب التعمق، وليست مختصة بالصلاة، بل هي عامة في جميع أعمال البر..

قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه:

في هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته، لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط، والقلب منشرح، فتتم العبادة، بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب، فيفوته خير عظيم، وقد ذم الله ﷻ من اعتاد عبادة ثم أفرط، فقال تعالى: ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ...** ﴾ [الحديد: ٢٧]، وقد ندم عبد الله بن عمرو بن العاص على تركه قبول رخصة رسول الله ﷺ في تخفيف العبادة، ومجانبة التشديد[2]..

أحبتي في الله..

إنَّ المداومة على الأعمال الصالحات من شعار المؤمنين والمؤمنات لقد رأينا في شهر رمضان بيوت الله ومساجده معطرة بأنفاس الصائمين بل ورأينا المساجد في رمضان مزدحمة بصفوف المصلين، بل وسمعنا للمساجد في رمضان دويًا بالذكر، وقرآن رب

(١) رواه مسلم (٧٨٢).

(٢) « صحيح مسلم بشرح النووي » (٣/ ٢٩٨).

العالمين، بل وأسعد قلوبنا في رمضان تنافس أهل البر والخير من المحسنين..

ولكن .. مع أول فجر يوم من شهر شوال يتألم قلبك.. وتبكي عينك ويتحسر فؤادك .. وتتمزق نفسك حسرات..

أين المصلون في رمضان؟ أين القائمون لله في صلاة التراويح؟ أين الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات؟

بعد انقضاء رمضان ترى المساجد قد خوت من المصلين إلا من رحم ربي بعد رمضان تشتكي المساجد حالها إلى الكبير المتعال..

فيا عبد الله.. هل كنت تعبد في رمضان ربًا، وتعبد في بقية الشهور ربًا آخر؟!

والله الذي لا إله غيره.. إن رب رمضان هو رب بقية الشهور والأيام هو الإله الواحد.. الذي لا ند له.. ولا ضد له.. ولا والد له.. ولا شبيه له.. ولا صاحب له..

أيها الموحدون..

ما أشبه الليلة بالبارحة.. مرت أيام هذا الشهر المبارك سريعة، وكأنها لحظات.. استقبلنا رمضان.. ثم ودعناه في العام الماضي.. وما هي إلا أشهر مرت كساعات.. فإذا بنا نستقبل رمضانًا آخر.. ثم ودعناه وكم عرفنا أقوامًا أدركوا معنا رمضان في العام الماضي.. فأين هم الآن؟ هم اليوم من سكان القبور، ينتظرون البعث والنشور..

إن إدراك المسلم لشهر رمضان نعمة ربانية، ومنحة إلهية.. فكم من قلوب تمنت.. ونفوس حنت أن تبلغ ساعاته المباركة.. لأنه فيه تتضاعف الحسنات.. وتكفر السيئات.. وتقال فيه العثرات.. وترفع فيه الدرجات.. تفتح فيه الجنان.. وتغلق النيران.. وتصفد الشياطين هو شهر الخيرات والبركات.. والفتوح والانتصارات.. فما عرف التاريخ غزوة بدر وحطين.. ولا فتح مكة والأندلس.. إلا في رمضان..

لذا كان الصالحون يعدون إدراك رمضان من أكبر النعم..

قال المعلي بن الفضل: كان السلف يدعون الله ﷻ ستة أشهر، أن يبلغهم رمضان..

وقال يحيى بن أبي كثير - رحمه الله -: كان من دعائم: اللهمَّ سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً يا رب العالمين..

كانوا ربانيين.. لا رمضانيين.. لأنهم كانوا في صيام وقيام في رمضان وفي غير رمضان..

باع رجل من الصالحين جارية لأحد الناس، فلما أقبل رمضان، أقبل سيدها الجديد يتهيأ لاستقبال شهر رمضان بألوان الطعام..

فقالت الجارية: لماذا تصنعون ذلك؟

قالوا: لاستقبال شهر رمضان.. فقالت: أأنتم لا تصومون إلا في رمضان والله لقد جئت من عند قوم السنة عندهم كلها رمضان.. لا حاجة لي بينكم ردوني إليهم.. ورجعت إلى سيدها الأول..

كانوا ربانيين، لأنهم كانوا يدركون الحكمة من وراء شرعية الصيام، فالصوم لم يشرع عبثًا.. نعم ليست القضية قضية ترك طعام أو شراب.. لا.. إن القضية أكبر من ذلك بكثير.. إنه شرع لكي يعلم المؤمن أن له ربًا.. له إلهًا هو وحده الذي يُشرع.. يأمر بالصيام متى شاء ويبيح الفطر متى شاء..

شرع له الصيام ومعظم العبادات ليتقيه ويخشاه.. ويستعد ليوم لقائه.

خـــل الذنـــوب صـــغيرها وكبـــــيرها ذاك التقـــــى
واصـــنع كـــماش فـــوق أرض الـــشوك يحـــذر مـــا يـــرى
لا تحقـــــرن صـــــغيرة إن الجـــبال مـــن الحـــصى

ومن حقق التقوى، شعر بأن حياته كلها ملك لله تعالى، يفعل بها ما يشاء.. فهو يصلي وقت الصلاة، ويصوم وقت الصوم.. ويجاهد في وقت الجهاد.. ويتصدق مع المتصدقين.. فليس لنفسه منه حظ ولا نصيب بل حياته كلها لله ﷻ..

فهذا سيدنا جعفر بن أبي طالب ؓ ابن عم رسول الله ﷺ أخو سيدنا علي بن أبي طالب.. أسلم هو وزوجته مبكرين، لم يكن عمره ساعتها يتجاوز الواحد والعشرين سنة، وأصابه من الأذى والاضطهاد في مكة ما لا يحتمل حتى خرج مهاجرًا إلى بلاد الحبشة..

خرج هو وزوجته إلى الحبشة.. إلى أرض الغرباء.. أرض لا يعرفها.. وقبائل لا يألفها.. ولغة لا يفهمها.. كم كانت هذه المدة ثلاث سنوات، ثم أشيع أن قريشًا قد أسلموا، فعاد بزوجته وولده، لكنه فوجئ بأن قريشًا ما زالت على كفرها وشركها.. فردهم النبي ﷺ إلى الحبشة مرة أخرى.. فعادوا واستمروا هناك مدة سبع سنين.. فلما فتح النبي ﷺ خيبر، أرسل إلى المسلمين في الحبشة، ليقدموا إلى المدينة، فلما دخلوا المدينة، فرح النبي ﷺ بقدوم جعفر، فرحًا شديدًا.. وذكر أنه ﷺ لما رآه، قبله بين عينيه، والتزمه، وقال له: « **ما أدري بأيها أنا أسر بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر** »[1]..

وكان جعفر ﷺ شديد الشبه بالنبي ﷺ حتى كان يقول له: « **أشبهت خلقي وخلقي** ... »[2]. وما كاد جعفر يستقر في المدينة حتى بلغ الرسول ﷺ أن الروم يجمعون الجيوش لغزو المسلمين، فخرج المسلمون إلى غزوة مؤتة وعلى رأس الجيش زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل، فعبد الله بن رواحة ﷺ فاستشهد الجنود الأبطال الثلاثة.. لأن عدد جنود الروم والعرب المتنصرة كان مائتي ألف، والمسلمون ثلاثة آلاف.. يقاتل جعفر وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

وأخذ يقاتل في سبيل الله، حتى قتل.. يقول عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: رأيت جعفر صريعًا.. وفي جسده أكثر من تسعين ضربة ما بين طعنة وضربة ورمية، هذه هي حقيقة التقوى، التي يتعلمها المؤمن من الصيام.. أن يطيع الله ﷻ بكل جوارحه.. فهل يكون متقيًا من يصوم بطنه عن الطعام، ولا تصوم عينه عن النظر الحرام.. ولا سمعه عن السماع الحرام.. ولا يصوم لسانه عن الآثام.. هل يكون متقيًا من يجمع الثواب في النهار، ثم يحرق ذلك في الليل بأغنية ماجنة، أو رقصة فاتنة، يزينها له شياطين الإنس في رمضان كانوا يقرءون القرآن.. وكانوا يسمعون كلام الرحمن.. وبعد رمضان يستمعون إلى الأغاني الماجنة.. وشرب الخمور.. فأين ليالي رمضان التي قضيت بين قارئ للأذكار.. ومستغفر بالأسحار.. كانت تقضي بين ساجد خاشع..

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (١١/ ٢٨٢)، وقال: هذا حديث صحيح رقم (٤٩٢٩)، وضعفه العلماء.

(٢) رواه البخاري وأحمد.

وقائم خاضع.. كان في رمضان.. الكل في سكينة وهدوء.. تتنزل الرحمات.. وتغفر الزلات فجاء بعد رمضان التلفاز وأبدلها بالأفلام.. والمسلسلات.. وجولات المصارعة الحرة، وكرة القدم..

أحبتي في الله..

كانوا ربانيين، ولم يكونوا رمضانيين.. لأنهم كانوا يقومون الليل في رمضان كانوا يقومون الليل في غير رمضان.. لأن رب رمضان هو رب شعبان ورب شوال ورب سائر الشهور والأيام.. ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [السجدة: ١٦]، ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾**﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]..

كان أحدهم يصلي لربه صلاة عبد مشتاق إليه، معترف بفضله عليه.. متذلل منكسر بين يديه.. فيزداد محبة إلى محبته وشوقًا إلى دخول جنته..

فهذا سليمان الداراني - رحمه الله - يقول: بينما أنا ساجد، إذ ذهب بي النوم فإذا أنابها يعني - الحورية - قد ركضتني برجلها، فقالت: حبيبي، أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم، بؤسًا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز، قم فقد لقي المحبون بعضهم بعضًا[1]..

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: سهوت ليلة عن وردي ونمت، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون، وفي يدها رقعة، فقالت لي: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إليّ الرقعة، فإذا فيها:

ألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلدًا لا موت فيها ... وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيرًا ... من النوم التهجد بالقرآن

ويروى عن أزهر بن مغيث - وكان من القوامين - أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا، فقلت لها: من أنت؟ قالت: حوراء فقلت: زوجيني نفسك؟ فقالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني..

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٥٩) برقم (٧١٤).

فقال: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد..

كانوا ربانيين.. ولم يكونوا رمضانيين.. لأنهم كانوا يحافظون على الصلاة في جماعة في رمضان وفي غير رمضان..

كان محمَّد بن خفيف - رحمه الله - به وجع الخاصرة، فكان يشتد عليه، حتى يقعد عن الحركة، فكان إذا نودي بالصلاة يُحمل على ظهر رجل إلى المسجد فقيل له: إن الله قد عذرك.. فلو خففت على نفسك؟!

فقال: كلا.. إذا سمعتم حي على الصلاة، ولم تروني في الصف، فاطلبوني في المقبرة..

لله درهم من مرضى.. بل والله نحن المرضى..

وكان منصور بن المعتمر - رحمه الله - إذا جن عليه الليل، يلبس من أحسن ثيابه، ثم يرقى إلى سطح بيته ويصلي.. فلما مات قال غلام جيرانهم لأمه:

يا أماه.. الجذع الذي كان ينصب في الليل على سطح جيراننا.. لست أراه..

فقالت: يا بني.. ليس ذاك جذعًا، ولكنه منصور بن المعتمر، كان يصلي قيام الليل، وقد مات..

كانوا ربانيين، ولم يكونوا رمضانيين، لأنهم كانوا دائمًا في رمضان وفي غير رمضان يستشعرون عظمة ربهم، إذا وقفوا بين يديه..

كان أبو زرعة الرازي - رحمه الله - إمامًا في مسجد قومه عشرين سنة.. فجاءه يومًا قوم من طلاب الحديث.. فنظروا فإذا في محرابه كتابة.. فقالوا له: ما حكم الكتابة في المحاريب؟

فقال: قد كرهه قوم ممن مضى، فأنا أنهى عنه وأكرهه..

فقالوا: هو ذا في محرابك كتابة.. أو ما علمت بها؟!

فقال: سبحان الله! رجل يقف بين يدي الله تعالى، ولا يدري ما بين يديه؟ وهذا سفيان الثوري - رحمه الله تعالى - يحدث عنه عبد الرزاق أحد طلابه المحدثين قال: قدم عليّ سفيان الثوري بعد العشاء، فوضعت له العشاء، والزبيب والموز، فأكل أكلاً جيدًا، فلما فرغ، قام وتوضأ، ثم شد على وسطه إزاره واستقبل القبلة، وقال: يا عبد الرزاق..

يقولون: اعلف الحمار، ثم كده.. ثم صف قدميه، يقف حتى الصباح..

لقد كانوا يتسابقون إلى الخيرات.. ليرفعهم ربهم الدرجات.. ويغفر لهم الذنوب والسيئات..

قام أبو مسلم الخولاني ليلة، فتعبت قدماه، فضربها بالسوط، وأخذ يقول:

أيظن أصحاب رسول الله ﷺ أن يسبقونا عليه؟ والله لنزاحمنهم عليه، حتى يعلموا أنهم خلفوا وراءهم رجالاً..

لقد كانوا يجدون في الصلاة خشوعًا.. ويجدون فيها خضوعًا..

كان للحسن بن صالح جارية، فاشتراها منه بعضهم، فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد، قامت تصيح في الدار: يا قوم، الصلاة.. الصلاة.. فقاموا فزعين: هل طلع الفجر؟ فقالت: أأنتم لا تصلون إلا المكتوبة؟! ثم قامت تصلي.. فلما أصبحت رجعت إلى سيدها الأول، وقالت له: لقد بعتني إلى قوم سوء، لا يصلون إلا الفريضة، ولا يصومون إلا الفريضة، فردني فردها.. فليت شعري.. ماذا تقول تلك الجارية، لو رأت فريقًا من مسلمي زماننا.. الذين تمر عليهم الأيام تترى.. وهم على فراشهم يتقلبون.. فلا الليل يقومون.. ولا صلاة الفجر يشهدون.. فكانوا كما قال الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]..

أحبتي في الله..

عرفتم الطريق، فالزموا.. الزموا هذا الدرب ولا تنحرفوا عنه.. واستعينوا بالله ولا تعجزوا.. فمن أعانه الله على الطاعة فهو المعان.. ومن خذله فهو المخذول.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.. واطلب العون والمدد منه، وادعوه أن يثبتكم على طريق طاعته، وعلى درب نبيه ومصطفاه محمَّد ﷺ..

فهذا رسول الله ﷺ يقول يومًا لأصحابه يومًا: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله..

قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**»، قال أبو بكر: أنا يا رسول الله..

قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**»، قال أبو بكر: أنا يا رسول الله..

قال: « **فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟** »، قال أبو بكر: أنا يا رسول الله..

قال رسول الله ﷺ: « **ما اجتمعت في رجل إلا ودخل الجنة** »[١]..

فداوموا على الأعمال الصالحة، فالمداومة على الأعمال الصالحة شعار المؤمنين الصادقين.. ومن أهم ما يعين المسلم على المداومة، التدرج في الطاعة فيبدأ المسلم بالأسهل فالأسهل، والأيسر فالأيسر، والأحب على قلبه، ثم يترقى بعد ذلك في الأعمال الصالحات، وعمل الطاعات، ليرضى عنه رب الأرض والسموات..

اللهمَّ إنا نسألك رضاك والجنة..

اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر..

اللهمَّ اغفر لنا ما أنت أعلم به منا، فإن عدنا، فعد علينا بمغفرتك..

يا رب أسلمنا لك يا كريم الوجه، أسلمنا لك وجوهنا، واتبعنا ملة إبراهيم حنيفًا، فنسألك خيرًا يقودنا إلى الجنة، وعملاً ذاكرًا يذكرنا عندك وإيمانًا خالصًا يخلصنا رفثات النفوس، وسكينة تسكن قلوبنا، تمحو القنوط والعبوس..

اللهمَّ اجعلنا لك خاشعين، ولنبيك متبعين، وللناس متواضعين، واحشرنا مع الفقراء والمساكين، وقنا شر الجبابرة المتكبرين، وطهر من الأنانية قلوبنا يا أرحم الراحمين..



(١) رواه مسلم والبيهقي وغيرهما.

الوصية رقم (٨٤)

تحويل القبلة دروس ومواعظ وعبر

عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر، أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فتوجهه نحو الكعبة، وقال السفهاء من اليهود: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] فصلى مع النبي ﷺ رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة(١)..

أيها الموحدون الكرام..

لقد كان النبي ﷺ والمسلمون معه منذ أن فرضت عليهم الصلاة، وحتى بعد الهجرة النبوية بحوالي عام ونصف العام، يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة، فقد مكث ﷺ يتوجه في صلاته بأمر ربه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وهو المدينة المنورة، وكان يحب أن يتوجه في صلاته إلى بيت الله الحرام.. إلى الكعبة المشرفة، وكان مع هذا التوجه ينتظر أن يحوله الله ﷻ، فأجابه الله ﷻ إلى ما يحبه.. أجابه إلى مبتغاه، وأمره أن يتوجه إلى الكعبة المشرفة.. ونزل في ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ ...﴾ [البقرة: ١٤٤] فالمدة التي توجه فيها رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس كانت تقريبًا على أصح الآراء سبعة عشر شهرًا، وحدث التحويل في شهر شعبان على أرجح الروايات.. كيف ذلك؟

معلوم أن النبي ﷺ هاجر إلى المدينة، وكانت هجرته في شهر ربيع الأول.. ومن شهر ربيع إلى شهر شعبان في العام الثاني سبعة عشر شهرًا..

---

(١) رواه البخاري والترمذي وغيرهما.

وعن محمَّد بن كعب القرظي قال: ما خالف نبيٌّ نبيًّا قط في قبلة، ولا في سنة، إلا أنَّ رسول الله ﷺ استقبل بيت المقدس حين قدم المدينة ستة عشر شهرًا، ثم قرأ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ...﴾ [الشورى: ١٣]..

أيها الموحدون الكرام..

وكان لله ﷻ في جعل القبلة إلى بيت المقدس، ثم تحويلها إلى الكعبة حكمة عظيمة، ومحنة للناس، ومنحة للمؤمنين الصادقين.. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]..

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وكان لله في جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها، حكم عظيمة، ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين، فأما المسلمون، فقالوا: سمعنا وأطعنا، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] وهم الذين هدى الله، ولم تكن كبيرة عليهم..

وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا، يوشك أن يرجع إلى ديننا، وما رجع إليها إلا أنه الحق..

وأما اليهود، فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبيًّا، لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء..

وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمَّد أين يتوجه إن كانت الأولى حقا فقد تركها وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل وكثرت أقاويل السفهاء من الناس وكانت كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول منهم ممن ينقلب على عقبيه. ولما كان أمر القبلة وشأنها عظيمًا وطأ - سبحانه - قبلها أمر النسخ وقدرته عليه وأنه يأتي بخير من المنسوخ أو مثله ثم عقب ذلك بالتوبيخ لمن تعنت رسول الله ﷺ ولم ينقد له ثم ذكر بعده اختلاف اليهود والنصارى وشهادة بعضهم على بعض بأنهم ليسوا على شيء وحذر عباده المؤمنين من موافقتهم واتباع أهوائهم ثم ذكر كفرهم وشركهم به

وقولهم إن له ولدًا سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا ثم أخبر أن له المشرق والمغرب وأينما يولي عباده وجوههم فثم أخبر أنه لا يسأل رسوله عن أصحاب الجحيم الذين لا يتابعونه ولا يصدقونه ثم أعلمه أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وأنه إن فعل وقد أعاده الله من ذلك فما له من الله من ولي ولا نصير ثم ذكر أهل الكتاب بنعمته عليهم وخوفهم من بأسه يوم القيامة ثم ذكر خليله باني بيته الحرام وأثنى عليه ومدحه وأخبر أنه جعله إمامًا للناس يأتم به أهل الأرض ثم ذكر بيته الحرام وبناء خليله له وفي ضمن هذا أن باني البيت كما هو إمام للناس فكذلك البيت الذي بناه إمام لهم ثم أخبر أنه لا يرغب عن ملة هذا الإمام إلا أسفه الناس ثم أمر عباده أن يأتموا برسوله الخاتم ويؤمنوا بما أنزل إليه وإلى إبراهيم وإلى سائر النبيين ثم رد على من قال إن إبراهيم وأهل بيته كانوا هودًا أو نصارى وجعل هذا كله توطئة ومقدمة بين يدي تحويل القبلة ومع هذا كله فقد كبر ذلك على الناس إلا من هدى الله منهم وأكد سبحانه هذا الأمر مرة بعد مرة بعد ثالثة وأمر به رسوله حيثما كان ومن حيث خرج وأخبر أن الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم هو الذي هداهم إلى هذه القبلة وأنها هي القبلة التي تليق بهم وهم أهلها لأنها أوسط القبل وأفضلها وهم أوسط الأمم وخيارهم فاختار أفضل القبل لأفضل الأمم كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل الكتب وأخرجهم في خير القرون وخصهم بأفضل الشرائع ومنحهم خير الأخلاق وأسكنهم خير الأرض وجعل منازلهم في الجنة خير المنازل وموقفهم في القيامة خير المواقف فهم على تل عال والناس تحتهم فسبحان من يختص برحمته من يشاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة ولكن الظالمون الباغون يحتجون عليهم بتلك الحجج التي ذكرت ولا يعارض الملحدون الرسل إلا بها..

وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك ليتم نعمته عليهم وليهديهم ثم ذكرهم نعمه عليهم بإرسال رسوله إليهم وإنزال كتابه عليهم ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ثم أمرهم بذكره وبشكره إذ بهذين الأمرين يستوجبون إتمام نعمه والمزيد من كرامته ويستجلبون ذكره لهم ومحبته لهم ثم أمرهم بما لا يتم لهم ذلك إلا بالاستعانة به وهو الصبر والصلاة وأخبرهم أنه مع الصابرين[1]..

(١) «زاد المعاد» لابن القيم الجوزية (٣/ ٥٩-٦٢).

أحبتي الكرام..

ولما كثرت أقوال السفهاء من الناس، والتي أخبر بها الله ﷻ عنها، ليكون معجزة كبرى، لإخباره بذلك.. ﴿ **سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ...** ﴾ [البقرة: ١٤٢] فأنزل الله تعالى جواب السفهاء: ﴿ **قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [البقرة: ١٤٢] أي أن الحكم والتصرف كله لله.. فحيث ما وجهنا توجهنا، ولو وجهنا كل يوم مرات إلى جهات عديدة، فنحن عبيده، وتحت تصرفه وقهره..

وبقدر ما فرح المسلمون بتحويل القبلة، حزن اليهود الذين أكل الحقد والحسد قلوبهم، فحسدوا المسلمين على هذه القبلة، كما أخبرنا المعصوم ﷺ فيما رواه أحمد في مسنده من حديث عائشة - رضي الله عنها -: « **إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها، وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها، وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين** »[1]..

ولقد أكمل الله ﷻ نعمته على أمة الإسلام بهذا التحويل، فصارت أمة مستقلة، لها كيانها، ولها شأنها، ولها معالمها، وبذلك ربط قلوب أتباعه بالأماكن المقدسة، كما ربطها بالكعبة المشرفة، وأيقن المسلمون بهذا التحويل أن الله مستخلفهم في الأرض، لينظر كيف يعملون، وازداد يقينهم بأن الله ناصرهم، وخاذل عدوهم، وأعلمهم أن بيت المقدس سوف يكون هو وما حوله تبعًا للبيت المقدس، وأن رسالة الإسلام هي الرسالة الباقية الممتدة، التي سوف تسري في الآفاق، ويمتد نورها إلى تلك البقاع.. حتى لا يظن أحد أن تحويل القبلة قلل من مكانة المسجد الأقصى في قلب النبي المصطفى ﷺ وأتباعه، بل زادهم حبًّا له، وتمسكًا به، وقد حقق الله لهم ذلك بعزيمتهم الصادقة وبإيمانهم الراسخ، وبجهادهم العظيم، فطهروا المسجد الحرام من الأصنام يوم فتح الرسول مكة، ومعه عشرة آلاف من جنود الحق البواسل، وهو يطوف بالبيت، ويكسر الأصنام، ويقول: جاء الحق.. وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا..

ومن بعده فتح بيت المقدس عمر الفاروق ﷺ وأعيد المسجد الأقصى إلى حوزة

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة وقال البوصيري في « الزوائد »: هذا إسناد صحيح.

الإسلام والمسلمين، ليباشر بث الدعوة مع أخويه المسجد الحرام، والمسجد النبوي الشريف..

وهناك دروس وعبر أخريات من هذا التحويل المبارك ومنها:

الدرس الأول: سرعة تنفيذ أمر الله ﷻ وأمر رسوله وحبيبه ﷺ ففي حديث البراء ﷺ أن رجلاً صلى مع رسول الله ﷺ تجاه البيت الحرام بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ثم خرج فمر على قوم من الأنصار يصلون، فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبي وأنه قد وجه إلى الكعبة.. فماذا حدث؟

هل قالوا: نتم هذه الصلاة إلى بيت المقدس ثم نتوجه إلى الكعبة في الصلاة التي تليها؟ لا والله.. لقد انحرفوا وهم ركوع إلى بيت الله الحرام..

بل إنهم لم ينتظروا رفع رءوسهم من الركوع، فما أسرع تأسيهم! بل وما أعظمه.. إنهم كانوا يسارعون بالسمع والطاعة، ولا يتأخرون لحظة واحدة من تطبيق الأوامر.. فهذا عبد الله بن مسعود ﷺ استوى رسول الله ﷺ يومًا على المنبر، فقال: «**اجلسوا**» فسمعوا هذا الأمر عبد الله بن مسعود ﷺ وهو على باب المسجد، فجلس، فرآه رسول الله ﷺ فقال: «**تعال يا ابن مسعود**»..

لم تسمح نفس ابن مسعود المؤمنة أن يتأخر عن تنفيذ أمر حبيبه المصطفى ﷺ إلى أن يدخل المسجد، ثم يجلس، بل جلس على باب المسجد في لحظة سماعه أمره ﷺ..

وليس هذا شأن ابن مسعود ﷺ وحده، ولكنه شأن أصحابه جميعًا ﷺ. جاء في «الصحيحين» من حديث أنس ﷺ قال: كان أبو طلحة ﷺ من أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب ماله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب..

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩١] جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك هذه الآية، وإن أحب مالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها، وزخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول حيث أراك الله..

فقال رسول الله ﷺ: «**بخ بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت. وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»..

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه[1]. الله أكبر.. هل رأينا في تاريخ هذه الأمة مواقف في السمع والطاعة وسرعة الاستجابة مثل هذه المواقف العظيمة الرائعة؟!

وانظروا رحمكم الله إلى هذا السمو، وهذه الرفعة، وهذه الطاعة، لما أمره رسول الله ﷺ أن يجعلها في أقاربه، لم يسعه إلا السمع والطاعة فقام فقسمها في أقاربه وبني عمه..

إن أصحاب رسول الله ﷺ لما أسلموا وجوههم لله ﷻ، وتأدبوا على مائدته ﷺ ومأدبة القرآن، وتتلمذوا على يد حبيب الرحمن، ملكهم الله الدنيا كلها، ففتحوا البلاد شرقًا وغربًا.. فتحوا بيت المقدس.. ودخل الناس في دين الله أفواجًا..

أما عندما صرنا نختار نفعل أو لا نفعل، صار حالنا كما هو، لا يخفي على إنسان.. ومواقف السمع والطاعة لا يسعنا أن نذكرها في هذا الدرس..

الدرس الثاني: اليهود قوم أهل كذب وافتراء وتشكيك في العقيدة، لذا سماهم الله سفهاء: بل إن هذا الكذب والسفه يجريان في عروقهم، وفي دمائهم، ويترددان مع أنفاسهم، ولذلك فإن من خستهم وحقارتهم أنهم كذبوا على خالقهم، كذبا على الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأخبرنا الله عن ذلك فقال على لسانهم: ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾ [التوبة: ٣٠] تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا..

فكيف تثق أمة القرآن في وعودهم، أو في كلامهم، وقد وصفوا ربهم بأقبح الأوصاف وأشنع الصفات، واستمعوا إلى ذلك الذي أخبرنا به ربنا جل وعلا: ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ**﴾ [المائدة: ٦٤] وصفوا الله الذي بيده خزائن الملك والملكوت بالفقر، ونسبوا الغني لأنفسهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ**﴾

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

[آل عمران: ١٨١] فأمة تطاولت على ربها بهذه الفرية القبيحة أتتعجب في أن تتطاول على بشر من البشر..

اليهود كذبوا كذبة، وافتروا فرية وصدقوها، وروجوا لها في العالم، فرد الله عليهم فريتهم ودحضها في كتابه يوم أن قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]..

اليهود قتلة سفاكين للدماء، فما يتعجب المرء مما يعملوه في إخواننا هناك وهناك في فلسطين وفي العراق وفي الشيشان وأفغانستان وغيرها من بلاد الإسلام.. لأنهم تجرءوا وسفكوا دماء أنبيائهم، فهل يتورعون عن قتل المسلمين؟ فقد قتلوا عددًا من الأنبياء، وحاولوا قتل عيسى ابن مريم، فنجاه الله من كيدهم ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧]..

اليهود قوم خونة، لا يوفون بعهد ولا ميثاق، فهم قد حاولوا نفس المحاولة مع نبينا محمَّد ﷺ يوم جاءته اليهودية بكتف الشاة المسمومة، فحفظه الله من مكرهم وكيدهم، وها هم اليوم يقتلون إخواننا في فلسطين بشدة وعنف، ووالله الذي لا إله إلا هو، لو قدروا على أن يقتلوا أمة الإسلام بأكملها لفعلوا ذلك وما توانوا لحظة واحدة..

إنهم يشككون في نبوة الحبيب المصطفى ﷺ ويقولون: لو كان نبيًّا ما ترك قبلة الأنبياء من قبله.. ثم يقول: إنه متحير لا يدري أين قبلته؟! ثم يشككون الصحب الكرام في أولئك الذين ماتوا وهم يصلون تجاه بيت المقدس.. فرد الله عليهم كذبهم وضلالهم وتشكيكهم.. وكذلك لما سمع الصحابة منهم ذلك سألوا رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما توجه النبي ﷺ إلى الكعبة، قالوا: يا رسول الله فكيف الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣][1]..

وكان أول من صلى تجاه بيت الله الحرام بعد نزول الآية هو الصحابي الجليل سعيد

---

(١) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (٤٦٨٠)، و«صحيح سنن الترمذي» (٢٩٦٤)، وقال: حسن صحيح.

ابن المعلي وصاحبه.. ففي السنن الكبرى للنسائي وعند الطبراني في الكبير عن سعيد بن المعلى ﷺ قال: كنا نغدوا للسوق على عهد رسول الله ﷺ فنمر على المسجد فنصلي فيه، فمررنا يومًا ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر، فقلت: لقد حدث أمر، فجلست، فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ ...﴾ [البقرة: ١٤٤] حتى فرغ من الآية، فقلت لصاحبي: تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله ﷺ فنكون أول من صلى فتوارينا فصلينا ثم نزل رسول الله ﷺ فصلى للناس الظهر يومئذ[1]..

هذا وقد ورد في بعض الروايات أنها صلاة الصبح، وبعضها صلاة العصر، وهنا صلاة الظهر..

قال الحافظ ابن حجر: هذا لا يخالف حديث البراء في «الصحيحين» أنهم كانوا في صلاة الصبح، لأن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة، وهم بنو حارثة ووصل الخبر وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء وذلك في حديث ابن عمر. انتهى..

وفي رواية عند الترمذي - صلى رجل معه العصر، وفي حديث عمارة بن أوس أن الصلاة التي صلاها الرسول إلى الكعبة إحدى صلاتي العشي.. وفي حديث سعيد بن المعلى - صلاة الظهر، والجمع بين هذه الروايات أن من قال: إحدى صلاتي العشي شك هل هي الظهر أو العصر؟ وليس من شك حجة على من جزم، ونظرنا في من جزم فوجدنا بعضهم قال الظهر، وبعضهم قال العصر، ووجدنا رواية العصر أصح لثقة رجالها، وإخراج البخاري لها في صحيحه، وأما حديث كونها الظهر، ففي إسنادها مروان بن عثمان، وهو مختلف فيه[2]..

الدرس الثالث: أن بيت المقدس هو قبلة المسلمين الأولى، وقبلة الأنبياء السابقين من بني إسرائيل.. قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -:

المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس الذي هو في إيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٠٠٤) (جـ٦/ ٢٩٢)، وفي إسناده مروان بن عثمان مختلف فيه.

(٢) «تحفة الأحوذي» (١/ ٣٧٣).

الأعظم، والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لكن المسجد الحرام بني قبل بيت المقدس، وكان يطاف به، ويتعبد فيه، ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: « **المسجد الحرام** »..

قلت: ثم أي؟ قال: « **المسجد الأقصى** »..

قلت: كم بينهما؟ قال: « **أربعون سنة** »[١]..

والله تبارك وتعالى ذكر أنه أول بيت وضع للناس، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ ...** ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون، ويعتكفون عنده..

وبكة من أسماء مكة على المشهور، قيل: سميت بذلك، لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة، بمعنى يُبكون بها، ويخضعون عندها، وقيل لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون..

ولهذا كان النبي ﷺ يشتاق أن يعود إلى القبلة الأولى، فحقق الله ﷻ له ما تمناه..

الدرس الرابع: أن الأنبياء جميعهم رسالتهم في الأصل واحدة، وهي دعوة الناس إلى توحيد الله ﷻ، وإن اختلفت الفروع، قال ﷺ: « **الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي** »[٢]..

قال النووي – رحمه الله – في شرحه:

قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل الإيمان واحد، وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع، فوقع فيها الاختلاف[٣].. ورسولنا وحبيبنا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد عرف أهل الكتاب وصفه، وصفته ومهاجره.. قال تعالى: ﴿ **يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٤٦]..

---

(١) رواه مسلم والبخاري وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) « شرح مسلم بشرح النووي » (٨/ ٩٠).

وسوف يكون شهيدًا عليهم وعلى جميع الأمم يوم القيامة.. قال ﷺ: « **يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم، فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمَّد وأمته** » وعند الترمذي: « **فيؤتى بكم تشهدون أنه قد بلغ، فذلك قول الله تعالى:** ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣]».

قال ابن كثير: يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم ﵇، واخترناها لكم، لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لكم بالفضل..

ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا، خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿ **هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾ [الحج: ٧٨]..

وأهل الكتاب يعلمون أنه نبي حقًّا وصدقًا لكنهم يكابرون ويعاندون حقدًا وحسدًا.. فعن عمر بن الخطاب ﵁ أنه سأل عبد الله بن سلام ﵁ عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني، قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك فيه أنه نبي، فأما ولدي، فلعل والدته خانت، فقبل عمر رأسه - رضي الله عنهما -..

أحبتي في الله..

إن هناك أبعادًا كثيرة لهذا التوجه إلى الكعبة المشرفة قد غابت عن حياة كثير من المسلمين، فأصبح الأمر عندهم أقرب للعادة منه للعبادة، إن تولية الوجوه إلى البيت الحرام تقتضي الحضور الدائم لمعاني الولاء والموالاة، ومعاني الصلاة والحج وأسرارهما، وكل عبادة مرتبطة باستقبال هذا البيت المعظم، يولي المسلم وجهه شطر البيت الحرام، ليتذكر تاريخ البيت وبناء البيت على التوحيد الخالص.. يولي وجهه شطر المسجد الحرام ليتذكر الخليل إبراهيم وولده إسماعيل وهما يقسمان بنيان البيت ويرفعان قواعده.. يولي وجهه نحو البيت الحرام، ليتذكر ألوان العذاب، التي لقيها المسلمون المستضعفون فيظلها، وعلى جنباتها، والنبي ﷺ مسندًا ظهره إليها، ويقول مطمئنًا

ومؤكدًا: « **والله ليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[١]، وحكمة أخرى تتجلى حين التأمل في التوجه إلى بيت الله الحرام واستقباله، وهي أن المقصود بالعبادات كلها: تمام الخضوع والخشوع لله ﷻ، وبمقدار استحضار المعبود، وعظمته وجلاله، يقترب العبد من أعلى مراتب العبودية، وهي مرتبة الإحسان، والإحسان: « **أن تعبد الله كأنك تراه** ... »[٢] فيكون التوجه إلى الكعبة مساعدًا لهذا الاستحضار العظيم..

القبلة رمز للوحدة والتوحيد، ورمز لتمييز المسلم عن غيره.. فإلههم واحد وهو الله.. ونبيهم واحد.. محمَّد ﷺ ودينهم واحد.. وهو الإسلام وقبلتهم واحدة.. وهدفهم واحد.. عبادة ربهم.. وغايتهم واحدة.. النور بجنته ورضوانه.. هذه الوحدة مع اختلاف الأوطان.. والأجناس.. والألوان واللغات..

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يخذل من خذل المسلمين..

اللهمَّ وحد كلمتهم ووحد صفوفهم، واجمعهم على كلمة سواء.. اللهمَّ أذل الشرك والمشركين، وعليك يا ربنا بأعدائك أعداء الدين.. اللهمَّ عليك باليهود والمعتدين.. اللهمَّ أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم يا ربنا أحدًا.. اللهمَّ دمر من طغى وبغى، يا من لا يعجزك شيء في الأرض ولا في السماء.. اللهمَّ اكتب لنا صلاة في المسجد الأقصى، أو شهادة في سبيلك.. اللهمَّ اكتب لنا صلاة في رحابه، أو شهادة على أعتابه يا رب العالمين..

اللهمَّ وفق ولاة أمورنا إلى ما تحبه وترضاه، وخذ بناصيتهم إلى البر والتقوى.. اللهمَّ أصلح بلاد المسلمين، وانشر في الأرض دينك ودين نبيك، وأبدل ضائقة المسلمين سعة وسعادة وهناء يا رب العالمين..



---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

الوصية رقم (٨٥)

هلاّ بادرت قبل تلك الليلة

عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **يطلع الله عز وجل إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

هذا القبس النبوي المبارك يخبرنا فيه عن فضيلة ليلة من أعظم الليالي في حياة المسلم.. إنها ليلة النصف من شهر شعبان..

إنها ليلة المنة الكبرى.. إنها ليلة العفو والغفران..

فكم لله فيها من مغفور له!

وكم فيها من محجوب عن المغفرة.. فيا ترى من أي الفريقين سوف تكون إن الله ﷻ هو الذي خلق الزمان، وفضل بعضه على بعض، وشرع لعباده من الطاعات ما يتقربون به إلى ربهم، ويتعرضون بها إلى نفحات رحمته بهم.. فقد قال من لا ينطق عن الهوى ﷺ: « **افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم** »[2]..

وفي رواية: « **إنَّ لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا** »[3]..

وهذه الليلة الطيبة المباركة قد ورد في فضلها أحاديث صحح بعض العلماء بعضًا منها، وضعفها آخرون، وإن أجازوا الأخذ بها في فضائل الأعمال، ومن هذه الأحاديث

(١) **حسن صحيح**: رواه الطبراني وابن حبان والبيهقي، وقال الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب »: حسن صحيح برقم (١٠٢٦).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في « الأوسط » و« الكبير »، وحسنه الألباني في « الصحيحة » رقم (١٨٩٠).

(٣) نفس المرجع السابق.

حديث معاذ بن جبل ﷺ الذي ذكرناه في أول الوصية، وقد روى عن كثير بن مرة عن النبي ﷺ قال: « **في ليلة النصف من شعبان، يغفر الله لأهل الأرض، إلا مشرك أو مشاحن** »[١]..

وقد رواه ابن ماجة من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **إن الله تعالى ليطلع في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك ومشاحن** »[٢]..

وفي رواية: « **إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه** »[٣]..

يا له من فضل كبير من رب رءوف رحيم..

يا لها من ليلة يطلع الله فيها على عباده إطلاعة رحمة..

فهل فكرنا في هذه المنة الكبرى..

إنها مغفرة الذنوب كلها، بدون سبب، وبدون عمل، إلا الكرم والرحمة ممن وسعت رحمته كل شيء..

إنه ليس بيننا وبين هذه المنة العظمى إلى تخصيص نهارها بصيام، ولا تحتاج تلك الليلة بقيام، أو أي نوع من أنواع العبادات..

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فخرجت، فإذا هو بالبقيع، رافع رأسه إلى السماء، فقال لي: « **أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟** »، قالت: قلت: ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال: « **إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب** »[٤]..

وقد ذكر ابن رجب في لطائفه مرويًا عن كعب قال: إن الله ﷻ يبعث ليلة النصف

---

(١) صحيح لغيره: رواه البيهقي وقال: هذا مرسل جيد، وقال الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (٢٧٧٠): صحيح لغيره.

(٢) حسن: رواه ابن ماجة (١٣٩٠)، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٨١٩).

(٣) حسن: رواه الطبراني والبيهقي عن أبي ثعلبة، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٧٧١).

(٤) حسن: رواه أحمد في « مسنده » (٢٥٨٩٦)، وحسنه حمزة الزين (جـ١٨/ ١١٤)، وقال: رواه الترمذي (٧٣٩)، وقال الترمذي: نقل عن البخاري تضعيف الحجاج بن أرطأة، ورواه ابن ماجة.

من شعبان جبريل عليه السلام إلى الجنة، فيأمرها أن تتزين، ويقول: إن الله قد أعتق في ليلتك هذه، بعدد نجوم السماء، وعدد أيام الدنيا ولياليها، وعدد ورق الشجر، وزنة الجبال، وعدد الرمال[١]..

وعن عطاء بن يسار - رحمه الله - قال: ما من ليلة بعد ليلة القدر، أفضل من ليلة النصف من شعبان، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده كلهم، إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم[٢]..

فيا من أعتق فيها من النار، هنيئًا لك هذه المنحة الجسيمة، ويا أيها المردود فيها، جبر الله مصيبتك، فإنها مصيبة عظيمة..

أحبتي في الله..

بهذه الأحاديث، وبتلك الآثار وغيرها يمكن أن يقال: إن لليلة النصف من شعبان فضلاً، وليس هناك ما يمنع.. فقد روي النسائي عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان..

قال: « **ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله، وأحب أن يرفع عملي، وأنا صائم** »[٣]..

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شهر شعبان »[٤]..

وعند النسائي: « ما رأيت النبي ﷺ في شهر أكثر صيامًا منه في شهر شعبان، كان يصومه إلا قليلاً، بل كان يصومه كله »[٥]..

وعند أبي داود قالت: كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان..

(١) « لطائف المعارف » (ص٢٦٤).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) حسن: رواه النسائي (٢٣٥٧) ألباني، وحسنه في « صحيح الترغيب » (١٠٢٢).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٥) صحيح: « صحيح سنن النسائي » للألباني (٢١٧٩).

لكن هل كان النبي ﷺ يحتفل بليلة النصف من شعبان ويخصها بصيام أو قيام؟

لقد ثبت أن النبي ﷺ كان يحتفل بشهر شعبان، وكان احتفاله بالصوم في معظم الشهر.. لكنه لم يكن يخص يوم النصف بالذات..

وكان كثير القيام بالليل، في شعبان وفي غير شعبان، حتى كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له: لم تفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: « **أفلا أكون عبدًا شكورًا؟** »[١]..

وكان يصوم يوم النصف مع الأيام الثلاثة البيض من كل شهر، **الثالث عشر** والرابع عشر، والخامس عشر.. وكان قيامه ليلة النصف كقيامه في أية ليلة..

وكان هذا الاحتفال شخصيًا.. يعني لم يكن في جماعة، والصورة التي يحتفل بها الناس اليوم لم تكن في أيامه ﷺ ولا في عصر صحابته الكرام ولكن حدثت في عهد التابعين، يذكر الإمام القسطلاني في كتابه « المواهب اللدنية »: أن التابعين من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول كانوا يجتهدون ليلة النصف من شعبان في العبادة.. والتضرع إلى الله ﷻ وعنهم أخذ الناس الاجتهاد فيها.. وقد أنكره أكثر العلماء من أهل الحجاز منهم عطاء وابن أبي مليكة، وغيرهم..

وخلاصة كلام القسطلاني في المواهب اللدنية أن إحياء ليلة النصف قال به بعض العلماء، ولم يقل به البعض الآخر..

وما دام الأمر خلافيًا فيصح الأخذ بأحد الرأيين دون تعصب ضد الرأي الآخر..

أحبتي في الله..

وما دام الأمر كذلك، وليلة النصف من شعبان ليلة المغفرة والرضوان من الرحيم الرحمن جل في علاه.. لمن يكون هذا العفو والغفران، والرضى والرضوان؟ لمن حقق التوحيد.. لذلك ينبغي على المسلم أن يتجنب الذنوب التي تمنع هذا الغفران، وقبول الدعاء، وقد جاء في الوصية التي نحن بصدد الحديث عنها أن شيئين يمنعان ذلك وهما: الشرك بالله - والشحناء، وفي بعض الروايات القتل، والحقد.. وهي من كبائر

---

(١) رواه البخاري وغيره.

الذنوب وأعظمها عند الله ﷻ، كما في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود ؓ أنَّ رسول الله ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** »..

قال: ثم أي؟ قال: « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** »..

قال: ثم أي؟ قال: « **أن تزاني حليلة جارك** »(١)..

فما أحوجنا أن نفتش في داخلنا، ونسأل أنفسنا: هل حققنا التوحيد، وابتعدنا عن الإشراك بالله ﷻ.. وهو الذنب الذي لا يغفر الله ﷻ لصاحبه، إلا أن ينتهي عنه.. ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ...** ﴾ وقال سبحانه: ﴿ **مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة: ٧٢] فما أحوجنا أن نفتش في داخلنا عما يمكن أن نكون قد ابتلينا به من شركيات فإنه لا يأمن على نفسه من الوقوع في الشرك، إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه، فعن أبي موسى الأشعري ؓ قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: « **يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل** » وليعلم المسلم أن التوحيد ليس متاعًا يورث، حتى نقول: إننا موحدون أبناء موحدين، رغم ما يقع فيه المرء منا من صور الشرك، وهو لا يدري، ولذلك سأل الرجل رسول الله ﷺ: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: « **قولوا: اللهمَّ إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه** »(٢)..

أيها الموحدون الكرام..

ومن الذنوب المانعة من المغفرة أيضًا: الشحناء، وهي حقد المسلم على أخيه بغضًا له هوى في نفسه.. وهو مانع للمغفرة في أكثر الأوقات، التي تنزل فيها المغفرة والرحمة، قال ﷺ: « **تفتح أبوب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد، لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: أنظروا هذين حتى يصطلحا** »(٣)..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه أحمد في « مسنده » وغيره، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٧٣٠)، و« صحيح الترغيب » (٣٦).

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

وقد فسر الأوزاعي - رحمه الله - هذه الشحناء المانعة بالذي في قلبه شحناء لأصحاب النبي ﷺ ولا ريب أن هذه الشحناء أعظم جرمًا من مشاحنة الأقران بعضهم بعضًا[١]..

وعن الأوزاعي أنه قال: المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها الأمة، وكذا قال ابن ثوبان: المشاحن هو التارك نبيه ﷺ الطاعن على أمته، السافك دمائهم. وهذه الشحناء - أعني شحناء البدعة - توجب الطعن على جماعة المسلمين، واستحلال دماءهم، وأموالهم وأعراضهم، كبدع الخوارج والروافض ونحوهم[٢]..

فسلامة الصدر من الغل والحقد والبغضاء، وإرادة الخير للمسلمين ونصيحتهم وأن يحب المرء لهم ما يحبه لنفسه.. فقد وصف الله ﷻ أهل الإيمان بسلامة صدورهم لإخوانهم من المسلمين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وفي المسند من حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال لأصحابه ثلاثة أيام: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فيطلع رجل واحد، فاستضافه عبد الله بن عمرو، فنام عنده ثلاثًا، لينظر عمله، فلم ير له في بيته كبير عمل، فأخبره بالحال، فقال له: ما هو إلا ما ترى إلا أني أبيت وليس في قلبي شيء على أحد من المسلمين..

فقال عبد الله: بهذا بلغ ما بلغ..

وفي سنن ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب، صدوق اللسان**»..

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟

قال: «**هو التقي النقي، الذي لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد**»[٣]..

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجة والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٨٩)، و«صحيح سنن ابن ماجة» برقم (٤٢١٦)، و«الصحيحة» (٩٤٨).

وقال بعض السلف: أفضل الأعمال، سلامة الصدور، وسخاوة النفوس ولا يزال الشيطان بالعبد، يبغض إليه إخوانه، حتى يصيره وحيدًا، فيتسلط عليه - قال ﷺ: « **فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية** »[1]..

وعن أبي قلابة قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرًا، فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه[2]. فيا من أضمر لأخيه الشحناء، وقصد له الإضرار ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ** ...﴾ [إبراهيم: ٤٢] يكفيك حرمان المغفرة في أوقات مغفرة الأوزار..

أحبتي في الله..

وكفى والله بالمشاحنة خطرًا أن جمع الرسول بينها وبين الشرك بالله..

كفى بها ذنبًا عظيمًا أن تحول بينك وبين مغفرة ذنوبك..

فهلا بادرت فصالحت وأصلحت ما بينك وبين إخوانك من المسلمين..

يا أخي..

ألا تستحق المغفرة أن نضحي من أجلها؟! ألا تستحق المغفرة أن نتنازل عن شيء من حقوقنا وكبريائنا لله، ليغفر لنا في تلك الليلة المباركة..

ماذا جنيت من حقد لأخيك، إلا الغل الذي يأكل قلبك، ويحجب عنك المغفرة؟! يقول المصطفى ﷺ: « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام** »[3]..

فإذا كان بينك وبين أحد من إخوانك المسلمين قطيعة وشحناء، فبادر بإصلاحها.. عليك أن تذهب في الحال، وتطرق باب الذي شاحنته - ولو كان هو المخطئ - وقل

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وابن خزيمة، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٤٢٧)

(٢) « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٣/ ٢٣٥).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم.

له: السلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، يقول رسول الله ﷺ: « **لن تدخلوا الجنة، حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم** »[١]..

نعم بادر إلى أخيك المسلم، وقل له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. قلها من قلبك.. قلها وأنت تستشعر المغفرة في تلك الليلة أن تحجب عنك - انتهز الفرصة.. الفرصة ثمينة.. مغفرة الذنوب كلها..

أيها الأحبة الكرام..

بقي بعض الأمور التي نريد التنبيه عليها، ومنها:

١ - هل الصلاة بنية طول العمر أو سعة الرزق مشروعة؟

الصلاة بنية التقرب إلى الله ﷻ لا مانع منها، فهي خير موضوع، كما قال النبي ﷺ: « **الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر، فليستكثر** »[٢]..

والتنفل المطلق بين المغرب والعشاء لا مانع منه.. وهو مسنون عند بعض الفقهاء.. وبعد العشاء كذلك.. وهو قيام الليل.. أما إنه بنية طول العمر، أو سعة الرزق، أو غير ذلك، فليس عليه دليل مقبول يدعو إليه، أو يستحسنه..

قال الإمام النووي - رحمه الله - في كتابه « المجموع » (جـ٤/ ٥٦):

الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي ثنتا عشرة ركعة تصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، وهاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا تغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب، وإحياء علوم الدين، ولا بالحديث المذكور فيهما، فإن ذلك كله باطل، ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة، فصنف ورقات في استحبابهما، فإنه غالط في ذلك، وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمَّد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابًا نفيسًا في إبطالهما، فأحسن فيه

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

(٢) حسن: رواه الطبراني في « الأوسط »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٥٧٠)، و« صحيح الترغيب » (٣٩٠).

وأجاد - رحمه الله -[١]..

٢- **الأمر الثاني**: هل ليلة النصف من شعبان هي التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان: ٤] كما زعم بعضهم؟

الحق أن المراد بهذه الليلة في آية الدخان ليلة القدر، وبه قال ابن عباس والحسن البصري ومجاهد، وقتادة وغيرهم من السلف..

قال ابن العربي - رحمه الله - في « أحكام القرآن »:

وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر، ومنهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان وهو باطل، لأن الله ﷻ قال في كتابه الصادق القاطع ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ...** ﴾ [البقرة: ١٨٥] فنص على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عبر عن زمانه وهو الليل هاهنا بقوله: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ...** ﴾ [الدخان: ٣] فمن زعم أنه في غيره، فقد أعظم الفرية على الله[٢]..

وقال الشوكاني - رحمه الله - في « فتح القدير »:

والحق ما ذهب إليه الجمهور من أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، لا ليلة النصف من شعبان، لأن الله ﷻ أجملها وبينها في سورة البقرة بقوله: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ...** ﴾ [البقرة: ١٨٥] وبقوله في سورة القدر ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ** ﴾ [القدر: ١] فلم يبق بعد هذا البيان الواضح ما يوجب الخلاف، ولا ما يقتضي الاشتباه[٣]..

٣- **الأمر الثالث**: وهو الدعاء المشهور، وهو ما يسمى بدعاء ليلة النصف من شعبان والحق أنه لم يثبت عن النبي ﷺ ولا في أحد الأدعية الصحيحة، ومن ادعى أنه من أدعية عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود، فليثبت ذلك، وقد تحدث العلماء عن نقطتين هامتين في هذا الدعاء، في مسألة المحو والإثبات في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ، وهو سجل علم الله ﷻ الذي لا يتغير ولا يتبدل والنقطة الثانية هو كونه

(١) « المجموع » للإمام النووي (٤/ ٥٦).

(٢) « أحكام القرآن » لابن العربي (٤/ ١٦٩٠).

(٣) « فتح القدير » للشوكاني (٤/ ٨١١).

خاص بليلة النصف..

والحقيقة أن الحق واضح.. الحق أبلج، فإن أي دعاء بأية صيغة يشترط فيه ألا يكون معارضًا ولا منافيًا للصحيح من العقائد والأحكام..

ولا داعي لهذا الدعاء، فالدعاء المأثور في الكتاب والسنة أفضل، والخير في الاتباع، لا في الابتداع.. والواجب على المسلم أن يكون متبعًا للنبي ﷺ متأسيًا به، حتى يضمن بذلك سعادة الدنيا، ونعيم الآخرة، كما قال ﷺ: « **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى** »..

قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟ قال: « **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى** »[1] ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣]..

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا وقدوتنا محمَّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين..

اللهمَّ ارض عن خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وارض عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين..

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين.. وأذل الشرك والمشركين.. ودمر أعداءك أعداء الدين..

اللهمَّ أمنَّا في أوطاننا.. واحفظ نساءنا وبناتنا.. وأصلح ولاة أمورنا.. واغفر ذنوبنا.. وأصلح أحوالنا.. وبارك لنا في أرزاقنا.. يا رب العالمين..

---

(١) رواه البخاري.

الوصية رقم (٨٦)

الحث على تعزية المسلم لأخيه المسلم

عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من عزى أخاه المؤمن في مصيبة، كساه الله حلة خضراء، يُحبر بها يوم القيامة**» قيل: يا رسول الله، ما يحبر بها؟ قال: «**يغبط بها**»[(١)]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

هذا هو حال الدنيا التي نعيشها، إن أضحكت يومًا، أبكت دهرًا، وإن سرت يومًا، أحزنت شهورًا..

وهذه الوصية الكريمة تحث المسلم أن يعزي أخاه المسلم في مصيبة، فهي لا تختص بالموت، وربما أطلقت لأن الموت من أعظم المصائب، كما قال الله ﷻ: ﴿**إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ** ...﴾ [المائدة: ١٠٦]..

فما هي التعزية؟ وما حكمها؟ وما الحكمة منها؟ وما وقتها؟ وما مدتها؟ وما هي الصيغ الواردة فيها؟ وما حكم الجلوس لها؟

كل هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الله تعالى..

أما التعزية فهي مصدر الفعل عزى، يقال: عزيته تعزية، والعزاء: الصبر عن كل ما فقد الإنسان، يقال: عزيت فلانًا أعزيه تعزية أي آسيته، وضربت له الأسى، وأمرته بالعزاء فتعزى تعزيًا أي تصبر تصبرًا، وتعازى القوم: عزى بعضهم بعضًا.. هذا تعريف علماء اللغة..

وللفقهاء تعريفات متقاربة للمعنى اللغوي..

قال الإمام النووي - رحمه الله - في كتابه القيم «المجموع»، وكتاب «الأذكار

---

(١) حسن: رواه الخطيب (٧/ ٣٩٧)، وابن عساكر، وحسنه الألباني في «الإرواء» رقم (٧٦٤) (جـ٣/ ٢١٧).

النووية»: هي التصبر، وذكر ما يسلي صاحب الميت، ويخفف حزنه، ويهون مصيبته[١]..

وجاء في «رد المحتار»: تعزية أهل الميت: تصبيرهم، والدعاء لهم..

وجاء في «كشف القناع» للبهوتي: التعزية: التسلية، وحث المصاب على الصبر، بوعد الأجر، والدعاء للميت، إن كان مسلمًا[٢]..

أما حكمها: فقد قال أهل العلم بأن التعزية مستحبة، وهذا محل اتفاق بين العلماء، فقد حث النبي على التعزية فقال ﷺ: «**من عزى مصابًا فله مثل أجره**» وقال: «**ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة، إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة**»[٣]..

وعن قرة بن إياس رضي الله عنه أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: «**تحبه**» قال: نعم يا رسول الله.. أحبك الله كما أحبه. ففقده النبي ﷺ فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ قالوا: يا رسول الله، مات..

فقال له النبي ﷺ على سبيل العزاء والتسلية عن فقده: «**ألا تحب أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة، إلا وجدته ينتظرك**»..

فقال رجل: يا رسول الله، أله خاصة، أم لكلنا؟

قال: «**بل لكلكم**»[٤]..

والحكمة من مشروعيتها: أن فيها ثواب كثير، ومصالح جمة، ومن أهمها: تهوين المصيبة على المعزي، وتسليته عنها، وحضه على التزام الصبر واحتساب الأجر، والرضا بالقضاء والقدر، والتسليم لأمر الله، والدعاء بأن يعوض الله المصاب من مصابه جزيل الثواب.. والدعاء للميت والترحم عليه، والاستغفار له، وترغيب أهل الميت بالأجر الجزيل، ليكون فتحًا لباب التوجه إلى الله عز وجل، وأن ينهوا عن النياحة، وشق الجيوب، وسائر ما يذكر المصاب من الأسى والحزن، ويتضاعف معه الحزن والقلق واستحباب

(١) «المجموع» للنووي، و«الأذكار النووية».

(٢) «رد المحتار» (٦/ ٢٦٠)، و«كشف القناع» للبهوتي (٢/ ١٦٠)، و«حاشية البيجرمي» (٥/ ٤٣٤).

(٣) صحيح: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٥)، و«صحيح الترغيب» (٣٥٠٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه ابن حبان والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٦٣)، و«صحيح الترغيب» (٢٠٠٧).

التعزية أمر عضود بالتعزية على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وهي داخلة في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ... ﴾ [المائدة: ٢]..

ومن أفضل الأعمال عند المصائب، وحلول المحن، الصبر على ذلك، واحتساب الأجر عند الله ﷻ، فمن صفات أهل الإيمان، الصبر على القضاء والقدر، خيره وشره، حلوه ومره..

فعن أنس ﷺ قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال لها: « **اتقي الله واصبري** »..

قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه - فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت بابه، فلم تجد عنده بوابين.. فقالت له: لم أعرفك.. فقال ﷺ: « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** »[1]..

تعز بحسن الصبر عن كل هالك ... ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم

إذا أنت لم تسل اصطبارًا وحسبة ... سلوت على الأيام سلو البهائم

وقد ورد من الأذكار المباركة عند حلول المصيبة: الاسترجاع، أي قول المصاب إنا لله، وإنا إليه راجعون.. قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾** ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧] وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: « **ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله به (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهمَّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها** »[2]..

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين، لما جمعت من المعاني المباركة.. فإن قوله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقوله: ﴿ **وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ إقرار بالهلاك على أنفسنا والبعث من قبورنا، واليقين أن رجوع الأمر كله إليه، كما هو له..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

قال سعيد بن جبير - رحمه الله - لم تعط هذه الكلمات نبيًّا قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب، لما قال: يا أسفى على يوسف[١]..

ويظهر من الآية الكريمة المباركة أن الصابرين يجاوزون بثلاث خصال عظيمة:

١- صلاة من ربهم. ٢- ورحمة. ٣- وأولئك هم المهتدون..

والذين يصبرون على ما أنزل الله عليهم من المصائب يؤتون أجرهم مرتين، قال تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [القصص: ٥٤]..

والصابرون يجزون الجنات.. قال تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا** ﴾ [الفرقان: ٧٥] وقبل ذلك كله يكفر الله عنهم بذلك الخطايا والسيئات.. قال خير الكائنات ﷺ: « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا همّ، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه** »[٢]..

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: « **ما من مصيبة تصيب المسلم، إلا كفَّر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها** »[٣]..

لا تكره المكروه عند حلوله	**إن الحوادث لم تزل متباينة**
كم نعمة لا يستهان بشكرها	**لله في طي المكاره كامنة**

ومما ينبغي على المصاب أن يرضى بقضاء الله ﷻ وقدره، فالرضا بقضاء الله ﷻ منزلة رفيعة، لا يصل إليها كل أحد من الناس، لأن المرء قد يصبر ولكنه غير راض، لكن الأكمل في حق المسلم أن يصبر مع الرضا.. لأن ذلك سبب لرضى الله عنه، قال ﷺ: « **إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط** »[٤]..

---

(١) القرطبي (٢/ ١١٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٣) رواه البخاري.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي وابن ماجة، صححه الألباني في « الصحيحة » برقم (١٤٦).

قال ابن مسعود ﷺ: إنَّ الله بقسطه وعلمه، جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط[١].

وقال ابن عون - رحمه الله -: ارض بقضاء الله من عسر ويسر، فإن ذلك أقل همك، وأبلغ فيما تطلب من أمر آخرتك..

وينبغي على المسلم المصاب ترك النياحة، والنياحة هي ندب الميت وبكائه وتعداد محاسنه، وقد ورد النهي عن ذلك في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه أبو هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **اثنتان في الناس، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت** »[٢]..

وعن سلمان ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **ثلاثة من الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن في النسب والنياحة** »[٣]..

كما ينبغي على المسلم إذا أصيب بمصيبة، أن لا يضرب الوجه، ولا يدعو بدعوى الجاهلية، فقد قال ﷺ: « **ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية** »[٤]. والمراد ندب الميت، وقيل: الدعاء بالويل والثبور وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، وقد يعفي عن الشيء اليسير من ذلك، إن كان صادقًا، وليس على وجه النوح والتسخط، نص عليه الإمام أحمد - رحمه الله -[٥]..

وخمش الوجوه، وشق الجيوب من يفعلها فهو مطرود من رحمة الله، قال ﷺ: « **لعن الله الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور** »[٦]..

وليعلم كل من فقد له حبيب.. صاحب أو صديق، أو أب أو أخ، فمن أعظم

---

(١) أخرجه البيهقي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٠٥٥).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

(٥) فتح المجيد: (ص٢١٩).

(٦) صحيح: رواه ابن ماجة وابن حبان في « صحيحه » عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٠٩٢).

المصائب على المسلم فقد الحبيب الأعظم ﷺ كيف لا وبموته قد انقطع الوحي، وختمت النبوة، وظهرت الفتن.. قال ﷺ فيما روته عنه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: « **يا أيها الناس، أيما أحد من الناس، أو من المؤمنين، أصيب بمصيبة، فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي** »(١)..

قال أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

أو ما ترى أن المصاب جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة ... هذا سبيل لست فيه بأوحد

فإذا ذكرت محمَّدًا ومصابه ... فاذكر مصابك بالنبي محمَّد

أحبتي في الله..

ما وقت التعزية؟

والتعزية جائزة قبل الدفن وبعده، وهذا رأي الجمهور ويمتد إلى ثلاثة أيام، وأولها أفضل، وهي بعد الدفن أفضل منها قبله، لأن أهل الميت مشغولون قبل الدفن بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد الدفن لفراقه أكثر، وهذا إذا لم يُر منهم جزع شديد، وإلا قدمت لتسكينهم، وتسليتهم، وتكره تنزيهًا بعد الثلاثة، لأن منها تسكين قلب المصاب، والغالب سكونه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن، إلا أن يكون المعزى أو المعزّي غائبًا، فلا بأس بالتعزية بعد ثلاث - والحاضر الذي لم يعلم بالموت كالغائب(٢)..

وهل للتعزية مدة معينة؟ وهل تكرر التعزية؟

مدة التعزية ثلاثة أيام بعد الدفن على التقريب لأعلى التحديد، وتكره التعزية بعد الثلاثة على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لإذن الشارع في الثلاثة؛ بقوله ﷺ: « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام، إلا على زوجها أربعة**

(١) صحيح: رواه ابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٧٨٧٩).

(٢) « الدين الخالص » (٨/ ٦٦) للشيخ محمود خطاب السبكي.

أشهر وعشرًا»[١]..

ولأن المقصود من التعزية تسكين قلب المصاب، والغالب سكونه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن.. ويستثني الجمهور من ذلك ما إذا كان المعزي أو المعزَّى غائبًا حال الدفن كما ذكرنا..

وحكي عن بعض الشافعية[٢]، وبعض الحنابلة[٣] أنه لا أمد للتعزية، بل تبقى بعد ثلاثة أيام، وإن طال الزمان، لأن الغرض الدعاء، والحمل على الصبر، والنهي عن الجزع، وإن طال الزمان، لأن الغرض الدعاء، والحمل على الصبر، والنهي عن الجزع، وذلك يحصل مع طول الزمان..

وهذا رأي شيخنا الألباني - رحمه الله تعالى - حيث قال: ولا تحد التعزية بثلاثة أيام لا يتجاوزها، بل متى رأى الفائدة في التعزية، أتي بها، فقد ثبت عنه ﷺ بعد الثلاثة.. واستدل بحديث عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - عندما استشهد أبوه جعفر في غزوة مؤتة.. يقول عبد الله بن جعفر: لما أتى الخبر إلى النبي ﷺ خرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: « **إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيدًا أخذ الراية، فقاتل حتى قتل، واستشهد** ».. ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله (خالد بن الوليد) ففتح الله عليه » فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم، ثم أتاهم، فقال: « **لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا إلى ابن أخي** »..

قال عبد الله: فجيء بنا كأنَّا أفراخ، فقال: « **ادعوا لي الحلاق** »، فجيء بالحلاق، فحلق رءوسنا، ثم قال: « **أما محمَّد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله، فشبيه خلقي وخُلقي** »..

ثم أخذ بيدي، فقال: « **اللهمَّ أخلف جعفرًا في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه** » قالها ثلاث مرات..

قال عبد الله: فجاءت أمنا، فذكرت له يتمنا، وجعلت تُفرح له - أي تحزنه وتغمه -

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) « المجموع للنووي » (٥/ ٣٠٦).

(٣) « الإنصاف » (٢/ ٥٦٤).

فقال لها: «**العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة**»[١]. وأما تكرار التعزية فيكره تكرارها.. فلا يعزي عند القبر من عزى قبل ذلك، وذلك لأن في التعزية الثانية استدامة الحزن أو تجديده..

ويستحب أن يعم بالتعزية جميع أهل المصيبة كبارهم وصغارهم، ويخص خيارهم، وذو الضعف منهم عن تحمل المصيبة لحاجته إليها[٢]..

واتفق أهل العلم على أن الرجل لا يعزي المرأة الشابة، إلا إذا كانت من محارمه، خشية الفتنة.. وذكر العلماء أن الحق لا يُترك لباطل، فيعزي من شق ثوبه أو نحوه كغيره[٣]..

أحبتي الكرام..

هل للتعزية ألفاظ معينة؟ أو صيغة واردة يجب الالتزام بها؟

والذي يدل عليه أقوال العلماء - رحمهم الله - أنه لا حجر في لفظ التعزية، ولا تعيين، فبأي لفظ عزاه، حصلت..

قال الموفق: لا نعلم في التعزية شيئًا محدودًا، إلا أنه روي أن النبي ﷺ عزى رجلاً، فقال: «**رحمك الله وآجرك**»..

وذكر الإمام النووي[٤] - رحمه الله - أن أحسن ما يعزي به هو ما ثبت في الصحيح عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ إليه تدعوه وتخبره أن صبيًّا لها، أو ابنًا، في الموت، فقال للرسول: «**ارجع إليها، فأخبرها، أن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر، ولتحتسب**»[٥]..

فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١٧٥٠).

(٢) «المغني» (٣/ ٤٨٥) لابن قدامة، و«المجموع» (٥/ ٣٠٥)، و«كشف القناع» (٢/ ١٥٩).

(٣) «الإنصاف» (٢/ ٥٦٤)، و«كشف الخفا» (٢٤/ ١٦٠).

(٤) «الأذكار» للنووي (ص١٢٧).

(٥) رواه مسلم «كتاب الجنائز» باب البكاء على الميت (٣/ ٣٩).

الدين وفروعه، والآداب والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام وغير ذلك من الأعراض..

فمعنى « **أن لله ما أخذ** » أن العالم كله ملك لله تعالى، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية..

ومعنى « **وله ما أعطى** »: أن وهبه لكم ليس خارجًا عن ملكه، بل هو له سبحانه، يفعل فيه ما يشاء.. « **وكل شيء عنده بأجل مسمى** » فلا تجزعوا، فإن من قبضه قد انقضى أجله المسمى، فمحال تأخره، أو تقدمه عنه، فإذا علمتم هذا كله، فاصبروا، واحتسبوا ما نزل بكم[1]..

إذا تقرر ذلك، فقد استحب طائفة من أهل العلم أن يقال في تعزية المسلم: « **أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك** »..

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، فقد عزى أصحابه عند نزول المصائب، وواساهم، كما في السنة الصحيحة، والسلف الصالح - رضوان الله عليهم - اقتدوا به في ذلك.. ففي صحيح مسلم من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: دخل رسول الله ﷺ على ابي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: « **إن الروح إذا قبض، تبعه البصر** » فضج ناس من أهله، فقال: « **لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون** » ثم قال - واسمعوا إلى العزاء - قال: « **اللهمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونوِّر له فيه** »[2]..

وكذلك في أقوال السلف الصالح لطيف التعزية والدعاء.. وخير الهدى هديهُ ﷺ وكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف..

يقول سيدنا عليٌّ ﷺ كما في التعازي، أنه قال المصاب: « إنك إن صبرت جرت عليك المقادير، وأنت مأجور، وإن جزعت، جرت عليك المقادير، وأنت مأزور »..

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي » (٦/ ٢٢٤).

(٢) رواه مسلم.

وروي البيهقي بإسناده في مناقب الإمام الشافعي - رحمه الله - أن عبد الرحمن بن مهدي، مات له ابن، فجزع عليه جزعًا شديدًا، فبعث إليه الشافعي يقول له: يا أخي، عزّ نفسك بما تعزي به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك، واعلم أن من أعظم المصائب، فقد سرور، وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟ ألهمك الله عند المصائب صبرًا، وأحرز لنا ولك بالصبر أجرًا، ثم أنشد قائلاً:

إني معـــزيك لا أني عـــلى ثقـــة … مـــن الحـياة ولكـــن ســنة الـــدين

فـــلا المعـــزِّي بـــباق بعـــد ميـــته … ولا المعـــزَّى ولـــو عاشـــا إلى حـــين

ويشاء العلي القدير أن يموت بعدها ابن للشافعي - رحمه الله تعالى - فالذي كان يعزِّي، أصبح يُعزَّي، فجاءوا يعزونه، فأنشد قائلاً:

ومـــا الدهـــر إلا هكـــذا فاصـــطبر لـــه … رزيـــة مـــال أو فـــراق حبـــيب

ولما توفيت ياقوتة بنت المهدي جزع عليها جزعًا لم يسمع بمثله، فجلس وجاء الناس يعزونه فأمر ألا يحجب منه أحد، فأكثر الناس في التعازي واجتهدوا في البلاغة والفصاحة لكونه الخليفة ثم أجمعوا بعد ذلك أنهم لم يروا تعزية أبلغ ولا أوجز من تعزية ابن شبه - رحمه الله - يوم قال:

أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجرًا وأعقبك خيرًا ولا أجهد بلاءك بنقمة ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خير لك منها، ورحمة الله خير لها منك، أسأل الله ألا يحزنك ولا يفتنك، فكان مما سري على أمير المؤمنين مثل هذه التعزية..

ويقول أحد المعزين في لطائف التعازي لقاضٍ من قضاة بلخ توفيت أمه، قال له:

إن كانت وفاتها عظة لك فأعظم الله أجرك على موتها، وإن لم تكن لك عظة، فأعظم الله أجرك على موت قلبك، ثم قال: أيها القاضي، أنت تحكم بين عباد الله منذ ثلاثين سنة ولم يرد عليك أحد حكمًا، فكيف بحكم واحد عليك من الواحد الأحد ترده ولا ترضى به؟، فسري عنه وكشف ما به وقال: تعزيت تعزيت..

وعزى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر في ابن له مات فقال:

أيسرك وهو بلية وفتنة؟ ويحزنك وهو صلاة ورحمة وهدى؟

يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٢٨]..

ويشير بالثانية إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧]..

فلله ما أعطى ولله ما حوى … وليس لأيام الرزية كالصبر

فحسبك منهم موحشًا فقد برهم … وحسبك منهم مسليًا طلب الأجر

وروي أن سليمان بن عبد الملك لما مات ابنه أيوب قال لعمر بن عبد العزيز ورجاء: إني لأجد في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة..

فقال عمر: اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فهو أقرب وسيلة إلى الله، وليس الجزع بمحيي من مات وبالله العصمة فلا تحبطن أجرك، قال فنظر إلى رجاء..

فقال رجاء: اقضها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على إبراهيم ولم يقل ما يسخط ربه، فأرسل سليمان عينيه بالبكاء حتى ظنوا أن نياط قلبه ستتقطع..

فقال عمر لرجاء معاتبًا: هذا ما فعلت بأمير المؤمنين..

فقال: دعه يا عمر يقضي من بكائه وطرًا، فلو لم يخرج من صدره ما ترى لخفت عليه..

ثم دعا بماء وغسل وجهه ثم قال لهما: لو لم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي، ثم انتهى إلى مجلسه فدخل عليه رجل فعزاه فقال: عليكم نزل الكتاب وأنتم أعرف به منا، وأنتم أعلم برسول الله ﷺ منا، ولسنا نعلمك شيئًا لا تعلمه ولا نذكرك شيئًا قد تنساه لكن نعزيك ونواسيك ثم أنشد:

وهون ما ألقى من الوجد أنني … أجاوره في قبره اليوم أو غدًا

قال: أعد فأعاد فقال: يا غلام هات الغداء، فأكل وشرب وحمد الله وسري عنه..

ومن لطيف التعزية ما قيل من بعض الأعراب عندما دخل على بعض ملوك بني العباس وقد توفي له ولد اسمه العباس فعزاه ثم قال:

اصبر نكن بك صابرين فإنما ... صبر الرعية عند صبر الرأس

خير من العباس أجرك بعده ... والله خير منك للعباس

ومن ذلك أن أحدهم أصيب بمصيبة فجزع فجاء أخ له فقال: عظم الله أجرك وأحسن الله عزاءك، ثم أنشد:

أخي ما بال قلبك ليس ينقى ... كأنك لا تظن الموت حقًّا؟

ألا يا بن الذين مضوا وبادوا ... أما والله ما ذهبوا لتبقى

فكشف ما به..

ومات لرجل من السلف ولد فعزاه سفيان بن عيينة - رحمه الله - وهو في كرب شديد وعزاه آخرون فلم يكشف ما به، حتى جاء الفضيل فقال:

يا هذا، أرأيت لو كنت وابنك في سجن فأفرج عن ابنك قبلك أو ما كنت تفرح؟ قال: بلى.

قال: فإن ابنك قد خرج من سجن الدنيا قبلك..

قال: فسري عن الرجل وانكشف همه وقال: تعزيت..

وأخيرًا فإن من ألطف وأقوى ما سمعت من تعزية غير كلام رسول البرية ﷺ وسلف الأمة - رضوان الله عليهم - ما قاله ابن سناء الملك وقد مات لأحد أقاربه ميت فجزع عليه جزعًا شديدًا فكان مما قاله ابن سناء: إنا لله، إلى متى هذا الجزع الصبياني والهلع النسواني؟

إلى متى هذا الحزن الذي لا يحيي دفينك بل يميت دينك ويسلب هدوءك ويشمت فيك عدوك، أما على هذا مضى الزمان؟ وعلى هذا درج الثقلان وللخراب بني العمران وللانتقال سكن السكان وللموت ولد المولود وللعدم خلق الوجود أتحب أن تبقى ويبقى من تحب؟ فذا خلود..

إنا لله وإنا إليه راجعون أفضل قول الصابر وفي سبيل الله وإلى رحمة الله من حسب في أهل المقابر، أجزل الله أجرك وأحيا على دفينك صبرك، ووسع لهذه النازلة صدرك.

وأنزل على قلبك السكينة ربك، وخفف عن قلبك وطيئة كربك، لا جمع الله عليك فراق الأحباب وفراق الثواب، وجمع الله عليك النعمتين، نعمة الخلد ونعمة الاحتساب..

إني والله لشريكك في المصاب ونصيبي منه لأكثر ودمع عيني لأغزر ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيته، ولكنني في ساحة الصبر أجمل..

أخي المصاب، لعل في ما سمعته عزاء لك، فلست أول ولا آخر مصاب، جعل الله التعزية لك لا عنك، والخلف عليك لا منك، في الله عزاء من كل هالك، وخلف من كل فائت، وعوض من كل مصيبة، وشر من المصيبة حرمان الأجر فيها:

لابد من فقد ومن فاقد هيهات ما في الناس من خالد

أحبتي في الله..

لكن ما حكم الجلوس للتعزية؟

لم يكن من هدي النبي ﷺ أن يجتمع للعزاء، ويقرأ له القرآن، لا عند القبر ولا غيره، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة..

لذلك صرح جمهور العلماء بكراهة الجلوس للعزاء، لما في ذلك من تجديد الحزن، واستدامته، والمشروع أن ينصرف الناس إلى شغلهم ومصالحهم بعد الدفن مباشرة[1]..

وهذه كراهة تنزيه إذا لم يكن معها محدث آخر، فإن ضم إليها أمر آخر من البدع - كما يحصل في المآتم من المنكرات - كان حرامًا من قبائح المحرمات.

جاء في كتاب «رد المحتار» (جـ٦/ ٣٩٨):

ويكره الجلوس على باب الدار للتعزية، لأنه عمل أهل الجاهلية، وقد نهي عنه، وما يصنع في بلاد العجم من فرش البسط، والقيام على قوارع الطريق من أقبح القبائح..

فما اعتاده الناس من الجلوس للتعزية، حتى ظنوه شيئًا، وأنفقوا فيه الأموال الطائلة، وقد تكون من تركة اليتامى، وعطلوا فيه مصالحهم، ولاموا من لم يشاركهم، ويفد إليهم، أمر غير مشروع، وهو من البدع المحدثة التي ذمها الرسول ﷺ..

(١) «المغني» (٣/ ٤٨٧) لابن قدامة الحنبلي، و«المجموع» (٥/ ٣٠٦) للنووي.

وفي الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا نعد الاجتماع لأهل الميت بعد دفنه من النياحة[١]..

فالذي ينبغي أن ينصرف الناس إلى شغلهم وحوائجهم، فمن صادفهم عزاهم في المسجد في العمل، في الشارع، في السوق... هكذا..

وفي مقابل رأي الجمهور ما ذهب إليه بعض الحنفية[٢] والمالكية[٣] إلى جواز الجلوس للتعزية..

وقال بعض الحنابلة[٤]: إنما المكروه المبيت عند أهل الميت، وأن يجلس إليهم من عزى مرة أو يستديم الجلوس زيادة كثيرة عن قدر التعزية..

برد التأسي بأهل المصائب فبذلك إطفاء لنار المصيبة ولنعلم أنه في كل قرية ومدينة بل كل بيت، من أصيب مرة ومنهم من أصيب مرارًا وليس ذلك بمنقطع حتى يأتي على جميع أهل البيت حتى نفس المصاب، سيصاب يومًا بنفسه أسوة بأمثاله ممن تقدمه، فإن نظر فلن يرى يمنة إلا محنة ويسرة إلا حسرة..

ذكر ابن الجوزي بإسناده عن عبد الله بن زياد قال:

حدثني بعض من قرأ في الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مرض مرضًا شديدًا، فعلم أنه مرض الموت وأشفق على نفسه فكتب لأمه معزيًا في ذكاء قائلاً:

يا أماه، إذا جاءك كتابي فاصنعي طعامًا واجمعي من قدرت من الناس ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة واعلمي هل وجدت لشيء قرارًا إني لأرجو أن الذي أذهب إليه خيرًا مما أنا فيه..

فلما وصل كتابه صنعت طعامًا عظيمًا وجمعت الناس وقال: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة..

---

(١) «صحيح سنن ابن ماجة» للألباني (١٦١٢).

(٢) «حاشية رد المحتار على الدر المختار» (١/ ٦٠٤).

(٣) «شرح الخرشي على مختصر خليل» (٢/ ١٣٠).

(٤) «كشف القناع» (٢/ ٦٠) للبهوتي.

فلم يتقدم أحد من هذا الطعام، فعلمت مراد ابنها فقالت: بني، من مبلغك عني أنك وعظتني فاتعظت وعزيتني فتعزيت فعليك السلام حيًّا وميتًا..

فما من مصيبة أصاب بها مصاب إلا وهناك ما هو أعظم منها عند غيره، قيل لرجل:

كم لك من الولد؟ قال: تسعة..

فقيل له: إنما نعرف لك ابنًا واحدًا، قال: الحمد لله، كان لي عشرة فقدمت تسعة أحتسبهم عند الباري الرحيم وبقي لي واحد، لا أدري أهو لي أم أنا له؟

لكل اجتمع من خليلين فرقة — وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي واحدًا بعد واحد — دليل على أن لا يدوم خليل

وها هي أعرابية اسمها أم غسان كما في «عيون الأخبار» فقدت جميع أبنائها وفوق ذاك كف بصرها، مصيبة وأي مصيبة؟! كانت تعيش بمغزلها وتقول:

الحمد لله على ما قضى، رضيت من الله ما رضي لي، وأستعين الله على بيت ضيق الفناء قليل الإيواء..

ثم تصاب مصيبة أخرى بموت جارة لها كانت تبثها أشجانها وأحزانها، فيقال لها: أين فلانة؟

فتقول: الحمد لله على قضاء الله والرجعة لله:

تقسم جاراتها بيتها — وصارت إلى بيتها الأدلج

وفي «العاقبة» للأشبيلي:

يروى أن امرأة من الأعراب حجت ومعها وحيدها، فمرض عليها في الطريق ومات فدفنته بمساعدة الركب الذين كانوا معها، ثم وقفت بعد دفنه فقالت:

يا بني، والله لقد غذوتك رضيعًا وفقدتك سريعًا وكأن لم يكن بين الحالتين مدة ألتذ فيها بعيشك وأتمتع فيها بالنظر إلى وجهك..

ثم قالت: الله منك العدل ومن خلقك الجور، اللهمَّ وهبتني قرة عين فلم تمتعني به كثيرًا بل سلبتنيه وشيكًا ثم أمرتني بالصبر ووعدتني عليه الأجر، فصدّقت وعدك

ورضيت قضاءك فلك الحمد في السراء والضراء، اللهمَّ ارحم غربته واستر عورته يوم تكشف العورات وتظهر السوءات، رحم الله من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى..

ثم لما أرادت الانصراف قالت: أي بني لقد تزودت لسفري فيا ليت شعري ما زادك لسفرك ويوم معادك؟ اللهمَّ إني أسألك الرضا عنه برضاي عنه، أستودعك بني من استودعني إياك جنينًا في الأحشاء، ومن يجازي من صبر في السراء والضراء..

كانت امرأة من بني عامر لها تسعة من الأولاد، دخلت بهم يومًا غارًا ثم خرجت لحاجة لها وتركتهم في الغار ولما رجعت سقط الغار عليهم وانطبق فجعلت تسمع أنينهم وتتلظى بجحيم عويلهم، لا تملك لهم حولاً ولا طولاً، تئن وتزفر زفرات قطعت أحشاءها، حتى فقدت أنينهم فلم تسمع لهم أنينًا فعلمت أنهم ماتوا جميعًا تحت الغار، فرجعت وبها من الأسى ما الله به عليم، فكانت تردد وتقول:

ربيتهم تسعة حتى إذا اتسقوا   افردت منهم كقرن الأعضب الوحد

وكل أم وإن سرت بما ولدت   يومًا ستفقد من ربت من الولد

أيها الأحبة الكرام..

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتضرع إلى الله ﷻ، ونبتهل إليه بالدعاء فهو القائل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴾..

فمن لنا غيره يجبر كسرنا؟ ومن لنا غيره يبدد احزاننا؟

ومن لنا غيره يؤنسنا في وحشتنا؟ من لنا إذا غلقت الأبواب غير بابه؟

سبحانه لا إله إلا هو..

أيها المصابون، عليكم من الله الرحمات عدد ما سكبتم من العبرات، وكظمتم من الانات، جعل الله مصابكم من الباقيات الصالحات، وأمنكم من الفزع يوم تنشر السجلات، وتقبل الله منا ومنكم، وكتب لنا السعادة في الحياة والممات..

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الذين شهدوا لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، وماتوا على ذلك..

اللهمَّ اغفر لهم وارحمهم، واعف عنهم، واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الخطايا والذنوب، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس..

وافسح لهم في قبورهم، ونور لهم فيها.. واجعلها عليهم روضة من رياض الجنة.. وقهم عذاب القبر، وعذاب النار. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٨٧)

عالج همومك وأحزانك

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **ما أصاب أحد قط، همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي. إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا** »..

قال عبد الله: قيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟

فقال ﷺ : « **بلى ينبغي على من سمعها أن يتعلمها** »[(١)]..

صدق رسول الله ﷺ

عباد الله..

لقد جعل الله ﷻ الدنيا دار الهموم والغموم والنصب والأحزان، وتلك طبيعة هذه الدنيا، ولهذا كان مما تميزت به الجنة عن الدنيا: أنه ليس فيها غم ولا هم.. ﴿ **لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ [الحجر: ٤٨] وأهلها لا تتكدر خواطرهم ولا بكلمة.. ﴿ **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾** ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾** ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]..

وطبيعة الحياة الدنيوية المعاناة والمقاساة، التي يواجهها الإنسان في ظروفه المختلفة، وأحواله المتنوعة، كما دل عليه الحق تبارك وتعالى في كلامه: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٨٢٢).

كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] من الذي يقول هذا الكلام؟

الذي يقول هذا الكلام هو الذي نحن صنعته، هو الذي خلقنا ويعلم ما توسوس به نفوسنا.. ويعلم ما في ضمائرنا.. وهو أعلم بصنعته..

فهو حزين على ما مضى، مهموم بما يستقبل، مغموم في الحال.. والقلوب تتفاوت في الهم والغم قلة وكثرة، وذلك بحسب ما يكون فيها من إيمان أو فسوق أو عصيان، فهي على قلبين:

قلب هو عرش الرحمن: فيه النور والحياة، والفرح والسرور، والبهجة والخير وقلب هو عرش الشيطان: فيه الظلمة والموت والحزن والغم والهم والضيق والشر وقد تضمنت هذه الوصية[1] أمورًا عظيمة من المعرفة والتوحيد والعبودية:

منها: أن الداعي به صدر سؤاله بقوله: « **إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك ...** » وهذا يتضمن من فوقه من آبائه وأمهاته حتى ينتهي إلى أبويه آدم وحواء، وفي ذلك تملق له، وانكسار بين يديه، واعتراف بأنه عبد ضعيف مملوك، وليس له باب غير بابه، وليس له فضل إلا فضله وإحسانه، وأن سيده إن أهمله، وتخلى عنه، هلك وضاع..

وهذا الاعتراف معناه: أني لا غنى بي عنك طرفة عين، وليس لي من أعوذ به أو ألوذ به غير سيدي، الذي أنا عبده..

وفيها: الاعتراف بأنه مربوب مأمور، منهي، يتصرف بحكم العبودية لا بحكم الاختيار لنفسه..

وفيها: أن مالي ونفسي ملك لك، فإن العبد وما ملك، ملك لسيده..

وفيها: أنك أنت الذي مننت عليّ بكل ما أنا فيه من نعمة. فذلك كله من إنعامك على عبدك..

وفيها: أني لا أتصرف فيما خولتني من مالي ونفسي إلا بأمرك، كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده، وأني لا أملك لنفسي ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا..

---

(١) انظر «زاد المعاد» (٤/ ١٨٥) لابن القيم بتصرف.

فمن فهم تلك المعاني وشهدها، فقد قال: «**إني عبدك**» حقيقة، وحق له أن يعتز ويفخر بهذه العبودية، فهي أرقى المقامات.. كما قال القائل:

ومما زادني فخرًا وتيهًا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيًّا

ففي العبودية لله ﷻ كمال الحرية، وفي الذل له كمال العزة، وفي الافتقار إليه كمال الغنى.. وفي الخوف منه كمال الأمن..

وقوله: «**عدل فيّ قضاؤك**» يتضمن جميع أمور العبد من كل الوجوه: من صحة وسقم وغنى وفقر، وحياة وموت، ولذة وألم، وصحة ومرض، وعقوبة وعفو، وغير ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠] فكل ما يقضي على العبد فهو عدل فيه..

وقوله: «**أسألك بكل اسم هو لك**» توسل بأسمائه كلها، ما علم منها العبد وما لم يعلم، وهذه أفضل توسل إليه سبحانه، فإنها وسيلة بأسمائه وصفاته وأفعاله، وقد قال الله ﷻ: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ...**﴾ [الأعراف: ١٨٠] والمعنى: أسألك أن تجعل القرآن الكريم كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان، وكذلك القرآن ربيع القلوب، والمراد أن يجعل قلبه مرتاحًا إلى القرآن، مائلاً إليه، راغبًا في تلاوته وتدبره، منورًا لبصيرته..

فالقرآن هو روح القلوب وحياتها، به تحيا، وبفقده تموت..

أحبتي في الله..

ولا سبيل لدفع الهموم والأحزان، إلا بالتضرع والدعاء، واللجوء إلى رب العزة والجلال، فيدعوه متضرعًا إليه، بأن يعيذه من الهموم، ويباعد بينه وبينها، كما كان يفعل النبي ﷺ فقد أخبرنا خادمه أنس بن مالك ﷺ عن حاله معه بقوله: كنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرًا يقول: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال**»[1]..

---

(١) رواه البخاري.

وهذا الدعاء مفيد لدفع الهم والحزن قبل الوقوع، والدفع أسهل من الرفع ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور، استعمال هذا الدعاء، الذي كان النبي ﷺ يدعو به.. فعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهمَّ أصلح لي ديني، الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي، التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر**»[1]..

فإذا وقع الهم، وألم بالعبد، فباب الدعاء مفتوح غير مغلق، فإن دعوته أجاب، وإن سألته أعطاك.. فبابه مفتوح لكل السائلين..

وقد وردت أدعية أخرى لإزالة الهم، ودفع الحزن، ورفع الكربات من قبل رب الأرض والسموات غير الدعاء الذي ورد في الوصية التي نعيش في ظلالها فقد جاء في السنة المطهرة من حديث أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر، قال داعيًا مستجيرًا بربه: «**يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث**»[2]..

وهذا هو حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يروي لنا أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم**»[3]. قال الطبري: كان السلف يدعون به، ويسمونه دعاء الكرب..

وعن أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب، أو في الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئًا**»[4].

قال المناوي - رحمه الله - في «فيض القدير»: وينبغي الاعتناء بهذا الدعاء والإكثار منه عند الكرب..

وعن أبي بكر ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اللهمَّ رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**»..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٥٢٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٥٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) صحيح: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٨٢٤).

قال قبلها: « **كلمات المكروب** »[١] أي الذي أصابه كرب..

قال المناوي - رحمه الله -: ومن شهد لله بالتوحيد والجلال، مع جمع الهمة، وحضور البال فهو حري بزوال الكرب في الدنيا، والرحمة، ورفع الدرجات في العقبى[٢]..

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **دعوة ذي النون، إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إن كنت من الظالمين فإنه لم يدع رجل مسلم في شيء قط، إلا استجاب الله له** »[٣]..

فإذا لهج العبد بهذه الأدعية إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ أو كرب، وكان قلبه حاضرًا ونيته صادقة، مع اجتهاده في تحصيل الإجابة، حقق الله له ما دعاه، وعمل له وانقلب همه فرحًا وسرورًا..

أحبتي في الله..

هذا واحد من العلاجات التي تعالج الهموم والأحزان والكروب، وهي متنوعة كما ذكرت لكم.. فهناك هم ينشأ عن فعل المعاصي والذنوب.. وهناك همٌّ وغمٌّ قد يحصل بسبب ظلم الآخرين للعبد، وخاصة لو كان هذا الظلم من الأقرباء.. كما قال الشاعر:

وظلـم ذوي القربـى أشـد مـضاضة   عـلى الـنفس مـن وقـع الحـسام المهـند

وكذلك الهموم والغموم التي تحصل بسبب المصائب الدنيوية، كالأمراض المزمنة والخطيرة، وعقوق الأبناء، وتسلط الزوجة..

ومن الهموم ما يكون بسبب الخوف من المستقبل، وما يخبئه الزمان، كهموم الأب بذريته من بعده، وخاصة إذا كانوا ضعفاء، وليس لديه ما يتركه لهم.. ومنها هم البريء بسبب التهمة الباطلة، ومنها الهم بسبب الدين، أو الهم بما قد يحصل للزوجة والأولاد بعد موته..

---

(١) حسن: رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٨٢٣).

(٢) « فيض القدير » (٣/ ٧٠٢) للمناوي.

(٣) صحيح: رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني.

وفي شريعة الإسلام علاجات متعددة لتلك الهموم وغيرها، فما هي هذه العلاجات؟

العلاج الأول: أن يتسلح المؤمن بسلاح الإيمان المقرون بالعمل الصالح:

قال الله ﷻ: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧]..

فالعبد المؤمن الذي ملأ الإيمان قلبه، وعمر بالصالحات أوقاته وعمره، عنده أصول وأسس يتعامل بها مع كل ما يرد عليه من أنواع المسرات والأحزان، فيتلقى نعم الله ﷻ والمسرات بالقبول، والشكر، ويستعملها فيما ينفع، فإذا فعل ذلك شعر بفرحة وبهجة، وطمع في بقائها، ورجى ثواب شكرها..

وإذا حل به مكروه، فهمه وغمه، صبر واحتسب، فنال بذلك أجرًا عظيمًا قال ﷺ: « **عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له** »[1]..

والمؤمن يعلم أن ما يصيبه من هم أو غم أو حزن، فإنما ذلك ابتلاء من الله ﷻ، ليكفر عنه ذنوبه، ويمحص عنه سيئاته، فيحصل له بذلك فرح واستبشار.. قال النبي المختار ﷺ: « **ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها عن خطاياه** »[2]..

والعبد ما دام متسلحًا بسلاح الإيمان، فإنه يعلم علم اليقين أن ما أصابه فإنما هو ابتلاء من الله ﷻ، وأنه عجل له العقوبة في الدنيا..

قال ﷺ: « **إذا أراد الله بعبد خيرًا، عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة** »[3]..

العلاج الثاني: أن يعرف المؤمن حقيقة الدنيا:

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه البخاري وغيره.

(٣) **صحيح:** رواه أحمد والترمذي والطبراني والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٠٨).

فإذا علم العبد المؤمن أن الدنيا فانية، وأن متاعها قليل، وأن ما فيها من لذة فهي مكدرة، وأنها لا تصفو لأحد. فهي إن أضحكت قليلاً، أبكت كثيرًا، وإن أعطت يسيرًا، منعت كثيرا، والمؤمن فيها محبوس، كما قال النبي ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»[1]..

وهي كذلك نصب وأذى وشقاء وعناء، ولذلك يستريح العبد المؤمن إذا خرج منها، كما جاء عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث أنَّ رسول الله ﷺ مُرّ عليه بجنازة، فقال: «**مستريح ومستراح منه**»..

قالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المستراح منه؟

قال: «**العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها، إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**»[2]..

العلاج الثالث: ينبغي على المسلم أن يتخذ لنفسه القدوة والأسوة بأنبياء الله ورسله وصالحي هذه الأمة: وهؤلاء هم أشد الناس بلاء في هذه الدنيا، والمرء يبتلي على قدر دينه.. وعلى قدر إيمانه.. والله ﷻ إذا أحب عبدًا ابتلاه وقد سئل الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»[3]..

العلاج الرابع: أن نجعل العبد المسلم الآخرة هي همه:

لماذا؟ لكي يجمع الله له شمله.. قال ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»[4]..

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) **صحيح:** رواه أحمد والحاكم وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٣).

(٤) **صحيح:** رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٠).

قال ابن القيم - رحمه الله -: إذا أصبح العبد وأمسى، وليس همه إلا الله، تحمل الله عنه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى، والدنيا همه، حمله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه. فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره.. فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته، بلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦][1]..

العلاج الخامس: الصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمَّد ﷺ فالصلاة والسلام عليه من أعظم ما يفرج الله به الهموم والكروب..

قال أُبي بن كعب رضي الله عنه لرسول الأعظم ﷺ: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي، فقال ﷺ: «**ما شئت**»، فقال: الربع؟! قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»..

قال أُبي: النصف؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»..

قال أُبي: فالثلثين؟ قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**»..

قال يا رسول الله، أجعل لك صلاتي كلها..

قال: «**إذن تكفى همك، ويغفر لك ذنبك**»[2]..

ومعنى: [فكم أجعل لك من صلاتي] أي بدل دعائي الذي أدعو به لنفسي قاله القاري وقال المنذري: معناه: أكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك؟

وقوله: [أجعل لك صلاتي كلها] أي أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي..

---

(١) «الفوائد» لابن القيم الجوزية (ص١٥٩).

(٢) **حسن صحيح**: رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح ورواه الحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٧٠).

إن الـصلاة عـلى النبـي وسـيلة فـيها الـنجاة لكـل عـبد مـسلم
صـلوا عـلى القمـر المنـير فإنـه نـور تـبدي في الغـمام المظلـم

العلاج السادس: التوكل على الله ﷻ وتفويض الأمر إليه: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه ما يهمه من أمر دينه ودنياه..

فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث، لعلمه أن ذلك من ضعف النفس، ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له..

والمتوكل على الله يعلم أن الله ﷻ تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة، فيثق بالله، ويطمئن لوعده، فيزول همه وقلقه، ويتبدل عسره يسرًا، وحزنه فرحًا، وخوفه أمنًا..

العلاج السابع: ذكر الله ﷻ والإكثار منه: قال الله ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] فذكر الله ﷻ له تأثير عجيب في زوال الهم والحزن وانشراح الصدر.. وأعظم الأذكار لعلاج أعظم الهموم الحاصلة عند الموت «**لا إله إلا الله**» وذلك لما حدّث به طلحة عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلمة لا يقولها عبدٌ عند موته، إلا فرج الله عنه كربته، وأشرق لونه**»[1]. فما منعني أن أسأله عنها إلا القدرة عليها، حتى مات فقال له عمر ﷺ: إني لأعلمها، فقال له طلحة، وما هي؟ فقال له عمر: هل تعلم كلمة هي أعظم من كلمة أمر بها عمه - أي أبا طالب -؟ لا إله إلا الله فقال طلحة: هي والله هي..

العلاج الثامن: الاستعانة بالصلاة: قال الله ﷻ: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]..

وعن حذيفة قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى»..

وقد روي أن ابن عباس - رضي الله عنهما - نعي له أخوه (قثم) وقيل: بنت له وهو في سفر، فاسترجع، وقال: عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر ساقه الله، ثم تنحى عن الطريق وصلى، ثم انصرف إلى راحلته، وهو يقرأ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ

(١) ضعيف: رواه أحمد في «مسنده» (٢٥٢)، وضعفه الشيخ أحمد شاكر ورواه الحاكم (١٢٤٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٣/ ٣٢٣).

وَٱلصَّلَوٰةِ ... ﴾ [البقرة: ٤٥][1]..

العلاج التاسع: الجهاد في سبيل الله:

كما قال ﷺ: «**عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم**»[2]..

العلاج العاشر: التحدث بنعم الله ﷻ الظاهرة: فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الهم والغم، ويحث المسلم على شكرها، الذي هو أرفع المراتب وأعلاها، حتى ولو كان العبد في حالة فقر أو مرض أو غيرها من الابتلاءات الحاصلة له.. فإنه إذا قارن بين نفسه وبين الآخرين، تبين له أن نعم الله ﷻ لا تحصى ولا تعد.. ولهذا قال أفضل الخلق ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»[3]..

العلاج الحادي عشر: الشكوى إلى أهل العلم والدين، وطلب النصح والمشورة منهم فقد شكي الصحابة لرسول الله ﷺ آلامهم وأحزانهم، وما كانوا يلقونه من تعذيب، فهذا خباب بن الأرت ﷺ يقول: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟

قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[4]..

وكذلك شكي التابعون إلى أصحاب الرسول المصطفى ﷺ يقول الزبير بن عدي: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقي من ظلم الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي

---

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ٣٧١)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٣).

(٢) تخرج في موضع آخر وهو صحيح.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجة وغيرهم.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد.

عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم. سمعته من نبيكم..

العلاج الثاني عشر: أن يعلم العبد المسلم أن بعد العسر يسرًا، وأن بعد الضيق فرجًا، فليحسن الظن بربه ومولاه.. قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝** ﴾ [الشرح: ٥، ٦] فقد ذكر الله عسرًا واحدًا ويسرين، لأن العسر المقترن بأل في الآية الأولى هو نفس العسر الذي في الآية الثانية، وأما اليسر في الآية الثانية غير الذي في الآية الأولى..

يا صاحب الهم إن الهم منفرج ... أبشر بقرب فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه ... لا تيأسن فإن الكافي الله
إذا بليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد الكرب ميسرة ... لا تجزعن فإن الكاشف الله
والله مالك غير الله من أحد ... فحسبك الله في كل لك الله

وقال النبي ﷺ في وصيته لابن عباس - رضي الله عنهما -: « **واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا** »..

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج

العلاج الثالث عشر: ذكر الموت: لقوله ﷺ: « **أكثروا ذكر هازم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا**

ضيقها عليه»[1]..

أحبتي في الله..

وقد لخص ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «زاد المعاد» هذه الأدوية، وتلك العلاجات في خمسة عشر نوعًا من الدواء، يذهب الله بها الهم والحزن وهي:

يقول ابن القيم - رحمه الله -:

هذه الأدوية تتضمن خمسة عشر نوعًا من الدواء، فإن لم تقو على إذهاب داء الهم والغم والحزن، فهو داء قد استحكم، وتمكنت أسبابه، ويحتاج إلى استفراغ كلي:

الأول: توحيد الربوبية..

الثاني: توحيد الإلهية..

الثالث: التوحيد العلمي الاعتقادي..

الرابع: تنزيه الرب عن أن يظلم عبده أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك..

الخامس: اعتراف العبد بأنه هو الظالم..

السادس: التوسل إلى الرب بأحب الأشياء، وهو أسماؤه وصفاته..

السابع: الاستعانة به وحده..

الثامن: إقرار العبد له بالرجاء..

التاسع: تحقيق التوكل عليه، والتفويض إليه، والاعتراف له بأن ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء، وأنه ماضٍ فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه..

العاشر: أن يرتع قلبه في رياض القرآن، ويجعله لقلبه كالربيع للحيوان، وأن يستضيء به في ظلمات الشبهات والشهوات، وأن يتسلى به عن كل فائت، ويتعزى به عن كل مصيبة، ويستشفي به من أدواء صدره، فيكون جلاء حزنه وشفاء همه وغمه..

---

(١) حسن: رواه البزار واللفظ له، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٣٤).

الحادي عشر: الاستغفار..

الثاني عشر: التوبة..

الثالث عشر: الجهاد..

الرابع عشر: الصلاة..

الخامس عشر: البراءة من الحول والقوة، وتفويضهما إلى من هما بيده..

ثم أخذ يشرح جهة تأثير هذه الأدوية في هذه الأمراض[١]..

اللهمَّ بعزتك أعزنا، وبقوتك أمدنا..

اللهمَّ اجعلنا نخشاك كأننا نراك وأسعدنا بتقواك، ولا تجعلنا بمعصيتك مطرودين، ورضنا بقضائك واجعلنا من عبادك المقبولين عندك.. ومن التائبين..

اللهمَّ عافنا من مكرك، وزينا بذكرك.. واستعملنا بأمرك.. ولا تهتك علينا جميل سترك، وامنن علينا بلطفك وبرك.. وسلمنا من عذابك وأمنا من عقابك، واغفر لنا، ولجميع المسلمين..

اللهمَّ أذقنا حلاوة مناجاتك، واسلك بنا سبل أهل مرضاتك، وأنقذنا من دركاتنا، ومن غفلاتنا، وألهمنا رشدنا، وأحسن بكرمك قصدنا..

واحشرنا في زمرة المتقين، وألحقنا بعبادك الصالحين.. يا رب العالمين..

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٨٠-١٨٣).

الوصية رقم (٨٨)

تعرف على الله في الرخاء

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الأحبة الكرام..

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - في جامعه: أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرف بذلك على الله ﷻ وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرفه ربه في الشدة، ورعى له تعرفه إليه في الرخاء، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه، ومحبته له، وإجابته لدعائه..

ومعرفة العبد لربه نوعان:

- **أحدهما**: المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به، والتصديق والإيمان وهذه عامة للمؤمنين..

- **والثاني**: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون، كما قال بعضهم: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها، وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل له: وما هو؟ قال: معرفة الله ﷻ..

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أحب أن لا أموت، حتى أعرف مولاي، وليس معرفته الإقرار به، ولكن المعرفة التي إذا عرفته، استحييت منه..

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٢٩٦١) بهذا اللفظ فقط، وأخرجه أحمد في « مسنده »، والحاكم عن ابن عباس جزء من حديث: « **يا غلام ألا أعلمك كلمات** ».

ومعرفة الله ﷻ لعبده نوعان:

الأول: معرفة عامة: وهي علمه سبحانه وتعالى بعباده، واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ [ق: ١٦] وقال: ﴿ **هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ** ﴾ [النجم: ٣٢]..

والثاني: معرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده، وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجائه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله ﷺ فيما يحكي عن ربه: « **ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فلئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه** » وفي رواية: « **ولئن دعاني لأجيبنه** »[(١)]..

ولما هرب الحسن البصري - رحمه الله - من الحجاج، **دخل إلى بيت حبيب بن أبي محمَّد، فقال له حبيب: يا أبا سعيد، أليس بينك وبين ربك ما تدعوه به فيسترك من هؤلاء؟** ادخل البيت، فدخل، ودخل الشرط على أثره، فلم يروه، **فذكر للحجاج، فقال: بل كان في البيت، إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه..**

واجتمع الفضيل بن عياض - رحمه الله - **بشعوانة العابدة، فسألها الدعاء، فقالت: « يا فضيل، وما بينك وبينه.. إن دعوته، أجابك، فغشي على الفضيل »..**

وقيل لمعروف الكرخي - رحمه الله -: **ما الذي هيجك إلى الانقطاع والعبادة، وذكرك الموت والبرزخ، والجنة والنار؟ فقال معروف: إن ملكًا هذا كله بيده، إن كانت بينك وبينه معرفة، كفاك جميع هذا..**

وفي الجملة: فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، **عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته..**

وقد خرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **ومن سره أن يستجيب الله له عند الشدائد، فليكثر الدعاء في الرخاء** »[(٢)]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) **صحيح:** رواه الترمذي، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٥٩٣)، وحسنه في « صحيح الترغيب » (١٦٢٨).

أحبتي الكرام..

اسألوا التاريخ، إذ فيه العبر.. فهذا نبي الله يونس بن متى عليه السلام يسقط في لجج البحار، فيبتلعه الحوت، فهو في ظلمة جوف الحوت.. وظلمة الليل.. وظلمة البحر.. ظلمات ثلاث.. بعضها فوق بعض.. لا أحد يعلم مكانه.. ولا أحد يسمع نداءه.. ولكن يسمع نداءه من لا يخفى عليه الكلام ويعلم مكانه من لا يغيب عنه ذرة في السموات والأرض، فدعا وهو في هذا الحال.. قال: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فسمعت الملائكة دعاءه، فقال: يا رب، هذا صوت معروف من بلاد غريبة، فقال الله عز وجل: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: ومن هو؟ قال: عبدي يونس..

قالوا: عبدك يونس، الذي لم يزل يُرفع له عمل متقبل، ودعوة مستجابة؟! قال: نعم.. قالوا: يا رب، أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى.. فأمر الله الحوت، فطرحه بالعراء..

فيجيء بالجواب الإلهي له: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] أتاه الجواب بالنجاة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]..

قال الحسن البصري - رحمه الله -: ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدم عملاً صالحًا في حال الرخاء، فذكره الله في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه، فإذا عثر، وجد متكئًا..

وقال الضحاك: اذكروا الله في الرخاء، يذكركم في الشدة، وإن يونس عليه السلام - كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت، قال الله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، وإن فرعون كان طاغيًا ناسيًا لذكر الله، فلما أدركه الغرق، قال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل..

فقال الله له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]..

يا سبحان الله.. لقد سمعت الملائكة صوت المكروبين، ولكن فرق عظيم، فالأول، تقول فيه: صوت معروف في أرض غريبة.. هذا يونس لم يزل يرفع له عمل صالح.

ودعوة مستجابة..

وأما الآخر، فينزل جبريل عليه السلام يدس الوحل في فيه، خشية أن تدركه رحمة الرحيم الرحمن..

يا ترى ما الفرق بين الحالين، والكرب واحد.. والصورة واحدة.. الفرق واضح، والبون شاسع.. فرق بين من عرف الله في الرخاء وبين من ضيعه فرق بين من أطاعه.. وبين من عصاه..

يونس رخاؤه صلاة، ودعاء، ودعوة.. رخاؤه تسبيح وتهليل وتكبير.. لكن فرعون رخاؤه ظلم وكفر، وفسوق، وجحود..

قال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه: اذكر الله في السراء، يذكرك الله في الضراء[1]..

وقال: ادع الله في يوم سرائك، لعله أن يستجيب لك في يوم ضرائك[2]..

أيها الموحدون..

ولا يزال لطف صنع الله عز وجل بأوليائه وعباده الصالحين يتوالى عليهم في حال الشدائد والكرب، فيفرج كربهم، وينفس شدائدهم، حيث كان لهم مع الله معاملة في الرخاء..

فهذا نبي الله أيوب عليه السلام، كان كثير المال، من سائر صنوفه وأنواعه، من العبيد والأنعام والمواشي والأراضي، وكان له أولاد كثير وأهلون، فسلب ذلك كله، وابتلي في جسده بأنواع البلاء، وطال مرضه، فقالت له زوجته: يا أيوب، لو دعوت ربك، لفرج عنك..

فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحًا في الرخاء، فلا أدعوه استحياء منه قبل أن يمر بي مثلها في البلاء.. فقال كما ذكر القرآن الكريم: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٣]..

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٢٧٨) لابن الجوزي، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٠٩) لأبي نعيم، و«الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا (ص٧٩).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب»، وأحمد في «الزهد»، وابن أبي عاصم في «الزهد».

فكانت الإجابة من الله ﷻ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤]..

« **تعرف على الله في الرخاء، يعرفك في الشدة** »[1]..

وهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدخل على السيدة مريم البتول عليها من الله السلام، فيجد عندها فاكهة، لم يأت أوان حصادها بعد.. فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.. فيعجب فيتساءل: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧]..

فرجع سيدنا زكريا عليه السلام وفكر ورأى، فإذا هو طاعن في السن، وامرأته مع كبر السن عقيم، لا تلد، ولكن الذي يرزق الشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولدًا، وإن كان طاعنًا في السن، وامرأته عاقر.. فدعا ربه فرزقه يحيي قال بعض السلف: قام من الليل، فنادى ربه مناداة أسرها عمن كان حاضرًا، ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨] فجاءه الجواب على النور.. ﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٧]..

لم هذا؟ وكيف حدث؟ لا تسل.. وحسبك أن تقول: إنه عرف الله في الرخاء، فعرفه الله في حال الشدة والكرب والحاجة..

« **تعرف على الله في الرخاء، يعرفك في الشدة** »..

ثم استخبروا خبر الثلاثة من بني إسرائيل، الذين قصّ علينا نبينا ﷺ قصتهم، وأخبرنا خبرهم، يوم أن آواهم المبيت إلى غار فتهدمت عليهم صخرة عظيمة، أغلقت فم الغار، وكان الغار صندوق مغلق محكم الإغلاق مقفل، موثق الأقفال.. إن نادوا لن يُسمع نداؤهم، وإن استنجدوا فلا أحد ينجدهم، وإن دفعوا فسواعدهم أضعف وأعجز من أن تدفع صخرة عظيمة، سدت باب هذا الغار، فكانت كربة ما أشدها، وغمة ما أعظمها من غمة، فلم يجدوا وسيلة يتوسلون بها في هذه الشدة، إلا أن

---

(١) صحيح: رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٩٦١).

يتذكروا معاملتهم في الرخاء، فدعوا الله في شدتهم بصالح أعمالهم في الرخاء..

دعا أحدهم ببره لوالديه، يوم أتى فوجدهما نائمين، وطعامهما قدح من لبن في يده، وصبيته يصرخون من الجوع، وكان بين خيارين، ولكنه اختار خيارًا ثالثًا.. وهو أن يقف والقدح على يديه، والصبية يتضاغون عند قدميه ينتظر استيقاظ الوالدين الكبيرين.. والولدان يغطان في نوم عميق حتى انبلج الصبح، وأسفر الفجر، فاستيقظا، وبدأ بهما، وأعرض عن حنان الأبوة، وقدم عليه حنان البنوة.. فشرب أبواه، وانتظر بنوه.. فقال: « **اللهمَّ إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه** »..

ثم دعا الآخر، فتوسل إلى الله ﷻ بخشيته، ومراقبته له، يوم أن قرر على المعصية، وتمكن من الفاحشة، ووصل إلى أحب الناس إليه، ابنة عمه بعد أن اشتاق إليها طويلاً، وراودها كثيرًا، وحاول فأعيته المحاولة، حتى إذا أمكنته الفرصة، واستطاع أن يصل إلى شهوته، وينال لذته، خاطبت فيه تلك المرأة مراقبة الله ﷻ، فقالت له: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه.. فارتعد القلب، واقشعر الجلد، ورجفت النفس وتذكر مراقبة الله ﷻ فوقه، فقام عنها، وهي أحب الناس إليه. وترك لها المال، الذي أعطاها. فقال: « **اللهمَّ إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه** »..

ودعا الثالث، فتوسل بعمل صالح قربه، وهو الصدق والأمانة، حين استأجر أجراء، فأعطاهم أجرهم، وبقي واحد، لم يأخذ أجره، فنماه وضارب فيه، فإذا به يربح ويثمر.. ثم يأتي ذلك الأجير، ليطلب حقه بعد أن مر زمن بعيد.. لقد كان يستطيع أن يقول: هذا حقك أصوع من طعام، ولكنه كان أمينًا غاية الأمانة، نزيهًا غاية النزاهة فقال له: حقك ما تراه، كل هؤلاء العبيد، وكل هذه الماشية، كلها لك فكانت مفاجأة، لم يستوعبها عقل هذا الأجير الفقير.. فقال: اتق الله، ولا تستهزئ بي..

فقال: يا عبد الله، إني لا أستهزئ بك.. إن هذا كله لك، فاستاقه جميعًا، ولم يترك منه شيئًا..

فقال: « **اللهمَّ إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه** »[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فجاء الفرج بعد الشدة.. انفرجت الشدة، واتسع الضيق، وشع النور من جديد، فخرجوا يمشون من الغار..

« **تعرف على الله في الرخاء، يعرفك في الشدة** »..

تعرف إلى الله بالتضرع إليه، والرجوع والتذلل بين يديه.. تعرف على الله بالنوافل والقربات في حال الرخاء..

أيها الموحدون..

وكما كشف الله ﷻ عن الأفراد كروبهم، وفرج شدائدهم، لأنهم عرفوا الله في الرخاء، فكذا فرج عن الأمة كروب، ونفس عنها شدائد، إذا عرفوه في الرخاء..

لما طاف الأحزاب بالمدينة، وهم عشرة آلاف، والمسلمون ثلاثة آلاف، وكانت شدة فرجت عن قوم عرفوا ربهم في الرخاء، فأرسل الله ﷻ الريح، فاقتلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وإذا بالجيش يرتحل من غير نزال ولا قتال..

ولما نزل التتار حول دمشق، فطوقوها كما يطوق اللجام رأس الفرس فما خرج إليهم جيش، ولا أحشدت أمامهم حشود الجنود، ولكن أنزل الله ﷻ الجليد، وكثر عليهم الثلج، وكأنما يقول لهم: لا مقام لكم هنا.. فارجعوا..

إننا نعيش الآن في شدة.. الأمة تعيش الآن في شدة تدكها دكًا.. وقد عشنا كثيرًا في غفلة طويلة.. نسيان لله.. وطول صدود عنه.. وها نحن ندعوا في شدتنا.. ولكن طالما فرطنا في الرخاء..

إن الشدائد في طريقنا لن تخطئنا.. لن تخطئنا.. وإن خير ما نلقى به هذه الشدائد، معرفة الله ﷻ في الرخاء..

الصحة رخاء.. الشباب رخاء.. المال رخاء.. الأمن رخاء.. الفراغ رخاء.. القوة رخاء.. فهل نتعرف عليه في هذا الرخاء، ليتعرف علينا في حال شدتنا..

وأما الشدائد فقد تخطئنا.. تخطئنا شدة الفقر، فلا نفتقر.. تخطئنا شدة المرض فلا نمرض.. ولكن لن تخطئنا الشدة التي لا أشد منها.. هل يخطئنا الموت؟! هل هناك أشد منه؟ هل هناك كرب أعظم منه؟ يقول ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -:

وأعظم الشدائد التي تنزل بالعبد في الدنيا: الموت، وما بعده أشد منه إن لم يكن مصير العبد إلى خير..

فالواجب على المسلم الاستعداد للموت وما بعده في حال رخائه، في حال الصحة بالتقوى، والأعمال الصالحة.. قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٨، ١٩]..

فمن ذكر الله في حال صحته، واستعد حينئذ للقاء الله بالموت وما بعده، ذكره الله ﷻ عند هذه الشدائد، فكان معه فيها، ولطف به وأعانه وتولاه وثبته على التوحيد، فلقيه وهو عنه راض، ومن نسي الله في حال صحته ورخائه، ولم يستعد حينئذ للقائه، نسيه الله في الشدائد.. بمعنى أنه يعرض عنه، ويكله إلى نفسه..

فإذا أنزل الموت بالمؤمن المستعد له.. أحسن الظن بربه، وجاءته البشرى من الله.. فأحب لقاء الله.. وأحب الله لقاءه..

والفاجر بعكس ذلك.. وحينئذ يفرح المؤمن، ويستبشر بما قدمه مما هو قادم عليه، ويندم المفرط.. ويقول: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ...﴾ [الزمر: ٥٦] قال أبو عبد الرحمن السلمي - رحمه الله - قبل موته: كيف لا أرجو ربي، وقد صمت له ثمانين رمضان[١]؟

وقال أبو بكر بن عياش لابنه عند موته: أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة، يختم القرآن كل ليلة[٢]؟

وختم آدم ابن أبي إياس القرآن وهو مسجي للموت، ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع؟ كنت أؤملك لهذا اليوم.. كنت أرجوك لا إله إلا الله، ثم فاضت روحه[٣]..

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٨) لابن الجوزي، و«الحلية» (٤/ ١٩٢) لأبي نعيم، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٧١) للذهبي.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٠٣) للذهبي، و«صفة الصفوة» (٣/ ٨١).

(٣) «السير» (١٠/ ٣٣٧)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٢١٧).

ولما احتضر زكريا بن عُدي - رحمه الله - رفع يديه، وقال: اللهمَّ إني إليك لمشتاق[1]..

وقال عبد الصمد الزاهد - رحمه الله - عند موته: سيدي هذه الساعة، خبّأتك ولهذا اليوم اقتنيتك، حقق ظني بك..

وقال قتادة في قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]..

قال: من الكرب عند الموت..

وقال عن بن أبي طلحة، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في هذه الآية: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة..

تعرف إلى الله في الرخاء.. يعرفك في الشدة..

اللهمَّ اجعل لنا نورًا في حياتنا.. ونورًا في مماتنا، ونورًا في قبورنا.. ونورًا في حشرنا.. ونورًا في حسابنا، ونورًا نفوز به لديك.. فإننا ببابك سائلون.. وبنوالك معترفون.. وللقائك راجون.. ندعوك دعاء من لا يجد لذنبه غافرًا غيرك.. ولا لمأمول من الخيرات معطيًا سواك.. ولا لكسره جابرًا إلا أنت.. فأصلح ما فسد من أمرنا واجعل فيها عندك رغبتنا..

اللهمَّ أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام..

اللهمَّ أنت الملك.. لا إله إلا أنت ونحن عبيدك، ووفدك في بيتك فأجرنا يا ربنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.. يا رب العالمين..

❁❁

(١) «السير» (١٠/ ٤٤٣).

الوصية رقم (٨٩)

أحسنوا نياتكم تؤجروا

عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

يقول ابن حجر في « الفتح » عند هذه الوصية المباركة:

وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث، واتفق عبد الرحمن بن مهدي والشافعي فيما نقل عنه، وأحمد وغيرهم على أنه ثلث العلم..

ومنهم من قال: ربعه.. وقال ابن مهدي أيضًا: يدخل في ثلاثين بابًا من العلم وقال الشافعي - رحمه الله -: يدخل في سبعين بابًا..

وقال عبد الرحمن بن مهدي أيضًا: ينبغي أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب ووجهه البيهقي كونه ثلث العلم، بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه والنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها، لأنها قد تكون عبادة مستقلة، وغيرها يحتاج إليها، ومن ثم ورد: نية المؤمن خير من عمله[2]..

وقال النووي - رحمه الله - في بستانه وغيره: استحب العلماء أن تفتتح المصنفات بهذا الحديث..

فما هي النية؟ ولماذا وما مواطن حاجة العبد إليها؟ وما عواصم النية من الانحراف؟

أما النية: لغة: القصد والإرادة، وقد جاءت في كتاب الله بلفظ الإرادة والابتغاء،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٢) « فتح الباري » (١/ ٩) لابن حجر.

قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]..

والنية موطنها القلب، لذا كان القلب هو موضوع نظر الجبار سبحانه للحديث: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[1]. وبالنية تتميز العبادات عن العادات.. فالصلاة لابد لها من نية، ليتميز الفرض من النفل، وكذا الصيام، وسائر العبادات.. كتمييز غسل الجنابة عن التبرد والتنظيف مثلاً..

والمعنى الثاني للنية: تمييز المقصود بالعمل، هل هو وحده لله أم لغيره؟ وهذا هو محل الاهتمام ومناط السعادة والشقاوة، والثواب والعقاب، فقد يعمل شخصان مثلاً عملاً واحدًا متماثلاً، ويكون جهدهما متساويًا، لكن يثاب أحدهما، والآخر لا يثاب، أو يعاقب نظرًا لاختلاف مقصدهما.. فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الخيل ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة، كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها، فاستنت شرفًا أو شرفين، كانت آثارها، وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر، فشربت ولم يرد أن تسقي، كان ذلك حسنات له، ورجلاً ربطها تغنيًا وتعففًا، لم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي لذلك ستر، ورجل ربطها فخرًا ورياء ونواء لأهل الإسلام، فهي على ذلك وزر**»[2]..

فالخيل بالنسبة لهؤلاء الثلاثة دابة، ولكن النية هي التي جعلت أحدهم يربطها فيؤجر، والآخر يربطها فيأثم، والآخر يربطها فلا يؤجر ولا يأثم..

قال الإمام النووي - رحمه الله -: النية معيار لتصحيح الأعمال، فحيث صلحت النية صلح العمل، وحيث فسدت فسد العمل..

وقال ابن المبارك - رحمه الله -: رب عمل صغير، تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية..

---

(١) رواه مسلم وابن حبان وغيرهما.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن خزيمة.

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: إنما يريد الله ﷻ منك نيتك وإرادتك..

وقال ابن حزم - رحمه الله -: النية هي سر العبودية وروحها، ومحلها من العمل محل الروح من الجسد، ومحال أن يعتبر في العبودية عمل لا روح معه، بل هو بمنزلة الجسد الخراب[1]..

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى، والورع عما حرم الله تعالى، وصدق النية فيما عند الله[2]..

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية، إلا بما يوافق السنة..

وقال سهل: « ما خلق الله تعالى مكانًا أعز وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما أعطى كرامة للخلق أعز عنده من معرفته، فجعل الأعز في الأعز ... »[3]..

أحبتي في الله..

نية المرء خير من عمله أو كما قال ثابت البناني - رحمه الله -: نية المرء أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم من الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا تتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله[4]..

قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ ...﴾ [النساء: ٩٥]..

يقول ابن كثير - رحمه الله -: نزلت الآية أولاً بدون ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ وكان عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه قريبًا من الرسول ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا ضرير، والله لو أستطيع أن أجاهد، لجاهدت، فنزلت ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ فالآية تدل على أن أولي

---

(١) « إحكام الأحكام » (٢/ ٧٠٦) لابن حزم.

(٢) « الإحياء » (٤/ ٣١٧) للغزالي.

(٣) « العدة » (١/ ٨).

(٤) « حلية الأولياء » (٢/ ٣٢٦) لأبي نعيم.

الضرر يساوون المجاهدين ما دام الضرر قاهرًا، والنية مستقرة في القلوب[1]..

فإذا صدقت النيات من العباد، وحالت دون القيام بالعمل المراد الحوائل، فإن صاحب النية يعد في عداد العاملين، وما أحسن قول القائل:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحًا

إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر فقد راحا

وتخلف رجال من صحابة الرسول الأعظم ﷺ في غزوة تبوك، لم يكن عندهم زاد، ولا راحلة، حبسهم العذر، ولم يكن عند النبي ﷺ ما يحملهم عليه، وبكوا بكاء الرجال، شوقًا إلى الغزو، فعلم الله نياتهم، فشاركوا الغزاة في الأجر، قال الله ﷻ: ﴿ **وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ** ﴾ [التوبة: ٩٢]..

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ كان في غزاة، فقال: « **إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم** » قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟

قال: « **وهم بالمدينة، حبسهم العذر** »[2]..

بل إن صاحب النية الحسنة قد يظفر بمنازل الشهداء إن سأل الله الشهادة بصدق، حتى وإن مات على الفراش..

فعن سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من سأل الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه** »[3]..

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **قال الله عز وجل: إذا همّ عبدي بحسنة، فاكتبوها له حسنة، فإن عملها، فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإذا هم بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، فإن تركها - وربما قال: لم يعمل بها - فاكتبوها له حسنة، ثم قرأ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ... ﴾ [الأنعام: ١٦٠]** »[4]..

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٢/ ٣٦٨).

(٢) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم والترمذي وقال: حسن صحيح واللفظ له، ورواه البيهقي.

أيها الموحدون الكرام..

والمؤمن ينبغي أن يجعل نيته في عمل الآخرة، فإن فعل ذلك، فقد فاز ونجح، وإلا حبط وخسر.. قال الله ﷻ: ﴿ **مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾** ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]..

ورسولنا ﷺ يقول: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»[١]..

واعلموا عباد الله أن نية الخير لا تتوقف، وإن توقف عمل العبد، فهناك بعض الأعمال البدنية المطلوبة شرعًا مثل الهجرة، وذلك حينما ينتشر الإسلام وتصبح كلمة الله هي العليا، وكصلة الرحم، إذا لم يكن للمرء رحم يصله، لكن نية العمل الخير باقية دائمًا لا تتوقف، قال ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية**»[٢]..

لقد مرَّ رجل من بني إسرائيل في مفازة، في عهد نبي الله وكليمه موسى عليه السلام فوجد الرمال الكثيرة فنظر إليها متمنيًا، وقائلاً: يا رب، والله لو أن بدل هذه الرمال كان دقيقًا أتصدق به على المساكين.. فأوحى الله إلى نبيه موسى عليه السلام أن يبلغ ذلك العبد، أن الله ﷻ كتب له ما لو كان هذا الرمل دقيقا، وتصدق به على الفقراء المساكين..

وصاحب النية الحسنة.. صاحب النية الطيبة، يثيبه الله ﷻ على نيته رغم أنفه.. انظروا هذا الرجل، الذي تصدق على غني، وتصدق على زانية، وتصدق على سارق، ماذا فعل الله له؟ وقد كان في نيته أن يتصدق على فقير محتاج.. قال ﷺ: «**قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على سارق فقال: اللهمَّ لك الحمد على سارق، لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهمَّ لك الحمد على زانية، لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في**

(١) صحيح: رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

يد غنيٍّ، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غني، فقال: اللهمَّ لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غني، فأتى، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية، فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني، فلعله أن يعتبر، فينفق مما أعطاه الله»[1]..

واعلموا أن الله ﷻ يحفظ عبده على قدر نيته.. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -:

إنما يحفظ الرجل على قدر نيته..

وكتب سالم بن عبد الله - رحمه الله - إلى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قائلاً: «اعلم أن عون الله للعبد على قدر النية، فمن تمت نيته، تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره»[2]..

وجاء في «مسند الإمام أحمد» و«المستدرك» للحاكم من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد كانت له نية في أداء دينه، إلا كان له من الله عون**»[3]..

والنية الحسنة تحول العادات إلى عبادات، والعاقل من يحرص على ذلك. ولهذا قال بعض العارفين من السلف: إني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي ونومي، ودخولي إلى الخلاء..

فمثلاً: استعمال الطيب مباح، ولكن من الممكن أن أحول هذا المباح إلى عبادة أؤجر عليها، لو أن رجلاً وضع الطيب، قاصدًا بذلك التنعم بلذات الدنيا، أو قاصدًا به إظهار التفاخر بكثرة المال، أو قصد به رياء الخلق، ليقوم له الجاه في قلوبهم، فيذكر بطيب الرائحة، أو ليتودد إلى قلوب النساء الأجنبيات، كل هذا يجعل التطيب معصية.. لكن إذا استعمله شخص آخر، ونوى به اتباع سنة رسول الله ﷺ يوم الجمعة، أو نوى به تعظيم المسجد، واحترام بيت الله، وأن يقصد به ترويح جيرانه، ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه، التي تؤدي إلى

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «الإحياء» (٣/ ٤٥٢) للغزالي.

(٣) صحيح: «صحيح الجامع» للألباني رقم (٥٧٣٤).

إيذاء مخالطيه كان له بذلك أجر عظيم، وثواب كريم من الله رب العالمين..

لو أن شخصًا أراد أن يحول بالنية الطعام والشراب، الذي هو من المباحات، إلى عبادة، لحصل له ثواب على طعامه وشرابه، وتلذذه بالطعام والشراب، كأن ينوي الإعانة على طاعة الله، وشكره تعالى على نعمه، وإعداد بدنه بالطعام والشراب إلى طاعة الله ﷻ.. وإعداده للجهاد في سبيل الله، وكذلك التقوى على ذكر الله، وأذكار ما قبل الأكل وبعده، وتطبيق السنة في الجلوس، لحصل له بذلك الثواب العظيم..

النوم من المباحات، لو نوى بنومه، القدرة على طاعة الله، وعلم بأن هذا حق البدن عليه.. (وإن لبدنك عليك حقًا) وقصد به التزود من الطاعات بالسهر في الليل وقيامه، أو تأدية صلاة الفجر في جماعة، واتباع السنة في طريقة النوم، لعُدَّ ذلك له عبادة من العبادات..

ألم يقل النبي ﷺ لأصحابه الكرام: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له بذلك أجر؟!

قال: «**أرأيتم لو وضعها في الحرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر**»[1]..

فلو تزوج شخص، أو نكح زوجته بقصد إنجاب الذرية الصالحة طاعة لله، وتكثيرًا للمسلمين، وقصد إعفاف نفسه، وإعفاف زوجته، وقصد بذلك غض البصر وإحصان الفرج، كان له أجر عظيم، وتحولت لذته إلى عبادة الله ﷻ..

كل هذا ثابت في سنة معلمنا، وسيدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور ﷺ وفي سيرة أصحابه الكرام..

فعن أبي مسعود البدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ المسلم، إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يحتسبها، كانت له صدقة**»[2]..

ولما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري - رضي الله عنهما - إلى

---

(١) رواه مسلم وابن ماجة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

اليمن، قال معاذ لأبي موسى: «**يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟**»، قال: أتفوقه تفوقًا - أي ألازم قراءته ليلاً ونهارًا - قال: «**فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟**»، قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي»[١]..

ومعنى قوله: «فأحتسب نومتي» أي أنه يرجو الأجر في إراحة جسده بالنوم ليكون أنشط له في العبادة بعد قيامه من نومه، يرجو الأجر على ذلك مثلما يرجو الأجر على قيامه، وتعبه في عبادة الله، وذلك لأن العمل المباح إذا فعله العبد، ونوى بفعله إياه أن يستعين به على طاعة الله، كان هذا المباح عبادة يثاب عليها العبد، لأنه ابتغى بذلك وجه الله تعالى[٢]..

قال الغزالي في «الإحياء»:

الطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها، أما تضاعف الفضل: فبكثرة النيات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة، يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة، فيكون له بكل نية ثواب، إذ كل واحدة منها حسنة، ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها..

ومثاله: القعود في المسجد، فإنه طاعة، ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة، حتى يصير من فضائل أعمال المتقين، ويبلغ به درجات المقربين..

أولها: أن يعتقد أنه بيت الله، وأن داخله زائر لله، فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعد به رسوله ﷺ حيث قال: «**إنَّ المساجد بيوت الله في الأرض، وإنه لحق على الله أن يكرم من زاره فيها**»[٣]..

ثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة، فيكون في جمله انتظاره في الصلاة..

ثالثها: الاعتكاف، وكف السمع والبصر والأعضاء..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٦٩) لابن حجر.

(٣) «شعب الإيمان» للبيهقي رقم (٢٨١٢) (جـ٦/ ٤٥٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٨٤٦).

رابعها: عكوف الهم على الله، ولزوم السر للفكر في الآخرة، ودفع الشواغل الصارفة عنه، بالاعتزال في المسجد..

خامسها: التجرد لذكر الله، أو لاستماع ذكر، وللتذكر به، كما روي في الخبر «**من غدا إلى المسجد، ليذكر الله تعالى، أو يذكرها به، كان كالمجاهد في سبيل الله**»(١). وفي الحديث: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا، أو يعلمه، كان له كأجر حاج تامًا حجته**»(٢)..

سادسها: أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف، ونهي عن منكر، إذا المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته، أو يتعاطى ما لا يحل له، فيأمره بالمعروف، ويرشده إلى الدين فيكون شريكًا معه في خيره، الذي يعلم منه، فتتضاعف خيراته..

سابعها: أن يستفيد أخا في الله، فإن ذلك غنيمة، وذخيرة للدار الآخرة، والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله، وفي الله..

وثامنها: أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى، وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة، وقد قال الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال: أخا مستفادًا في الله أو رحمة مستنزلة، أو علمًا مستظرفًا، أو كلمة تدل على هدى، أو تصرفه عن ردي، أو يترك الذنوب خشية أو حياء..

فهذا طريق تكثير النيات، وقس به سائر الطاعات والمباحات(٣)..

أحبتي في الله..

أحسنوا نياتكم وأصلحوا، فإن من أصلح سريرته، فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر..

كان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول: من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملاً لله تعالى، فإني لا أحب أن يأتي عليّ ساعة من ليل أو نهار، إلا وأنا عامل من عمال

---

(١) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤٤٠): هو من كلام كعب الأحبار.

(٢) حسن صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٨٦): حسن صحيح.

(٣) «الإحياء» (٤/ ٤٤٠) للغزالي. ط. دار مصر للطباعة.

الله.. فقيل له: قد وجدت حاجتك، فاعمل الخير ما استطعت، فإذا فترت أو تركته، فهم بعمله، فإن الهام بعمل الخير كعامله..

وقال الحسن: إنما خلد أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، بالنيات..

اللهمَّ فالق الحب والنوى.. فالق الإصباح.. يا من يقلب الليل والنهار، ويعلم الخفايا والأسرار، نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وحكمة الحق في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، ونسألك التسليم في جميع الأحوال..

اللهمَّ إنا نسألك صحة في إيمان، وإيمانًا في حسن خلق، ونجاحًا ينبعه فلاح ورحمة منك وعافية منك ومغفرة منك ورضوانًا..

اللهمَّ أغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وجملنا بالعافية يا أرحم الراحمين..



الوصية رقم (٩٠)
استكثروا من الباقيات الصالحات

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**استكثروا من الباقيات الصالحات**»..

قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**الملة**» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**الملة**» قيل: وما هي يا رسول الله؟

قال: «**التكبير والتهليل، والتسبيح والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»(١)..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هذه الوصية من أعظم الوصايا النبوية، ومن أيسرها قولاً وعملاً، **يوصينا فيها بأن** نستكثر ونستزيد من الباقيات الصالحات.. والتي وصفهن الله ﷻ بقوله: ﴿**وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف: ٤٦] واختلف في الباقيات الصالحات، فقيل: إنها الصلوات الخمس، وقيل غير ذلك. قال الحسن وقتادة: الباقيات الصالحات، لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله(٢)..

وعن سعيد بن المسيب - رحمه الله - قال: الباقيات الصالحات، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

وسُئل عثمان ﷺ عن الباقيات الصالحات، فقال: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٠/ ٢٣٥) في «المسند»، وحسنه حمزة الزين برقم (١١٦٥٣)، ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٣٣٢)، والحاكم (١/ ٥١٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٨٧): إسناده حسن.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٦١، ١٦٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣٦٨).

وقد ورد عن النبي ﷺ قال: « **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر من الباقيات الصالحات** »[١]..

وجاء في « مسند الإمام أحمد » بإسناد صحيح عن الحارث مولى عثمان بن عفان قال: جلس عثمان يومًا، وجلسنا معه، فجاءه المؤذن، فدعا بماء في إناء، أظنه سيكون فيه مد، فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: « **ومن توضأ وضوئي ثم قام فصلى صلاة الظهر، غفر له ما كان بينها وبين الصبح، ثم صلى العصر، غفر له ما بينهما، وبين صلاة الظهر إلى أن ذكر صلاة العشاء، ثم قال: وهن الحسنات يذهبن السيئات** »[٢]..

قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هن لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

والباقيات الصالحات سميت بذلك لكونها جامعة للمعارف الإلهية، فالتسبيح تقديس لذاته عما لا يليق بجلاله، وتنزيه لصفاته عن النقائص، والتحميد منبه على معنى الفضل والإفضال من الصفات الذاتية والإضافية، والتهليل توحيد للذات، ونفي للمثل والضد والند، وتنبيه عن التبري عن الحول والقوة إلا به، وختامها بالتكبير اعتراف بالقصور في الأقوال والأفعال، وفي هذا التدرج لمحة من معنى العروج للسالك العارف..

وتسميتها بالباقيات الصالحات لما أنه قابلها بالفانيات الزائلات..

وسميت معقبات لأنها عادت مرة بعد أخرى، وكل من عمل عملاً، ثم عاد إليه فقد عقب كما في حديث النسائي والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **خذوا زينتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات** »[٣]..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في « مسنده »، وذكره الألباني في « الصحيحة » برقم (٣٢٦٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد في « مسنده » (٥١٣)، وصححه أحمد شاكر (١٠/ ٣٨٤)، وأبو يعلى والبزار.

(٣) صحيح: رواه النسائي والحاكم وغيرهما، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٣٢١٤)، و« صحيح الترغيب » (١٥٦٧).

أيها الموحدون..

هذه الباقيات الصالحات تكفر الذنوب والسيئات.. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت عنه خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر** »(١)..

وعند الإمام أحمد والترمذي أنَّ النبي ﷺ مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصا، فتناثر ورقها، فقال: « **إنَّ الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لتساقط من ذنوب العبد، كما تساقط ورق هذه الشجرة** »(٢). وهذه الكلمات فمن فضائلهن، أنهن من أحب الكلام إلى الله ﷻ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث سمرة بن جندب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **أحب الكلام إلى الله تعالى أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر** »(٣)..

وقد جاء في « صحيح مسلم » من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: « **ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده (سبحان الله وبحمده)** »(٤). وهاتان الكلمتان الأخيرتان من أعظم الكلام بركة، وأكثره ثوابًا عند الله ﷻ، وأثقل في ميزان صاحبه..

قال ﷺ : « **كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** »(٥)..

فلا تظنن أنك وحدك الذي تسبح ربك وتحمده، بل كل الكائنات تسبحه وتوحده وتمجده وتقدسه.. ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ...** ﴾ [النور: ٤١]..

---

(١) حسن: رواه الترمذي والنسائي، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٥٦٩).

(٢) حسن: رواه أحمد ورجاله الصحيح ورواه الترمذي، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٥٧٠).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

كل شيء يسبح.. الماء والنبات والجماد، والحجر، والشجر يسبح بحمد ربه.. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...﴾ [الإسراء: ٤٤]..

الملائكة: تسبح، والرعد يسبح... ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣] قال داود عليه السلام لربه: رب اغفر لي، وأخبرني من أكثر لذكرك مني؟! فقام على صخرة إلى جانب نهر حتى أصبح، فناداه ضفدع: يا داود تمن على الله تعالى، وأنا ضفدع أسبح الله الليل مع النهار من خشيته، فنظر فإذا هي قائمة على الماء..

فقال: رب اغفر لي، فإن نعمك علي أفضل من ذكرك، وكل خلقك يسبحون أكثر مني[1]..

وعن المغيرة بن عتيبة قال: قال داود عليه السلام، يا رب.. هل بات أحد من خلقك طول الليل أذكر لك مني؟

فأوحى الله إليه: نعم .. الضفدع[2]..

ومر نبي الله سليمان عليه السلام بعصفور يسفد أنثاه - أي يجامعها - وهو يصيح، فقال لمن معه: أتدرون ماذا يقول هذا العصفور لأنثاه؟

قالوا: لا يا نبي الله..

قال: يقول: تابعيني على ما أريد منك، فوالله ما أريد تلذذًا وما أريد إلا أن يخلق الله فيما بيننا خلقًا يسبحه[3]..

فسبحانك يا من سبحت لك الكائنات.. وسجد لك النبات.. وتدكدكت من خشيته الجبال الراسيات..

تسبحه نغمات الطيور	يسبحه الظل تحت الشجر
يسبحه النبع بين المروج	يسبح دومًا أريج الزهر
يسبحه النور بين الغصون	وسحر السماء وضوء القمر

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١٢٥٠) بإسناد جيد، وبنحوه أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٨٨).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١٢٥٥)، وأورده ابن عساكر (٥/ ١٩٥) في تاريخه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٤).

(٣) حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإشراف» (٣٢٩) بإسناد حسن، وأبو الشيخ في «العظمة».

ومن فضائل هذه الكلمات العظيمات (الباقيات الصالحات) أنهن أحب إلى الله ﷻ، وأحب إلى رسوله ﷺ مما طلعت عليه الشمس.. أي أفضل من الدنيا وما فيها.. قال ﷺ: « **لأن أقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس** »[١]..

وقد أوصى بها نبي الله نوح ﵇ ولده قبل موته، فقال له: « **وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة الخلق، وبها يرزق الخلق، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** »[٢]..

ومن فضائلهن أنهن غراس الجنة، فقد مر النبي المصطفى ﷺ بالصحابي الجليل أبي هريرة ﵁ وهو يغرس غرسًا، فقال له: « **يا أبا هريرة، ما الذي تغرس؟** » فقال: غراسًا..

قال: « **ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة** »[٣]..

وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال ﷺ: « **لقيت إبراهيم ﵇ ليلة أسرى بي، فقال: يا محمَّد، أقرأ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر** »[٤]..

فاجتهدوا أيها الموحدون في غرس جنتكم في دنياكم.. من جد وجد.. ومن زرع حصد..

وعن سلمان الفارسي ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن في الجنة قيعانًا، فأكثروا من غرسها** »..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه النسائي واللفظ له والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٥٤٣).

(٣) حسن: رواه ابن ماجة والحاكم، وصحح إسناده وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٥٤٩).

(٤) حسن: رواه الترمذي (٣٤٦٢) ألباني، ورواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط »، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (١٠٥)، و« صحيح الجامع » (٣٤٦٠).

قالوا: يا رسول الله، وما غرسها؟

قال: « **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر** »[١]..

ومن فضائلهن ما ثبت في مسند الإمام أحمد وشعب الإيمان للبيهقي والنسائي عن أم هانئ - رضي الله عنها - قالت: مر بي رسول الله ﷺ ذات يوم، فقلت: يا رسول الله، قد كبرت سني وضعفت، أو كما قالت - فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال: « **سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقبة من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، فإنها تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي الله مائة تهليلة، فإنها تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ عمل أفضل مما يرفع لك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت** »[٢]..

فما أعظم هذا الثواب المترتب على هؤلاء الكلمات.. فمن سبح لله مائة، فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل.. وخص بني إسماعيل بالذكر، لأنهم أشرف العرب نسبًا.. فما أوسع وما أعظم رحمة الله ﷻ بعباده..

أيها الموحدون..

ومن فضائلهن أنهن جنة لقائلهن من النار، وأنهن ينعطفن حول العرش ولهن دوي كدوي النحل، يُذكرن بصاحبهن.. فعن النعمان بن بشير ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، ينعطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، تذكر بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له، أو لا يزال له من يُذكر به** »[٣]..

ومن فضائلهن: أنهن ثقيلات في الميزان، فعن أبي سلمى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **بخٍ بخٍ - وأشار بيده بخمس - ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله،**

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (١٥٥١).

(٢) **حسن**: رواه أحمد في « مسنده » واللفظ له، وابن أبي الدنيا بنحوه، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (١٥٥٣).

(٣) **صحيح**: رواه ابن أبي الدنيا وابن ماجة واللفظ له، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وذكره الألباني في « الصحيحة » برقم (٣٣٥٨)، و« صحيح الترغيب » (١٥٦٨).

والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه»[١]..

وكلمة: بخ بخ تقال عند الإعجاب بالشيء، وبيان تفضيله..

ومن فضائلهن: أن للعبد بقول كل كلمة منهن صدقة من الصدقات، كما في صحيح مسلم من حديث أبي ذر ﷺ أن أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم..

قال: «**أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**»..

قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر**»[٢]. وقد ظن هؤلاء الفقراء أن لا صدقة إلا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك فأخبرهم النبي ﷺ أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان من الصدقات وذكر في مقدمة هؤلاء، الكلمات الأربع، وهن الباقيات الصالحات..

ومن فضائلهن أن الرسول المصطفى ﷺ جعلهن عوضًا عن القرآن الكريم لمن لا يحسنه: فعن ابن أبي أوفى – رضي الله عنهما – قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لا أستطيع أن أتعلم القرآن، فعلمني شيئًا يجزيني، قال: تقول: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»..

فقال الأعرابي: هكذا، وقبض يديه، فقال: هذا لله فمالي؟ قال: «**تقول: اللهمَّ اغفر لي، وارحمني وعافني وارزقني واهدني**» فأخذها الأعرابي وقبض كفيه، فقال النبي ﷺ: «**أما هذا فقد ملأ يديه بالخير**»[٣]..

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي واللفظ له، وابن حبان والحاكم، وصححه وذكره الألباني في «الصحيحة» (١٢٠٤)، و«صحيح الترغيب» (١٥٥٧).

(٢) رواه مسلم.

(٣) **حسن**: «صحيح سنن أبي داود» للألباني برقم (٨٣١)، وأخرجه الدارقطني (١/ ٣١٤).

أيها الموحدون الكرام..

املئوا أيديكم بالخير، وقلوبكم بالخير، وحياتكم كلها بالخير والذكر.. والباقيات الصالحات ذكر لربنا ﷻ، ونحن مأمورون بذكره سبحانه، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾..

اذكـــروا الله بكـــرة وأصـــيلاً	وتبـــتل لذكـــره تبتـــيلاً
اذكـــر الله ذكـــر حـــب وشـــوق	واجعـــل الذكـــر للوصـــال ســبيلاً
وارض بـــالله مؤنـــسًا وجليـــسًا	واتخـــذه دون العـــباد وكـــيلاً
الـــزم الذكـــر والقـــرآن واتـــبعهم	تجـــده لوصـــال ربـــك كفـــيلاً

والذكر هو السهل الممتنع، إذ لا يحتاج إلى بذل مجهود كبير، أو تحمل عناء طويل واللسان لا يهدأ له بال، ولابد له من كلام.. فالقلوب بور وخراب، والذكر عمارتها، وأساسها.. وإن كان هذا هو الحال، فلا تبخل على نفسك، وألق بلسانك في دوامة الذاكرين، وأدخل قلبك بوابة المستغفرين، واشغل عقلك برب العالمين، لتأتي يوم القيامة من الآمنين..

وكم ضاع منك يا ابن آدم الساعات.. وكم فاتك الثواب الجزيل.. وهذه الأيام مثل المزرعة.. فكأنه قيل للإنسان: كلما بذرت حبة، أخرجنا لك ألف.. فهل يجوز للعاقل أن يتوقف في البذر ويتوانى؟!

واعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة.. لا تحقرن من المعروف شيئًا.. من رجحت كفة حسناته عن سيئاته بحسنة، فاز..

يا جرحى الذنوب، قد علمتم المراهم، فداووا جراح الذنوب.

يـــا ناظـــرًا يـــرنو بعينـــي راقـــد	ومـــشاهدًا للأمـــر غـــير مـــشاهد
منـــيت نفـــسك ظلـــة وأبحـــتها	طـــرق الـــرجاء وهـــن غـــير قواصـــد
تـــصل الذنـــوب إلى الذنـــوب وترتجـــي	درج الجـــنان بهـــا وفـــوز العابـــد
ونـــسيت أن الله أخـــرج آدمـــا	مـــنها إلى الدنـــيا بـــذنب واحـــد

فطوبى لمن قرن ذنبه بالاعتذار، وتلافاه باستغفاره آناء الليل وأطراف النهار والويل كل الويل لمن أحكم عقد الإصرار..

اللهمَّ اختم بالباقيات الصالحات أعمالنا..

اللهمَّ هب لنا لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا، وجسدًا على البلاء صابرًا..

اللهمَّ أغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وجملنا بالعافية..

اللهمَّ اجعلنا ممن سبقت لهم الحسنى وزيادة..

اللهمَّ انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا..

اللهمَّ إنا نسألك باسمك الطاهر، الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به فرجت..

أحيي قلوبنا بالإيمان، وأطلق لساننا بالقرآن العظيم، على النحو الذي يرضيك عنا..

اللهمَّ إنا نسألك القصد في الغنى والفقر، والتسليم في جميع الأحوال.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٩١)

أتريد أن يحبك النبي ﷺ ؟

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من أشد أمتي لي حبًّا، ناس يكونون بعدي، يود أحدهم، لو رآني بأهله وماله** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها المسلمون أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ..

يخبر الحبيب المصطفى، والنبي المجتبي ﷺ بأناس يحبونه حبًّا جمًّا وهؤلاء الناس يأتون في زمان بعد زمانه ﷺ هؤلاء يتمنون أن يفدي الرسول ﷺ بأهله وماله وما يملكه في حياته في سبيل الوصول إلي رؤيته ﷺ

أترون أن هؤلاء يحبون رسول الله ﷺ ويحبهم أم لا؟

لا شك أنهم أشد الناس حبًّا للرسول الأعظم، والنبي الأكرم، لأنهم آمنوا به حق الإيمان.. فحبه هو الإيمان كله.. ففي « الصحيحين » من حديث أنس: أنه ﷺ قال: « **لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** »[2]..

وقد خص الوالد والولد بالذكر، لكونهما أعز خلق الله على الإنسان، بل ربما كان أحب إليه من نفسه، وفي هذا تأكيد على أنه يجب أن يكون الرسول ﷺ أحب إلى نفس المؤمن من كل حبيب وعزيز عليه من سائر البشر[3]..

فمن استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن به استنقذنا من النار، وهدينا من بعد الضلال..

وكيف لا يحبه المؤمن ويتمنى رؤيته، ولو كان في ثمنها كل ما يملك من مال أو جاه أو سلطان، وقد قال ﷺ : « **طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى، ثم طوبى لمن**

---

(١) رواه مسلم، وذكره الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٥٨٩٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) « فتح الباري » (١/ ٥٩) لابن حجر.

آمن بي، ولم يرني»[١]..

وفي رواية من حديث أبي أمامة: «**طوبى لمن رآني وآمن بي مرة، وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات**»[٢]. وفي رواية: «**طوبى لهم وحسن مآب**»[٣]..

كيف لا نحبه وقد شرفه الله ﷻ وفضله، فأقسم بحياته، فقال: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر: ٧٢]..

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: ما خلق الله، وما برأ، وما ذرأ نفسًا أكرم عليه من محمَّد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره..

وكيف لا، وهو سيد العالمين.. قال النبي ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»[٤]..

فيا ليتنا نعلم قدر النبي ﷺ ونشتاق إليه، كما يشتاق هو إلينا، ونحبه كما يحبنا.. أما علمتم أنه قد خبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة..

قال ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**»[٥]..

كيف لا نحبه ونتمنى أن نفوز برؤيته، وقد أحبه الجمادات.. فها هو ﷺ يمر يومًا هو وأصحابه أمام جبل أحد، وإذا بالحبيب يقول لأصحابه: «**أُحد جبل يحبنا ونحبه**»..

بل وتتحول هذه الكلمات إلى واقع عندما صعد النبي ﷺ جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، وإذا بالجبل يتفاعل مع محبة النبي ﷺ وأصحابه، فيهتز فرحًا بالنبي ﷺ وأصحابه، وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يقول له مخاطبًا إياه، كأنه عاقل: «**اثبت أُحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**»..

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والحاكم والبخاري في «التاريخ»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٢٤).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن بسر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٢٦).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني وأبو يعلى وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٦٧).

(٥) رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩).

كيف لا نَحنُّ لرؤيته، وقد حن له الجذع صلى الله عليك وسلم يا رسول الله، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: ارسل رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار، فقال لها: «**مري غلامك النجار أن يعمل لي أعوادًا أجلس عليهن، إذا كلمت الناس**» فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها، فوضعت..

قال جابر: فلما وضع له المنبر، سمعنا للجذع مثل أصوات العشار، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه..

وفي رواية للبخاري من حديث جابر أيضًا أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل -: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «**إن شئتم**» فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة، دُفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، وهو يئن أنين الصبي، الذي يسكن، قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»..

وفي سنن الدرامي من حديث أنس ﷺ أن الجذع خار كخوار الثور، حتى ارتج المسجد، حزنًا على رسول الله ﷺ فنزل رسول الله من على المنبر فالتزمه، وهو يخور، فلما التزمه رسول الله، سكن، ثم قال: «**أما والذي نفسي بيده، لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله**»، فأمر به رسول الله ﷺ فدفن[1]..

كيف لا نتمنى رؤيته، وكيف لا نحبه، والجمل قد أحبه، وسجد له عندما بزغت أنواره ﷺ فعن أنس ﷺ قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وأنه استصعب عليهم، فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن الجمل استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا**» فقاموا، فدخل الحائط - أي البستان - والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، إنه صار مثل الكلب - أي المفترس - وإنا نخاف عليك صولته فقال: «**ليس عليّ منه بأس**» فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه، حتى خرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله! هذه بهيمة لا تعقل،

---

(١) صحيح: رواه الدارمي في «المقدمة»، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢١٧٤).

وتسجد لك، ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: « **لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقِّه عليها ...** »(١)..

فتأملوا كيف عرفه الجمل، وسجد بين يديه، وكيف لا يعرفه، وقد قال النبي ﷺ: « **إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس** »(٢)..

أحباب المصطفى ﷺ..

فرؤية النبي ﷺ أحب من الأهل والمال عند قوم آمنوا به ﷺ ولم يروه، كما في حديث الباب، الذي رواه مسلم..

ولحديث أبي ذر ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **أشد أمتي لي حبًّا قوم يكونون بعدي، يود أحدهم أنه فقد أهله وماله، وأنه رآني** »(٣)..

فماذا نفعل حتى يحبنا النبي ﷺ ونرافقه في الجنة؟

إن كنتم تريدون أن يحبكم النبي ﷺ فعليكم باتباع شريعته وباتباع هديه ﷺ وبمحبته محبة صادقة.. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١] قال الإمام بن القيم - رحمه الله -: وهي - أي هذه الآية - تسمى آية المحنة.. قال أبو سليمان الداراني - رحمه الله -: لما ادعت القلوب محبة الله ﷻ، أنزل الله لها محنة، قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله(٤). فالذي يدعي محبة النبي ﷺ دون التقيد بما جاء به من ربه، فهو كاذب في الحقيقة..

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: وليس للخلق محبة أعظم، ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه، فإن الرسول ﷺ يُحب من أجل الله، ويُطاع لأجل الله،

---

(١) صحيح: رواه أحمد في « مسنده » (١٢٢٠٣)، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٩٣٦).

(٢) حسن: رواه أحمد في « مسنده » (١٣٩٢٣)، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (١٧١٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد في « مسنده »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٠٠٣).

(٤) « مدارج السالكين » (٣/ ١٨-٢٥) بتصرف لابن القيم.

ويتبع لأجل الله، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...﴾ [آل عمران: ٣١][١]..

فماذا نفعل لنكون كذلك؟

١ - أولى الناس بالنبي ﷺ أكثرهم صلاة عليه، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **أولى الناس بي يوم القيامة، أكثرهم عليَّ صلاة** »[٢]..

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله إليّ روحي، حتى أرد عليه السلام** »[٣]..

وعن أبي أمامة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **أكثروا عليّ من الصلاة في يوم الجمعة، فإن صلاة أمتي تُعرض عليّ في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة، كان أقربهم مني منزلة** »[٤]..

والصلاة من الله ﷻ الثناء عليه أمام الملأ الأعلى، ومن الملائكة والبشر الدعاء له.. من الله رحمة ونور.. ويستحب كثرة الصلاة عليه في يوم الجمعة أو ليلتها.. للحديث السابق، ولحديث البيهقي في السنن الكبرى: « **أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، وليلة الجمعة** »[٥]..

وعن عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ: « **من صلى عليّ أو سأل لي الوسيلة، حقت له شفاعتي يوم القيامة** »[٦]..

صلى الإله على خير الأنام ومن ... نرجوا النجاة به في موضع العطب

فهو الشفيع لمن يرجو شفاعته ... عند الحساب وعند اللهو والكرب

---

(١) « الفتاوى الكبرى » (١٠/ ٦٤٩) لابن تيمية.

(٢) **حسن**: رواه الترمذي وابن حبان في « صحيحه »، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٦٦٨).

(٣) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (٦٦٦).

(٤) **حسن لغيره**: رواه البيهقي بإسناد حسن قاله المنذري في « الترغيب »، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٦٧٣).

(٥) **حسن**: رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٣/ ٢٤٩)، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٢٠٩).

(٦) **صحيح**: رواه النسائي والترمذي وأحمد وغيرهم.

فأكثروا من الصلاة على سيد الأنبياء، وأكرم الأصفياء، وأجل من ولدت النساء صلى الله عليه صلاة دائمة بلا انقضاء..

٢- أحسن الناس خلقًا أقربهم من نبيهم وحبيبهم يوم القيامة: قال ﷺ : « **إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ، وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** » قالوا: يا رسول الله، ما المتفيهقون؟ قال: « **المتكبرون** »(١). وقد كان من دعاء النبي المصطفى ﷺ : « **اللهمَّ اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسن الأخلاق إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت** »(٢)..

فليعلم المسلم بأن حسن الخلق من أحب الأعمال إلى الله ورسوله.. قال ﷺ : « **أحب عباد الله إلى الله، أحسنهم خلقًا** »(٣)..

وحسن الخلق من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ : « **أعظم ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق** »(٤)..

إننا نعيش في هذا الزمان أزمة في الأخلاق، وزهدًا في التنافس عليها، بل إنك ترى بعض الناس يعيب على صاحب الأخلاق الحسنة، ويستهزئ به لأجل تمسكه بأخلاق الإسلام.. وليس ذلك بغريب، فنحن في زمن الغربة..

٣- أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من أطاعه، وأطاع مولاه: قال ﷺ : « **من أطاعني، فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير، فقد أطاعني، ومن يعصى الأمير، فقد عصاني** »(٥)..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى** » قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟ قال: « **من أطاعني دخل الجنة، ومن**

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٢٠١).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٠).

(٣) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٤٣٢)، و« صحيح الجامع » (١٧٩).

(٤) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٧٢٣)، و« الصحيحة » (٩٧٧).

(٥) رواه البخاري ومسلم.

عصاني فقد أبى »[1]..

فإذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى[2]..

فمن لرسول الله ﷺ متبعًا، كان لمحمَّد محبًّا..

ولقد أحسن من قال:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبته طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق** »[3]..

٤- ومما يقربكم من حب المصطفى ﷺ ويدخلكم يوم القيامة في جواره ومرافقته « كثرة السجود لله رب العالمين »:

فعن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ خادم رسول الله ﷺ قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته، فقال لي: « **سلني** » فقلت: أسألت مرافقتك في الجنة..

فقال: « **أو غير ذلك؟** » قلت: هو ذاك..

قال: « **فأعني على نفسك بكثرة السجود** »[4]..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) « مدارج السالكين » (٣/ ٩) لابن القيم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

مرافقتك: أي قربك بحيث أراك، وأتمتع برؤيتك.. ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]. والسجود لله ﷻ أعظم دلائل الإجلال، وتمريغ الوجه في التراب أقصى علامات التذلل للوهاب..

فالسجود أقصى درجات العبودية.. وأجل مظاهر التذلل.. وأصدق دلائل الإذعان.. وأجمل رسائل الحب.. وأعذب مناظر الخشوع.. وأفضل أثواب الافتقار.. وهو انطراح للجبار.. وتذلل للقهار..

يسجد الملك والمملوك.. والغني والفقير.. والسيد والمسود.. والرجل والمرأة وبقدر سجودك لله بقدر رفعتك عند الله.. والسجود لغيره ذلة واتضاع والسجود له عزة وارتفاع.. « **وعليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك خطيئة** »[(١)]. وقال ﷺ: « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** »[(٢)]..

٥- إذا أردت أن يحبك النبي ﷺ وترافقه في الجنة، فأحب محبوبات النبي ﷺ وما هي الأمور التي كان يحبها النبي المحبوب؟ النبي ﷺ كان يحب أمورًا كثيرة جدًّا منها:

(١) حب ذكر الله ﷻ: قال ﷺ: « **لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس** »[(٣)]..

وقال ﷺ: « **لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة ...** »[(٤)]..

(٢) النبي ﷺ حبب إليه من الدنيا ثلاثة: قال ﷺ: « **حبب إليّ من دنياكم: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة** »[(٥)]. لم يقل من الدنيا، وإنما قال: من دنياكم، لأن كل واحد منهم ناظر إليها، وإن تفاوتوا فيها، ونظرًا لحقارتها وزهده فيها..

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم والترمذي.

(٤) حسن: رواه أبو داود وغيره، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٠٣٦)، و« صحيح الترغيب » (٤٦٥).

(٥) صحيح: رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣١٢٤).

حبب إليه النساء، لنقل ما بطن من الشريعة مما يستحيا من ذكره من الرجال، ولأجل كثرة سواد المسلمين، ومباهاته بهم يوم القيامة..

والطيب، لأنه حظ الملائكة، وهم لا غرض لهم في شيء من الدنيا سواه، فكأنه يقول: حبي هاتين الخصلتين، إنما هو لأجل غيري..

(٣) وكان أحب العبادة إليه، ما دووم عليها.. فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان أحب العمل إليه ما دووم عليه، وإن قل[١]..

وفي رواية في «الصحيحين»: «**وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه، وإن قل**»[٢]. لأن المداومة توجب ألفة النفس للعبادة الموجبة لإقبال الحق تبارك وتعالى على العبد بمزايا الإكرام، ومواهب الإنعام..

(٤) النبي ﷺ يحب أن يخالف اليهود والنصارى:

تقول السيدة أم سلمة - رضي الله عنها -: كان أكثر صومه ﷺ السبت والأحد، ويقول: «**هما يوما عيد المشركين، فأحب أن أخالفهم**»[٣] فيه: أنه لا يكره إفراد السبت مع الأحد بالصوم، ولكن المكروه هو إفراد السبت لأن اليهود تعظمه، ويكره إفراد الأحد، لأن النصارى تعظمه، ففيه تشبه بهم، بخلاف ما لو جمعهما، إذ لم يقل أحد منهم بتعظيم المجموع..

(٥) وكان ﷺ يحب أن يرفع عمله إلى الله ﷻ - وهو صائم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي، وأنا صائم**»[٤]..

(٦) كان يحب أمورًا في المأكل والمشرب والملبس، فمن أحبه اقتدى به، ومن اقتدى به، كان معه يوم القيامة، وسعد برؤيته في جنة الفردوس الأعلى..

---

(١) **صحيح**: «صحيح سنن الترمذي» (٢٨٥٦) ألباني، و«صحيح الجامع» (٤٦٣٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) **حسن**: رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٠٣).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٥٩)، و«صحيح الترغيب» (١٠٤١).

١- فعن أنس ﷺ قال: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ الحبرة[١]. وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: كان أحب الثياب إليه القميص[٢]. عن أنس قال: كان أحب الألوان إليه: الخُضرة[٣]..

٢- وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان أحب الشراب إليه الحلو البارد[٤]..

٣- وعنها - رضي الله عنها - قالت: كان أحب الشهور إليه أن يصومه شعبان[٥]..

٤- وعن ابن مسعود ﷺ قال: كان أحب العرق إليه ذراع الشاة[٦]..

٥- وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ **يحب التيامن ما استطاع** في طهوره وتنعله وترجله، وفي شأنه كله[٧]..

٦- وعنها - رضي الله عنها -: **كان يحب الحلواء والعسل**[٨]..

٧- وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا عدوى ولا هامة، ولا طيرة، وأحب الفأل الحسن** »[٩]..

٨- وكان يحب من سور القرآن سورة الفتح، فعن عمر بن الخطاب ﷺ **أنَّ** رسول الله ﷺ قال: « **لقد أنزلت عليّ الليل سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾** [الفتح: ١] »[١٠]..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٦٢٥).

(٣) حسن: رواه الطبراني وابن السني وأبو نعيم في « الطب »، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٦٢٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذي والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٦٢٧).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٦٢٨).

(٦) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن السني، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٦٢٩).

(٧) رواه البخاري ومسلم.

(٨) رواه البخاري ومسلم.

(٩) رواه مسلم.

(١٠) رواه البخاري.

وعند مسلم من حديث أنس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: لقد أنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعًا.. ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ إلى قوله: ﴿ **عَظِيمًا** ﴾[1]..

٩- وكان أحب البلاد إليه مكة المكرمة: قال ﷺ: « **والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت** »[2]..

١٠- وكان ﷺ يحب للناس ما يحب لنفسه، قال ﷺ: لأبي ذر الغفاري ﷺ: « **يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تتأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم** »[3]..

أيها الأحبة الكرام..

إن أردتم اللحوق بالرسول الأعظم، والنبي الأكرم، إن أردتم أن يحبكم الله ورسوله فهذه الوصية بين يديك، اعمل بما كان يحبه، يحبك.. وتحشر معه يوم القيامة.. فهو القائل ﷺ: « **المرء مع من أحب** »[4]..

اللهمَّ احشرنا في زمرة نبينا.. اللهمَّ اجمع بيننا وبينه في الفردوس الأعلى..

اللهمَّ اجعله شافعًا لنا يوم أن نلقاك.. اللهمَّ أوردنا حوضه، واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا..

اللهمَّ رضنا وارض عنا، وعافنا واعف عنا، وأكرمنا ولا تهنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.. اللهمَّ اجعل حب رسولنا في قلوبنا أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا والناس أجمعين..

❁❁❁❁

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وأحمد وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٠٨٩).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

الوصية رقم (٩٢)

استعيذوا بالله من العين

عن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **استعيذوا بالله من العين، فإنَّ العين حقّ** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

في هذه الوصية الكريمة المباركة يوصينا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ وطبيب القلوب وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها.. بأبي وأمي هو ﷺ أن نستعيذ بالله ﷻ من العين، ويعلل ذلك بأنها حق..

ومعنى استعيذوا: أي اطلبوا الإعاذة بالله.. والاستعاذة هي اللجوء إلى الله ﷻ، وطلب العون منه سبحانه في أن يقي الإنسان شر العين ففيها أي العين - آفة تصيب الإنسان والحيوان من نظر العائن إليه، فيؤثر فيه، فيمرض أو يهلك بسببه، فإنها حق، أي بقضاء الله ﷻ وقدره لا بفعل العائن.. وهذا ما نسميه بالحسد..

ولما كان الحسد مرض خطير، وداء وبيل من أمراض النفوس، أمرنا النبي ﷺ هنا أن نستعيذ بالله تعالى من شره..

إنه مرض غالب فلم يخلص منه إلا القليل من الناس، ولذلك قيل: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه..

قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥]..

وبالحسد لعن إبليس، وجعل شيطانًا رجيمًا.. فقد قيل: إنه أول ذنب عصى الله ﷻ به في السماء..

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، وهو في « صحيح سنن ابن ماجة » للألباني برقم (٣٥٠٨)، و« صحيح الجامع » (٩٣٨)، و« الصحيحة » (٧٣٧).

والحسد: هو أن يرى الرجل لأخيه نعمة، فيتمنى أن تزول عنه، وتكون له دونه.. وقيل: هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود وكلمة الحسد جاءت في القرآن الكريم بجميع مشتقاتها المختلفة خمس مرات قال تعالى: ﴿ **لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم** ﴾ [البقرة: ١٠٩]..

وقال تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ** ﴾ [النساء: ٥٤]..

وقال: ﴿ **فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا** ﴾ [الفتح: ١٥] وفي سورة الناس مرتين..

وما دام الحسد ثابت بالكتاب والسنة، فمنكره معاند..

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في الرد على منكر الحسد:

ولا ريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص، وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه، كيف يحمر حمرة شديدة، إذا نظر إليه من يحتشمه، ويستحي منه، ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه.. وقد شاهد الناس من يسقم من النظر، وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح، ولشدة ارتباطها بالعين، ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود، أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود، فتؤثر فيه بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بهذا (الأفعى) فإن السم كامن فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية، وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية، فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى، حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تؤثر في طمس البصر[1].. كما قال النبي ﷺ في الأبتر، وذي الطفتين من الحيات: «**اقتلوا الحيات، واقتلوا ذا الطفتين** - خطان أبيضان على ظهر الحية - **والأبتر** - قصير الذنب أو مقطوعة - **فإنهما يطمسان البصر، ويسقطان الحبل** - أي الجنين»[2]..

---

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (٤/ ١٤٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم بنحوه، ورواه أحمد والبيهقي والترمذي.

أحبتي في الله..

والحسد نوعان: ١- حسد مذموم. ٢- وحسد محمود..

أولاً: المذموم: المقصود به أن يرى الإنسان نعمة على إنسان آخر فيتمنى أن تزول عنه، وتنتقل إليه، وهذا النوع مذموم، ذمه الله تعالى، وذمه رسوله ﷺ وذلك لما يترتب عليه من مفاسد في الدين والدنيا.. قال ﷺ: « **دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين** »[١]..

ومعنى دب إليكم أي سار إليكم عادة الأمم الماضية..

هي الحالقة أي الخصلة التي من شأنها أن تحلق أي تهلك وتستأصل الدين، كما يستأصل الموسى الشعر..

وقال ﷺ: « **سيصيب أمتي داء الأمم** » قالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: « **الأشر** - أي كفر النعمة - **والبطر** - أي الطغيان عند النعمة وشدة الفرح والمرج - **والتكاثر والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي** »[٢]..

وروي الشيخان عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا** »[٣]..

وروى النسائي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان، والحسد** »[٤]..

قال الغزالي - رحمه الله -:

الحاسد لا ينال من المجالس إلا خدمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضًا، ولا ينال من الخلق إلا جزعًا وغمًا، ولا بنال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً[٥]..

---

(١) حسن: رواه أحمد والبزار والترمذي، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٠٣٨).

(٢) حسن: رواه الحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي، وقال العراقي: إسناده جيد.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) حسن: « صحيح سنن النسائي للألباني » (٣١٠٩)، و« صحيح الجامع » (٧٦٢٠).

(٥) « إحياء علوم الدين » للغزالي (٢/ ٣٧٦).

وقال سيدنا زكريا عليه السلام: قال الله تعالى: الحاسد عدو لنعمتي، متسخط لقضائي، غير راض بقسمتي، التي قسمت بين عبادي[1]..

وقال بعض السلف: أول خطيئة هي الحسد، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته، فأبى أن يسجد له، فحمله على الحسد والمعصية..

أيــا حاســدًا لي عــلى نعمتــي أتــدري عــلى مــن أســأت الأدب؟

أســأت عــلى اللــه في حكمــه لأنــك لم تــرض لي مــا وهــب

فأخـــزاك ربـــي بـــأن زادني وســد علــيك وجــوه الطلــب

وحكي أن عون بن عبد الله، دخل على الفضل بن المهلب، وكان يومئذ أمير على واسط، فقال: إني أعظك بشيء، فقال: وما هو؟

قال: إياك والكبر، فإنه أول ذنب عصي الله به، ثم قرأ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ... ﴾ [البقرة: ٣٤] وإياك والحرص، فإنه أخرج آدم من الجنة، أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض، يأكل منها، إلا شجرة واحدة، نهاه عنها، فأكل منها، فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا ﴾ [البقرة: ٣٤] وإياك والحسد، فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده.. ثم قرأ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ... ﴾ [المائدة: ٢٧] وإذا ذكر أصحاب رسول الله، فأمسك، وإذا ذكر القدر فاسكت وقال الحسن: يا ابن آدم، لمَ تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه، فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك، فلم تحسد من مصيره إلى النار؟

وقال بكر بن عبد الله: كان رجل يغشى بعض الملوك، فيقوم بحذاء الملك، فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء، سيكفيكه إساءته. فحسده رجل على ذلك المقام، والكلام.. فسعي به إلى الملك، فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك، ويقول ما يقول، زعم أن الملك أبخر - أي رائحة فمه قبيحة نتنة - فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك، فإنه إذا دنا منك، وضع يده على أنفه، لئلا يشم رائحة فم الملك فقال له: انصرف حتى أنظر، فخرج من عند الملك، فدعا الرجل إلى منزله

---

(١) نفس المرجع السابق.

فأطعمه طعامًا فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده، وقام بحذاء الملك على عادته، فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء سيكفيكه إساءته، فقال له الملك: ادن مني، فدنا منه، فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم..

فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانًا إلا قد صدق، وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة، فكتب له كتابًا بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي، فاذبحه واسلخه، واحش جلده تبنًا، وابعث به إليّ، فأخذ الكتاب وخرج، فلقيه الرجل الذي سعى به إلى الملك، فقال له: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة...

فقال: هبه لي.. فقال: هو لك. فأخذه ومضى به إلى العامل..

فقال عامل الملك: في كتابك أن أذبحك وأسلخ جلدك..

فقال: هذا الكتاب ليس لي.. ولا تذبحني حتى تراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه، وحشا جلده تبنًا، وبعث به إلى الملك.. ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته، وقال مثل قوله، فتعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان، فاستوهبه مني، فوهبته له، فقال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر.. قال: ما قلت ذلك؟ قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني طعامًا فيه ثوم، فكرهت أن تشمه، قال الملك: صدقت.. ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته[1]..

وقال ابن سيرين - رحمه الله -: ما حسدت أحدًا على شيء من أمر الدنيا، لأنه إن كان من أهل الجنة، فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة؟ وإن كان من أهل النار، فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟

ومراتب الحسد المذموم أربع:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه، وإن كان ذلك لا ينتقل إليه، وهذا غاية الخبث..

الثانية: أن يحب زوال النعمة عن الغير، وأن تنتقل إليه، مثل رغبته في دار حسنة، أو امرأة جميلة، أو ولاية نافذة، أو سعة نالها غيره، وهذه المرتبة هي الغالبة بين الحساد..

---

(١) «الإحياء» للغزالي (٢/ ٣٧٧).

الثالثة: أن لا يشتهي عينها لنفسه، بل يشتهي مثلها، فإن عجز عن مثلها، أحب زوالها، كي يظهر التفاوت بينهما..

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه[1]. وهذه المرتبة تسمى (بالحسد المحمود)..

ثانيًا: الحسد المحمود: ويسمى بالغبطة، أو المنافسة، ومن المعلوم أن المنافسة تكون في عمل الخيرات، وطلب الآخرة.. وهو أمر محمود حث عليه القرآن الكريم، وسنة النبي الكريم ﷺ قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ...** ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال: ﴿ **وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ** ﴾ [المطففين: ٢٦]..

وفي البخاري من حديث أبي هريرة ؓ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علمًا فهو يعمل به ويعلمه الناس** »[2]..

وفي رواية: « **رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل** »[3]..

فهذا عمر ينافس أبا بكر الصديق ؓ يقول عمر بن الخطاب: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: « **ما أبقيت لأهلك؟** »، قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: « **يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟** »، قال: أبقيت لهم الله ورسوله..

قال عمر: والله ما سابقت أبا بكر إلى خير إلا سبقني إليه[4]..

---

(١) « الإحياء » (٢/ ٣٨٠) للغزالي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم بنحوه.

(٤) حسن: رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني في « المشكاة » (٦٠٢١).

والمؤمن لا يحسد أخاه المؤمن على نعمة أنعم الله بها عليه، وإنما ينافسه قال تعالى عن المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ [الحشر: ٩]..

قال ابن كثير - رحمه الله - في قوله: « **ولا يجدون في صدورهم حاجة** » ولا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقدير في الذكر والمرتبة[١]..

أحبتي الكرام..

لكن ما هي أسباب الحسد؟

ذكر الإمام الغزالي - رحمه الله - في « الإحياء »: أن أسباب الحسد محصورة في العداوة، والكبر، والعجب، والخوف من فوات المقاصد المحبوبة، وحب الرياسة، وخبث النفس وبخلها[٢]..

لكن ما حكم الرقية من العين؟

الرقية من العين مشروعة وثابتة في السنة المطهرة، فعن أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة - أي صفرة - فقال: « **استرقوا لها، فإن بها النظرة** »[٣]..

وتقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - دخل النبي ﷺ فسمع صوت صبي يبكي، فقال: « **ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين** »[٤]..

وتقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين[٥]..

---

(١) « تفسير ابن كثير » (١٣/ ٤٨٩).

(٢) « الإحياء » (٢/ ٣٨٠) للغزالي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) **حسن**: رواه أحمد في « مسنده ».

(٥) رواه البخاري ومسلم وعبد الرزاق في « مصنفه »، والبغوي في « شرح السنة » (١٢/ ١٦٣).

وماذا يقال في الرقية؟

في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ جاءه جبريل عليه السلام، فقال: « **يا محمَّد، اشتكيت؟**، فقال: « **نعم** »، **قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك** »(١)..

وهذا أنس بن مالك ﷺ يقول لرجل اشتكى، ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى..

قال: « **اللهمَّ رب الناس، مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا** »(٢)..

ثم يقرأ بسورة الفاتحة، فإنها أم القرآن، وهي الشافية والكافية..

ثم يقرأ بالمعوذتين، فعن عائشة – رضي الله عنها –: « أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه، كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده، رجاء بركتها »(٣)..

واختير المعوذتان، لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً..

ثم قراءة آية الكرسي، فهي سيدة آي القرآن الكريم..

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين – رضي الله عنهما – ويقول: « **إنَّ أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة** »(٤). ويرى بعض أهل العلم قراءة آخر آيات سورة البقرة، فإن فيها شفاء، وفضلاً كبيرًا..

فهذا العلاج من العين إذا لم نكن نعرف العائن. أما إذا عرف العائن فيطلب منه أن يتوضأ في إناء، ونصبه على رأس وظهر المحسود من خلفه، فيبرأ بإذن الله. قال ﷺ:

---

(١) رواه مسلم وابن ماجة وغيرهما..

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

«**العين حق ولو كان شيء سابق القدر، سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا**»[(١)].
وهذا العلاج ثابت في السنة المطهرة..

يروي أبو أمامة بن سهل بن حنيف، فيقول: رأى عامر بن ربيعة، سهل بن حنيف، وهو يغتسل، فعجب منه، فقال: والله ما رأيت مُخبأة في خدرها، أو قال: فتاة في خدرها..

قال: فلبط سهل بن حنيف، حتى والله ما يرفع رأسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**هل تتهمون له أحدًا**»؟

قالوا: نتهم عامر بن ربيعة..

قال: فدعا رسول الله ﷺ عامر بن ربيعة، فتغيظ عليه، وقال: «**سبحان الله! علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت؟ اغتسل له، وإذا رأى منه شيئًا يعجبه، فليدع له بالبركة، إن العين حق**»[(٢)]..

فغسل له عامر وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح سهل بن حنيف ليس به بأس..

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان يؤمر بالعائن، فيتوضأ، ثم يغتسل منه المعين[(٣)]..

لكن هل هناك أسبابًا للوقاية من الحسد؟

نعم هناك عدة أسباب ذكرها العلامة ابن القيم - رحمه الله - في بدائع الفوائد نوجزها فيما يلي:

الأول: التعوذ بالله وحده من شر الحاسد: فإن الله سميع لمن استعاذ به وعليم بما يستعيذ العبد منه..

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد وابن ماجة.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وابن حبان في «صحيحه»، وابن ماجة ومالك والطبراني.

(٣) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» برقم (٣٢٨٦).

الثاني: تقوى الله ﷻ وحفظه عند أمره ونهيه: فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يكله إلى غيره.. قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]..

الثالث: الصبر على عدوه (حاسده): فلا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نصبر أحد على عدوه بمثل الصبر عليه..

قال الشاعر:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

الرابع: التوكل على الله: فإنه من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد عن نفسه ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعداوتهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه..

الخامس: فراغ القلب من الاشتغال بالحسد: فيجب عليه أن يمحو الحسد من قلبه، كلما خطر له، ولا يلتفت إليه ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه..

السادس: الإقبال على الله، وإخلاص العمل له: فالإخلاص هو سبب انتصار العبد على الشيطان الرجيم، قال الله ﷻ حكاية عن الشيطان: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] فمن دخل في حصن الإخلاص، لم يخلص إليه من الجن والإنس..

السابع: تجريد التوبة إلى الله ﷻ من الذنوب، وليعلم العبد أن ما يصيبه إنما هو من ذنوبه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ...﴾ [الشورى: ٣٠] فكلما تاب العبد من ذنوبه، كلما كان ذلك سببًا لتجنبه الحسد من الناس..

الثامن: الصدقة والإحسان إلى الناس: وكي يتجنب المسلم الحسد، ينبغي له أن يكثر من الصدقات في السر والعلانية، ويحسن إلى الناس، فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء عن المؤمن، ودفع الحسد عنه كذلك..

وهذا واقع ملموس، فمن النادر أن يتسلط الأذى والحسد على صاحب صدقة خالصة لله تعالى، وإن إصابة شيء من الحاسد، فإن الله يلطف به، جزاء ما قدم..

التاسع: الإحسان إلى الحاسد: إن من أعظم الأسباب لدفع الحسد، والتي لا يوفق إليها إلا من وفقه الله، إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]..

العاشر: تجريد التوحيد: فيجب على العبد أن يشغل فكره دائمًا بالله تعالى فهو وحده مسبب الأسباب، ولا يحدث شيء في هذا الكون إلا بإرادته، ومشيئته قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] فالتوحيد حصن الله الأعظم من دخله كان من الآمنين[١]..

أخي الحبيب..

تجنب هذه الرذيلة الشنيعة، واعلم أن خزائن الله مملوءة بالخيرات، وأن نعمه لا تنفد ولا تحصى، وبدلاً من أن تحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، جد في عملك، وادأب في سعيك، وتلمس النجاح من أبوابه، فإن الله سيعينك على قصدك، ويوصلك إلى مرادك..

واعلم أن الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه:

أولها: قد أبغض كل نعمة ظهرت على غيره..

والثاني: سخط لقسمة ربه، كأنه يريد أن يقول لربه: لم قسمت هكذا؟

والثالث: أنه ضن بفضله، يعني أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله تعالى..

والرابع: خذل ولي الله تعالى، لأنه يريد خذلانه، وزوال النعمة عنه..

والخامس: أعان عدوه، يعني إبليس لعنه الله[٢]..

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٢٣٨) باختصار وإيجاز.

(٢) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (ص١٣٨، ١٣٩).

اللهمَّ زينا بالإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، وارزقنا حفظ الأمانة من الغش والخيانة، وجنبنا صفات المنافقين، وجملنا بأخلاق المؤمنين واجعلنا أمناء على أمرك ونهيك..

اللهمَّ إنا نسألك أن تطهر قلوبنا من الحسد والحقد والبغضاء..

اللهمَّ إن نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات وحب المساكين، واغفر لنا ولوالدينا يا رب العالمين..



الوصية رقم (٩٣)

استغفروني أغفر لكم

عن أبي ذر الغفاري ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن رب العزة والجلال، أنه قال: « **يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني، أغفر لكم ...** »[١]..

صدق رسول الله فيما بلغ عن ربه

أيها الموحدون..

هذه الوصية المباركة ليست كسائر الوصايا، وإنما هي وصية ربانية من رب العزة والجلال، إنها وصية إلهية قدسية من العزيز الغفار جل في علاه إنه ينادي علينا بنداء يحثنا على أن نرجع إليه.. كأنه يقول: مهما فعلتم من الذنوب، ومهما اقترفتم من الآثام، ومهما ارتكبتم من المعاصي، فأنتم عبادي..

ومما زادني فخرًا وتيهًا	**وكدت بأخمصي أطأ الثريا**
دخولي تحت قولك يا عبادي	**وأن أرسلت أحمد لي نبيًّا**

وهذه الوصية الربانيه جزء من حديث قدسي جليل يقول فيه رب العزة والجلال:

« **يا عبادي، كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني، أهدكم..**

يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني، أطعمكم..

يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني، أكسكم..

يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم.. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا..

---

(١) رواه مسلم.

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا..

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، وقفوا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد منكم مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر..

يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »[١]..

هذا الحديث من أعظم الأحاديث، وهو قاعدة من قواعد الإسلام، وأصل من أصول الدين، كان التابعون إذا حدثوا به جثوا على ركبهم من عظمه..

وسوف نتناول بمشيئة الله ﷻ وعونه وتوفيقه هذه الجزئية المباركة « **إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني، أغفر لكم ...** »..

إن اللطيف الخبير قد علم ما في الخلق من ضعف، وعلم ما هم عليه من قصور ونقص، قد يحملهم على ارتكاب الذنوب، واقتراف المعاصي. ففتح لهم باب الأمل والرجاء في العفو والمغفرة، وأمرهم أن يلجئوا إلى ساحات كرمه، وخزائن فضله، فهو سبحانه رحيم بمن رجاه، قريب ممن دعاه والخطأ والتقصير مما جُبل عليه البشر.. قال ﷺ: « **والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم** »[٢]..

وابن آدم ضعيف، وقد حف به أعداؤه من شياطين الإنس والجن، يحسنون له كل قبيح، ويقبحون في نظره الحسن، ومع هؤلاء الأعداء نفسه الأمارة بالسوء، تدعوه إلى ارتكاب الآثام.. والوقوع في المعاصي والسيئات فهو معرض للخطر من كل جانب..

إني ابتليت بأربع ما سلطوا على ... إلا لشدة شقوتي وعنائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

إبليس يسلك في طريق مهالكي والنفس تأمرني بكل بلاء
وأرى الهوى تدعو إليه خواطري في ظلمة الشبهات والآراء
وزخارف الدنيا تقول: أما ترى حسني وفخر ملابسي وبهائي؟

لكن مع هذا كله قد جعل له حصنًا حصينًا، إذا أوى إليه، رجعت هذه الأعداء كلها خاسئة مدحورة.. وذلكم الحصن هو «الاستغفار» هو التوبة والرجوع إليه سبحانه وتعالى..

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**قال إبليس: وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم.. فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»

فمن بدرت منه خطيئة أو معصية، فبادر بالتوبة منها والاستغفار، كفرها الله عنه، ووقاه خطرها .. ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ١١٠]..

أيها الموحدون..

لقد سمى ربنا ﷻ نفسه بالغفور، وغافر الذنب، وسمى نفسه بالغفار ففي أثر إلهي: «عبدي، أذكرك وتنساني، وأسترك ولا ترعاني، **لو أمرت الأرض، لابتلعتك من حينها، أو البحار لأغرقتك في معينها، أو الشمس لأحرقتك بشعاعها، ولكن أحميك بقدرتي، وأمدك بقوتي، وأؤجلك إلى أجل أجلته، ووقت وقته، فوعزتي وجلالي، لابد لك من الورود علي، والوقوف بين يدي، أعدد عليك أفعالك، وأذكرك أعمالك، حتى إذا أيقنت بالبوار، وقلت: لا محالة أنك من أهل النار، واليتك غفراني، ومنحتك رضواني، وغفرت لك الأوزار، وقلت لك: لا تحزن، فمن أجلك سميت نفسي الغفار**»..

وقد أثنى ربنا ﷻ على المستغفرين، ووعدهم جزيل ثوابه ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ** ...﴾ أي خير من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة،

---

(١) صحيح: رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٠٤)، وذكره في «الترغيب» (٦١٧)، و«صحيح الجامع» (١٦٥٠).

والخيل المسومة، والأنعام والحرث.. لمن؟ وما الذي هو خير منه؟ ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥] من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦، ١٧]..

وهذا يدلنا على أهمية الاستغفار، وبيان لفضيلته، وشدة حاجتنا إليه وقد قص الله ﷻ لنا عن أنبيائه أنهم كانوا يستغفرون ربهم ويتوبون إليه، فذكر عن الأبوين: آدم وحواء - عليهما السلام - أنهما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وذكر لنا عن نبي الله نوح عليه السلام أنه قال: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وقال أيضًا: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ...﴾ [نوح: ٢٨]..

وذكر عن كليمه موسى عليه السلام أنه قال حين وكز الرجل الذي هو عدو له.. ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦] وذكر عن نبيه داود عليه السلام أنه ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وأمر خاتم رسله وأنبيائه بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]..

ورسول الله ﷺ بعد أن فرغ من تبليغ رسالة ربه، وبلغ البلاغ المبين، أمره ربه أن يكثر من الذكر والاستغفار، فقال سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣] وكان ﷺ إذا فرغ من الصلاة، بادر إلى الاستغفار..

وسيدنا عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يقول: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: «**رب اغفر لي، وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور**»[1]. وكان ملازمًا للاستغفار آناء الليل، وأطراف النهار، حتى قال عنه نفسه: «**والله إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[2]..

وهكذا شأن أرباب العزائم، وأهل الإيمان الخالص، يلجئون إلى الله ﷻ على

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٥٦).

(٢) رواه البخاري.

الدوام، ويكثرون التوبة والاستغفار، صادقين مخلصين غير يائسين، ولا مصرين.. قد ملأت خشية الله قلوبهم، ورسخت في مقام الإحسان أقدامهم إنهم كما وصفهم ربهم.. ﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] أولئك هم العارفون المتقون، ويكثرون من الطاعات والنوافل، ثم يسارعون إلى الاستغفار، خشية التقصير أو الإخلال، فيما قدموا من صالح الأعمال..

أيها الموحدون..

طوبى لكم إن وجدت في صحيفتكم يوم القيامة استغفارًا كثيرًا، كما قال النبي الأكرم، والرسول الأعظم ﷺ: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير**»(١)..

وعن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب أن تسره صحيفته، فليكثر فيها من الاستغفار**»(٢)..

وقد أمرنا مولانا بالاستغفار، فقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦] إن للاستغفار أعظم الفوائد.. فقد تلطف الغفور التواب بعباده الذين كثرت سيئاتهم، وعظمت ذنوبهم وخطاياهم، فحذرهم عن أن تحملهم كثرة الذنوب على القنوط من رحمة الله الغفار، وترك الاستغفار فقال سبحانه: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]..

فالذنب مهما عظم، فعفو الله أعظم، ومن ظن أن ذنبه لا يتسع له عفو الله ومغفرته، فقد ظن بربه ظن السوء، لأن القنوط من رحمة الله من أعظم الذنوب الكبار.. قال الكبير المتعال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ولكن ليس معنى هذا أن يتكل العبد على عفو ربه، وسعة رحمته، ثم يتمادى في المعاصي والذنوب، وينسى العقوبة والانتقام عن علام الغيوب.. لأن هذا معناه: الأمن من مكر الله، وهو من كبائر الذنوب كالقنوط.. قال الله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦١٨).

(٢) حسن: رواه البيهقي، وحسنه الألباني في «الترغيب» (١٦١٩).

تَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧] فيجب على العبد أن يعترف بالمعصية إذا عصا، ويقر بالذنب لربه ومولاه، ويقر أنه مذنب مخطئ، ويسارع إلى الاستغفار الذي يحل عقد الإصرار ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾..

لكن ما هي فوائده العظيمة؟ ما هي الفوائد التي تعود على العبد من وراء الاستغفار؟ إن من أعظم فوائده أنه يصقل القلب من المعاصي والأوزار، فإن للذنوب سوادًا في القلوب، وجلاؤها الاستغفار.. قال ﷺ: «**إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة، نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر صقلت، فإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، فذلك الران، الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]**»[1]..

وعن بلال بن يسار بن زيد ﷺ قال: حدثني أبي عن جدي أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، غفر له، وإن كان فر من الزحف**»[2]..

مهما كان هذا الذنب؟ نعم مهما كان هذا الذنب، ولو كان من الكبائر مثل الفرار من الزحف أو غيره.. يقول الله ﷻ في حديثه القدسي الجليل: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي..**

يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك، ولا أبالي..

يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»[3]..

---

(١) حسن: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه النسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني في «الترغيب»، و«صحيح الجامع» (١٦٧٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني برقم (٣٥٧٧)، وفي «صحيح سنن أبي داود» برقم (١٥١٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، و«صحيح الترغيب» (١٦١٦)، و«الصحيحة» (١٢٧)، و«صحيح الجامع» (٤٣٣٨).

والاستغفار يفرج الله به الهموم، ويزيد به الكروب، قال ﷺ: «**من أكثر من الاستغفار، جعل الله من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا ورزقه الله من حيث لا يحتسب**»[1]..

ومن فوائد الاستغفار أنه يدفع العقوبة، ويرفع العذاب، قال الله ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [التوبة]..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**»[2]..

ومن فوائد الاستغفار أنه سبب لنزول الغيث، والإمداد بالأموال، والبنين، ونبات الأشجار، وتوفر المياه، قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝**﴾ [نوح: ١٠-١٢]..

وهذا رجل يأتي إلى الحسن البصري - رحمه الله - ليسأله: إن زوجتي عاقر لا تلد، فماذا أفعل؟ قال له: اذهب، فاستغفر الله..

ويأتي آخر ليقول: يا إمام، إن الأرض أجدبت، والسماء أكفرت، ولم تخرج الأرض زرعًا، فماذا أفعل؟ قال له: اذهب، فاستغفر الله..

ويأتي ثالث، ليقول له: إن المال قل، والعيشة ضنك فماذا أفعل؟ قال: اذهب، فاستغفر الله.. فقال له الجالسون معه: يا إمام الدين، الداء متنوع والدواء واحد؟! قال: ألم تقرءوا قول الله تعالى: ﴿**فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ...**﴾ [نوح: ١٠]..

وقد قال الله ﷻ عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿**وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ...**﴾ [هود: ٥٢]..

لأجل هذه الفوائد حرص السلف والصالحون على الاستغفار كل الحرص.. قال أبو هريرة رضي الله عنه: إني لأستغفر الله، وأتوب إليه كل يوم ألف مرة..

---

(١) **حسن**: رواه أحمد والحاكم (٧٧٨٧)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه (١٨/ ٤١).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجة والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦١٧).

وقال أبو ذر ﷺ إن لكل داء دواء، وإن دواء الذنوب الاستغفار وقال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم: فالذنوب وأما دواؤكم، فالاستغفار..

وقال رياح القيسي - رحمه الله - لي نيف وأربعون ذنبًا، قد استغفرت الله ﷻ لكل ذنب مائة ألف مرة..

وحاسب بعضهم نفسه من وقت بلوغه، فإذا زلاته لا تتجاوز ستًّا وثلاثين زلة، فاستغفر الله ﷻ لكل زلة مائة ألف مرة، وصلى لكل زلة ألف ركعة، قال: ومع ذلك، فإني لا آمن سطوة ربي أن يأخذني بها..

وقيل للحسن: ألا يستحي أحدنا من ربه، يستغفر من ذنوبه، ثم يعود، ثم يستغفر، ثم يعود.. فقال: ود الشيطان، لو ظفر منكم بهذه فلا تملوا من الاستغفار..

وقال - رحمه الله -: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة..

ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني، عود لسانك: اللهمَّ اغفر لي فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً..

وعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يقول: أيها الناس، من ألم بذنب، فليستغفر الله، وليتب، فإن عاد، فليستغفر الله وليتب، فإن عاد، فليستغفر الله وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق العباد، وإن الهلاك كل الهلاك في الإصرار عليها..

أيها الموحدون الكرام..

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، واستحيوا من ربكم، واستغفروه، وتوبوا إليه.. استغفروه بسيد الاستغفار..

قال ﷺ: « **سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهمَّ أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقنًا فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو**

موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»[١]..

قال الشيخ: ابن أبي جمرة: جمع ﷺ في هذا الحديث، من بديع المعاني وحسن الألفاظ، ما يحق له أن يسمى «سيد الاستغفار» ففيه:

الإقرار لله وحده بالإلهية وللعبد بالعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعمة إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى، وهذا القدر هو الذي يكني عنه بالحقيقة..

أخي الحبيب..

ما ظنك بيوم ينادى فيه على آدم والخليل إبراهيم، والكليم موسى، والروح عيسى وهم على سلم الكرامة على الله، وقمة جبل المحبة، ومع هذا كل ينادي: نفسي نفسي، شفقًا من شدة غضبه، وهول عذابه.. ويذهل فيه رسل الله، وتطيش عقولهم، لما رأوا ما لا طاقة لهم به، ويتلعثمون في إجابة ربهم: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فيقولون في وجل وذهول ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ فما ظننا بهم ذلك اليوم، الذي يقف الناس فيه خمسين ألف سنة، لا يأكلون فيه أكلة، ولا يشربون فيه شربة، حتى تنقطع أعناقهم من العطش، وأجوافهم من الجوع، ويتمنون الانصراف، ولو إلى نار جهنم، التي يرتفع لهيبها، لتنطق بلسان فصيح يسمعه بوضوح كل من شهد الموقف، وتنادى على من وكلت بأخذهم من الخلائق فتلتقطهم التقاط الطير للحب، والناس يشاهدون، ولأدوارهم ينتظرون، وبسبب هذا الخوف بكى بديل بن ميسرة العقلي، حتى تقرحت ما فيه، فكان يعاتب في ذلك، فيقول: «إنما أبكي خوفًا من طول العطش يوم القيامة»..

استغفر ربك، وأكثر من الاستغفار.. لعلك تنجو من عذاب جهنم..

يوم ينادي أهلها بأعلى صوتهم: يا مالك، قد حق علينا الوعيد.. قد أثقلنا الحديد. يا مالك.. قد نضجت منا الجلود.. يا مالك، أخرجنا منها فإنا لا نعود.. فيرد عليهم

---

(١) رواه البخاري والترمذي والنسائي وغيرهم.

بعد أربعين سنة، برد يشبه الصاعقة.. إنكم ماكثون.. لا ينجيهم الندم.. ولا ينفعهم الأسف.. فهم غرقى في النار.. طعامهم نار.. وشرابهم نار.. ولباسهم نار.. ومهادهم نار.. فهم بين عذاب النار.. وسرابيل القطران، وضرب المقامع، وثقل السلاسل، تغلي بهم النار، كما تغلي باللحم القدور.. ويهتفون فيها بالويل والثبور..

فبالله هل لأحد منا طاقة على تحمل لحظة واحدة من اللبث فيها..

افتدى نفسك بكثرة الاستغفار في الليل والنهار.. لتنجو برحمة العزيز الغفار..

اللهمَّ يا الله.. يا مأمن كل وحيد، ويا قريبًا غير بعيد.. ويا شاهدًا غير غائب ويا غالبًا غير مغلوب.. يا حي يا قيوم.. يا ذا الجلال والإكرام.. يا بديع السموات والأرض.. أسألك التوفيق لما تحب من الأعمال، ونسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك.. وقضاء حوائجنا..

اللهمَّ يا واسع المغفرة.. اغفر ذنوبنا.. وكفر عنا سيئاتنا.. وتوفنا مع الأبرار.. اقبضنا إليك في عداد الموحدين.. وفي عداد الصادقين المخلصين.. واكتب لنا حسن الخاتمة برحمتك يا أرحم الراحمين..

اللهمَّ نور قلوبنا بأنوار لطفك.. وزين ألسنتنا بالصدق والبر والتقوى، واشغل جوارحنا بطاعتك يا أرحم الراحمين.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٩٤)

يا من بلغ الستين والسبعين..

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من عمر من أمتي سبعين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر**»[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

ليت الناس ينتبهون لمرور الأيام، وانقضاء الأعمار، كما انتبهوا إلى طول الآمال، ونسج الأحلام..

قال الحسن البصري - رحمه الله -: **ابن آدم، إنما أنت أيام، إذا انقضى منك يوم، مضى بعضك**

فكم من أعمال ضاعت، وضاع أصحابها!

وكم من أعمار انقضت قبل أن تنقضي آمال أهلها!

وكم من أعمار عاشها أصحابها بلا غاية!

وكم من أعمار انقضت في غير طاعة الله ﷻ!

طول العمر حجة على صاحبه..

في هذا القبس النبوي من عمر من أمتي سبعين سنة، **فقد أعذر الله إليه في العمر**، أي بلغ أقصى العذر، أو لم يبق له عذر في الرجوع إلى الله ﷻ بطاعته، لما شاهد من العبر مع ما أرسل إليه من الإنذار..

أرسل الله ﷻ إلى العبد كثير من الإنذارات.. ليعلمه بقرب أجله.. كان ملك الموت في الزمن الماضي يتبدى للأنبياء والمرسلين، ويزورهم، ففي يوم من الأيام زار

(١) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٣٩٧).

أحدهم، فقال له: يا ملك الموت، أجئت زائرًا أم قابضًا؟ قال: بل زائرًا..

قال: إن كنت في يوم قابضًا، فأرسل إليَّ رسولاً..

فمرت أيام وشهور، ثم جاء ملك الموت، فسأله: أجئت قابضًا أم زائرًا؟

قال: بل قابضًا.. قال: ألم أعهد إليك أن ترسل إليَّ رسولاً؟

قال: لقد جاءك رسل ثلاثة.. ابيضاض شعرك بعد اسوداده.. وضعف بصرك بعد قوته.. وانحناء ظهرك بعد اعتداله؟!!

قال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر.. ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ** ﴾ [فاطر: ٣٧]..

وهذا لا يعني أن حجة الله لم تقم على من هو دون السبعين، بل إن من تجاوز الحُلم، كان ذلك أدعى لقيام حجة الله عليه..

قال الحسن البصري - رحمه الله -: لقد أعذر إليك أن عمّرك أربعين، فبادر المهلة قبل حلول الأجل، أما والله لقد كان الرجل فيما مضى إذ أتت عليه أربعون سنة، عاتب نفسه..

وقال عمر بن عبد العزيز: لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين، فمات بها..

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **أعذر الله إلى امرئ أخر أجله، حتى بلغ ستين سنة** »[1]..

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: « **ألا أنبئكم بخيركم؟** » قالوا: نعم.. قال: « **خياركم أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أعمالاً** »[2]..

وعند الترمذي والحاكم من حديث أبي بكرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: « **من طال عمره، وحسن عمله** »..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح: رواه أحمد ورواته رواة « الصحيح »، ورواه ابن حبان في « صحيحه »، والبيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٣٣٦١).

قال: فأي الناس شر؟

قال: «**من طال عمره، وساء عمله**»[١]..

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رجلان من بلي من قضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما، وأُخر الآخر سنة..

قال طلحة بن عبد الله، فرأيت المؤخر منهما، أدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، وكذا وكذا صلاة سنة**»[٢]..

طول العمر واعظ لمن اتعظ..

حقًّا! إن في مرور الأيام عظات وعظات، لمن تفكر وتدبر، بل لا يمضي يوم من أيام الحياة إلا وفيه درس للعاقلين!

وكم في عمرك أيها الإنسان من عظات!

قال عمر بن أبي داود - رحمه الله -: من لم يتعظ بثلاث، لم يتعظ بشيء: الإسلام والقرآن والشيب..

وقال بعض الحكماء: من أخطأته سهام المنايا، قيدته الليالي والسنون..

تقابل رجل مع الفضيل بن عياض - رحمه الله - فقال له الفضيل: كم عمرك؟

قال الرجل: ستون عامًا..

قال الفضيل: سبحان الله! توشك أن تصل إلى الله..

قال الرجل: إنا لله، وإنا إليه راجعون..

قال الفضيل: هل عرفت معناها؟

قال الرجل: عرفت أني لله عبد وأني إلى الله راجع..

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي في «الزهد»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٦٣).

(٢) **حسن صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٦٥).

قال الفضيل: ما دمت قد عرفت أنك عبد، وأنك إليه راجع، فاعلم أنك موقوف بين يديه، وإذا علمت أنك موقوف، فاعلم أنك مسئول، وإذا علمت بأنك مسئول، فأعد للسؤال جوابًا..

قال الرجل: فما الحيلة؟

قال الفضيل: أن تتقي الله فيما بقي، يغفر الله ﷻ لك ما مضى..

فيا من طال بك العمر، حاسب نفسك، ولا تغفل، وأخلص العمل لمن قامت حجته عليك.. فكم في طول السنين من برهان قاطع للعذر!

في طول العمر زيادة في الفهم.. فهل استفدت من ذلك؟!

في طول العمر ضعف.. ووهن.. فهل فطنت لذلك؟! قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]..

في طول العمر.. فراق الأحباب، وموت الأقران، فهل اتعظت بالاستعداد.. هل تمثلت قول القائل:

هبني بقيت على الأيام والأبد ونلت ما رمت من مالٍ ومن ولد

من لي برؤية من قد كنت آلفه وبالشباب الذي ولى فلم يعد

في طول العمر.. تجدد للأحداث، ورؤية المصائب في النفس والولد، فإن كان الاحتساب.. كان الأجر والثواب، وإن كان السخط والاعتراض، كان الوزر والإثم.. قال عبد الرحمن بن أبي بكرة - رضي الله عنهما -: من تمنى طول العمر، فليوطن نفسه على المصائب..

طول العمر.. خير للأعمال الصالحات، وعمل الطاعات، ورضا رب الأرض والسموات لأن الغاية من الخلق، عبودية لله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فمن قام بهذه الوظيفة كاملة، فهو أسعد الناس حظًّا بحياته.. وحق لمثله أن يتمنى طول العمر..

ومثل هذا كمثل رجل يودع في رصيده كل يوم مبلغًا من المال.. فلا شك يسره أن

يدوم له ذلك، حتى يكثر ماله، فهذا حال من أودع في رصيده الفاني، وهذا سروره وفرحه، فكيف بمن أودع الرصيد الخالد؟!

عن عبد الله بن شداد ﷺ أن نفرًا من بني عذرة (ثلاثة) أتوا النبي ﷺ فأسلموا، فقال النبي ﷺ: « **من يكفيهم؟** »..

قال طلحة: أنا.. قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي ﷺ بعثًا فخرج فيه أحدهم، فاستشهد، ثم بعث بعثًا، فخرج فيه آخر، فاستشهد، ثم مات الثالث على فراشه..

قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة، الذين كانوا عندي في الجنة، ورأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيرًا، ورأيت أولهم آخرهم..

قال: فداخلني من ذلك، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: « **وما أنكرت من ذلك؟ ليس أحد أفضل عند الله عز وجل من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله** »[1]..

ألم يقل النبي ﷺ: « **خير الناس من طال عمره، وحسن عمله** »[2]..

دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق، فرأى شيخًا يزحف، فقال: يا شيخ، أيسرك أن تموت؟! قال: لا! قال: ولم، وقد بلغت من السن ما أرى؟!

قال: ذهب الشباب وشره، وبقي الكبر وخيره، إذا أنا قعدت ذكرت الله، وإذا قمت حمدت الله، فأحب أن تدوم لي هاتان الخصلتان!

وقيل لشيخ: كم أتي عليك؟ قال: عشر سنين! قيل: وكيف وأنت شيخ كبير؟! قال: أنا منذ عشر سنين من التوابين!

وعن محمَّد بن عيسى البغدادي، قال: « كان يقال: إن مالك عمرك ما أطعت الله فيه، فأما ما عصيت الله فيه؛ فلا نعده عمرًا! »..

وقال هلال بن يساف: « كان الرجل من أهل المدينة إذا بلغ أربعين سنة؛ تخلى للعبادة »..

---

(١) حسن صحيح: رواه أحمد وأبو يعلى ورواته رواة « الصحيح »، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (٣٣٦٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٣٦٤).

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يطلبون الدنيا؛ فإذا بلغوا الأربعين؛ طلبوا الآخرة»..

أخي المسلم..

فاجعل من عمرك مزرعة لفقرك.. واغتنم ساعاته في الطاعات.. وتعهد نفسك.. حتى تحصد الخير والنجاة..

احذر تضييع العمر في غير طاعة الله تعالى..

أخي المسلم..

إن عمرك أمانة ائتمنك الله عليها.. فلا تأتين غدًا وقد ضيعت أمانته..

فاحرص - أيها العاقل - على الاستفادة من العمر.. ولا تضيع ذلك في غير طاعة الله تعالى!

فإنه ينبغي لمن بلغ الستين أو السبعين؛ أن يكون أحرص الناس على طاعة الله تعالى.. إذ أن ذلك عمر يدعو إلى الوقار والتأني..

ولكن يأخذك العجب عندما ترى من بلغ الستين أو السبعين؛ متهافتًا على الدنيا.. لاهثًا خلف شهواتها! لا يرده دين.. ولا عقل!

وكان من المفترض أن يكون مثل هذا قدوة للآخرين في الفضائل.. ومحاسن الأخلاق.. فتضييع مثل هذا أيامه أمر عظيم! ولمثل هذا نهدي قول شميط بن عجلان..

قال شميط بن عجلان: «أحدهم قد كبر سنه، ورق عظمه، وأنكر نومه وطعمه، وهو فاغر فاه، لهفان على الدنيا، كأنما ابتكر العيش جذعًا، ويحك! أترجو أن يرجع إليك الشباب؟! فليس بعائد إليك، أما تدرك نفسك في بقية عمرك؟! أما تتوب إلى الله من قريب؟!»..

فعجبًا لك! ما كان في الشيب.. وتعاقب السنين.. ما يكبح الخفة.. ويرد هواك؟!

لياليك تفنى والذنوب تزيد ... وعمرك يبلى والزمان جديد

وتحسب أن النقص فيك زيادة ... وأنت إلى النقصان لست تزيد

ففكر ودبر كيف أنت فربما ... تذكر فاستدعى الرشاد رشيد

فكم من كبير أضاع ساعات العمر في الجلوس أمام شاشة التلفاز.. هاجر لنداء العقل والحكمة!

وكم من كبير أضاع ساعات العمر في السهر العقيم.. والقيل والقال!

وكم من كبير أضاع ساعات العمر مع أصدقاء السوء؛ غاديًا.. ورائحًا!

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «بقية عمر المرء لا ثمن لها، يدرك بها ما فات، ويحيى بها ما مات»..

وهناك صنف آخر أضاع العمر في المكاسب.. والسعي خلف الرزق.. فتراه مشغولاً بأمر أولاده.. غير ملتفت إلى شانه.. حتى يجئه الموت بكأسه.. فيترك خلفه ما لغيره غنمه.. وعليه غرمه!

قال أبو حازم: «الناس عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلف الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفنى عمره في بغية غيره! وعامل في الدنيا لما بعدها، فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل، فأصبح ملكًا عند الله، لا يسأل الله شيئًا فيمنعه»..

فعجبًا لك أيها الساعي لبنيان دنياه ... هلاَّ سعيت إلى بنيان آخرتك؟!

يا عامر الدنيا على شيبه ... فيك أعاجيب لمن يعجب

ما عذر من يعمر بنيانه ... وجسمه منهدم يخرب

قال مسروق: «إذا بلغ أحدكم أربعين، فليأخذ حذره من الله»..

فيا أيها الممدود له في عمره: ها أنت تبصر رحيل الناس صغارهم وكبارهم.. نعم، إن الموت لا يميز بين الصغير والكبير.. ولكنه إلى الكبير أقرب!

لذلك قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتي بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**»..

أخي المسلم..

تجهز ليوم لقائك فاطر السموات والأرض.. تذكر يوم تفرد وحدك في حفرة ضيقة اللحد.. فادحة الظلمة!

إذا كانت السبعون دائك لم يكن لدائك إلا أن تموت طبيب..

وإن امرأً قد سار سبعين حجة إلى منهل من ورده لقريب

يا أيها الإنسان ما الذي بالله غرك؟

أغرك أنك فعلت وفعلت، وأنفقت وتصدقت؟

قال جل جلاله: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣]..

سمع ابن سيرين رجلاً يقول لرجل: فعلت إليك، وفعلت، فقال له: اسكت! فلا خير في المعروف إذا أحصى..

أغرك أن الله يراك على المعصية، بل ونقيم عليها الدهور، وهو يحلم عليك، ويمهلك، بل ويقبلك إن رجعت؟

أغرك أن ربك واسع المغفرة فطمعت في رحمته وبحبوحة جنته دون عمل؟

قال معاذ بن جبل ﷺ: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا: سيغفر لنا! إنا لا نشرك بالله شيئًا. رواه الدارمي..

ويوم القيامة يوبخ أقوام على طول آمالهم فيقال لهم: ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [الحديد: ١٤]..

﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾:

منَّتْهُم أنفسهم اللحوق بسيد الشهداء وهم قعود بلا عمل!

قال القرطبي في تفسيرها:

﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾: أي الأباطيل، وقيل طول الأمل..

وقال ابن كثير:

قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات..

﴿ وَتَرَبَّصۡتُمۡ ﴾: أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت..

وقال قتادة: وتربصتم بالحق وأهله، وارتبتم أي بالبعث بعد الموت..

﴿ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ ﴾: أي قلتم سيغفر لنا..

وقيل: غرتكم الدنيا حتى جاء أمر الله، أي مازلتم في هذا حتى جاءكم الموت..

﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾: أي الشيطان..

وقال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار. انتهى..

فاحذري يا نفس من خدعة الشيطان، ومن التسويف..

احذري من «سوف» و«لعل» فهي لا تثمر سوى الحسرات..

قال ابن الجوزي - رحمه الله -:

أحكم القوم العلم فحكم عليهم بالعمل، فقاطعوا التسويف الذي يقطع أعمار الأعمار. اهـ.

كان يحيى بن معاذ يقول: إن قال لي يوم القيامة: عبدي ما غرك بي؟ قلت: إلهي برّك بي..

احذر الموت!

يا من مد له العمر حباله.. اعلم أن للرحلة نهاية!

فهل تذكرت - أيها العاقل - بم ستختم هذه الرحلة؟!

إنه الموت! نهاية شديدة على من لم يعد لها العدة!

إن مما ينبغي أن تكون عليه - أيها العاقل - هو الحرص الدائم على الطاعات.. فلا يمضي عليك يوم إلا وتتفقد رصيدك من الحسنات.. كحرصك على تفقد رصيدك الفاني من الأموال..

وإن أهم ما بدأت به في ذلك؛ الفرائض.. وإن أهم ما في الفرائض؛ الصلاة.. فينبغي أن تؤديها في مواقيتها.. وفي بيوت الله تعالى..

ولتحرص على الإتيان بها على أتم الأحوال؛ بخشوعها.. وأركانها.. وسننها.. واحرص في ذلك على قراءة كتب أهل العلم، الموضحة للكيفية الصحيحة للصلاة، كما صلاها النبي..

واحرص على الازدياد من النوافل.. فإنك في عمر ينبغي أن تبادر فيه إلى الصالحات.. وأن تأخذ منها بأكبر نصيب..

وحاول أن تبكر في الحضور إلى المسجد.. وأنعم بها إن عودت نفسك أن تكون أول الناس حضورًا.. وآخرهم انصرافًا..

وفي حضورك المبكر إلى المسجد؛ أكثر من صلاة النافلة.. وقراءة كتاب الله تعالى. وافعل ذلك أيضًا بعد الصلاة.. إلا أن يكون من الأوقات التي نُهي عن الصلاة فيها.. فزد عندها من وردك من القرآن..

تنبه قبل الموت إن كنت تعقل ... فعما قليل للمقابر تنقلُ

وتمسي رهينًا في القبور وتنثني ... لدى جدث تحت الثرى تتجندلُ

فريدًا وحيدًا في التراب وإنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يعملُ

فيا أسفى على ما يعمل الدود والثرى ... بوجه جميل كان لله يخجلُ

وما يفعل الوجه الوسيم إذا ثوى ... وصار ضجيع القبر يعلوه جندلُ

وبطن بدا فيه الردى ثم لم تر ... دقيق الثرى في مقلتيه يتهرولُ

أعيني جودا بالدموع عليكما ... فحزني على نفسي أحق وأجملُ

أيا مدعي حبي هلمّ بنا إذا ... بكي الناس نبكي للفراق ونعملُ

دعي اللهو - نفسي - واذكري حفرة ... وكيف بنا دود المقابر يفعلُ

إلى الله أشكو لا إلى الناس حالتي ... إذا صرت في قبري وحيدًا أململُ

أخي..

يا مبارزًا بالذنوب خذ حذرك، وتوق عقابه بالتقي فقد أنذرك، وخل الهوى كما ترى ضيرك قبل أن يغضب الإله ويضيق حبسه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[1]..

(١) كتاب «التبصرة» لابن الجوزي.

قال أبو علي الدقاق - رحمه الله -: دخلت على أبي بكر بن فورك رحمه الله عائدًا له في مرضه، فلما رآني دمعت عيناه، فقلت له: إن الله يعافيك ويشفيك!!

فقال لي: وتظنني أخاف من الموت؟!! إنما أخاف من بعد الموت!!

ثم بكي وأبكى من حوله رحمه الله تعالى»[1]..

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: «دخلت على جار لي وهو في الغمرات يعاني عظيم السكرات، يغمى عليه مرة ويفيق أخرى، وفي قلبه لهيب الزفرات، وكان منهمكًا في دنياه، متخلفًا عن طاعة ربه ومولاه، فقلت له: يا أخي: تب إلى الله، وارجع عن غيك، عسى المولى أن يشفيك من ألمك ويعافيك من مرضك وسقمك، ويتجاوز بكرمه عن ذنبك، فقال: هيهات!! هيهات!! قد دنا ما هو آت، وأنا ميت لا محالة، فيا أسفي على عمر أفنيته في البطالة!! وكلما أردت أن أتوب مما جنيت سمعت هاتفًا يهتف من زاوية البيت: عاهدتنا مرارًا، فوجدناك غدارًا، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة»[2]..

قال أبو نواس - رحمه الله تعالى -:

أفنيت عمرك والذنوب تزيد	والكتاب المحصي عليك شهيد
كم قلت: لست بعائد في سوءة	ونذرت فيها ثم صرت تعود
حتى متى لا ترعوي عن لذة	وحسابها يوم الحساب شديد[3]

أخي:

يا قليل النظر في أمره! يا غافلاً عن ذكر قبره!! أما نقل الموت واحدًا واحدًا، وها هو قد أضحى نحوك قاصدًا، كم سلب ولدًا وأخذ والدًا!! إلى متى تصبح جاهلاً وتمسي ماردًا؟! وعن طريق الهدى حائدًا؟!! وتحث على النهوض وما تبرح قاعدًا!! متى يذوب دمع ما يزال جامدًا؟! يا من إذا قاربه النصح أضحى متباعدًا!! لقد نظرت لنفسك نظرًا فاسدًا!! يا نائمًا عن خلاصه راقدًا!! متى نراك لربك ساجدًا؟! متى تكون

(١) كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان.

(٢) كتاب «بحر الدموع» لابن الجوزي.

(٣) ديوان أبي نواس.

لمولاك عابدًا؟! متى تكون في درب الخير قائدًا[1]؟!

اللهمَّ ربنا نسألك أن تهدي لنا جزيل عطائك، والسعادة بلقائك، والمزيد من نعمائك، وأن تجعل لنا نورًا في حياتنا، ونورًا في مماتنا، ونورًا في قبورنا ونورًا في حسابنا، ونورًا نفوز به لديك.. فإننا ببابك سائلون، وبنوالك معترفون، وللقائك راجون.. ندعوك دعاء من لا يجد لذنبه غافرًا غيرك.. ولا لمأمول من الخيرات معطيًا سواك.. ولا لكسره جابر إلا أنت.. فأصلح ما فسد من أمرنا.. واجعل فيها عندك رغبتنا واجعل قلوبنا غير قاسية.. وألسنتنا غير مجادلة ولا كاذبة ولا مغتابة ولا نمامة.. واشرح للإسلام صدورنا..

اللهمَّ اختم لنا بالصالحات أعمالنا.. واغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا.. وانصرنا على القوم الكافرين.. يا رب العالمين..



(١) كتاب «التبصرة» لابن الجوزي.

الوصية رقم (٩٥)

أفضل الكسب وأطيبه اثنان عليك بهما

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سئل رسول الله ﷺ أي الكسب أفضل؟ قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**»[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

لقد حثنا المولى ﷻ على الكسب الطيب، وحثنا رسولنا ﷺ كما هنا في هذا القبس الإيماني.. وبين لنا أن أفضل الكسب وأطيبه شيئان هما:

١- عمل الرجل بيده.

٢- وكل بيع مبرور أي لا غش فيه ولا خداع.

وربنا تبارك وتعالى حثنا على السعي في الأرض، ابتغاء مرضاته، وطلبًا للرزق، فقال تعالى: ﴿**فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: ١٠] وقد جعل سبحانه توفير أسباب السعي نعمة تستوجب الشكر عليها، فقال: ﴿**وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**﴾ [الحجر: ٢٠] وهذا رسول الله ﷺ يوجه أصحابه إلى شرف السعي، ضاربًا لهم المثل بقوله: «**لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً، أعطاه الله من فضله، فيسأله، أعطاه أو منعه**»[٢]..

ومن كلام سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهمَّ ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة..

وسيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا، لا في أمر دنياه، ولا في أمر آخرته..

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورواته ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (١٦٩٠)، و«صحيح الجامع» (١٠٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري ومالك والنسائي.

وسيدنا لقمان الحكيم يوصي ابنه، فيقول له: يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط، إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعة في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاث: استخفاف الناس به..

وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه، فقال له عمر ﷺ: أصبت استغن عن الناس، يكن أصون لدينك، وأكرم لك عليهم.. كما قال صاحبكم. وهذا أبو سليمان الداراني - رحمه الله تعالى - يقول: ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك، وغيرك يعولك، ولكن ابدأ برغيفيك، فاحرزهما، ثم تعبد. وعن مجاهد قال: خرج علينا عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يومًا معتجرًا، فقال: جعت مرة بالمدينة جوعًا شديدًا، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرًا، تريد بله، فأتيتها، فقاطعتها كل ذَنوب على تمرة، فمددت ستة عشر ذنوبًا، حتى مجلت يداي، ثم أتيت الماء، فأصبت منه ثم أتيتها، فقلت بكفي هكذا بين بديها.. فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأكل معي منها[1]..

وقد أمر الله ﷻ بالسعي والممارسة الفعلية عقب الصلاة، وقرن بها ذكره وعلق عليها رجاء الخير والفلاح، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠] ويقول سبحانه: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ... ﴾ [المزمل: ٢٠] فهم يجمعون بين الدين والدنيا، يطلبون الرزق مما هو فضل من الله ونعمة، وقدم تعالى الذين يضربون في الأرض ابتغاء لفضله على الذين يقاتلون في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ [المزمل: ٢٠]..

وقد أمر الله سبحانه في أكثر من موضع في كتابه الكريم بالسعي على الرزق، فقال: ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]..

أحبتي الكرام..

الإسلام دين العمل، وهو عمل للدنيا، وعمل للآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ... ﴾ [القصص: ٧٧]..

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٧١) لأبي نعيم.

ثم بين النبي ﷺ في الوصية أن من أفضل الكسب وأطيبه: البيع المبرور - أي الذي ليس فيه غش ولا خداع.. والبيع حلال بالقرآن والسنة، وإجماع الأمة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ... ﴾ [النساء: ٢٩]..

ورسولنا ﷺ قد عمل بالتجارة قبل بعثته في مال السيدة خديجة - رضي الله عنها - وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتاجرون، ويعملون بالتجارة مثل سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فيكفي التجار شرفًا أن نعلم أن النصف من العشرة المبشرين بالجنة، كانوا تجارًا.. فالتجارة مهنة شريفة كريمة، ولو لم يكن في شرفها إلا أن نبي هذه الأمة ﷺ عمل بها يومًا من الأيام لكفى.. التجارة تولاها الأخيار ممن صحبوا النبي المختار، ومن سلك طريقه على مر القرون والأعصار.. ولعبد الرحمن بن عوف في التجارة ثلاثة مواقف عظيمة جليلة: أولها: أنه قدم إلى المدينة، وهو من أهل الهجرتين رضي الله عنه فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له سعد: يا عبد الرحمن.. هذا مالي أشاطرك هذا المال، نصفه لك، ونصفه لي، ولي زوجتان، انظر أحسنهما وأجملهما أطلقها لك، فإذا انقضت عدتها، زوجتكها.. فماذا قال له عبد الرحمن؟

قال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على سوق بني قينقاع..

لقد كان أصحاب النبي ﷺ لهم همة عالية، ونفوس طاهرة زاكية.. استغنى عبد الرحمن رضي الله عنه بالله، ففتح الله له أبواب الغنى، أقبل على السوق فتاجر.. اشترى وباع، وتعب ونصب.. وكان تاجرًا أمينًا صادقًا وفيًا، برًّا في معاملته.. فقد قال ﷺ: «**التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة**»[1]..

أما الموقف الثاني: أنه كان ممن يساهم في تجهيز غزوات الرسول الأعظم ﷺ فصدق فيه قول المصطفى ﷺ: «**نعم المال الصالح، للرجل الصالح**»..

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (١٧٨٣)، وفي السلسلة الصحيحة: رقم (٣٤٥٣).

أما الموقف الثالث: فهو أن إحدى نساء النبي ﷺ وهي بين يديه تذكرت وفاته ﷺ فقال ﷺ: «**يحفظكن الصادقون من بعدي**» فكان عبد الرحمن ﷺ صادقًا وفيًّا لرسول الله ﷺ في أزواجه من بعده، فكان يتحمل نفقاتهن، ويكثر الإحسان إليهن.. فيالها من تجارة عادت عليه بخيرى الدنيا والآخرة..

وعثمان بن عفان ﷺ التاجر الصادق الأمين، فقد ذكر المناوي في «الدر المنضود» أن الناس أصابوا قحطًا في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ فلما اشتد بهم الأمر، جاءوا إلى أبي بكر، وقالوا: يا خليفة رسول الله - إن السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، وقد توقع الناس الهلاك. فما تصنع؟ فقال: انصرفوا، واصبروا، فإني أرجو أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم..

فلما أصبحوا، علموا أن عيرًا لعثمان بن عفان آتية من بلاد الشام على سبيل التجارة، وهي محملة بالطعام والتوت والدقيق والبُر والزيت.. فخرجوا يتلقونها فإذا هي ألف بعير، فأناخت باب عثمان، فجعلها في داره، فجاء إليه التجار فقال: ما تريدون؟ قالوا: إنك تعلم ما نريده، فقال عثمان: كم تربحونني؟

قالوا: الدرهم درهمين.. قال: أعطيت زيادة على هذا.. قالوا: أربعة.. قال: أعطيت أكثر من هذا.. قالوا: خمسة.. قال: أعطيت أكثر..

قالوا: ليس في المدينة تجار غيرنا.. فمن الذي أعطاك؟ قال: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة دراهم أعندكم زيادة؟

قالوا: لا.. قال: فإني أشهدكم الله تعالى، أني جعلت ما حملت العير صدقة لله على الفقراء والمساكين..

وقد جهز عثمان ﷺ جيش غزوة العسرة بأكمله، واشترى بئر رومة للمسلمين والإسلام دين سعي وكد، دين عمل وجد واجتهاد وتحصيل، وليس دين خمول ولا كسل. فشحذ الهمم إلى أي عمل من الأعمال يصون الإنسان به وجهه عن ذل السؤال، وشدة الحال..

فعن حماد بن زيد قال: قال لي أيوب: الزم سوقك، فإنك لا تزال كريمًا على

إخوانك ما لم تحتج إليهم[١]..

وعن أبي عثمان النهدي - رحمه الله - قال: قال سلمان الفارسي ﷺ: إني لأحب أن آكل من كد يدي[٢]..

وعن أبي الأحوص، قال: قال لي سفيان الثوري - رحمه الله -: عليك بعمل الأبطال: الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال[٣]..

وعن سفيان الثوري في قوله تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] قال: كانوا يشترون ويبيعون، ولا يدعون الصلوات المكتوبات في الجماعة[٤]..

ولذلك كان من أعظم البلايا على العبد أن يتعلق أو تتعلق حوائجه بالناس ذكروا عن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - وهو أحد العُبّاد الصالحين، ومن سلف هذه الأمة، أنه كان في سفينة، فهبت الرياح، وكادت السفينة أن تغرق، فسلم الله ولطف، فلما نجوا من الكربة، قال قائلهم: يا إبراهيم، ألم تر إلى هذه الشدة؟ قال: لا والله، إنما الشدة الحاجة إلى الناس..

وقد بين الله ﷻ أن هذه التجارة تنقسم إلى قسمين: تجارة مباحة، وتجارة محرمة.. أما التجارة المباحة، فقد أشار الله ﷻ إليها باختصار في قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] قال العلماء: إن الذي أحل الله من البيع أكثر من الذي حرم.. ولذلك ما فرق بين بيع وآخر، ولم يقل: أحل الله بيع البيوت، ولا بيع الدواب، ولا بيع الأطعمة، ولا الأكسية، ولا الثياب ولا الأغذية، ولكن قال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ ليعلم المسلم أن الأصل في البيع الحل.. وأما التجارة المحرمة، فقد أشار إليها باختصار في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ قال بعض العلماء: هذا دليل على سماحة الإسلام، ورحمة الله بالعباد، حيث جعل الحلال أكثر من الحرام.. والذي حرمه الله ﷻ، إما لضرر على الإنسان، أو ضرر على الناس، أو ضرر عليهما معًا، أو لمقصد شرعي يعلمه الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]..

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ١١) لأبي نعيم.

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٠٠).

(٣) المرجع السابق (٦/ ٣٨١).

(٤) المرجع السابق (٧/ ١٥).

ولقد أجمع العلماء على أن التجارة المحرمة أصولها تعود إلى أربعة أمور: أولها: أن يكون الشيء محرمًا لذاته، ثانيها: أن يكون محرمًا لوجود الربا، وثالثها: أن يكون محرمًا من أجل الغرر، ورابعها: أن يتضمن أمورًا فيها الربا أو الغرر أو هما معًا..

والغرر هو المخادعة والتدليس، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ نهي عن بيع الحصاة، وعن بيع الغرر..

وقال ﷺ: «**لا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، إن شاء أمسكها، وإن شاء ردها، وصاعًا من تمر**»[1]. والتصرية هي حبس اللبن في الضرع حتى يجتمع، وإنما اقتصر على ذكر الإبل والغنم دون البقر، لأن غالب مواشيهم كانت من الإبل والغنم قال الشافعي: التصرية هي ربط أخلاف الشاة أو الناقة، وترك حلبها حتى يجتمع لبنها، فيكثر، فيظن المشتري أن ذلك عادتها، فيزيد في ثمنها لما يرى من كثرة لبنها[2]..

وبيع الحصاة، قيل: أن يقول: بعتك من هذه الأثواب ما وقعت عليه الحصاة ويرمي الحصاة، أو من هذه الأرض ما انتهت إليه في الرمى..

وهذا مثل [سحب الأرقام] يعطيه أرقامًا معينة، يقول: اسحب منها رقمًا، فإن كان رخيصًا، فهو لك، وإن كان غاليًا فهو لك.. لكن الإسلام يقول لك: هذا البيع محرم، لأن الإنسان قد يدفع ماله، ويظن أنه سوف يحصل على الغالي، فإذا به قد حصل على الرخيص، فيندم ويتألم، ويغبن في حقه، ويكون ذريعة لأكل أموال الناس بالباطل..

والشريعة الإسلامية تريد أن يكون كل من البائع والمشتري على بينة وعلم، لا تريد الغش، ولا تريد الخداع.. لأن هذا يفسد القلوب..

وبيوع الغرر كثيرة جدًا ومنها: بيع السمك في الماء، وبيع الطير في الهواء ومنها بيع الملامسة والمنابذة فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: نهي رسول الله ﷺ عن الملامسة والمنابذة في البيع[3].. ولكل واحدة منهما صور، منها:

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وابن حبان.

(٢) «نيل الأوطار» (٥/ ٣٠٥) للشوكاني.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

١ – الملامسة أن يقول الرجل للرجل: أبيعك ثوبي بثوبك، ولا ينظر أحد منهما إلى ثوب الآخر، ولكن يلمسه لمسًا..

٢ – والمنابذة أن يقول: أنبذ ما معي وتنبذ ما معك، فيشتري كل واحد منهما من الآخر، ولا يدري كم مع الآخر..

٣ – الملامسة أن يأتي بثوب مطوي أو في ظلمة فيلمسه المستام، فيقول له صاحب الثوب: بعتكه بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك، ولا خيار لك إذا رأيته..

٤ – أن يجعل نفس اللمس بيعًا بغير صيغة زائدة..

٥ – أن يجعل اللمس شرطًا في قطع خيار المجلس.. والبيع على هذه الصور باطل[(١)]..

أحبتي في الله..

وينبغي للمسلم أن يبين لأخيه المسلم، إذا أراد أن يشتري منه، أو يبتع أن يبين له عيب السلعة.. قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم باع من أخيه بيعًا فيه عيب، إلا بينه له**»[(٢)]..

والمراد بالعيب الذي يؤثر في السلعة إيجابًا أو قبولاً، وأما العيوب اليسيرة التي لا تؤثر في البيع، فالأظهر أنه لا يلزم تبيينها..

ومن البيوع المحرمة: (النهي عن بيعتين في بيعة واحدة)..

قال ﷺ: «**من باع بيعتين في بيعة، فله أوكسهما أو الربا**»[(٣)]. واختلف في المراد ببيعتين في بيعة: فقيل: أن يجمع بين عقدين في عقد واحد بين بيع وإجارة في نفس العقد.. وقيل: بعتك هذه السلعة بمائة نقدًا، أو بمائة وخمسين مؤجل..

وأقرب الأقوال قول ابن القيم – رحمه الله –: أي يبيعه السلعة بمائة مؤجلة ثم يشتريها

---

(١) «نيل الأوطار» (٥/ ٢١٥) للشوكاني.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) حسن: حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم (٣٤٦١)، و«الصحيحة» (٢٣٢٦)، و«صحيح الجامع» (٦١١٦).

منه بثمن حال، فقد باع بيعتين في بيعة، فإن أخذ بالثمن الزائد أخذ بالربا، وإن أخذ بالناقص أخذ بأوكسهما، وهو من أعظم الذرائع إلى الربا. ومن ذلك [بيع ما ليس عندك]:

قال ﷺ لحكيم بن حزام: «**لا تبع ما ليس عندك**»[1]..

وليس المراد به بيع الموصوف، فإن في هذا لبس بين طلبة العلم، فإنهم يجعلون بيع الأعيان كبيع الموصوف في الحكم.. وهذا غير صحيح، فالمتعلق يختلف فإن متعلق الموصوف المعين هو عين المبيع..

وأما متعلق الموصوف الذي لم يعين فهو الذمة، ولذا قال في شرح الإقناع: ويصح البيع في الصفة وهو نوعان:

أحدهما: بيع عين معينة كبعتك عبدي التركي، ويذكر صفاته، فهذا ينفسخ العقد عليه بتلفه قبل قبضه، لزوال محل العقد..

الثاني: بيع موصوف غير معين، ويصفه بأن يقول: بعتك عبدًا تركيا، ثم يستقصي صفاته، فمتى سلم البائع إليه عبدًا على غير ما وصفه له، فرده المشتري على البائع، لم يفسد العقد برده، لأن العقد لم يقع على عينه، بخلاف النوع الأول..

أحبتي الكرام..

ومن البيوع المحرمة (بيع العينة):

قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم**»[2]..

والعينة هي أن يشتري السلعة بمائة مؤجلة مثلاً، ثم يشتريها منه بثمانين حالة دون أن يتسلم المبيع.. فلا يجوز للمسلم أن يبيع شيئًا إلى أجل، ثم يشتريه هو نفسه ممن باعه له بثمن أقل مما باعه به، لأنه إذا باعه إياه مثلاً بمائة، ثم اشتراه بثمانين، يكون كمن أعطى خمسة إلى أجل بعشرة، وهذا هو عين ربا النسيئة وهو محرم بالكتاب والسنة..

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٠٦).

(٢) **صحيح**: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (٣٤٦٢)، و«الصحيحة» (١١)، و«صحيح الجامع» (٤٢٣).

ومن البيوع المحرمة أيضًا (بيع الرجل على بيع أخيه):

قال ﷺ: «**ولا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه**»[(١)]. ومثاله: أن يقول لمن اشترى سلعة بعشرة: أنا أعطيك مثلها بتسعة، أو أعطيك خيرًا منها بمثل ثمنها، ليفسخ البيع، ويعقد معه.. ومثله الشراء على شرائه، وذلك بأن يقول مثلاً لمن باع سلعة بتسعة: أنا أشتريها منك بعشرة، فهو في معنى البيع المنهي عنه..

ومن البيوع المحرمة أيضًا (بيع النجش):

قال ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[(٢)]..

والنجش له عدة صور:

١- أن يزيد في ثمن السلعة، التي لا يريد شراءها، ليغر المشتري بالزيادة..

٢- أن يتظاهر من لا يريد الشراء بإعجابه بالسلعة وخبرته بها ويمدحها، ليغر المشتري، فيرفع ثمنها..

٣- أن يدعي صاحب السلعة، أو الوكيل، أو السمسار، ادعاء كاذب، أنه دفع فيها ثمنًا معينًا، ليدلس على من يسوم..

٤- ومن الصور الحديثة للنجش المحذور شرعًا: اعتماد الوسائل السمعية والمرئية، أو المقروءة التي تذكر أوصافًا رفيعة، لا تمثل الحقيقة، أو ترفع الثمن، لتغر المشتري، وتحمله على التعاقد..

ومن البيوع المحرمة (بيع السلعة قبل قبضها):

فلا يجوز لتاجر أن يبيع سلعة ليست عنده، أو شيئًا قبل أن يملكه، قال ﷺ: «**من ابتاع طعامًا فلا يبيعه حتى يستوفيه**»[(٣)]..

---

(١) رواه مسلم ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم ومالك والترمذي وابن ماجة.

وكذلك لا يجوز للمسلم أن يشتري سلعة، ثم يبيعها قبل قبضها ممن اشتراها، لقوله ﷺ: «**إذا اشتريت شيئًا، فلا تبعه، حتى تقبضه**»[1]..

ومن البيوع المحرمة (تلقي الركبان):

فقد نهى ﷺ عن استقبال التجار قبل دخولهم البلد أو السوق، ليأخذ منه البضاعة بأقل من سعر البلد، أو السوق الحالي، فقال: «**لا تتلقوا الركبان**»[2]..

وكذلك بيع الحاضر للباد، وهو أن يقدم صاحب السلعة إلى بلد، ويريد أن يسارع في بيعه فيقول له الحضري «تاجر البلد» اتركها عندي حتى أغالي في ثمنها، وانتظر ارتفاع الأسعار، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «**ولا بيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض**»[3]..

ومن البيوع المحرمة (بيع المحرمات):

مثل بيع الخمر، أو الخنزير أو الميتة.. قال ﷺ: «**إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام** ...» والمحرمات المعدودة في الحديث ما هي إلا نماذج لأنواع الخبائث، ولتحريمها حكم وعلل..

وعلة تحريم بيع الميتة والخمر والخنزير (النجاسة) فتتعدى إلى كل نجاسة.. والعلة في بيع الأصنام، البعد عن طاعة الله، فكل ما ألهى وشغل عن طاعة الله فهو حرام.. ومما يلحق في التحريم الصور الخليعة التي تظهر في المجلات والصحف والأفلام الماجنة والأشرطة التي تظهر الفسق والمجون وتضر بالشباب والشابات في عقيدتهم وأخلاقهم..

ومن البيوع المحرمة (البيع والشراء في المسجد وأثناء صلاة الجمعة):

قال ﷺ: «**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك**»[4]..

وقد قال الله ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ**﴾ [الجمعة: ٩] فقد أمر الله ﷻ بالسعي، وظاهره الوجوب،

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٧٣).

وإذا وجب السعي، وجب ما يسعى إليه، ونهى عن البيع، وهو مباح، ولا ينهي عن مباح - إلا لواجب، لما لهذه الصلاة من فضل وأجر عظيم، وما فيها من معاني سامية..

أحبتي في الله..

وهناك بعض الأمور التي ينبه إليها، وهي أن البيع كما أن منه الحلال، ومنه الحرام، كذلك منه المتشابه، وهو الذي يقع الإنسان به في الشبهة، ولا يدري أحلال هو أو حرام؟ فإذا وقفت أمام الشبهات، فاحتط لدينك، واستبرئ لدينك.. يسلم لك دينك.. وتسلم لك آخرتك.. ويعوضك الله خيرًا فما ترك عبد شيئًا لله، إلا عوضه الله خيرًا منه.. قال ﷺ: « **الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه ...** »..

فقد تقف أمام بيع أو تجارة أو معاملة، ولكن فيها شبهة، والنفس غير مطمئنة وتسأل العلماء، فتجد هذا يحلل، وهذا يحرم، فتقع في لبس من أمرك، فحينئذ الأتقى لربك، والأنقى لصدرك، والأعظم لأجرك أن تدعها لله، فإن تركت بابًا فتح الله عليك أبوابًا، وإن تورعت عن شيء، فتح الله لك غيره فما عامل أحد الله ﷻ، فخاب..

اللهمَّ اجعل لنا ألسنة لاهجة بذكرك، واجعل قلوبنا عامرة بحبك..

اللهمَّ احفظنا في أوطاننا.. واحفظنا في إسلامنا.. واحفظ أولادنا وبناتنا ونساءنا من كل مكروه وبلاء..

اللهمَّ يا هادي الضالين.. ويا راحم المذنبين.. ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك الذي يرجو رحمتك ويخشى عذابك يا أكرم الأكرمين..

اللهمَّ إنك أمرتنا بالدعاء، وضمنت لك الإجابة، فإليك يا ربنا نصبنا وجوهنا، ومددنا أيدينا.. فبرحمتك استجب دعاءنا. وبلغ أمانينا ولا تقطع رجاءنا.. واكفنا شر أعدائنا.. واغفر ذنوبنا.. ووفق ولاة أمورنا إلى ما فيه خير البلاد والعباد برحمتك يا أرحم الراحمين..

❁❁❁

الوصية رقم (٩٦)

من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام

عن أنس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من أدرك منكم عيسى ابن مريم، فليقرئه مني السلام** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون أتباع رسول الله..

نزول سيدنا عيسى عليه السلام علامة من علامات الساعة الكبرى حيث ينزل في آخر الزمان.. وقد دل عليه الكتاب والسنة، وهو يرد على اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه.. قال تعالى: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ** ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩]..

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي قبل موت عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فماذا نقول في قول الله ﷻ: ﴿ **إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ [آل عمران: ٥٥]..

فقد ذكرنا مولانا أنه متوفيه، فكيف يكون حيًّا والله قد توفاه؟

قال أهل العلم: إن الوفاة لا تقتضي الموت إلا بقرينة مستقلة أو منفصلة فقد يذكر الله ﷻ لفظ الوفاة، ولا يراد بها الموت، وإنما يراد بها النوم كما في قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ...** ﴾ [الأنعام: ٦٠]. فالمراد بالوفاة هنا النوم..

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٨٧٨٤)، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٢٣٠٨)، وذكره في « صحيح الجامع » (٦٠٠١).

وكان النبي ﷺ إذا استيقظ من النوم قال: « **الحمد لله، الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** »(١)..

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله -:

والصحيح أن الله تعالى - رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح وقاله الضحاك(٢)..

إن الله ﷻ رفعه إليه، لينجيه من أولئك الذين تآمروا على قتله، وألقي الشبه على هذا الذي دل اليهود على مكانه فقتلوه، ورفع الله جل وعلا عيسى ﷺ إليه، لينزله الله ﷻ بين يدي الساعة كعلامة من علاماتها الكبرى.. قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** ﴾ [الزخرف: ٦١] وقال ﷺ: « **نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة** »(٣)..

وقال مؤكدًا على ذلك: « **والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد** »(٤)..

وعن أبي أمامة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **.. فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا، يدق الصليب، ويذبح الخنزير ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده في الحية، فلا تضره، وتضر الوليدة الأسد، فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم، كما يملأ من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كالفاثور الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب، فيشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بدريهمات ...** »(٥)..

---

(١) رواه البخاري في « كتاب الدعوات ».

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٣٤٢)، ط. دار الغد.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في « مسنده » (٢٩٢١)، وصححه الشيخ أحمد شاكر، ورواه ابن حبان (٦٨١٧).

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٧٥٢).

فهذا الحديث الشريف يدل على انتشار الأمن والأمان، وظهور البركات في عهد نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام.. لماذا؟

لأن الكون كله قد أسلم واستسلم لله عز وجل، فإن العبد كلما ازداد في طاعة ربه ومولاه، كلما كان الكون والدنيا كلها مسخرة له..

ولذلك عندما ينزل عيسى عليه السلام يعلم الناس أن القيامة قد أوشكت فيتفرغون للعبادة، وتكون شغلهم الشاغل.. فيأمر الله عز وجل الأرض أن تخرج بركاتها، ويأمر السماء أن تنزل بركاتها، لأجل ذلك يفيض المال، ولا يجد من يأخذه، وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد..

فقد جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل، وفيه: «**ثم يرسل الله مطرًا لا يكن فيه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة** - كالمرآة - **ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة** - أي المجموعة من الرجال - **من الرمانة، ويستظلون بقحفها** - بقشرتها - **ويُبارك في الرسل** - أي اللبن - **حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس**»[1]..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم** واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، **لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل.. فيهلك الله** في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض، **حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا تضرهم** ...»[2]..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**والله لينزلن عيسى ابن مريم حكمًا عادلاً.. وليضعن الجزية، ولتُتركن القلاص** - أي الناقة الشابة - **فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال، فلا يقبله أحد**»[3]..

قال الإمام النووي - رحمه الله -: معناه أن يزهد الناس فيها - أي الإبل - ولا يُرغب في اقتنائها، لكثرة الأموال، وقلة الآمال، وعدم الحاجة، والعلم بقرب القيامة..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢١٨٢).

(٣) رواه مسلم.

وإنما ذكرت القلاص، لكونها أشرف الإبل، التي هي أنفس الأموال عند العرب وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]..

ومعنى «**لا يسعى عليها**» أي لا يعتني بها[1]..

أيها الموحدون الكرام..

لكن ما الحكمة في نزول سيدنا عيسى ابن مريم ﷺ دون غيره من الأنبياء؟ لأهل العلم في ذلك عدة أقوال، منها:

١- الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا سيدنا عيسى ﷺ، فيبين الله كذبهم وأنه هو الذي يقتلهم، ويقتل سيدهم ورئيسهم وهو الدّجال وقد رجح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره..

٢- أن عيسى ﷺ وجد في الإنجيل أوصاف أمة محمّد وفضلهم، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ...﴾ [الفتح: ٢٩] فتمنى أن يكون منهم، فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام..

قال الإمام مالك - رحمه الله -: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة، الذين فتحوا الشام يقولون: والله هؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا[2]..

قال ابن كثير: وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة[3]..

وقد ترجم الإمام الذهبي - رحمه الله - لسيدنا عيسى ﷺ في كتابه «تجريد أسماء الصحابة» فقال: عيسى ابن مريم ﷺ، صحابي ونبي، فإنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، فهو آخر الصحابة موتًا[4]..

---

(١) «مسلم بشرح النووي» (٢/ ١٩٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٤٣).

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٤٣٢) للذهبي.

٣- إن نزول سيدنا عيسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام - من السماء لدنو أجله، ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها فيوافق نزوله، خروج الدّجال، فيقتله عيسى عليه السلام..

٤- أنه ينزل مكذبًا للنصارى، فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويهلك الله الملل كلها في زمنه، إلا الإسلام، فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية..

أحبتي الكرام..

لكن أين ينزل سيدنا عيسى عليه السلام؟

قال النبي ﷺ: « **فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين** »[1]. أي ثوبين مصبوغين بورس أو زعفران..

وفي رواية أخرى في غير الصحيح: « **بين ثوبين مُمَصَّرين** »[2]. أي ثوبين يميل لونهما إلى اللون الأصفر الخفيف، الذي نسميه نحن (البيج) فهذا وصف اللون الذي يلبسه سيدنا عيسى عليه السلام، وقوله: « **فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق** » لم تكن هناك منارة بيضاء على عهد النبي ﷺ وهي موجودة الآن في المسجد الدمشقي في سوريا..

وذكر الإمام ابن كثير - رحمه الله - أنه في سنة ٧٤١هـ جدد المسلمون منارة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى، الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قيض الله بناء هذه المنارة من أموال النصارى، لينزل عيسى ابن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب..

صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣، ٤] ينزل.. « .. **واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر** - يعني نزل منه ماء - **وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه** - أي يطلب الدجال - **حتى يدركه بباب لُدّ** - اسم قرية في فلسطين، قريبة من تل أبيب - نسأل الله العلي العظيم أن يفك كرب إخواننا في فلسطين - **فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان (٦٨٢١)، وصححه الأرناؤوط على شرط مسلم.

منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إليه، إني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور»..

أي: انجُ بالمؤمنين الموحدين إلى جبل الطور، على هذه الأرض المباركة المقدسة وقد أخبر الله ﷻ بأنه أخرج عبادًا له، لا قدرة لأحد في الأرض على قتالهم، فيأمر الله نبيه عيسى ﵇ أن يحرز المؤمنين الموحدين إلى جبل الطور.. من هؤلاء القوم؟ إنهم يأجوج ومأجوج..

أيها الموحدون..

وعندما ينزل سيدنا عيسى ﵇، يكون هلاك المسيخ الدجال على يديه، كما ذكرنا في حديث النواس بن سمعان الذي في صحيح مسلم، وفي بعض الروايات: «**فإذا رآه الدجال** - أي إذا رأى عيسى ﵇ - **ذاب كما يذوب الملح، فيقول عيسى** ﵇: **إن لي فيك ضربة لن تفوتني.. فيتداركه عيسى فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود**»[(١)]..

وعن جابر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم** ...» فذكر الحديث، وفيه.. ثم ينزل عيسى ابن مريم، فينادي من السَّحر، فيقول: أيها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الخبيث فيقولون: هذا رجل جني، فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم، فليُصلِّ بكم.. فإذا صلى صلاة الصبح، خرجوا إليه..

قال: «**فحين يرى الكذاب ينماث - يذوب - كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه فيقتله، حتى إن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله، هذا يهودي، فلا يترك أحد ممن كان يتبعه إلا قتله**»[(٢)]..

وبقتل الدجال تنتهي فتنته العظيمة، وينجي الله أهل الإيمان من كذبه شره، وشر أتباعه على يد روح الله وكلمته عيسى ابن مريم وأتباعه..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (١٤٤٢٦) بإسناد صحيح.

لكن ما المدة التي يظل فيها سيدنا عيسى عليه السلام في الأرض؟ وبماذا يحكم؟ وأما عن مدة بقاء سيدنا عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله، فقد جاء في بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين، وفي بعضها اربعين سنه..

ففي رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فيبعث الله عيسى ابن مريم.. ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته**»[1]..

وفي رواية للإمام أحمد وأبي داود: «**فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون**»[2]..

وكلا الروايتين صحيحة، وهذا مشكل، إلا أن تحمل هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور والله أعلم..

قال ابن كثير: وقد ثبت في الصحيح أن يأجوج ومأجوج يخرجون في زمانه، ويهلكهم الله ببركة دعائه في ليلة واحدة[3]..

وفي «فتح الباري» في كتاب الأنبياء: وعند أحمد من حديث عائشة: ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة[4]..

ويحكم سيدنا عيسى عليه السلام بالشريعة المحمَّدية، ويكون من أتباع حبيبنا محمَّد ﷺ فإنه لا ينزل بشرع جديد، لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباق إلى قيام الساعة، لا ينسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجددًا لأمر الإسلام، إذ لا نبي بعد محمَّد ﷺ وسوف يحج بيت الله الحرام..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود.

(٣) «الفتن والملاحم» (١/ ٦٦) لابن كثير.

(٤) «عون المعبود» (٩/ ٣٦١)، و«فتح الباري» لابن حجر.

فعن حنظلة الأسلمي قال: سمعت أبا هريرة ﷺ يُحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليهلنّ ابن مريم بفجّ الروحاء** - موضع بين مكة والمدينة - **حاجًّا أو معتمرًا، أو ليثنينهما** - أي يجمع بين الحج والعمرة»[١]..

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم**»[٢]..

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتضرع إلى مولانا ﷻ، ليرفع عنا الغلاء والبلاء والوباء.. وأن ينجينا من الفتن ما ظهر منها، وما بطن..

اللهمَّ إنا نسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات أن تجعل لنا من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا.. وأن تحول عسرنا يسرًا، وأن تعافينا من كل بلاء يا رب العالمين..

اللهمَّ انصر الإسلام والمسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدين ووفق ولاة أمورنا إلى ما فيه الخير والفلاح يا رب العالمين..

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٨/ ٢٣٤).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الوصية رقم (٩٧)

تخلصوا من وسوسة الشيطان

عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص ﷺ أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يلبسها عليَّ.. فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له (خنزب) فإذا أحسسته، فتعوذ بالله، واتفل عن يسارك**»[١]..

قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني..

أيها الموحدون الكرام..

إن الشيطان عدو الإنسان، وهو لا يألوا جهدًا في إنواء العبد عن عبادة ربه سبحانه وتعالى بكل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يهنأ له بال حتى يزيغ قلوب العباد، ويفسدها، ويخرجها من النور إلى الظلمات.. وهذا دأبه وديدنه، ولكن الله ﷻ لطيف بعباده.. لطف بهم حين أرسل إليهم أعظم رسول، وأكرم نبي، وهو سيدنا محمَّد ﷺ ليداوي جراح قلوبهم، وعلل أرواحهم..

هذه الوصية الكريمة المباركة جاءت ضمن بعض العلاجات والأدوية التي شخصها طبيب الأطباء، وخاتم الأنبياء، ليدفع بها وسوسة هذا العدو اللدود.. وهو الشيطان..

إن له مداخل ومكائد وفخوخ ينصبها للعبد المؤمن، إذا أقبل على صلاته إنه يذكره بأمور كان قد نسيها، ويدس له الدسائس كيلا يستحضر من صلاته شيئًا.. فلا يدري كم صلى، أثلاثًا أم أربعًا، ومنهم من لا يدري ماذا قرأ الإمام إن كانت الصلاة جهرية.. فيخرج المصلي من صلاته ولم يكتب له منها شيء، بل قد لا تتجاوز صلاته عنقه، ومنهم من ترفع صلاته إلى السماء، فلا تفتح لها أبواب السماء، فتضرب في وجه صاحبها، وتقول له: ضيعك الله، كما ضيعتني.. فالأمر خطير.. نسأل الله العافية..

ومن هؤلاء الذين كانوا يعانون من الوساوس الشيطانية التي تقطع عليهم صلاتهم وتشغل قلوبهم عن الخشوع فيها - الصحابي الجليل (عثمان بن أبي العاص) إنه جاء إلى طبيب القلوب، ليصف له الدواء الناجع، لهذا الداء قبل أن يستفحل خطره..

---

(١) رواه مسلم.

فيوصيه رسول الله ﷺ بالدواء الفعَّال.. بعد أن شخص الداء، فقال له:

« **ذاك شيطان، يقال له: خنزب** »..

عرفه باسمه المحدد له.. وذلك بوحي من الله ﷻ لكي يضعه في اعتباره حين يأتيه، فيكون أشد حرصًا على التوقي من وسوسته وشره..

فماذا أفعل يا رسول الله حين يأتيني الشيطان اللعين (خنزب)؟

قال: « **إذا أحسسته، فتعوذ بالله منه** » هذا هو البند الأول من العلاج وهو أنك إذا شعرت بأنه وسوس لك بشيء من أمورك الدنيوية، لكي يشغلك عن صلاتك وعبادتك، فاستعذ بالله من شره.. استغث واعتصم به فإنه هو الذي يعيذك، وهو الذي يجيرك من وسوسته وشره..

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ [فصلت: ٣٦]..

ويأتي البند الثاني من العلاج النبوي: « **واتفل عن يسارك ثلاثًا** » لكن ما هي فائدة التفل عن اليسار، وهل يجوز ذلك في الصلاة؟

قال أهل العلم: في التفل على اليسار فوائد ثلاثة:

الأولى: إخزاء الشيطان، وهو من أهل الشمال، فإذا تفل المسلم عن شماله عند شعوره بوسوسة الشيطان فقد صده عن قلبه، وطرده شر طردة في ذلة وهوان.. ويفعل ذلك ثلاثًا مبالغة في إذلاله ودحره..

الثانية: طرد ما ألقاه الشيطان في قلبه من الوساوس، فإن من كره شيئًا تفله ومجه، حتى ولو كان شيئًا معنويًا..

وكان العرب إذا كرهوا شيئًا، قالوا: أف تف..

الثالثة: إن التفل دواء ناجع لهذا الداء العضال، أجراه الله على لسان نبيه فمن أخذه بثقة، شفاه الله وعصمه منه، حتى يلقاه..

قال عثمان بن أبي العاص: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني، أي كررت ذلك الفعل، أي تعوذت بالله كلما خطر لي، وتفلت عن يساري ثلاثًا، فأذهبه الله عني.. وهذا هو صاحب الوصية في موقف آخر يحكي لنا أن اشتكى إلى الرسول، فعن عثمان بن أبي

العاص ﷺ قال: استعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك أني كنت قرأت سورة البقرة، فقلت: يا رسول الله، إن القرآن يتفلت مني، فوضع يده على صدري، وقال: « **يا شيطان، اخرج من صدر عثمان** »..

يقول: فما نسيت شيئًا بعده أريد حفظه[1]..

أحبتي في الله..

وهكذا الشيطان يوسوس للمسلم، لماذا؟ لأن من أشد الأعداء على الإنسان لذلك حذر منه رب العزة والجلال سبحانه، فقال: ﴿ **إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ** ﴾ [فاطر: ٦]..

فهو يدعوه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، فيكون اتباع الشيطان من أسباب الانتكاسة والخسارة في الدنيا والآخرة.. إن أطاعوه، واتبعوا الهوى والشهوات، وارتكبوا المحرمات والمنهيات، وإن هم تركوا الطاعات، وهجروا القربات، فقد أحلوا بأنفسهم دار البوار، وستحل بهم النقمات..

والقرآن الكريم يصور هذه الأحداث لمن كان له قلب، أو ألقي السمع وهو شهيد فيقول الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٢٢]..

فالشيطان لا يفتأ يوسوس للإنسان، حتى تزل قدمه عن طريق النجاة، وتتفرق به السبل..

والقرآن والسنة هما اللذان فيهما تشخيص الداء والدواء، لهذا العدو، ولهذا المرض العضال، وهو [الوسوسة]..

قال تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] أي إذا أصابك الشيطان بوسوسته، وتشكيكه، فاستجر به، والجأ إليه في دفع الشيطان وأذاه، وهمزه ونفثه ونفخه..

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٥٢٥) لابن القيم الجوزية.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠]..

حكي عن بعض السلف، أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك بالخطايا؟ قال: أجاهده.. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده..

قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده.. قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟

قال: أكابده وأرده جهدي..

قال: هذا يطول، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك..

ولله المثل الأعلى.. فإن جاءك الشيطان بوسوسته، وكيده ونزغه، فماذا تفعل؟ استعن بخالقه وخالقك، يكفك شره وكيده، ويطرد عنك وسوسته ومكره..

ولقد شكا الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى رسول الله ﷺ شيئًا يجدونه في صدورهم - من وسوسة الشيطان - فقال ﷺ: « **يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا وكذا، حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله، ولينته** »[(١)]..

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة، لم ينزل مثلهن قط: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾** »[(٢)]..

وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري ﷺ يشكو إلى طبيب القلوب ﷺ أنه يخيل إليه أنه يجد الشيء في صلاته - وذلك من وسوسة الشيطان وتشكيكه، ليفسد عليهم عبادتهم.. فماذا يفعل؟ قال الطبيب الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ: « **لا ينفتل أو لا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا** »[(٣)]..

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: « إذا

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وجد أحدكم في بطنه شيئًا، فأشكل عليه، أخرج منه شيء أم لا، فلا يخرجن من المسجد، حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا »[١]..

قال النووي في شرحه لهذا الحديث:

وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعد الفقه، وهي أن الأشياء يحكم ببقائها على أصولها، حتى يتيقن خلاف ذلك، ولا يضر الشك الطارئ عليها[٢]. واستنبطوا منه: « اليقين لا يزول بالشك » وقالوا: « اليقين لا يرتفع إلا بيقين » وقالوا: « يجب استصحاب الأصل، وطرح الشك، وبقاء ما كان على ما كان » فيكون هذا الحديث أصل يعود إليه أهل العلم في تقعيد القواعد، لأن المسلم لا ينبغي له أن يقطع الصلاة لمجرد الشك، لأن ذلك يمكن الشيطان منه ويقويه على إفساد صلاته، وهي أعظم أركان الإسلام، فإذا أفسد عليه الصلاة، فقد أفسد عليه دينه كله..

ومن جهة أخرى نرى الرسول ﷺ يغرس في قلوب المؤمنين الطمأنينة فلا يأتيهم من قبل الشيطان شيء من وساوسه وهواجسه، فيوصيهم بأن يأخذوا باليقين، ويطرحوا الشك في الصلاة، وفي سائر أمورهم..

أحبتي في الله..

ومن أهم الوسائل بعد ذلك في دفع الوساوس الشيطانية [قراءة القرآن الكريم] والقرآن شفاء ودواء، وهدى ورحمة، وبشرى للمسلمين.. قال تعالى في كتابه: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الإسراء: ٨٢] وقال: ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ ...** ﴾ [فصلت: ٤٤]..

فقراءة القرآن بتدبر وطمأنينة من أسباب طرد الشيطان ووسوسته، كما ذكرنا في المعوذتين، وكذلك سورة البقرة، فإن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة.. قال ﷺ : « **لا تجعلوا بيوتكم قبورًا فإن البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة، لا يدخله الشيطان** »[٣]. وجاء في فضلها أيضًا: « **اقرءوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها**

(١) رواه مسلم، وذكره الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٨٢٢).

(٢) « صحيح مسلم بشرح النووي » (٢/ ٧٥).

(٣) رواه مسلم وأحمد.

حسرة، ولا تستطيعها البطلة»[(١)]، وهم السحرة..

وسورة البقرة تضم أعظم آية في كتاب الله ﷻ، ألا وهي آية الكرسي، التي ورد في فضلها، قول الشيطان لأبي هريرة ﷺ عندما كان يحرس مال الصدقة.. «**ما فعل أسيرك البارحة**» ثم ذكر الحديث إلى أن قال: أي الشيطان: «**دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**»..

قال أبو هريرة ﷺ: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ...**﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية «**فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح**»[(٢)] وقال في خواتيم سورة البقرة، وهما آخر آيتين منها: «**من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[(٣)] أي كفتاه من شر الشيطان ومكره فمن فعل ذلك فقد فاز ورشد، ووقاه الله من شر الشيطان ونزغاته، وكانت حياته سعادة وهناء، وفرحًا وسرورًا..

أما من أعرض عن القرآن، فسيلعب به الشيطان كما يلعب الطفل بالكرة.. وسيكون عرضة للهواجس والوساوس، وبذلك يضيق صدره، بل وتضيق نفسه.. ولهذا قال النبي المصطفى ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[(٤)]. فمن كان جوفه خربًا من كلام الرحمن، فلا غرو أن يتسلط عليه الشيطان بالحزن والأسى..

وكثير من الناس إذا أقبل على قراءة القرآن، ورأى الشيطان منه صدق العزيمة بدأ يلهيه ويبعده عن ذلك، فتارة ينعسه ويرغب النوم إليه، فينام ويترك كتاب الله، وتارة يذكره بأمور الدنيا الدنيئة، فينصرف إليها.. ولا سبيل لدفعه إلا بالتعوذ بالله منه.. كما أوصانا بذلك الله ورسوله..

ومن الوسائل التي تطرد الوساوس الشيطانية، والشرور الإبليسية [**المحافظة على أداء الصلوات**] وقد امتدح الله ﷻ عباده الذين يؤدون الصلوات المكتوبات في

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

المساجد، فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] فالصلاة من أهم وسائل الراحة والاطمئنان، وهداية البال، والإقبال على المنان وهي أوثق عرى الدين بعد الشهادتين، وهي الصلة العظمى بين العبد وربه، فمن حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة..

وقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ، فزع إلى الصلاة، يشكو بثه وحزنه إلى مولاه، كاشف الغم، وفارج الهم، مجيب دعوة المضطرين..

وللشيطان مداخل ومكائد ينصبها للعبد المؤمن، إذا أقبل المسلم على ربه في الصلاة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: « **إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة، أحال له ضراط، حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة، ذهب حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس** »[1]..

وفي الموطأ وسنن النسائي وسنن أبي داود من حديث أبي هريرة مرفوعًا: « **إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء، أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة، أدبر، حتى إذا قضي التثويب، أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، واذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى** »[2] عند النسائي: « **فإذا رأى أحدكم ذلك، فليسجد سجدتين** »[3]..

والسجود يضايقه ويضجره، بل ويجعله يندم ويأسف ويبكي.. السجود يقرب العبد من الله، ويبعده من الشيطان ووساوسه.. قال ﷺ: « **إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويلتي، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود، فأبيت فلي النار** »[4]..

ومن الأمور التي تغيظ الشيطان وتدحره، وتطرده، وترد كيده وقهره في نحره: [ذكر الله عز وجل] فالذكر يطرده.. قال ﷺ: « **من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه مالك والنسائي وأبو داود، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٨١٧).

(٣) **صحيح**: « صحيح سنن النسائي » للألباني (١٢٥٣).

(٤) رواه مسلم وأحمد وابن ماجة.

الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، بعدما يصلي الغداة عشر مرات، كتب له الله عز وجل عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكن له بعدل عتق رقبتين من ولد إسماعيل. فإن قالها حين يمسي، كان له مثل ذلك، وكن له حجابًا من الشيطان حتى يصبح »(١)..

ومن قالها في اليوم مائة مرة، كانت حرزًا له من الشيطان يومه كله حتى يمسي لحديث البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا رجل عمل أكثر منه** »(٢)..

ومن الأمور التي تقضي مضجعه [الاستغفار] بل يهلكه.. قال ﷺ: « **إن الشيطان قال: وعزتك يا رب، لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** »(٣)..

ومما يجلب الوسوسة الشيطانية، والنزغات الإبليسية (الوحدة) فليحذر المسلم من أن يبقى وحيدًا، لأن في الوحدة شرٌّ عظيم، وخطر كبير، لهذا حذر النبي ﷺ منها، فقال: « **لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده** »(٤)..

والمعنى: لو يعلم الناس ما أعلم ما في الوحدة من الآفات التي تحصل من ذلك، ما سار راكب بليل وحده.. وقيده بالليل، لأن الخطر بالليل أكثر، وانبعاث الشر فيه أكثر، والتحرز منه أصعب..

قال ابن بطال - رحمه الله -: قال المهلب: نهيه عن الوحدة في سير الليل، إنما هو إشفاق على الواحد من الشياطين، لأنه وقت انتشارهم، وأذاهم للبشر، بالتمثل لهم وما

(١) « الصحيحة » للألباني (١١٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد.

(٣) حسن: رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٦٥٠)، و« السلسلة الصحيحة » (١٠٤).

(٤) رواه البخاري.

يفزعهم، ويدخل في قلوبهم الوساوس، ولذلك أمر الناس أن يحبسوا صبيانهم عند حدقة الليل[١]..

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ نهي عن الوحدة، أن يبيت الرجل وحده، أو يسافر وحده[٢]..

وعند الطبراني: « **ولا نام رجل في بيت وحده** »..

فالوحدة مدعاة لوسوسة الشيطان ونزغه، فالمسلم يبتعد عن الوحدة في سفره وعن نومه ليلاً، وغير ذلك..

ومن الوسائل التي تذهب وساوس الشيطان ونزغاته **[المحافظة على الأذكار]** فالشيطان للعبد بالمرصاد، فهما في حرب دائمة، حرب ضروس، وفي عداء مستمر، عداء بين الخير والشر، والشيطان لا يكل، ولا يمل، بل ولا يفتر عن كيده ووسوسته حتى يخرجه عن دينه إن استطاع، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ** ﴾ [الزخرف: ٣٦] فالحرب بين العبد وبين الشيطان سجال، مرة ينال منه الشيطان، ومرة تنال أنت منه، وكلما اعتصمت بالرحمن، وتمسكت بأوامره، سهل عليك أن تزيل الوسوسة من قلبك ومن أسباب طرده، والبعد عن وسوسته، المحافظة على الأذكار، ومن حافظ عليها، كان لسانه رطبًا بذكره وصدره منشرحًا، وبربه هادئًا مطمئنًا.. ومن هذه الأذكار: قال ﷺ: « **ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شيء** »[٣]..

ومن أصابه فزع في نومه، أو ابتلي بالوحشة، فليقل: « **أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون فإنها لن تضره** »[٤]..

وكان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين بقوله: « **أعيذكما بكلمات الله التامة من**

---

(١) « شرح ابن بطال » (٩/ ٢٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، قاله الهيثمي في « مجمع الزوائد ».

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٧٤٥)، و« صحيح الترغيب » (٦٥٥).

(٤) **حسن**: رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٠١).

كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ويقول: إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق »[١]..

أحبتي الكرام..

فإذا أردتم أن تحاربوا الشيطان فخالفوه، وافعلوا ضد ما يحبه.. **افعلوا ما يكره** الشيطان.. خالف الشيطان، تسلم، ويسلم لك دينك، وتذره ذليلاً ومن هذه الأمور:

١- نهي رسول الله ﷺ أن يجلس بين الضح والظل، وقال: « **مجلس الشيطان** »[٢] والضح والظل - أي الشمس والظل. وقد جاء في « سنن أبي داود »: « **إذا كان أحدكم في الشمس** - وقال مخلد: **في الفيء - فقلص عنه الظل، وصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل، فليقم** »[٣]، أي ليتحول منه إلى مكان آخر كله ظلاً أو شمسًا، **لأن الإنسان إذا** قعد هذا المقعد، فسد مزاجه لاختلاف حال البدن من المؤثرين المتضادين.. والأولى أن يعلل بما علله الشارع بأنه مجلس الشيطان[٤]..

٢- نهي رسول الله عن الأكل بالشمال، فقال: « **ليأكل أحدكم بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعط بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويعطي بشماله، ويأخذ بشماله** »[٥]..

قال المناوي في « فيض القدير »: أفاد ندب تجنب ما يشبه فعل الشيطان، وأن للشيطان يدين[٦]..

٣- ونهي الآكل إذا سقطت منه لقمة أن يدعها، فقال: « **إذا طعم أحدكم، فسقطت لقمته من يده، فليمط ما رابه منها، وليطعمها، ولا يدعها للشيطان، فإن الشيطان يرصد الناس والإنسان على كل شيء، حتى عند مطعمه** »[٧]..

---

(١) صحيح: رواه البخاري وأبو داود وابن ماجة.

(٢) صحيح: رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٦٨٢٣)، و« صحيح الترغيب » (٣٠٨١).

(٣) صحيح: صححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » برقم (٤٨٢١)، و« صحيح الجامع » (٣٠٨٤).

(٤) « عون المعبود » (١٠/ ٣٤٢) « شرح سنن أبي داود ».

(٥) صحيح: رواه ابن ماجة، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٢٣٦)، و« صحيح الجامع » (٥٣٤٨).

(٦) « فيض القدير » (٥/ ٤٤٣) للمناوي.

(٧) رواه ابن حبان، وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (١٤٠٤).

قال الشيخ الألباني - رحمه الله - في « الصحيحة » (٣/ ٤٧٨):

ومن المؤسف حقًّا أن ترى كثيرًا من المسلمين اليوم وبخاصة أولئك الذين تأثروا بالعادات الغربية والتقاليد الأوربية، قد تمكن الشيطان من سلبه قسمًا من أموالهم، ليس عدوانًا بل بمحض اختيارهم، وما ذاك إلا لجهلهم بالسنة أو إهمالاً منهم إياها، **ألست** تراهم يتفرقون في طعامهم على موائدهم، وكل واحد منهم يأكل وحده دون ضرورة، في صحن خاص، لا يشاركه فيه على الأقل جاره بالجنب، وكذلك إذا سقطت اللقمة من أحدهم، فإنه يترفع أن يتناولها ويميط الأذى عنها ويأكلها، وقد يوجد فيهم من المتعالين، والمتفلسفين من لا يجيز ذلك، بزعم أنها تلوثت بالجراثيم والميكروبات! ضربًا منه صدر الحديث، إذ يقول ﷺ: « **فليمط ما رابه منها، وليطعمها، ولا يدعها للشيطان** » ثم إنهم لا يلعقون أصابعهم، بل إن الكثيرين منهم يعتبرون ذلك قلة ذوق، وإخلال بآداب الطعام، ولذلك اتخذوا في موائدهم مناديل من الورق الخفيف النشاف المعروف بـ (كلينكس) فلا يكاد أحدهم يجد شيئًا من الزهومة في أصابعه، بل وعلى شفتيه إلا بادر إلى مسح ذلك بالمنديل، خلافًا لنص الحديث..

ولا عجب في لك من الذين لم يسمعوا بهذا الحديث فهم به جاهلون، وإنما العجب من الذين يسايرونهم ويداهنونهم، وهم به عالمون..

ثم تجدهم جميعًا قد أجمعوا على الشكوى من ارتفاع البركة من رواتبهم وأرزاقهم مهما كان موسعًا فيها عليهم، ولا يدرون أن السبب في ذلك إنما هو إعراضهم عن اتباع سنة نبيهم، وتقليدهم لأعداء دينهم، في أساليب حياتهم ومعاشهم فالسنة السنة أيها المسلمون[١]..

٤- ونهي عن الشرب قائمًا: قال ﷺ: « **لا يشربن أحد منكم قائمًا، فمن نسي فليستقئ** »[٢]. وقد ورد أن النبي ﷺ رأى رجلاً يشرب وهو قائم، فقال له: « **قه** » قال: لمَ؟ قال: أيسرك أن يشرب معك الهر؟ قال: لا. قال: فإنه قد شرب معك من هو شرٌّ منه: الشيطان..

صحح إسناده الشيخ الألباني في « الصحيحة » (١/ ٣٣٧)..

---

(١) « السلسلة الصحيحة » (٣/ ٤٧٨) للشيخ الألباني.

(٢) رواه مسلم.

٥- ونهي عن المشي في نعل واحدة، فقال: « **إن الشيطان يمشي في النعل الواحدة** »[١].
قال ابن العربي: قيل: العلة فيها أنها مشية الشيطان..

وقد جاء في « الصحيحين »: « **لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، لينعلهما جميعًا، أو ليخلعهما جميعًا** »[٢]..

٦- أمرنا بالتأني، ونهانا عن العجلة، لأنها من الشيطان، قال ﷺ: « **التأني من الله، والعجلة من الشيطان** »[٣]..

وغير هذا كثير أيها الأحبة الكرام، لو تتبعنا أحاديث المصطفى ما وسعتنا هذه الصفحات.. ونكتفي بما ذكرنا سائلين الله ﷻ أن يجنبنا موارد الشيطان، وأن يبعد عنا وساوسه..

اللهمَّ يا عظيم السلطان.. يا قديم الإحسان.. يا كثير الخير.. يا واسع العطايا يا باسط الرزق.. يا خفي اللطف.. يا جميل الصنع.. يا جميل الستر.. لا تخيب أمل المؤملين.. ويا ملاذ اللائذين.. ارحم من ناداك وهو يؤمن بأنك ربه.. وأنت قصده وحسبه.. ارزقنا توفيقًا للأعمال الصالحة المقبولة عندك ما يوجب لنا رضاك.. وأن تعمر جوارحنا بطاعتك المرضية عندك، وأن تعمر قلوبنا بحبك وحب من تحبه..

اللهمَّ احفظنا من قرناء السوء ومخالطتهم..

اللهمَّ إنَّا نسألك من الاستقامة أعلاها منازل، ومن اليقين أرفعه مراتب، ومن الهداية أقصدها سبيلاً.. واغفر لنا يا رب العالمين..

---

(١) صحيح: « الصحيحة » للألباني رقم (٣٤٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٣) حسن: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٠١١).

الوصية رقم (٩٨)

تناصحوا فيما بينكم

عن تميم بن أوس الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **الدين النصيحة** » قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: « **لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هذا القبس النبوي الشريف يبين لنا بجلاء ووضوح أن النصيحة عماد الدين وقوامه، لأن الرسول ﷺ قرنها بالدين..

قال ابن بطال - رحمه الله -: في هذا الحديث أن النصيحة تسمى دينًا وإسلامًا وأن الدين يقع على العمل، كما يقع على القول..

قال: والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به، ويسقط عن الباقين..

قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة، إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه، ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذى فهو سعة..

وما دام التناصح بهذه المنزلة من الدين، فهي وصية من الرسول الأعظم والنبي الأكرم ﷺ فعن حذيفة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من لم يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم، ومن لم يمس ويصبح ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم، فليس منهم** » ..

وعن أبي أمامة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي، النصح لي** »[٢]..

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) حسن: رواه أحمد في « مسنده » (٢٢٠٩١).

وعن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ أنه قال: بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم..

فهذا يدل على اهتمام الرسول ﷺ بالنصح لكل مسلم، لذلك أدخله في عناصر ما يبايع أصحابه عليه في بعض أحواله..

وقد جعلها أستاذ البشرية ﷺ حقًّا من حقوق المسلم على المسلم فقال: « **حق المسلم على المسلم ست** ».. وذكر منها: « **وإذا استنصحك فانصح له ...** »(١)..

وعن معقل بن يسار ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه، لم يجد رائحة الجنة** »(٢)..

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إذا نصح العبد لسيده، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين** »(٣)..

أحبتي في الله..

وما دامت النصيحة بهذه المكانة العالية في دين الله ﷻ، فما هي النصيحة؟ ولمن تكون؟وما هي آدابها؟

أما النصيحة، فهي إعطاء أو معاملة الناصح غيره بأحسن ما هو له من حق أو واجب، أو أحسن ما يطلبه أو ينفعه أو يصلحه..

والنصيحة تختلف في تطبيقاتها بحسب الأمر الذي يطلب فيه النصح..

١- فنصيحة التاجر: تكون ببيان صفات ما يعرض من بضاعة بصدق كامل، فيبين ما فيها من جودة ورداءة، ورواج وكساد، وصلاح ونفع..

٢- ونصيحة الصانع: تكون بأن يقدم أفضل ما يستطيع من صنعة دون غش ولا خيانة..

---

(١) رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

٣- ونصيحة الطبيب: تكون ببذل كامل لجهده، لمعرفة علة المريض، ووصف الدواء الذي يراه أكثر نفعًا، وملاءمة لحال المريض..

٤- ونصيحة المعلم: تكون ببذل غاية وسعة في التعليم من يعلمه، وباختيار أفضل وجوه التعليم، وأحسن ما يفيده من مسائل العلم والمعرفة..

٥- ونصيحة المربي: تكون بتربية من يشرف على تربيته على أحسن وجه وأفضله واكمله، لإبلاغه الغاية المرجوة من تربيته..

٦- ونصيحة ولي الأمر، وكل راع في رعيته: تكون بابتغاء أفضل وجوه الخير لرعيته، وسياستهم على أحسن وجه يصلحهم، وعدم غشهم في شيء.. وعدم استخدام الولاية لصالح نفسه، وشهواته وأهوائه..

قال الجرجاني: النصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد[1]..

وقال في الذريعة: النصح: إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه وأول ما ينبغي نصحه، أن ينصح الإنسان نفسه، فمن غشها، فقلما ينصح غيره.. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]..

وقال الآجري - رحمه الله تعالى -:

لا يكون ناصحًا لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، إلا من بدأ النصيحة لنفسه، واجتهد في طلب العلم والفقه، ليعرف به ما يجب عليه، ويعلم عداوة الشيطان له، وكيف الحذر منه، ويعلم قبيح ما تميل إليه النفس، حتى يخالفها بعلم[2]..

أيها الموحدون الكرام..

والنصيحة وبذلها صفة من صفات أنبياء الله ورسله - عليهم السلام - لأقوامهم ليأخذوا بأيديهم إلى طاعة الله ربهم..

فهذا أطول الناس عمرًا سيدنا نوح عليه السلام، يقول لقومه، كما حكي القرآن الكريم: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]

(١) «التعريفات» (٣٦٠).

(٢) «بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز» (٥/ ٦٧).

وقال مخبرًا عن نبيه هود ﷺ - أنه قال لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨]..

وقال عن نبيه صالح ﷺ أنه قال لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٩]..

وقال عن نبيه شعيب ﷺ أنه قال لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩٣]..

وهكذا كان الخليل إبراهيم ﷺ ومن بعده من الأنبياء.. ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]..

فلمن تكون النصيحة؟

حددت السنة المطهرة في هذا القبس الذي نعيش تحت ظلاله لمن تكون؟

أولاً: النصيحة لله ﷻ: فكيف تكون النصيحة لله؟

قال الإمام النووي - رحمه الله -: أما النصيحة لله، فمعناها منصرف إلى الإيمان ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد من صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه عن جميع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته، وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور، والدعوة إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها[١]..

وقال الحافظ ابن حجر: النصيحة لله: وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهرًا وباطنًا، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة من مساخطه بترك معصيته، والجهاد في رد العاصين إليه[٢]..

ثانيًا: النصيحة لكتاب الله: كيف تكون؟

تكون بالإيمان بأنه كلام الله ﷻ.. لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يُقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق التلاوة وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥٠).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٦٧).

حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه[1].

قال ابن حجر: والنصيحة لكتاب الله، تعلمه وتعليمه، وإقامة حروفه في التلاوة، وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه[2]..

ثالثًا: النصيحة لرسوله ﷺ: فكيف تكون؟

تكون بتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها والدعوة إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها.. والتخلق بأخلاقه ﷺ والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك[3]..

وقال ابن حجر: النصيحة لرسوله ﷺ تعظيمه، ونصرته حيًّا وميتًا، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والاقتداء به في أقواله، وأفعاله، ومحبته، ومحبة أتباعه[4]..

رابعًا: النصيحة لأئمة المسلمين: كيف تكون؟

تكون بمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه..

قال الخطابي - رحمه الله - ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم،

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥٠، ٥١).
(٢) «فتح الباري» (١/ ١٦٧).
(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥١).
(٤) «فتح الباري» (١/ ١٦٧).

وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعي لهم بالصلاح[1]..

وقف رجل للفاروق عمر بن الخطاب ﷺ وقال له: اتق الله يا عمر فقام بعض الناس إليه.. فقال لسيدنا عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها..

وفي عهد الخلافة الراشدة، في عهد هارون الرشيد في الدولة العباسية، نجد النصيحة الصادقة يوجهها المؤمنون الصادقون، والعلماء المخلصون لأئمة المسلمين.. فقد كان سفيان الثوري - رحمه الله - صديقًا لهارون الرشيد قبل الخلافة، ولما ولي الخلافة، انقطع عنه سفيان، وكتب له: «من أين لك يا هارون أن تغدق العطاء على الناس، وهو حق الأرملة والمسكين والفقير؟ وما جوابك بربك غدًا إذا جاءك هؤلاء يخاصمونك بين يديه، ويقولون: يا ربنا، سل عبدك هارون، فكم منعنا حقًا وأعطاه من لا يستحقه؟ فبكي هارون الرشيد.. وعلم أية نفس عظيمة ينطوي عليها ذلك الرجل العظيم سفيان الثوري..

ولما طلب هارون الرشيد من رئيس القضاة أن يبين له أصول جباية المال وتوزيعها، كتب له ناصحًا:

«إن الله قد قلدك أمرًا عظيمًا، ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أعظم العقاب قلدك أمر هذه الأمة، فأصبحت وأمسيت، وأنت تبني لخلق كثير، قد استرعاكهم الله، وائتمنك عليهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى، أن يأتيه الله من القواعد، فيهدمه الله على ما بناه، وأعان عليه، فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة»..

ولما بني عبد الرحمن الناصر مدينة الزهراء في بلاد الأندلس، وتفنن في بنائها وجعلها من أعاجيب الدنيا، وكان مما بناه (الصرح الممرد) واتخذ لقبته قراميد من الذهب والفضة.. فكان في قرطبة العالم الفقيه (منذر بن سعيد) رئيس القضاة، فخطب بين يدي الناصر، وتلا قول الله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي

(١) «مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥١).

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٥] ثم وصله بقوله: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء: ٧٧] ثم أخذ يذم الإسراف في الإنفاق والبنيان.. وقال مخاطبًا الناصر: ما ظننت أن الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكين مع ما أتاك الله وفضلك به على العالمين، حتى أنزلك منازل الكافرين..

فاقشعر الناصر من هذا الكلام، وقال له: انظر ما تقول.. قال: نعم، أليس الله يقول: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٣، ٣٤]..

أيها الموحدون..

هذه أمثلة بسيطة من تاريخنا المجيد، تدل على الرفقة والقوة والخلود، وما أحوج الأمة دائمًا إلى فضيلة الصدق في النصح، والجهر بالحق.. وما أكثر المتملقين الكاذبين، والمادحين المغالين في زماننا.. الذين يهتفون ويثنون ليملأوا جيوبهم وبطونهم بفضلات من يمدحونهم..

لقد كان ينقل عن الإمام ابن تيمية - رحمه الله - والإمام أحمد وغيرهم من السلف: «لو كان لنا دعوة مستجابة، لصرفناها إلى السلطان»..

خامسًا: النصيحة لعامة المسلمين: فكيف تكون؟

تكون النصيحة لعامة المسلمين، بإرشادهم إلى مصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه من المكروه.. والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه[1]..

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥١، ٥٢).

أيها الموحدون الكرام..

بقي لنا أن نتعرف سويًا على بعض الآداب التي يلتزم بها الناصح لمنصوحه ومن هذه الآداب:

١ - أن تكون النصيحة خالصة لوجه الله ﷻ:

بحيث لا يكتنفها الرياء، فلا يرجو الناصح إلا وجه الله، والدار الآخرة..

٢ - أن تكون النصيحة عن دراية وعلم:

لأن الناصح لو كان جاهلاً فلربما نصح بمنكر، أو قد ينهي عن معروف..

٣ - أن يكون شفيقًا رفيقًا:

فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.. وقد أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن ينصح فرعون وهو أكفر أهل الأرض باللين.. ﴿ **فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾ [طه: ٤٤] ولقد دعانا الله ﷻ إلى الطيب من القول، فقال: ﴿ **وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ** ﴾ [الحج: ٢٤]..

٤ - أن تكون النصيحة سرًّا:

قال مسعر بن كدام - رحمه الله -: رحم الله من أهدى إليّ عيوبي في سر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع[(١)]..

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا نصحتني، فانصحني بيني وبينك فإني لا آمن عليكم، ولا على نفسي حين تنصحني علنًا بين الناس..

وقيل يومًا لبعض العلماء: أتحب من يخبرك بعيوبك؟ فقال: إن نصحني بيني وبينه، فنعم، وإن مرعني بين الملأ، فلا..

وهذا هو الحق، فإن النصح في السر، حب وشفقة، والنصح في العلن انتقاص وفضيحة..

---

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٢٩٠).

قال الشافعي - رحمه الله -: من وعظ أخاه سرًّا، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه - أي نصحه - علانية، فقد فضحه وشانه..

وقال:

تعهدني بنصحك في انفراد	وجنبني النصيحة في جماعة
فإنَّ النصح بين الناس نوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري	فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

وأما الذين يشهدون بعيوب الناس، ويهتكون حرماتهم في المجالس بحجة النصح والجهر بالحق، فذلك جهل بدين الله ﷻ شائن، وتلك هي الغيبة التي نهانا الله ورسوله عنها..

٥- أن يتخلق الناصح بخلق الصبر:

لأن أكثر الناس لا يستجيبون في التو والفور، ولكنهم يختلفون وعلى حسب حالهم يقبلون أو لا يقبلون، فقد يستجيب بعد يوم، وقد يستجيب بعد أسبوع أو شهر، أو سنة، أو أكثر.. لذلك قال الله ﷻ لرسوله وحبيبه ﷺ: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ** ﴾ [القصص: ٥٦]..

٦- اختيار الأسلوب الأفضل والأحسن:

فبعض الناس يحتاج في نصحه إلى الأسلوب المباشر، وبعضهم يحتاج إليها بشكل غير مباشر، وقد كان سيد الناصحين عندما يريد أن ينصح أو يرشد يقول: « **ما بال أقوام يقولون كذا، أو يفعلون كذا ...** »..

والنصيحة للصغير، ليست كالنصيحة للكبير.. والنصيحة لصاحب المكانة المرموقة، تختلف عن الرجل البسيط..

٧- أن يتحلى الناصح بحسن الخلق:

فحسن الخلق شيمة الكرام، سأل رجل العباس ﷺ قائلاً: أأنت أكبر أم رسول الله؟

فتأملوا حسن الاخلاق.. قال: رسول الله اكبر مني، وأنا ولدت قبله.. وعمر بن الخطاب ﷺ أنه خرج يعس المدينة ليلاً، فرأى نارًا موقدة في خباء، فوقف وقال: يا أهل الضوء.. وكره أن يقول: يا أهل النار وهذا من حسن خلقه وأدبه ونبله..

وكان لبعض القضاة جليس أعمى، وكان إذا أراد أن ينهض يقول: يا غلام، اذهب مع أبي محمَّد، ولا يقول: خذ بيده..

قال: والله ما أخل بها مرة..

وروى أن رجلاً أحضر طفله إلى مجلس أحد الخلفاء، فأراد الخليفة أن يختبره، فأراه خاتمًا من الماس في يده.. وقال: أرأيت أحسن من هذا الخاتم؟ فأجاب الطفل: نعم.. الإصبع التي فيها..

ثم سأله الخليفة سؤالاً آخر.. أيهما أجمل دار أمير المؤمنين أم داركم؟ فأجاب الطفل: إذا كان أمير المؤمنين في دارنا كانت أجمل..

ورحم الله القائل:

قل: للنصيح الذي أهدى نصيحته	سرًّا إلينا وسامته التكاليف
النصح ليس له حد فتعرفه	والنصح مستوحش منه ومألوف
حتى إذا صرّحت عنا عواقبه	كانت لنا عظة منه وتعنيف
لو كان للنصح حدٌّ يستبان به	ما نلنا حسرة منه وتلهيف
لكن له سبل شتى مخالفة	بعض لبعض فمجهول ومعروف
والناس غاوٍ، وذو رشد، ومختلط	والنصح ممضي ومردود وموقوف[1]

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا متناصحين في الله ولوجه الله، وأن يجعلنا متحابين متآلفين، متعاونين على البر والتقوى.. وأن يجعلنا هداة مهديين.. لا ضالين ولا مضلين.. إنه على ما يشاء قدير..

---

(١) «روضة العقلاء» لابن حبان (ص١٧٥).

اللهمَّ فالق الحب والنوى.. يا فالق الإصباح.. يا من يقلب الليل والنهار.. ويعلم الخفايا والأسرار.. نسألك خشيتك في الغيب والشهادة والحكمة في الغضب والرضى.. والقصد في الغنى والفقر، ونسألك التسليم في كل أحوالنا..

اللهمَّ فرج هم المهمومين، وكرب المكروبين، واغث الملهوفين بمددك وكرمك يا اكرم الاكرمين..



الوصية رقم (٩٩)

تعرفوا على فضل بيت المقدس

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثًا: حكمًا يصادف حكمه، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد - أي بيت المقدس - أحد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه..

فقال ﷺ: « **أما اثنان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة** »[1]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون..

قال الله ﷻ في كتابه: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ...** ﴾ [القصص: ٦٨] والله ﷻ طيب، لا يختار من موجوداته إلا ما كان شريفًا طيبًا..

خلق السموات وجعلها سبعًا، فاختار منها أعلاها، فجعلها مستقرًّا لملائكته ومحطًّا لأرواح عباده الأبرار المقربين، واختصها بالقرب من كرسيه ومن عرشه.. ﴿ **فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ** ﴾ [المؤمنون: ١٤]..

وخلق الملائكة الكرام، فاصطفى منهم رسلاً وسادة، كجبريل وميكائيل، وإسرافيل.. وخلق من الماء بشرًا، فجعله نسبًا وصهرًا، فاختار منهم نبيين.. ثم اصطفى منهم رسلاً مبشرين ومنذرين، حجة منه عليهم وعدلاً، وخص منهم خمسة، هم أولو العزم منه عليهم وفضلاً.. ثم اجتبى من خيار الخيار عاقبهم وخاتمهم، الذي أمهم جميعًا بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج ﷺ وعلى سائر إخوانه الأنبياء الأصفياء..

وكذلك اختار الله ﷻ من مساجده ثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد الرسول ﷺ ..

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والنسائي وابن ماجة واللفظ له والحاكم وابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (١١٧٨).

ففي الذهاب إليها تكفر السيئات، وتضاعف فيها الحسنات.. والمسجد الأقصى أحد هؤلاء المساجد المفضلة.. فهو مسرى رسول الله ﷺ كما قال الله ﷻ في كتابه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ... ﴾ [الإسراء: ١]..

وعن أنس ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أُتيت بالبراق، وهو دابة، أبيض، طويل فوق الحمار، ودون البغل، يقع حافره عند منتهى طرفه، فركبت حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء.. ثم دخلت المسجد - أي المسجد الأقصى - فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت ...**»[١]..

ولما أخبر رسول الله ﷺ كفار مكة بأنه قد أسرى به إلى بيت المقدس كذبوه، وكذبه أبو جهل، وجمع لنا الناس، فجاءوا حتى جلسوا إليهما، فقال عدو الله، حدث قومك بما حدثتني به.. فقال رسول الله: إني أسري بي الليلة..

قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس..

قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**» ثم طلبوا منه أن ينعت لهم المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «**فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت.. قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر - أي إليه - حتى وضع دون دار عقال - أي عقيل - فنعته وأنا أنظر إليه**»[٢]..

حتى قال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب..

وفي الحديث المتفق عليه عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لما كذبني قريش قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**»[٣] وصلى فيه النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، والتقى بإخوانه من الأنبياء والمرسلين..

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكة   والرسل في المسجد الأقصى على قدم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٠٢١) للألباني.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

لما خطرت بهم التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفز بحبيب الله يغتنم

المسجد الأقصى هو القبلة التي كان يتوجه إليها الرسول الأعظم ﷺ في صلاته عندما هاجر من مكة إلى المدينة، مدة ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، حتى أنزل الله ﷻ إليه أمرًا بالتوجه إلى بيت الله الحرام، فقال سبحانه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ... ﴾ [البقرة: ١٤٤]..

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ [البقرة: ١٤٤] فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس، وهم اليهود.. ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ... ﴾[1]. وقد وصف مولانا ﷻ في كثير من آياته بيت المقدس ومسجده بالبركة، وهي النماء والزيادة في الخيرات، والمنح والهبات.. ﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١]..

وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١] وهذه حكاية عن الخليل إبراهيم عليه السلام في هجرته الأولى إلى بيت المقدس وبلاد الشام وقال سبحانه: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ... ﴾ [الأعراف: ١٣٧]..

وقد وصف الله ﷻ أرضها بالربوة - ذات الخصوبة - وهي أحسن ما يكون فيه النبات، وماؤها بالعين الجاري، قال الله ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠]..

قال ابن كثير - رحمه الله -:

قال الضحاك وقتادة: هو بيت المقدس..

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

بيت المقدس هو أرض المنادى من الملائكة نداء الصيحة، لاجتماع الخلائق يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق: ٤١] قال قتادة وغيره: كنا نتحدث أنه ينادي من بيت المقدس، من الصخرة وهي أوسط الأرض..

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «ودلت الدلائل المذكورة على أن ملك النبوة بالشام والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله، يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، كما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، كما أن في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام، كما أسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»[١].

ومن فضله المسجد الأقصى، أنه لا تشد الرحال إليه والمسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ كما قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**»[٢]..

فالشارع الحكيم ينهى عن السفر إلى أي مكان مسجدًا كان أو غيره، لقصد العبادة، ما عدا المساجد الثلاثة المستثناة في أسلوب الحصر، ومما يدل على تعميم كل الأماكن إلا المساجد المذكورة، ما رواه الإمام مالك بسنده عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: لقيت بصرة ابن أبي بصرة الغفاري ﷺ فقال لي: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا، وإلى مسجد إيليا أو بيت المقدس**» شك منه[٣]..

قال ابن تيمية - رحمه الله -: وكما ينهى عن السفر إلى الطور المذكور في القرآن، فمن باب أولى ينهى عن السفر إلى غيرهما من الأمكنة[٤]..

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٤٣) لابن تيمية.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

(٣) **صحيح**: «صحيح سنن النسائي» للألباني (١٤٣٠)، ومالك وابن حبان، و«صحيح الجامع» (٧٣٧١).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٥٩).

أحبتي في الله..

والمسجد الأقصى هو ثاني مسجد بني في الأرض، لما ورد في «الصحيحين» من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**» قال: ثم أي؟

قال: «**المسجد الأقصى**» قلت: كما بينهما؟

قال: «**أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد، فصلِّ، فإن الفضل فيه**»[1].

وفي الوصية المذكورة، عن جابر أن نبي الله سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس، سأل ربه ثلاثًا: حكمًا يصادف حكمه، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، والشاهد في الثالثة: «**وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ...**»..

يدل على فضل الصلاة في المسجد الأقصى، ويدل على فضل زياراته..

ولأجل هذا كان سيدنا عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يأتي من الحجاز، فيدخل فيصلي فيه، ثم يخرج ولا يشرب فيه ماء.. مبالغة منه لتمحيص نية الصلاة دون غيرها، لتصيبه دعوة نبي الله سليمان عليه السلام[2]..

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: وليس في بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى، ولكن إذا زار قبور الموتى، وسلم عليهم، وترحم عليهم، كما كان النبي ﷺ يعلم أصحابه فحسن[3]..

قال: والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ وغيره من سائر المساجد، إلا المسجد الحرام، فإنه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد: الطواف بالكعبة، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، أما مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى وسائر المساجد، فليس فيها ما يطاف به، ولا فيها

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبيهقي والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٥٧٩).

(٢) «الفتاوى» (٢٧/ ٢٥٨).

(٣) المرجع السابق (٢٧/ ١٣٩).

ما يتمسح به[١]..

ومما ورد في فضله حديث أبي ذر ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في بيت المقدس أفضل أو في مسجد رسول الله ﷺ فقال: « **صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلي هو أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان، ولقيد سوط، أو قال: قوس الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له، أو أحب إليه من الدنيا جميعًا** »[٢]..

وهذا الحديث يشتمل على بشارة النبي ﷺ بفتح بيت المقدس، لأن هذا كان قبل فتح سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ببضع عشرة سنة..

وفيه بيان بأن الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة فيما سواه عدا مسجدي مكة والمدينة..

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته، وما فيه موضع شبر، إلا وقد سجد عليه نبي أو قام عليه ملك..

وفي بيت المقدس بشر الله ﷻ زكريا بيحيى ﷺ، وسخر الله ﷻ لداود الجبال والطير في بيت المقدس..

وعند حلول الفتن في آخر الزمان، سوف يكون أهل المسجد الأقصى على الإيمان ثابتين، لحديث أبي الدرداء ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، أتبعته بصري، فعمد إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام** »[٣]..

بيت المقدس تنزل فيه الخلافة الإسلامية في آخر الزمان، فعن أبي حوالة الأزدي ﷺ قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي، أو على هامتي، ثم قال: « **يا ابن حوالة،**

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) صحيح: رواه البيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١١٧٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد والطبراني في « الأوسط »، والبزار، وصححه ابن حجر والألباني في « الترغيب » (٣٠٩٢).

إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا، والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك»[1]..

وقد جعل النبي ﷺ أهل بيت المقدس من الطائفة المنصورة، قال ﷺ: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق، وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة**»[2]..

أيها الموحدون الكرام..

كان هذا كله عن فضل المسجد الأقصى أو بيت المقدس، وماله من مناقب وفضائل، لكن من أول من بني المسجد الأقصى؟

ذكر أهل العمل أن هناك خلاف بين العلماء من أهل التفسير والحديث والتاريخ في تعيين أول من وضع المسجد الأقصى، وهي لا تخرج عن ثلاثة أقوال:

الأول: قالوا: بأن أبونا آدم عليه السلام هو الذي بنى أو أسس كلا المسجدين..

ذكر ذلك العلاقة ابن الجوزي - رحمه الله - ومال إلى ترجيحه الحافظ ابن حجر في كتاب فتح الباري، واستدل له بما ذكره ابن هشام في كتاب «التيجان» أنَّ آدم عليه السلام لما بنى الكعبة، أمره الله تعالى بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه، ونسك فيه، وبناء آدم للكعبة مشهور، وفيه عدة آثار:

(١) ما رواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: لما كان زمن الطوفان، رفع البيت، وكان الأنبياء يحجونه، ولا يعلمون مكانه، حتى بوأه الله لإبراهيم الخليل عليه السلام، وأعلمه مكانه..

(٢) ما رواه البيهقي في دلائل النبوة، عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا، قال: بعث الله جبريل عليه السلام إلى آدم، فأمره ببناء البيت، فبناه آدم، ثم أمره بالطواف، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت وضع للناس..

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والحاكم (٨٣٠٩)، والألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٧)، وأبو يعلى (٦٤١٧)، وصححه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٦٣).

(٣) روى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج عن عطاء «أن آدم أول من بنى البيت» وهذا القول أثبت كما قال الحافظ في الفتح، وعليه فإن الذي أسس المسجد الأقصى هو آدم نفسه، أو أحد أبنائه، لأن المدة الفاصلة بينهما، أربعون سنة فقط[1]..

الثاني: أن الخليل إبراهيم عليه السلام هو الذي أسس المسجد، لأن بناءه للمسجد الحرام مشهور بنص القرآن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ...﴾ [البقرة: ١٢٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٢٦] وإذا ثبت بالنص أنه هو الذي بني البيت الحرام فإن بناءه للمسجد الأقصى محتمل راجح، لقرب العهد بين المسجدين، وممن أيد هذا القول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - ولكن هذا القول فيه إشكالان..

الثالث: أنَّ الذي بناه هو سيدنا يعقوب عليه السلام، ورجح هذا القول ابن القيم - رحمه الله - قال في زاد المعاد:

والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق عليه السلام بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار - أي أربعين سنة -..

وهذا الذي ذكره ابن القيم ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، حيث قال - رحمه الله -: «ثم مر - أي يعقوب - على أورشليم قرية شخيم، فنزل في القرية، واشترى مزرعة شخيم ابن جحور بمائة نعجة، فضرب هنالك فسطاطًا، وابتني ثم - أي هناك - مذبحًا فسماه بيت أيل - أي إله إسرائيل - وأمر الله ببناء المستعلن له فيه، وهو بيت المقدس اليوم، الذي جدده بعد ذلك نبي الله سليمان بن داود. وأرجح الآراء هو الرأي الأول»[2]..

أحبتي في الله..

في الخاتمة نسألك الله العظيم، رب العرش الكريم أن يرد المسجد الأقصى إلى المسلمين..

اللهمَّ رد مسرى حبيبك محمَّد ﷺ إلى أيدي المسلمين..

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٠٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ١٨٤) لابن كثير.

اللهمَّ انصر الإسلام والمسلمين.. وانصر إخواننا المجاهدين في فلسطين وفي أرض الإسلام والمسلمين..

اللهمَّ عليك باليهود ومن والاهم..

اللهمَّ اجعل كيدهم في نحرهم.. واجعل دائرة السوء عليهم..

اللهمَّ أنت الغوث فأغثنا.. وأنت نصيرنا فانصرنا، وأنت غايتنا، وأنت حجتنا، وأنت قصدنا.. وأنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، وأنت مولانا فتولنا.. وأسعد أيامنا وأولادنا.. واغفر ذنوبنا يا أرحم الراحمين..



الوصية رقم (١٠٠)

عليكم بالجهاد في سبيل الله

عن أبي أمامة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم** »[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أيها الموحدون الكرام..

أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ يوصي أصحابه، بل ويوصي الأمة كلها بأعظم أسلوب، وأطيب كلام.. يوصيهم بما يذهب به الله ﷻ همهم وغمهم.. يوصيهم بالجهاد في سبيل الله.. ويذكرهم بأنه باب عظيم من أبواب الجنة..

الجهاد رهبانية الإسلام.. يقول موصيًا أحد أصحابه الكرام، وهو سيدنا أبو سعيد الخدري ﷺ: « **وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام** »[٢]..

وأوصى به كذلك الصحابي الجليل، الزاهد الورع، التقي النقي أبو ذر الغفاري ﷺ عندما قال له: « **أوصني، قال: عليك بتقوى الله، فإنها رأس الأمر كله** » قال: يا رسول الله، زدني حتى قال: « **عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي** »[٣]..

قال المناوي - رحمه الله - في شرحه: أي الرهبان، وإن تخلوا عن الدنيا، وزهدوا فيها، فلا تخلي، ولا زهد أفضل من بذل النفس في سبيل الله، فكما أن الرهبانية أفضل عمل أولئك (أي الرهبان) فالجهاد أفضل عملنا[٤]..

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في « الأوسط »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٠٦٣)، و« الصحيحة » (١٩٤١).

(٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٥٤٣).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (٢٢٣٣)، و« الصحيحة » (٥٥٥).

(٤) « فيض القدير » للمناوي.

وقد جاء تأكيد هذه الوصية العظيمة، في أن الجهاد يذهب الهم والغم، يقول ﷺ: « **وجاهدوا في الله، القريب والبعيد في الحضر والسفر، فإن الجهاد باب من الجنة، إنه ينجي صاحبه من الهم والغم** »(١)..

وهو من أقرب الأعمال وأحبها إلى الله ﷻ، قال ﷺ: « **أقرب العمل إلى الله عز وجل: الجهاد في سبيل الله، ولا يقاربه شيء** »(٢). أي لا يعادله شيء في الثواب..

ولهذا قال الله ﷻ في مفتتح سورة الصف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]..

وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة في فضل الجهاد، وثواب المجاهدين في سبيل الله، قال ﷺ: « **رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها** »(٣)..

وعن العرباض بن سارية ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله، ويجري عليه رزقه إلى يوم القيامة** »(٤)..

وعند ابن ماجة: « **وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفزع الأكبر** » بل وقرأت حديثًا عجيبًا رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي، وهو أن سيدنا أبا هريرة كان مرابطًا في سبيل الله، ففزع القوم، ثم قيل: لا بأس، فانصرف الناس، ووقف أبو هريرة، فمر به إنسان، فقال: ما يوقفك يا أبا هريرة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود** »(٥). وقال ﷺ قال: « **ثلاث يضحك الله عز وجل إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صُفوا**

(١) **صحيح**: أخرجه عبد الله بن أحمد (٥/ ٣٣٠)، و« الضياء في المختارة »، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٩٤٢).

(٢) **حسن**: أخرجه البخاري في « التاريخ » عن فضالة بن عبيد، وذكره الألباني في « الصحيحة » (٣٩٣٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٤) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في « الكبير »، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (١٢٢٠).

(٥) **صحيح**: رواه ابن حبان في « صحيحه »، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٢٢٣).

للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال»..

وعن كعب الأحبار أنه قال: يقول الله ﷻ لرسوله محمَّد ﷺ: «**عبدي المتوكل المختار.. ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح.. مولده بمكة، وهجرته بطيبة.. وملكه بالشام، وأمته الحمادون، يحمدون الله على كل حال، وفي كل منزلة، لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر، يوضون أطرافهم ويأتزرون على أنصافهم، صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة، ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث أدركتهم، ولو على ظهر دابة**»[1]..

وقال سعيد بن جبير - رحمه الله -: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين..

أحبتي في الله..

إن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، كما قال النبي الأعظم ﷺ في حديث أبي أمامة: «**ذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله**»[2]. ولما سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل، أو أي الأعمال خير؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم أي شيء؟ قال: «**الجهاد سنام العمل**»[3]..

وأن المجاهدين في سبيل الله، هم صفوة خلق الله تعالى، وسادة عباده، وهم الناصحون للعالم كله على الحقيقة..

هم الباذلون نفوسهم ومهجهم، ليسعدوا البشرية بالتمتع بهذا الدين، فينالون رضوان الله ﷻ في الدنيا والآخرة..

إنهم قوم ندبهم لإعلاء كلمته، فانتدبوا، وأمرهم بالدعوة إليه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فسارعوا للقيام بذلك واستجابوا..

---

(١) رواه ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٢/ ٣٠٩).

(٢) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٤٢٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» رقم (١٦٥٨).

إنهم الذين يحيون بدين الله قلوب عباده.. ويضمون من اهتدى بهدي الله إلى صفهم..

إنهم قوم يختارون الجوع والعطش والخوف على الشبع والري، ليفوزوا في دار الكرامة بأجل نعيم أعده الله لهم.. ينام الناس ويسهرون.. ويتمتع الناس بملذات الدنيا، وهم عن شهواتها راغبون..

يتسابق الناس إلى تجارة الذهب والفضة الفانية، ويشمرون هم إلى تجارة السوق الرابحة الباقية: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾**﴾ [الصف: ١١-١٣]..

المجاهدون في سبيله قوم رفع الله منزلتهم على من سواهم، وجعلهم قادة البشر، ومعلميهم وآمريهم وناهيهم.. ﴿**كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ...**﴾ [آل عمران: ١١٠]..

المجاهدون في سبيل الله يبلغون أعلى وأحلى الجنان في أسرع وقت من الزمان وقبل غيرهم من الأنام.. أما ربنا ﷻ، فقد قال لهم: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١]..

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما خالط قلب امرئ وهج** - أي خوف - **في سبيل الله، إلا حرم الله عليه النار**»[1]..

وقال إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين ﷺ: «**تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو عليّ ضامن**

(١) **صحيح**: رواه أحمد ورواته ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢٧٤)، و«صحيح الجامع» (٥٦١٦).

أن أدخله الجنة »[١]..

وفي رواية: « ... **فمن فعل ذلك، ضمن الله له الجنة، إن قُتل أو مات غرقًا أو حرقًا أو أكله السبع** »..

وقال ﷺ لأصحابه الكرام: « **ألا تحبون أن يغفر الله لكم، فيدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله.. من قاتل في سبيل الله فواق ناقة، وجبت له الجنة** »[٢]، وذات مرة قال لأصحابه: « **قوموا، فقاتلوا** » فرمي رجل بهم فقال ﷺ: « **أوجب هذا** »، أي وجبت له الجنة[٣]..

ولما بايعه أحد أصحابه الكرام على كل شيء عدا الجهاد والزكاة، لأنه خشي على نفسه أن يولي من الزحف، فقال له: « **يا بشير، لا جهاد، ولا صدقة، ففيم تدخل الجنة** »..

وقال: « **إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف** » لم يقل: تحت ظلال المكتب الهندسي، أو العيادة الطبية، أو أي شهادة دنيوية، بل قال: تحت ظلال السيوف..

وقال عمار بن ياسر يوم صفين: الجنة تحت الأبارقة..

أحبتي في الله..

والمجاهد في سبيل الله، إذا مات شهيدًا له مزايا أعظم من الدنيا وما فيها..

قال ﷺ: « **للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلي حلة الإيمان، ويزوج اثنتين من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانًا من أهل بيته** »[٤]..

أرأيتم كيف يميز الشهيد عن غيره من البشر؟! أرأيتم كيف رفع الله درجته ومنزلته

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حسن: رواه الترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٣٠١).

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن.

(٤) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد والطبراني، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥١٨٢).

بين سائر الناس في الحياة الأخروية، من أول عذاب القبر إلى أن يأمن من الفزع الأكبر، إلى أن يوضع على رأسه تاج الوقار..

إن الفتنة في القبر تكون بسؤال الملكين، وتكون لاختبار ما عند المرء من حقيقة الإيمان والتصديق، ولا شك أن من وقف للقتال، ورأى السيوف تلمع، والأسنة تبرق، والسهام ترشق وتمزق، والرؤوس تندر، والدماء تثغب، والأعضاء تتطاير، والناس بين قتيل وجريح وطريح، فيثبت على ذلك، ولم يول دبره، ثم يجود بنفسه لله ﷻ إيمانًا به، وتصديقًا بوعده ووعيده، فهو كما وصف الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] فقد اختبر إيمانه في الدنيا وفتن، فكفاه هذا الابتلاء والاختبار من سؤال الفتان.. والجزاء من جنس العمل الله أكبر.. ويزوج من الحور العين..

نعم.. لأنه لما ترك زوجته في الدنيا وقرة عينه من الدنيا، جزاه الله بمثله، بل أعظم منه..

فعن أنس ﷺ أن رجلاً أسود، أتى النبي ﷺ فقال له: **يا رسول الله، إني رجل أسود، منتن الريح، قبيح الوجه، لا مال لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء، حتى أقتل، فأين أنا؟**

قال: « **في الجنة** » فقاتل حتى قُتل، فأتاه النبي ﷺ فقال: « **قد بيض الله وجهك، وطيب ريحك، وأكثر مالك** » ثم قال لهذا أو لغيره: « **لقد رأيت زوجته من الحور العين، نازعته جبة له من صوف، تدخل بينه وبين جبته** »[(١)]..

أعلمتم لماذا الجهاد في سبيل الله؟

لأنه يقينا الهم والغم.. قال ﷺ: « **جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم** »[(٢)]..

تأملوا كيف أذهب الله ﷻ بالجهاد هم ألب أرسلان وغمه!

فقد عاد ألب أرسلان إلى عاصمة دولته (خراسان) وجيشه بحالة منهكة، لا يتعدى ما بقي منه حيًا (الخمسة عشر ألفًا) أكثرهم مسخن بالجراح، فاقد لسلاحه،

---

(١) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (١٣٨١).

(٢) خُرج في أول الوصية.

وما زال بينه وبين عاصمته مسافة شاقة، واعترضه (رومانوس) الرابع إمبراطور بيزنطية، وهو يقود جيشًا، قيل: إنه ضم مائة ألف مقاتل، وقيل: ستمائة ألف مقاتل، وسرعان ما علم (ألب أرسلان) الخطر الزاحف نحوه، وهو يدرك أنه لا قبل له بملاقاة (رومانوس) وجيشه، بجيش منهك، قليل العُدد والعدة، فيحاول أن يحتال على (رومانوس) فيغريه بقبول مال عظيم، فيرفض، فيعرض عليه أن يقطعه بعض أراضيه، فيرفض ويصر على زحفه، فجمع (ألب أرسلان) وجوه مملكته، وقال: قد علمتم ما نزل بالمسلمين، فما رأيكم؟ فقالوا: رأينا لرأيك تبع.. وهذه الجموع لا قبل بها قال: وأين المفر؟ لم يبق إلا الموت، فموتوا كرامًا أحسن، وإني عزمت بحول الله وتأييده على القتال، وسوف أخرج لتوي - أي في الحال - بكفني وحنوطي فمن رغب عن الجهاد فدونه المسالك، فليسلك أيها أقرب إلى نجاته، ومن رغب في لقاء الله، فليتحنط، وليلبس كفنه، وليلحق بي لملاقاة (رومانوس) قال ألب أرسلان: إني هممت ألا أقاتلهم إلا بعد الزوال، قالوا: ولِمَ؟ قال: لأن هذه الساعة لا يبقى على وجه الأرض منبرٌ إلا دعا لنا بالنصر وكان ذلك يوم جمعة..

فقالوا: افعل، فلما زالت الشمس صلى، ثم قال: ليودع كل واحد منكم صاحبه، وليوص، ففعلوا ذلك... وما هي إلا ساعة واحدة حتى كان ألب أرسلان يمتطي جواده، ووراءه خمسة عشر ألف جندي قد تكفنوا جميعًا بقماش أبيض، وقد فاحت منهم رائحة الحنوط، وتحتدم المعركة بين الجيش المكفن، وبين الجيش البيزنطي، ويتدافع المسلمون بأكفانهم، يطرقون أبواب الجنة بجماجم الكافرين..

وانتصر ألب أرسلان.. وأحضر رومانوس أسيرًا بين يديه، وفي عنقه حبل، فقال له: ما كنت صانعًا لو ظفرت بي؟

قال: أوتشك أنت في قتلك حينئذ؟

قال ألب أرسلان: وأنت أقل في عيني من أن أقتلك، اذهبوا فبيعوه، فطافوا به جميع العسكر، والحبل في عنقه، يُنادي عليه بالدرهم والفلوس، وما يشتريه أحد، حتى انتهوا إلى آخر العسكر إلى رجل..

فقال: إن بعتمونيه بهذا الكلب اشتريه. فأخذوا الكلب، ودفعوه إلى الرجل وأتوا بالكلب إلى ألب أرسلان، وأخبروه الخبر، فقال: الكلب أنفع منه لأنه ينفع، وهذا لا

ينفع.. ثم إنه بعد ذلك، أمر بإطلاقه، وأن يجعل الكلب قرينه، مربوطًا في عنقه، ووكل به كل من يوصله إلى بلاده، فلما وصل عزلوه من الملك، وقتلوه[١]..

أحبتي في الله..

الشهادة في سبيل الله طريق إلى الوصول للحياة السعيدة الأبدية، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]..

وقال ﷺ: «**إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل، معلقة تحت العرش: تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نرجع إلى الدنيا، فنقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أنه ليس لهم حاجة، تركوا**»[٢]..

قال العز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء عن قتل الشهداء:

أحيا الله فيه بعد مماتهم، وعوضهم عن حياتهم التي بذلوها بأيديهم، بحياة أبدية سرمدية، لا يصفها الواصفون، ولا يعرفها العارفون..

وكذلك لما فارقوا الأهل والأوطان، أسكنهم في جواره، وآنسهم بقربه، بدلاً من أنس من فارقوه، من أحبائهم لأجله، فطوبى لمن حصل على هذا الجزيل في جوار الرب الجليل..

وقال أيضًا: لما بذلوا أنفسهم لأجل الله، أبدلهم الله حياة خيرًا من حياتهم التي بذلوها، وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه، ويسرحون من الجنة حيث شاءوا، لما انقطعت آثارهم من السروح في الدنيا[٣]..

---

(١) «مواقف بطولة من صنع الإسلام» لزياد أبو غيمة، و«فضائل الجهاد» لابن النحاس (١/ ٥٥٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن كعب بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

(٣) «أحكام الجهاد وفضائله» للعز بن عبد السلام (ص٥٣، ٨٤).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: إن الشهيد لما بذل حياته لله، أعطاه الله ﷻ حياة أكمل منها، عنده في محل قربه وكرامته..

فمن بذل شيئًا لله، أعطاه الله خيرًا منه[١]..

حياة غير الشهيد شوب النغص، ممزوج بالغصص، إن أضحكت قليلاً، أبكت كثيرًا، وإن سرت يومًا، أحزنت شهورًا.. أولها مخاوف.. وآخرها موت ومتالف. فارق عندية أهل الدنيا، الذين يموتون، فمن الله عليهم بالحياة عند الحي الذي لا يموت هم أحياء بذكر الله لهم.. ولئن فنيت بالله أشباحهم، فقد بقيت بالله أرواحهم لأن من كان فناؤه بالله، كان بقاؤه بالله..

أيها الموحدون..

كيف أصبح الجهاد الآن في سبيل الله.. لقد درست آثاره وأصبحت لا تُرى، وطمست أنواره بين الورى، وأعتم ليله بعد أن كان مقمرًا.. وأظلم نهاره بعد أن كان نيرًا.. وذوي غصنه بعد أن كان مورقًا.. وانطفأ حسنه بعد أن كان مشرقًا.. قال ﷺ: « **إذا ضن الناس بالدرهم والدينار، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم، حتى يراجعوا دينهم** »[٢]..

وفي رواية: « **إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم** »[٣]..

فليعلم أولئك الذين يظنون أن القتل فيه إذلال للنفس، وأن العز كل العز في اكتناز الأموال، والإقبال على الزروع والثمار.. لا سبيل إلى العزة الحقّة ولا بلوغ الغاية العظمى إلا بالجهاد في سبيل الله ﷻ..

يقول سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ: لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله، إلا ضربهم الله بالفقر..

---

(١) « مدارج السالكين » (٣/ ٢٧٣) لابن القيم الجوزية.

(٢) صحيح: رواه أحمد في « مسنده »، والطبراني في « الكبير »، والبيهقي في « الشعب »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٦٨٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود وأبو نعيم في « الحلية »، وأحمد في « مسنده »، وحسن إسناده الشيخ أحمد شاكر برقم (٤٨٢٥)، وصححه في موضع آخر برقم (٥٠٠٧).

هذا فقر الدنيا.. فقر المال.. لأنهم تركوه للإقبال على الدنيا وأموالها..

وهناك نوع آخر من الفقر وهو: فقر النفوس.. الذي أشار النبي ﷺ بقوله: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس**»[1]..

فمقابل غنى النفس، فقرها.. فقر القلوب.. وشدة الحرص والطمع..

يقول سيدنا علي رضي الله عنه: «الجهاد في سبيل الله، باب من أبواب الجنة، ومن ترك الجهاد في سبيل الله، ألبسه الله الزلة، وشمله البلاء، وُدِّيث بالصغار، وسيم الخسف، ومنع النصف»..

﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ ...**﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]..

إن الله عز وجل يتوعد من يترك الجهاد بالعذاب الأليم..

فاللهمَّ ارفع راية الجهاد في سبيلك عالية خفاقة..

اللهمَّ ارفع راية الإسلام على كل البلاد والعباد..

اللهمَّ انصر الإسلام والمجاهدين..

اللهمَّ كما بعثت فينا نبيك محمَّدا، فاعمر لنا منازلنا، ولا تؤاخذنا بسوء أفعالنا.. وارحمنا يا أرحم الراحمين..

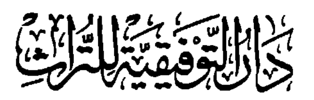
اللهمَّ كما لطفت بعظمتك فوق اللطفاء، وعلوت بعزتك على العظماء، اجعل لنا من كل هم وغم أصبحنا فيه فرجًا ومخرجًا..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

الفهـرس




دار التوفيقية للتراث